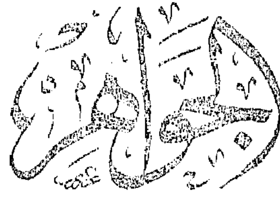
١٧١



الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء السادس عشر

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

وباشر طبعه محمد أمين عمران

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الاحزاب

(هى مدنية)

(وآياتها ثلاث وسبعون — نزلت بعد آل عمران)

(وهى ثلاثة أقسام)

(القسم الأوّل) فى تفسير البسملة

(القسم الثانى) فى مقدمة السورة ، وفى مناسبتها لما قبلها ، وفى غزوة الأحزاب من أوّل السورة الى قوله تعالى — وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا —

(القسم الثالث) فى أحكام أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وما أشبه ذلك من قوله تعالى — يأيها النبىّ قل لأزواجك — الى آخر السورة

﴿ القسم الأوّل فى تفسير البسملة ﴾

سأذكر هنا تفسيرها من ﴿ وجهين ﴾ ﴿ الوجه الأوّل ﴾ بيان كيف كانت الرحمة فيها ملخص سورة السجدة السابقة على هذه لتوازن الرحمة فيها هناك بالرحمة فى هذه السورة وأن ذكرها فى أوّل كل منهما لمناسبة الرحمة التى جاءت فى أثناء آيات السورة وما قدّمناه فى أوّل سورة السجدة فى تفسير البسملة لم نذكر فيه بيان هذا المعنى بل ذكرنا هناك أوّلا الفرق بين صفة العبد وصفة الرب وضربنا مثلا بالبترول والشمس وأبنا الرحمة فى الحقول والطيور والأنعام والأشجار فى البرّ والبحر ومعانى أسماء الله الحسنى فى نفس الحقول ، وأن الانسان يدهش من عجائب المادّة ، وأن الشرور كلها مقدّمات للرحمات ، وأن الشرور لم تكن إلا بالقصد الثانى لا الأوّل وأن العداوات وامتلاء الجوّ بالموادّ الفاسدة انما ذلك ليتفرّق الناس على الأرض فتكون الحياة والسعادة . هذا هو الذى تقدّم فى تفسير البسملة فى سورة السجدة . ولما تمّ الكلام على سورة السجدة وجب أن نبين

كيف

كيف كانت الرحمة فى البسملة مشيرة لما فيها من الرحمات والنعم لذلك نقول

تقدّم فى تفسير البسملة فى أوّل سورة الروم ماتبتهج به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، وتطمئن له الألباب من الحكمة العجيبة والآيات البديعة إذ استبان هناك أن آلام الكسر والضرب وآلام الجرح والجوع وآلام سائر الأمراض إن هى إلا مذكرات ومنبهات لما يجب عمله من الدواء والغذاء . وأقول الآن ان ذلك البيان هناك مناسب لاعتباره قتال الأمم فى تلك السورة جراحا وأمراضا لها

وتقدّم فى سورة لقمان فى تفسير البسملة هناك أن للعقول آلاما وأمراضا كما للأجسام فكما أن الأجسام فى ذوبان وسيلان مستمر هكذا العقول مضطربات اضطراب الأجسام فالجسم والروح فرساهان فى الذوبان والملاشاة والأغذية والأدوية للأجسام والعلوم الكونية أغذية الروح وعلوم الأخلاق وتهذيب النفوس أدويتها وهذا هو الذى جاء فى سورة لقمان ، أما فى سورة السجدة المتقدّمة فانى أقول ما يناسب ما جاء فيها من الرحمات .

ابتدأ سبحانه بذكر أن الكتاب لاريب فيه ، وبذكر خلق العوالم فى أيام معدودات . ثم انه أخذ يدبر تدبير الملك المستوى على عرشه لرعيته . العظيم الجلال فلا يعوزه نصير وليس لشفيع عنده مقام إلا باذنه ، واسع العلم وقد استوى عنده الباطن والظاهر والغائب والحاضر بخلاف ملوك الأرض فهم لايعلمون الغيب وهو غالب قاهر عزيز الجانب ، ذو رحمة واسعة ، لم يدع فى ملكه مخلوقا إلا أحسن صورته وزوّقه وجنده وسوّاه ، ومن أعجب العجب أن هذا الانسان البديع الصنع . الجميل الوجه ، الواسع العقل ، الحسن الاتقان ، لم يكن إلا من طين وذلك الطين عجن بماء وامتزج به الهواء والنور وعناصر كثيرة ، وبارسال أنوار الكواكب المشرقات وأهمها الشمس ودورانها حالا بعد حال سوّيت خلقته ونظمت أعضاؤه ، فالسموات والأرض المذكورات فى أوّل السورة ودوران الكواكب بتدبير من استوى على عرشها ، ذلك كله مقدّمات وأسباب جعلت لابداع النظام واظهار الحسن والجمال فى صور الانسان ، ومن هذه الأجسام الانسانية اتخذت خلاصة مائية بها كان النسل أجيالا وأجيالا ، ومن أبدع مافى تلك الصورة الانسانية الحواس التى جعلت فى هذه الأجسام فى مقابلة الكواكب فى السماء فالكواكب تشرق بنورها فتضىء السبل والحواس بها يمتاز الظلام من النور والحلو من المرّ والطيب من الخبيث ، فتدبير الملك المستوى على عرش هذه الأكوان قضى أن يكون فى جسم الانسان نظير مافى الجسم العام . الجسم الكلى مشرق بالنور وبالأرواح العالية وهذا الجسم الحيوانى والانسانى له مشرقات مبينات لما هو فى حاجة اليه ومن أهمها الاسماع والابصار

ولاعجب فى ذلك فان الاصول تتبعها الفروع . فكما كان فى الكواكب أنوار هكذا فى أرضنا أنوار إما من الأرض بالبترول والغاز ، واما من النبات كالزيت ، واما من الحيوان كالشمع والشحم ، واما من الكهرباء وهكذا فهذه أنوار جزئية تحاكى الأنوار الكلية المشرقة من الشمس . فههنا شابه الفرع وهى الأرض أصله وهى الشمس بعض المشابهة ، وهكذا مافى الأرض من صناعة غالبا إلا وهى فى حاجة الى آلات بدورات كما تدور الأرض حول الشمس . الأرض تدور حول الشمس (كما تدور الشموس) وتدور حول نفسها لتقتبس الأنوار منها ليحيا ماعليها ، فهكذا نرى الانسان يدير نواعير وسواقى وعجلات القطر الجاريات فى الطرق الحديدية وعجلات أخرى فى آلات الحرث والطحن والدرس والخياطة ، وهكذا جميع أحوال الحياة آلاتها كلها دائرات دوران الأرض حول نفسها ، فالأرض تدور لأجل استمداد الحياة لما عليها والآلات تدور لكل تلك الحياة بالصناعات المختلفات ، إذن لاعجب اذا قلنا ان فى جسم الانسان والحيوان حواس مشاكلة لما فى السماء ولكن المشاكلة هنا لحواس الملائكة . ومعنى هذا أن الأرض كما كان فيها أنوار كأنوار الشمس تضىء بالليل كالكهرباء هكذا فيها نفوس مدبرات لها حواس مشاكلة لما فى تلك العوالم الكوكبية من ملائكة مدبرات لها ، وكل هذه المعانى تؤخذ من قوله تعالى ــ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ــ فهناك شموس مدورات دائرت تدبيرها

أرواح عالية أصواؤها مستمرة لايجاد وامداد مخلوقات على أمثال أرضنا هكذا هنا مصابيح كما تقدم ونفوس بنى آدم مدبرات وآلات مدورات دارات لاحداث صنائع ، فالتدبير الثانى يشبه التدبير الأول . فالتدبير إذن من السماء الى الأرض

ومن عرف الأنوار الكلية فى السموات والأنوار الجزئية فى الأرض فى جسم الانسان فهو حرى أن يشكر مبدعهما بالعلم والحكمة أولا ثم بالعمل بحيث يكون هو نفسه مشرق نور للناس نافعا لهم والا لكانت روحه أدنى مرتبة وأخس من حاسة من حواسه التى تبين له ما هى منوطة به من الفرق بين الحر والبرد والمر والحلو الخ

ومما يدهش له اللب وتحار فيه العقول أن هذا النوع الانسانى قليل الشكر لجهله بهذه النعم وغفلته التامة عن هذا الابداع ، وقد ظن هذا الجهول اننا خلقناه وخلقنا السموات والأرض عبثا بلا فائدة . كلا . فالمقدمات لها نتائجها فاذا أنكر البعث فذلك لضلاله ، وسيقف هذا المسكين خاضعا ذليلا خاشعا أمام خالقه وهو كليل الطرف حسير وهناك يقول « ها أنا ذا أبصرت وسمعت فارجعنى لأعمل صالحا » ولكن ليعلم الناس انى وضعت كلا فى مركزه وجعلت له سبيلا يسلكها وطريقا يسير فيها ، فالمؤمن نفسه استعدت للايمان والكافر لا يخالف استعداده وأنا عدل أضع كل امرئ فيما استعد له ولو كان هذا ظلما لكانت المعدة والأحشاء فى الحيوان مظلومة بالنسبة للحواس . كلا . فلكل رتبة وخاصة بها انتظم العالم وللمؤمنين علامات منها أنهم يحبوننى ولذلك يودون أن تزاح الأستار بينى و بينهم فلذلك يقومون بالليل ليناجونى وهناك أعطيهم فى حال التهجد أنوارا وأسرارا وحبا لا يعرفه سواهم وقد أخفيت لهم ما لا يعلمه أحد بخلاف أصحاب النار وهذا قانون عام فى الأمم . ويقول « ألم تر الى بنى اسرائيل وقد كان منهم هداة صبروا فنالوا إذ أيقنوا »

فلما اطلع على هذا صاحبى العالم قال حسن ما لخصت به أكثر هذه السور ولكن أين أهم ما يدور البحث عليه فيها . قلت ﴿ ثلاث مسائل ﴾ تسوية خلق الانسان وموته و بعثه ، ولا جرم أن هذه الثلاث متلاحقات متصلات آخذ بعضها برقاب بعض . فلأحدثك عن التسوية أولا ثم عن أخواتها ، الله أكبر ، هاهو ذا جسمى مم ركب ؟ أهم ما ركب منه الفحم والاكسوجين والهيدروجين والنيتروجين وهو الاوزوت ، هذه الأربع أعمدة تقام عليها هيا كل كل حيوان ونبات فى الأرض وما هو الفحم (الكربون) ؟ إن هو إلا جسم اذا عرضناه للنار اتحد مع الاكسوجين فأصبحا جسما غازيا يشبه الهواء فى أنه غاز ولا يشبهه فى طبعه فهو جسم سام محرق ، وأما الاكسوجين فهو جسم غازى يشبه الهواء من حيث هيئته ولا يشبهه من حيث طبعه ، فادخل أى معمل من معامل الطبيعة فى الشرق والغرب وقل لهم أرونى الاكسوجين فحينئذ يرونك زجاجات فيها غاز كالهواء تماما . فهنالك اذا أوقدت شمعة وأدخلتها فى زجاجة من تلك الزجاجات اتقدت حالا وأضاءت ضوأ مشرقا واذا أدخلت هذه الشمعة المتقدة فى قارورة لا شئ فيها سوى الهواء فانها يقل ضوءها لا انه يزدهى كما هى الحال فى زجاجة الاكسوجين ، وأما الهيدروجين فهو شفاف كالاكسوجين ولكنه أخف منه بل أخف من جميع العناصر المعروفة ومتى اتحد بالاكسوجين تكون الماء ، وأما النيتروجين فهو مثلهما معا من حيث انه غاز شفاف ولكن خواصه تخالفهما معا ، واذا اتحد بالاكسوجين تكون من اتحادهما حوامض شديدة الفعل ومن أهمها وأعظمها (الحامض النتريك) أى ماء الفضة أى الذى يذيب الفضة و يذيب أكثر المعادن و يميت الأنسجة الحيوانية والنباتية ، هذا هو النيتروجين فهو باتحاده مع الاكسوجين يكون متلفا مهلكا بخلاف الهيدروجين فانه باتحاده مع الاكسوجين يعطى الحياة وذلك هو الماء . الله أكبر . سبحانك اللهم خلقتنا وعلمتنا من أجل التعليم ، فاذا سمعنا فى الآثار أن لك ملكا نصف جسمه من ثلج ونصفه من نار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، فهاهى ذه أجسامنا معاشر أهل الأرض فيها عناصر منها ما يهلك ومنها ما يحيى وهى مجتمعات فى جسمى ، ولا جرم أن شرط الاحياء والاماتة موجود وهو الاتحاد ، فهذه العناصر الأربعة متحدة فى جسمى .

فالاكسوجين

فالاكسوجين متحد بالهيدروجين وبهما معا كان الماء فى جسمى والنيتروجين متحد بالاكسوجين وبهما معا ماء الفضة ، وهذا هو الكنز الذى كشفه الألمان أيام الحرب العظمى فانهم استعملوا هذا المركب وهو (حامض النيتريك) فى المفرقعات والمهلكات فى الحرب ثم حوّلوا ذلك كله بعد الحرب الى سماد

عجبا يارب ، جسمى فيه مابه الحياة وهو الماء من أكسوجين وأودروجين ، وجسمى فيه مابه الموت وهو الاكسوجين المتحد مع النيتروجين فكان منهما ماء الفضة وهو (حامض النيتريك) ذلك المهلك المميت مخرب الحصون والقلاع ثم انه يحوّل الى سماد فيكون مصلحا للزرع جالبا للرزق . وهاك ملخص تلك المركبات

(١) الاكسوجين مع الهيدروجين يكون منهما الماء

(٢) الاكسوجين مع النيتروجين يكون منهما ماء الفضة

(٣) الاكسوجين مع الفحم يكون منهما غاز سام

(٤) الهيدروجين بالكربون يتكوّن منهما غاز قابل للاشتعال

فليس فى هذه المتحدات مافيه حياة إلا حال واحدة وهى اتحاد الاكسوجين بالاودروجين والبقية مهلكة سامّة محرقة ، فلما اجتمعت الأربعة حدث منها أمر عجيب ، حدثت حياة دائمة بالتناسل والنظام المدهش ، فياعجبا تسوية وانتظام وابداع وبهجة منظر وحسن اتساق نشأ كله من موادّ سامة مهلكة . إذن الحياة مشتقة مما به الموت . فياللعجب غازات سامّة تتحد وتتكاثف فتصير أشكالا منظمة فيها عقول منظمة لهذا العالم . هذه تسوية الانسان وهذا قوله تعالى — ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه — وأنا أيها الذكى بعد هذا البيان لم أعطك سرا مّا من أسرار التكوين لأن ذلك السرّ لم أطلع عليه ولواطلعت عليه لمنعت من افشائه لك لأنه فوق متناول العقول . فما علاقة الروح الحية المشرقة النور المنبعثة من جانب ذى الجلال القدسى بهذه الموادّ السامّة وأىّ شئ هو غاز الاكسوجين والاودروجين والاوزوت والفحم حتى تطمئن النفس فيها وتسكن . سبحان من علمنا وأطلعنا على عجائب أجسامنا ، أنا أكتب هذه الساعة وأنا أعجب من جسمى المجموع من أجسام هوائية غازية لاتستقر على حال مهلكة ، فياأيتها الروح الساكنة فى جسمى هاأناذا أخاطبك وأنا القائل وأنا السامع لأن لى لسانا ولى أذنين ، فأنا القائل باللسان وأنا السامع بالأذن . فأقول لك أنت لست من هذا العالم ، انه عالم مضطرب قد استقررت فى هذا الجسم المضطربة المذبذبة أجزاؤه ، وهل هو إلا تلك العناصر المفرقعة المهلكة جندرتها ونظمتها يد قاهرة غالبة الى حين ثم ترجع هذه العناصر الى حالها مع جنسها ، ثم انك أنت ترجعين الى عالمك تستقرين هناك فسمعك وبصرك اللذان جعلا لك ماهما إلا بصيص نور من نورك قد أضاء لك فى الأرض وتمام نورك يكون بعد الموت ، ألم تسمعى قوله تعالى — وجعل لكم السمع والأبصار — الخ وقوله حكاية عن الأرواح فى تلك الحال إذ تقول — ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون — إذن سمعك وبصرك الآن ليسا كسمعك وبصرك هناك . فالسمع والبصر هناك يورثان اليقين لأن السمع أتمّ والبصر أتمّ لانتزاعهما من هذه العناصر المتشاكسة المتحاربة المهلكة

هذه ياروحى أسرار ماتحسين فيك من لذة وألم . الألم واللذة احساسان ناريان . تألمين بالجوع وبالعطش وبايذاء الأعداء وبالأمراض وتستلذين بالغذاء والماء والنصر المبين ، وما اللذة والألم إلا لغتان من اللغات التى أنزلت فى هذه الأجسام ولها نطق وافصاح أصرح وأبين من افصاح اللسان ، اجتمعت هذه العناصر فى جسمى وأسكنت فيها فأخذت هذه العناصر تنطق لك بنطق فصيح بعد أن كانت بكماء خرساء وهى ملقاة فى الأرض فقالت لك تارة احذرى البرد وتارة احذرى الحرّ فاحساسك بالبرد نطق أفصح من نطق اللسان واحساسك بالحر كذلك وهكذا ذوقك الطعام والشراب واستلذاذك بهما افصاح وتبيان لك

فبهذا استبان أن كل ذلك رحمات لأنها بيان وكلام فاللذة كلام والألم كلام وجميع النقم والنعم والموت

والحياة كلها كلمات مفصحات مبينات مذكرات . وأى رحمة أجل من الذكرى والبيان إذ حياتنا كلها رحمة استوى فيها الألم واللذة وموتنا رحمة لاخراجنا من هذه المواد المضطربة ، هذا هو بعض سر التسمية فى أول هذه السورة ، فهذه العوالم فى جسمك وفى خارجه ناطقات اليوم مفصحات مبينات ، ألم تقرأ — قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ — هذا نوع من النطق ، نطق جاء من الكائنات بلا حرف ولا صوت ونحن نسمعه لامن طريق الأذن بل نسمعه من سائر أجسامنا

اللهم انك علمتنا وأريتنا نطق المخلوقات ، وأفهمتنا نزرا يسيرا من كتابك وفهمنا ذلك الكلام الفصيح الذى أودعته فى أجسامنا وفى الطبيعة وأدركنا بعض سر ما نطقت به الجلود والأيدى والأرجل إذ يقال للجلود — لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ — فهاهى ذه الأشياء تنطق للبار والفاجر منا وكل يسمع ذلك النطق ولكن لايعقله إلا الأقلون . وهذا سر قولك — قليلا ماتشكرون —

لايحيط بما تنطق به هذه العناصر إلا أرواح أرقى من أرواحنا القاصرة لأنها أرواح جزئية فلذلك احتجنا لمن يذكروننا من الأنبياء ولمن يعلموننا من الحكماء ولمن يداوون أجسامنا من الأطباء وهكذا فتختص كل طائفة بعمل عسى أن يقربوا من الكمال وماهم ببالغيه فى هذه الأرض فكان لابد عندنا من كل علم ولابد من طوائف تخصص لها كما انه لابد بعد الموت من نفوس أعلى منا تقرأ نفوسنا وأخلاقنا وتعاملنا على مقتضى ذلك فى تلك الدار بأمر خالقها وعلمها بسبب ضعفنا عن الاستيعاب لأننا محبوسون فى أقفاص نارية سمية منعتنا عن تمام الحرية والاستقلال ، ومنا فى هذه الأرض من اختصوا بدرس الجلود والأيدى فعرفوا مسامهما وخطوطهما فشهدت على المجرمين فى هذه الحياة الدنيا كما تقدم فى هذا التفسير . وهذا أمر شائع فى جميع حكومات العالم ومنها حكومتنا المصرية . شهدت جلودنا فى حياتنا الدنيا وشهدت خطوط أيدينا وذلك من التسوية العجيبة . أليس أمر هذا القرآن عجيبا . يذكر التسوية فى خلق الانسان هنا ويذكرها فى ﴿ سورة القيامة ﴾ فى قوله تعالى — بلى قادرين على أن نسوى بنانه — ويقرأ هذه الآية أحد علماء الألمان فى هذه السنين فيسأل لم أسلمت أيها العالم ؟ فيجيب قائلا قرأت فى القرآن المنزل على ذلك النبى العربى الأمى — بلى قادرين على أن نسوى بنانه — وقد أصبحت جميع الحكومات لايستقر قرار الأمن فيها إلابدراسة نظام البنان ومسامه ، ولم يجد الناس رجلين فى الكرة الأرضية تتشابه أناملهما فى مسامها ونظامها ، فلم اختص البنان بالذكر ؟ وعلم البنان لم يكن ليعرفه الناس إذ ذاك ولم تدركه الحكومات السابقة بل لو عرفوا ذلك لم يعرفه أهل الحجاز ومنهم هذا النبى الأمى ، فهذا القول انما جاء من مصدر أعلى من عقولنا التى فى الأرض فلذلك آمنت به وصدقت . انتهى كلامه

وهذا الافصاح والبيان من العناصر فى أجسامنا يدخل فيه جميع خواص العقاقير فى الأدوية ونواميس الوجود ، فاذا خرجنا من هذه المادة أشرقت عقولنا وظهرت لها الحقائق على ماهى عليه كل على قدر طاقته الفاجر والصالح وهذا قوله — ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون — أى أما فى الحياة فاننا كنا محجوبين ولم ندرك سر الوجود ولذلك يقال هنالك أيضا — فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد — ويقال — اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا —

هذه شذرة من قصة هذا الانسان ومبدأ خلقته وأحواله وموته وبعثه والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأربعاء (٦) من شهر نوفبر سنة ١٩٢٩ م انتهى الكلام على البسملة مع تلخيص سورة السجدة

فلننظر فى الكلام الآن على تفسير البسملة فى أول « الأحزاب » للموازنة بين السورتين من حيث الرحمة التى تضمنتها البسملة وتخللت آيات السورة

لقد

لقد تكررت البسملة فى أوّل كل سورة ودرج المسلمون قديما وحديثا على التسمية فى طعامهم وشرابهم ثلثمائة وألف سنة فترى جهلاءهم وعلماءهم ، كبارهم وصغارهم لا يعملون عملا إلا بالتسمية سنة محمدية وشريعة اسلامية طلبا لثواب الله وتقربا اليه وزلفى لديه ، فتلك سنة من خير السنن ، وخصلة من أجل الخصال

لقد تقدّم الكلام على البسملة فى الفاتحة وفى غيرها من السور مثل (الروم ولقمان والسجدة) ولكن بقى لها بقية لا بد من تداركها . وحكمة يجب اظهارها ، ونعمة حق علىّ إبداؤها لهذه الأمة المسكينة المضطهدة لفشوّ الجهالة وظهور الخطل فى آراء عامتها ، والغفلة فى نظام دراستها ، والنوم على التقليد الأعمى ، وتفيؤ ظل الكسل والجهل المبين الذى هو من يحموم لا بارد ولا كريم ، أبت النبوّة المحمدية الشريفة أن تذرنا نتخبط فى ديجور الظلام فعلمتنا أن الأعمال لا تصح إلا بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى ، وما هى النية ؟ هى ربيبة العلم ووليدة الفهم فمن تعلم فهم ومن فهم أحب ومن أحب الكمال ومحاسن الفضائل شاقته ومن اشتاق هم بالعمل ونواه وهناك تكون الأعمال على مقتضى تلك النيات والمعارف السابقات ، فليس فى مجرد التسمية (بلا علم بمواطن الرحمات ومحاسن الجمال فى المخلوقات وبهجة العوالم الربانية والآيات الحكمية والابداع وحسن التصوير والتنسيق) منتهى مقاصد النبوّة ولا مبلغ ماتريده من العلماء العاملين . لئن اكتفينا من العامى فى صلاته وصيامه ومأكله ومشربه بالتسمية والحمدلة اللفظيين لنقولن لعلماء الأمة وعقلائها ونابغيها ليمكن الدرس واعمال الفكر ومعرفة الجمال فى هذه العوالم حتى توقنوا بالرحمات ايقانا علميا تفصيليا كالذى فى هذا التفسير

علم الله أن المسلمين سينامون نحو ألف سنة عن التفكر فى مخلوقاته وينسون جميل صنعه فأنزل البسملة فى أوّل كل سورة وكررها مائة وأربع عشرة مرة فى القرآن ويكررها المسلمون فى صلاتهم فقرأناها تعبدا وقلنا كفى ، لا تقوم الأمم بمجرد الكلمات وانما قيامها بما تضمنته من المعانى وما حوته من حكمة ومعنى جميل ، لما وقف أكثر المتقدّمين من العامّة وصغار العلماء على القشور وجمدوا على الألفاظ جمودا معيبا نسى أكثر الناس فى العصور المتأخرة روح معنى التسمية واكتفى الخطباء على المنابر والوعاظ فى المساجد بذكر نعيم الجنة وعذاب جهنم حتى استقر لدى كثير منهم أن ربنا تجب العبادة له خوفا من ناره وخشية من سطوته فحسب لا حبا فيه ولا ابتهاجا برحماته الواسعة فأصبح المسلم إذ ذاك ما بين حاكم يسطو عليه لا خافته مثل ما حصل بمصر أيام المماليك البرية والبحرية وغيرهم من أبنائهم الذين فتكوا بأبناء البلاد أيام حكم الترك الى أن أبادهم المغفور له محمد على باشا ، وما بين خطيب لا يجد سبيلا للوعظ غير جهنم فى الآخرة بحيث لا يرى ما أمامه من الرحمات ولا ما حوله من النعم التى أسبغها الله على الانسان والحيوان ، وما بين المعلم والمؤدّب الذى يضرب به بالعصا أيام التعليم ، ياسبحان الله ان الأمة أيام تقهقرها يكون أسلوبها فى الدين وفى الحكومة وفى نظام التعليم على وتيرة واحدة فلقصور الحكومات عن تمام النظام لا تجد لها مناصا من الاضطهاد . والجهل المعلم لا يعرف غير العصا ولسوء الملكة وقلة العلم يقتصر الوعاظ فى أكثر أقوالهم على التحذير من عذاب جهنم وبئس القرار

علم الله ذلك لأنه قدّره قبل أن يخلق العالم فأنزل البسملة فى أوّل كل سورة وعممها بالسنة الشريفة المحمدية ليقول لنا اليوم

« أيها المسلمون . لئن كنت أنا ذا رحمة وغضب فى الآخرة بالجنة والنار لقد أسبغت النعم عليكم فى الدنيا ظاهرا وباطنا وأحطتكم فيها بالمنذرات والمخاوف والآخرة فى نعيمها وجحيمها نتيجة حياتكم هذه فمن غفل عن رحمتى الواسعة فى الدنيا وجهل ما أحطته به من الجمال والنعم فانى عدل حكيم أذله فى الدنيا جزاء وفاقا ، وليس هذا الاذلال للانتقام . كلا . وانما هو نتائج ، ألم تقرؤا — ويعطى كل ذى فضل فضله — فكيف أهب رحمتى لمن لم يكن أهلا لها ، بل كيف أسبغ نعمتى على من لم يطلبها ؟ ولا طلب إلا بنية . ولا نية إلا بالعلم ، فالعلم بالمخلوقات حولكم يجعلكم لها عاشقين والعشق تتبعه نية التحصيل والنية يتبعها العمل »

هذا سرّ من أسرار تكرار البسملة فى أوّل كل سورة ، وانه ليخيل الىّ الآن أن عقلا كبيرا من العقول العظيمة فى البرزخ اطلع على هذه الأمة الاسلامية فقال عجبا أليس فى هؤلاء رجل رشيد ، كرّر الله البسملة وكررها عامّتهم وخاصتهم ، ألم يتفكر منهم رجل فى حكمة هذا التكرار ، أليس التكرار لعظم المقدار والحاجة الى هذا المكرر ، تكرار القرآن ليس كتكرار كلام البشر . فأين الباحثون عن حكمته ؟ هنا كررت آية ـ ويل يومئذ للمكذّبين ـ فى ﴿ سورة المرسلات ﴾ . ذلك لأن جرم التكذيب عظيم . وكررت آية ـ فبأى آلاء ربكما تكذّبان ـ فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ لأن أمر النعم عظيم وهو كتكرار البسملة فى أوّل السور . تهويل العقاب على التكذيب ناسبه تكرار الآية المتقدّمة جمال النعم والرحمات عظمت العناية بها فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ وغيرها تكررت آية الآلاء وجعلت البسملة فى أوّل كل سورة من القرآن

رتب الامام الشافعى رضى الله عنه أعضاء الوضوء كما رتبت فى الآية وهذه دقة فى الملاحظة واستمساك بالدين فهل فى خطة الانصاف ومهيع العدل ونور العقل أن يحرص أوائلنا هذا الحرص على آى التنزيل حتى انهم يوجبون فرائض لأمر معنوى وهو التقديم والتأخير . ثم اننا نحن المتأخرين نرى آلاء الله قد عمت الكرة الأرضية ونسمع البسملة وآية الآلاء تكرر تكرارا كثيرا ثم لا نفكر فى الحكمة ولا نقول لماذا هذا التكرار ولم يقف مسلم عالم من أهل الاسلام يوما ويقول تقديم وتأخير فى آية الوضوء أنتج وجوبا شرعيا ، وتقديم وتأخير فى آية ذكر الله فيها المهاجرين والأنصار احتج بها أبو بكر الصديق يوم سقيفة بنى ساعدة وقال « أسلمنا قبلكم وقدّمنا فى القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » وبنى على ذلك أمرا واقعا وهو خلافة الخلفاء الأربعة والأمويين والعباسيين وبنى الحسن والحسين وغيرهم من آل البيت وبقية قريش . كل ذلك لتقديم وتأخير . يحصل هذا كله أيام آبائنا الأوّلين . ثم اننا اليوم نسمع البسملة تذكر فيها الرحمة مكررة مرتين وفيها كلمة الرحمن التى لا تطلق إلا على الله . ونسمع آية سورة الرحمن المكررة . ومن عجب أن آية الآلاء المكررة عشرات المرات لم تكن إلا من السورة المعنونة باسم (الرحمن) والرحمن مذكورة فى البسملة . إذن هذه النعم المذكورة فى (سورة الرحمن) ايضاح لمعنى البسملة كأن الله يقول « البسملة المكرّرة فى غدوكم ورواحكم تفسيرها يكون بنعمى » وابتدأها بأعظم نعمة وهى

(١) تعليم القرآن ، فأعظم نعمة إذن هو العلم

(٢) ثم خلق الانسان والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والفاكهة والنخل والحبّ والمشارق والمغارب والبحار واللؤلؤ والمرجان والفلك فى البحر

ياعجبا . أيها المسلمون . أليست هذه النعم فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ والرحمن اسم من أسماء ثلاثة فى البسملة فوا أسفاه على أمة ضاعت ودول هلكت ونعم ذهبت . الرحمة التى فى البسملة فصلت فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ ولقد ابتدأها الله بنعم الدنيا ثم أتبع ذلك بنعم الآخرة وتخلل ذلك التخويف بالعذاب فى آيات قليلة ليدلنا أوّلا أن نبتدئ بتعليم الناس هذه النعم الدنيوية مثل مافى هذا التفسير . أقول أنا بأعلى صوتى أيها المسلمون يجب وجوبا لاشبهة فيه أن أوّل تعليم المسلم من الآن يكون فى كتب يذكر فيها جمال هذه العلوم بحيث يلذّ الطالب منظرها وجماله من شجر وحجر وكوكب ونهر . هذا واجب فى الكتب وفى الحقول وعلى شطوط الأنهار كما أنزل الله فى ﴿سورة الرحمن﴾ ففى سورة الرحمن ذكر الله نعم السموات والأرض والبحار وليس معنى هذا أن نكتفى بمعانى هذه الآيات . كلا . وانما المقصد أن ندرس علوم السموات والأرض بهيئة جميلة لاسيما لأطفالنا الصغار لاننا نقول لهم أيها الأطفال المساكين احفظوا سورة الرحمن ونحوها فحسب بل نريهم صور ماذرأ الله من الجمال والبهاء والأزهار والأنهار ونفهمهم ذلك بعبارة رشيقة جميلة ثم نتبع ذلك بذكر الآية واذن نكون أدّينا ماوجب علينا . الله أكبر . أفليس تكرار البسملة فى أوّل السور وتكرار آية الآلاء فى (سورة الرحمن)

وسرد

وسرد نعم الدنيا أوّلا ثم نعم الآخرة فى نفس السورة التى ابتدئت بالرحمن . ثانيا أقول أليس ذلك كله يوجب علينا أن نفعل ماتقدّم فى تعليم الناشئين ويكون ذلك الوجوب ألزم وألزم بحسب الدليل و بحسب النتيجة من وجوب ترتيب أعضاء الوضوء ومن وجوب كون الأمراء من قريش اللذين استنتجا من مجرد التقديم والتأخير واذا وجب ذلك اليوم بهذا الدليل فليس لنا فضل فى استنتاجه لأنه آيات واضحات لايعوزها اعمال فكر . فى آيات ﴿ سورة الرحمن ﴾ مسندات الى ذلك الاسم الذى فى البسملة يكرره المسلم صباحا ومساء فى غدوه ورواحه . فأما أبو بكر رضى الله عنه والشافعى فقد أتيا بما يدقّ عن الأفهام لعظم منحة الله لهما والله ذوالفضل العظيم

اللهم إنك أنت الذى صرفت عقول الأمم الاسلامية المتأخرة المتفرّقة فى الأرض بعد القرون الثلاثة التى هى خير القرون عن الخطة المثلى فى التعاليم التى يقتضيها القرآن لأنك عدل فانك أبحت الغنائم لهم ليصرفوها فى منافع أهل الأرض ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح فلم يفعلوا مافعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من التجافى عن المال والزهد فيه وصرفه فى مصارفه الحقة وهى اسعاد أهل الأرض وعمارتها لأنهم خلفاؤه فيها . وعكف الذين سموا أنفسهم خلفاء بعد تلك القرون وكذلك الأمراء التابعون لهم على الخمر والفسوق وأشاعوا ذلك وأذاعوه فى أواخر دولهم فى الشرق وفى بلاد الأندلس فى الغرب . لذلك صرفت عقول العلماء عن هذه المباحث العالية غالبا لأن الأمم التى تقرأ العلوم الأرضية والسماوية تفتح لها أبواب الرحمات على مقدار مايتعلمون و يعملون فأعطيتهم نعما علمية وعملية على مقدار أخلاقهم ولم تفتح الباب لهم على مصراعيه لئلا يستبدّوا بعبادك فانطبق على كثير من متأخريهم آية ــ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ــ ، وتمادوا فى ذلك حتى أحرق (على بن تاشفين) من المرابطين كتب الامام وآذى المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين ببلاد المغرب ابن رشد . ذلك الذى نادى بأعلى صوته بين المسلمين يقول « أيها المسلمون . علم التوحيد على هذا النمط ضار بكم أجمعين لماذا حدتم عن طريق القرآن الذى وصف هذه الأفلاك والأشجار ، وما هذه الطرق العقيمة فى التوحيد ، وهل من جادّة الصواب أن يكون التعريف أخفى من المعرّف والله يدركه العامى بغريزته . وهذا التوحيد الممزوج بالفلسفة الصعبة يشكك المسلم فى دينه » ثم أخذ ينشر آيات من القرآن من ﴿سورة النبأ﴾ ليدلهم على طريق التوحيد الحق . وقد نقلت ذلك بالتطويل فى كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فاقرأه هناك

فهذا العالم المخلص للأمّة الاسلامية هو وأمثاله اضطهدهم المسلمون ، فلما مات بعد أن أخرج من محبسه بسنة طلق المسلمون علوم الحكمة وصاروا غالبا صوفية ذوى وجدان منذ سبعة قرون . ذلك ان تلاميذ ذلك العالم حملوا علمه الى أوروبا كما أوضحته فى غيرهذا المقام من هذا التفسير حتى اننا نحن الآن قد حرمنا من أكثر كتبه فانه وان عثرنا على خمسة كتب مطبوعة بالعربية مثل (التهافت) و (فصل المقال) و (الكشف عن مناهج الأدلة) والقسم الرابع من كتاب (ماوراء الطبيعة) و (بداية المجتهد) فانا حرمنا من كتبه التى باللاتينية أو العبرية وهى (٢٨) كتابا كلها فى الحكمة ذكرها الاستاذ (لطفى جمعه) المحامى فى كتابه ﴿ تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب ﴾ لانطيل بذكرها . انتشرت كتبه فى أوروبا إذ ذاك وأخذ القوم يدرسونها ثم انتقلوا من هذه الكتب الى أصولها وهى باللغة اليونانية ثم ارتقوا بعد ذلك فأخذوا يفكرون بعقولهم و يستنتجون من نفس الطبيعة . الله أكبر . هذا مقصود القرآن وهذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم

ترك متأخروالمسلمين النظرفى جمال الله ولم يسمعوا نصح حكمائهم فهربت الحكمة الى أوروبا فعقلوها وفهموها وانتقلوا الى أصولها فى اليونان ثم الى الأصل الحقيقى وهو هذا العالم الذى خلقه الله فرتبوا تعاليمهم على مقتضاه ودرسوا لصبيانهم فى مدارسهم على مناهج هى بعينها التى ذكرها الله فى سورة الرحمن وهى الآلاء أى آلاء الله

فى الأرض والسماء من شجر ونبات ونهر وحجر ونجم . فهذا هو الذى يدرسه الأمريكى والانجليزى والألمانى والمجرى واليونانى والصينى الآن . لماذا هذا كله ؟ لأنهم فكروا فى الدنيا ، ولماذا لأنهم اطلعوا على أصول فلسفة اليونان التى بنى عليها فلسفته (ابن رشد) التى استثيرت من مكامنها بسبب ظهور خاتم الأنبياء الذى أرسل رحمة للعالمين . ياعجبا . نبينا ﷺ رحمة للعالمين — وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين — فهو رحمة لأنه علمنا وتعليمه أثار فلسفة أهل الأرض وامتدت الحركة العلمية الى وقتنا الحاضر فقرأنا كتب أوروبا فوجدنا تعاليمهم على مقتضى سورة الرحمن . فاقرأ أيها الذكى كتبهم تجدها كسورة الرحمن التى هى فى الحقيقة كبيان لاسم الله الرحمن التى يتبرك بها المسلم كل صباح وكل مساء ، فهو ﷺ رحمة من الله الرحمن الذى علم القرآن وشرح فى نفس هذه السورة عجائب السموات والأرض

انى أنا وأنا أكتب هذا القول فى غاية العجب ، فوالله لم تكن هذه الموافقات وعجائب الحكمة القرآنية لتخطر لى عند ما أمسكت بالقلم ولكن الله عزّ وجل هو الملهم المتفضل ، بأمثال هذا عرفت أن فى القرآن من السرّ مالم نحلم به الآن — إن ربى لطيف لما يشاء —

ومن ألطف مافى القرآن والعبادات أن الفاتحة مبتدأة بالثناء على الله وذكر رحمته وهو كابتداء ﴿سورة الرحمن﴾ والرحمات المفصلة فيها ، وتجد المسلم فى التشهد يصلى على نبينا ﷺ وعلى ابراهيم ليكون ذلك أوّلا مزرعة للثواب الراجع للعبد من طريق العبادة للخاصة والعوام وتذكرة عند العلماء باتجاه ابراهيم للذى فطر السموات والأرض بعد نظره فى الكواكب ، فهو على منهج (سورة الفاتحة) نظر أوّلا وعبادة آخرا وبهذا كسر الأصنام وهذه الملة ملة ابراهيم ولذلك درج على طريقه نبينا ﷺ فكسر الأصنام ، فهذا تذكرة بأمرين الابتداء بمحاسن الطبيعة كالخليل ونبذ العادات الجامدة والارتقاء بالعقل كالخليل ومحمد ﷺ

﴿ تلخيص ماتقدّم ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد مناقشتى فى التفسير فقال لقد أجدت فيما شرحت هنا فانك قد أبنت أن النظام عند متأخرى المسلمين كان استبداديا غالبا ، فظلم من حكامهم وجهل من خطبائهم وغباوة من صغار المعلمين ، يضربون صغارهم بالعصى وأن هؤلاء لم يفتح لكثير منهم باب الرحمة على مصراعيه لأنهم حادوا عن طريق آبائهم لأنهم جعلوا أن حكم الأمم لشهوات أنفسهم ، وانهم تمادوا فى الجهل حتى أذلوا حكماءهم . وأن ابن رشد أفاد كيف يتعلم الأطفال فى مدارسهم وأن تعليمه على نمط القرآن وأن علمه انتقل الى أوروبا ولما قرئ فهموا وقرؤا أصله باليونانية ثم فكروا بأنفسهم ، وهاهى ذه تعاليمهم الآن أصبحت هى نفس ماطلبه (ابن رشد) من المسلمين بقراءة هذه العوالم المحيطة بأهل الأرض وهى هى نفس ماجاء فى سور كثيرة ومنها سورة الرحمن ، والله تعالى جعل النبى ﷺ رحمة للعالمين ، وهذه هى الرحمة العامّة إذ تتعلم أوروبا الآن وأمريكا واليابان بالطريقة الحديثة بسبب ابن رشد وغيره من المسلمين الذين لولاهم لم يرجع هؤلاء القوم الى كتب اليونان ولا الى العقل الانسانى والاجتهاد الفردى وهذه من أجلّ المعجزات فى زماننا . وكل هذا تقتضيه البسملة ولماذا تكرّرت فى سور القرآن ومافعلوه موافق لما فهمته أنت الآن من وجوب ابتداء التعليم شرعا فى الاسلام فى كتب جيلة فيها صور العوالم السماوية والأرضية تبيانا لمعنى سورة الرحمن وسورة النبأ وغيرهما وهذه الكتب تكون فيها مواضيع مختلفة جيلة يفرح بها الشبان ثم يخرجهم الأساتذة فينظرون نفس هذه المناظر بأنفسهم فى الخلوات وشطوط الأنهار والحقول . هذا يؤخذ من كلامك ، ولقد جعلت لك فى ذلك امامين أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه والشافعى بما استنتجا من تقديم وتأخير ﴿مسألتين﴾ سياسية وعملية وافدت أن دليلك أنت لايعوزه طول تفكير لوضوحه . أما دليلاهما ففيهما دقة لا يعرفها إلا الامن على شاكلتهما أقول ، والله ان هذا كله حسن ونعمة عظمى لأن المسلمين اليوم هم الأمة الوحيدة فى العالم التى تباعدت

عن

عن طريق كتاب الله تعالى فى أساليب التعاليم ، وأنا أقول والله مامن عالم أوأمير أوعاقل فى أمة الاسلام يقرأ هذا إلاوهو يسارع حالا الى هذا النظام لأن هذا القول حجته قائمة ونتائجه واضحة ولكنى أسألك ﴿سؤالين ﴾ الأول ﴾ انك قلت ان الفرنجة لما قرؤا فلسفة (ابن رشد) رجعوا الى أصلها باليونانية ، والرجوع لليونانية جعلهم ينظرون بعقولهم . فهل الرجوع لمثل هذه الأحوال لابد منه ﴿الثانى﴾ انك قلت ان كتب الفرنجة فى تعليم أطفالهم جيلة ترجع الى سورالقرآن بوجه عام والى (سورة الرحمن) بوجه خاص وهى مبتدأة بالرحمة المذكورة فى البسملة التى كلامك الآن فيها ، وأن من قرؤا على هذا النمط يفتح الله لهم أبواب رحمته فى الدنيا على مقتضى ماوصلوا اليه ، فأريد أن تذكرنموذجا من كتبهم ، نعم ان المقام طال ولكن المقام يحتاج ايضاحه الى إجابة على هذين السؤالين . فقلت أما رجوع الفرنجة الى الفلسفة اليونانية فهو واجب على كل من قرؤا الفلسفة العربية . فقال ولماذا ؟ قلت لأن كتبهم كثيرة وعلماءهم أكثر والترجمة يدخلها التحريف بل التخريف ، فلذلك وجب الرجوع الى أصل اليونانية على من درس الفلسفة بالعربية (متى أمكن ذلك) فى ذلك الزمان . فقال هل تذكر مثالا واحدا مما جاء فى العربية ضارا بالعقول مع انه باليونانية كان نافعا ، فقلت أظنّ ان هذا يخرجنا عن الموضوع . فقال ولكن هوحسن ومفيد الآن . فقلت أنت تعلم أن الفلسفة التى نقلت الى العربية من اليونانية قد جاء فيها ان العالم قديم . فقال هذه محور فلسفتهم . فقلت هذا من مخزيات الدهر . فقال وكيف ذلك . قلت ألم تقرأ ماذكرته سابقا عن طيماوس الحكيم مع سقراط فانه برهن على أن العالم حادث مع ان الرجل قبل الميلاد بخمسمائة سنة . ولوأن هذا القول نقل الى اللغة العربية لم يكن هذا الخلط فى علم التوحيد والجدال ، ولم نسمع أبا العلاء يقول وهولايعلم برهان طيماوس مامعناه

قالوا إله بلا مكان ☆ ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلامله خبىء ☆ معناه ليست لنا عقول

فقال أى والله هذان البيتان أسمعهما من جميع الشبان فى الأندية ومحال شرب القهوة والخمور والمطاعم الفرنجية فى مصر والشاب منهم معجب بملابسه وما كله الفرنجية وفسوقه وخمره فهوفرح طرب لأنه عثر على كنز ثمين وهوأن الديانات كلهاخاطئة بسبب هذين البيتين . فقلت ولكن هذا القول الذى قاله علماء التوحيد هو نفسه الذى قاله طيماوس فيما تقدم وقد رأيناه نحن فى كلام الفرنجة الذين اطلعوا على الفلسفة باليونانية . ألم ترالى طيماوس فيماتقدّم كيف يقول « ان العالم حادث » . والله لم يكن فى زمان ولافى مكان لأن الزمان ماهو إلا بحركات الفلك فان الليل والنهار نعرفهما بالشمس ولاشمس ولاقمر قبل خلق الأفلاك وهكذا لامكان لأن المكان ماهو إلا سموات وأرضون ولاسموات هناك ولاأرضين . وهذه المسألة أصبحت اليوم معروفة لأن علماء العصرالحاضر كلهم أجمعوا على أن هذه العوالم كلها كانت غازا منتشرا ثم صارت سموات وأرضين . فرأى طيماوس هو رأى علماء العصرالحاضر . إذن كون الله لايحكم عليه زمان وليس فى مكان قضية واضحة ظاهرة لأنه لم يكن زمان قبل هذه الأفلاك ولامكان . إذن هذان البيتان اللذان جعلا للتهكم والسخرية خاطئان خياليان والعقل هوالذى يحكم على أرباب الخيال . فلولا اطلاع القوم على آراء اليونان باللغة اليونانية لم نعرف ماذا قالوه وبه أدركنا الحقيقة ودفعنا تلك الآراء التهكمية التى يتسلى بها صغارالعقول من الشبان والشابات فى بلاد الاسلام . هذا جواب سؤالك الأوّل

وأما نموذج كتب المطالعة لأطفالهم تطبيقا على ماتقدم وموافقة للقرآن ولسورة الرحمن وللبسملة لكون نبينا ﷺ رحمة للعالمين . فان ماتقدم فى هذا التفسير فيه غنية لأولى الألباب . وسترى فى ﴿سورة يس﴾ عند آية — سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون — رسم ورقة شجرة وكيف كان فيها آلاف وآلاف آلاف من الفتحات وتحتها مايشبه الحجرات . وأن الحيطان الشفافة

والسقوف المرصوصة بما يشبه اللبنات فى أبنيتنا المعتادة . وفى وسط تلك الحجرات مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء تلوّن تلك السقوف . فهناك ستشاهد تلك الحجرات البهجة التى تعدّ بمئات الالوف فى الورقة الواحدة وترى أن الورقة هى رئة النبات وابداعها فى غاية الاتقان والجمال والغرابة فكيف تكون عشرات الملايين منها فى ورقة واحدة ؟ ثم كيف تكون هى معدّة لتغذية الشجرة بالمواد المذكورة بونية على شريطة أن يساعدها ضوء الشمس

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا أمر عجيب جدا ولكنى الآن أسألك فى أمر غيرهذا . أسألك فى نفس كتب الأطفال وأما هذه فانما هى تعاليم الكبار تناسب أمثال هذا التفسير فلترجئها الى أن نطلع عليها فى ﴿ سورة يس ﴾ فقلت هاك نموذجا وهو كتاب صغير يسمى ﴿القراءة الملوكية﴾ كان يدرسه التلاميذ فى بلادنا المصرية فى عهد الاحتلال على أساليب تعاليمهم فى بلادهم . ولست أذكره إلا على سبيل المثال فانى أريد أن توضع كتب الدراسة فى بلاد الاسلام بعد الدرس والتمحيص من ذوى العقول الكبيرة الذين اصطفاهم الله من قراء أمثال هذا التفسير . فهاك مواضيع ذلك الكتاب بحسب ترتيبها

(١) العنكبوت (٢) الصبي والعصفور (٣) الأرنب (٤) الغزلان (٥) التبكير فى الاستيقاظ من النوم (٦) النحل (٧) نظم فى النحل (٨) الأوز (٩) قل الصدق (١٠) أنعم صباحا أيها الطائر (١١) الذئب (١٢) صدى الصوت (١٣) أنعم صباحا أنعم مساء (١٤) القط وطائر الكنارى (١٥) الزنبار والنحلة (١٦) الحصان (١٧) الكلب والمصباح (١٨) معلومات عامة نافعة فى الحيوان (١٩) الجمل (٢٠) تاريخ كلب (٢١) القانون الذهبي (٢٢) الحمار (٢٣) قصة النعجة والحمل ولدها (٢٤) الدب الأسمر (٢٥) الأسد والفأر (٢٦) الخروف (٢٧) الغراب والابريق (٢٨) الجندى والحصان (٢٩) الدب الأبيض (٣٠) الثعلب والعنز (٣١) معارف نافعة (٣٢) الدب فى المدرسة (٣٣) القيطس وهو حوت عظيم جدا (٣٤) الأرنب والسلحفاة (٣٥) السريع والبطىء (٣٦) الصبيّ والخوخ « البرقوق » (٣٧) العصفور الدورى (٣٨) الأسد (٣٩) النمر (٤٠) الفهد (٤١) حمار الحبشة (٤٢) المعادن (٤٣) الأطفال (٤٤) الملك والملكة (٤٥) طائر بحرى (٤٦) نبات الشاى والقهوة

هذه المواضيع هى مواضيع الكتاب الانجليزى المذكور ولم أترك منه إلا عدّ الأصابع لعدم أهميته . فهذا أيها الأخ هو النهج الذى نهجه القوم فى مدارسهم لأطفالهم بحيث يشرحون الحيوان أو النبات ثم يستخرجون بعض حكمه كأن يذكروهم بنشاط النحلة واتكال الأرنب على سرعة جريه واجتهاد السلحفاة وكأن يذكروا عند ذكرعوم صغار الطيران الله هو الذى علمهنّ بلا أساتذة وهكذا فلا يتمون كتابا صغيرا مثل هذا حتى يكونوا قد علموا مبادىء العلوم بحكايات ومناظر مشوّقة وأحبوا الحيوان والبحث فيه وعطفوا عليه وتعلموا أخلاقا مما يذكرهم به المدرّسون

فلما سمع ذلك صاحبي قال لقد أحسنت أيما احسان وشرحت صدرى ولكنى أسألك آخر سؤال وهو لم اخترت هذا الموضوع فى هذه السورة فى تفسير بسملتها . فقلت ان فى هذه السورة آية ـ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ـ وفيها آية ـ يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ✲ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ✲ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ـ وفى سورة التوبة انه ﷺ ـ بالمؤمنين رؤف رحيم ـ فهو ﷺ رحيم بالمؤمنين وسراج للناس منير وأوّل السورة بسم الله الرحمن الرحيم . فالله رحمن رحيم وهو ﷺ رؤف رحيم بالمؤمنين بل هو خاتم الأنبياء مرسل للناس قاطبة وباب رسالته مفتوح لجميع الأمم فيكون لهم رحمة . فتفسير الرحمة فى هذه السورة باظهار العلوم المخزونة فى خزائن الأمم الاوروبية منذ أيام اليونان ونشرها بين المسلمين وتعليم المسلمين للاوروبيين ثم تنقيح هؤلاء لها بالبحث

ثم

ثم رجوعها ثانيا لنا الآن لنستيقظ بعد نومنا العميق . كل ذلك رحمة بنا نحن المؤمنين بل رحمة بالعالم قاطبة فهو فى آية أخرى يقول ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ

فقال صاحبي . هذه رحمته للناس ﷺ فأريد الساعة أن تذكر لى رحمته بالحيوان حتى يعلم المسلمون أن درس المسلمين على منهج يقرب من المنهج المتقدم خير وأعظم

فقلت جاء فى كتاب « تيسير الوصول الى جامع الاصول » مانصه

﴿ كتاب الرحمة * وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الحث عليها ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الراحمون يرحمهم الله تعالى . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله تعالى » أخرجه أبو داود الى قوله من فى السماء والترمذى بتمامه (الشجنة) بكسر الشين المعجمة وفتحها بعدها جيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق

وعن جرير رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذى . وفى أخرى لأبى دواود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ « لا تنزع الرحمة إلا من شقى »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على رضى الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لى عشرة من الولد ماقبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الخمسة إلا النسائى . وزاد رزين « أو أملك ان كان الله نزع منكم الرحمة »

﴿ الفصل الثانى فى ذكر رحمة الله تعالى ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق ، وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش . ان رحمتى تغلب غضبى » أخرجه الشيخان والترمذى . وعند البخارى رحمه الله فى أخرى « ان رحمتى غلبت غضبى » وعند الشيخين فى أخرى « سبقت غضبى »

وعنه رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذى

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلائق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم . وله فى أخرى « ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والأرض ، فجعل منها فى الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة »

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « قدم على رسول الله ﷺ بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها إذ وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته . فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا لا والله وهى تقدر على أن لا تطرحه ؟ قال فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان

﴿ الفصل الثالث فيما جاء من رحمة الحيوان ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش

فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج واذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفرله . قالوا يارسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ قال فى كل كبد رطبة أجر » أخرجه الثلاثة وأبوداود . وفى أخرى « ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به » لهث الكلب وغيره اذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر وكذا أدلع لسانه والثرى التراب الندى والمراد هنا التراب مطلقا ، والكبد الرطبة كل ذات روح ولاتكون رطبة إلا اذا كان صاحبها حيا ، والبغى المرأة الزانية ، والموق الخف

وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » أخرجه الشيخان . (خشاش الأرض) هوامها وحشراتها

وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . قال « كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أوحائش نخل ، فدخل حائطا لرجل من الأنصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه فسكت ، فقال من رب هذا الجمل ؟ فقال فتى من الأنصار هولى يارسول الله . فقال أفلاتتق الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فانه شكى الى انك تجيعه وتدئبه » أخرجه أبوداود . الهدف ما ارتفع من الأرض من بناء وغيره ، وحائش النخل نخلات مجتمعات ، والحائط البستان وذفرى البعير الموضع الذى يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفريان ، وتدئبه تتعبه بكثرة استعماله

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا ظهوردوابكم منابرا انما سخرها الله لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم » أخرجه أبوداود . (شق الأنفس) جهدها وشدة ماتلاقيه عند مقاساة الامورالصعبة

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفرفرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحمرة تعرش ، فلما جاء رسول الله ﷺ قال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال من أحرق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لاينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار . أخرجه أبوداود

(الحمرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم نوع من الطير فى شكل العصفور ، وقوله (تعرش) بالعين المهملة والشين المعجمة أى ترفرف وترخى جناحيها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولاتقع ، وروى تفرش بالفاء من فرش الجناح وبسطه

وعن محمد بن اسحق ، عن رجل من أهل الشام يقال له أبومنظورعن عمه عن عامر الرام أخى الخضر قال انا لببلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ماهذا ؟ قالوا لواء رسول الله ﷺ فأتيته وهوجالس تحت شجرة وقد اجتمع اليه أصحابه فجلست اليهم فذكر النبى ﷺ الأسقام والأمراض . فقال ان المؤمن اذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عزوجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل . وان المنافق اذا مرض ثم أعفى كان كالبعيرعقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه . فقال رجل ممن حوله يارسول الله وما الأسقام والله مامرضت قط ؟ فقال له قم فلست منا . أخرجه أبوداود . والألوية جمع لواء وهى الراية الكبيرة دون الأعلام . وأعفاه وعافاه بمعنى واحد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فحرقت فأوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح » أخرجه الخمسة إلا الترمذى

(وقرية)

(وقرية النمل) مسكنها . انتهى ماجاء فى الكتاب المذكور

ثم قال صاحبى . لقد استوفيت هذا المقام وشرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب فى ليلة الخميس (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول فى تفسير البسملة

(القِسْمُ الثَّانِي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا * مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّٰهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللّٰهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّٰهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا *

التفسير اللفظى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها النبيّ اتق الله) أى يأيها المخبرعنا المأمون على أسرارنا أثبت على تقوى الله ودم عليها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولاتساعدهم على شئ واحترس منهم ☆ روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعورالسلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله ابن أبىّ وأعطاهم النبىّ ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا أرفض ذكر آلهتنا وقل انها تنفع وتشفع وساعدهم المنافقون على ذلك فهمّ المسلمون بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد ولاتطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيماطلبوا ولذلك لما قال عمرائذن لى يارسول الله فى قتلهم قال انى أعطيتهم الأمان قال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لايحكم إلا بما تقتضيه الحكمة (واتبع مايوحى اليك من ربك)

فى

فى الثبات على التقوى (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أى لم يزل عالما بأعمالهم وأعمالكم (وتوكل على الله) وكل أمرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه الامور كلها أى اكتف بالله وكيلا . واذا كان الله لك وكيلا فلاتخف من أحد فهو ناصرك فلست فى حاجة الى المنافقين والكافرين إذ لايجمع بين المتضادين اطاعة غير الله واطاعة الله إذ ليس للانسان قلبان حتى يطيع بأحدهما و يعصى بالآخر . واذا كان للانسان قلب فتى اتجه لأحد الشقين صد عن الآخر ، فطاعة الله تصد عن طاعة سواه وهو يقوم بأمر من توكل عليه . هكذا ليس تجتمع الزوجية والامومة فى امرأة والبنوة الحقيقية والتبنى فى انسان واحد فاذا ظاهر الرجل زوجته أى قال لها أنت على كظهر أمى فلذلك حكم سيأتى فى ﴿سورة المجادلة﴾ فاما أن تحرم عليه الى أداء الكفارة واما أن تطلق ، فهذا القول ليس بحق إذ لاتجتمع كونه زوجها وكونها أما ، فاما أن تكون زوجة واما أن تكون أما . هكذا التبنى لا يكون ابنا حقيقة . وذلك أن زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد فلماتزوج ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فقال الله ليس يجتمع النقيضان بنوة ولابنوة فزيد ليس ابنا بل هودعى جمعه أدعياء وهوفعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولدا وهذا الجمع شاذ لأن بابه ماكان بمعنى فاعل كشقى وتقى وأشقياء وأتقياء وهذا قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن) فى تظاهرون قراآت وفيها معنى التجنب فعدى بمن (أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له فى الأعيان كما يقول الهاذى (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) والله يقول ماله حقيقة مطابقة له وهو يهدى السبيل الى الحق . وسيأتى بعد تمام السورة فى الرسالة المسماة ﴿السر العجيب﴾ حكمة زواج النبى ﷺ زينب وحل زواجها ومايترتب على ذلك من نظام التشريع مع الحكمة فى تعدد الزوجات فى الاسلام وزوجات النبى ﷺ (ادعوهم لآبائهم) أى انسبوهم اليهم (هوأقسط عند الله) وهذا تعليل له (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين ومواليكم) أى فسموهم بأسماء اخوانكم فى الدين وأوليائكم فيه وقولوا هذا أخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى أو بعده نسيانا أوسبق لسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن فيما تعمدت قلوبكم الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن الخطئ . ولما كان المؤمن أخاالمؤمن فى الدين كما مر وكان ﷺ ليس أبا لزيد بن حارثة أعقب ذلك بتبيان منزلة النبى ﷺ من الأمة كلها . يقول الله ليس محمد أبا مختصا بواحد منكم بل ابوته عامة وأنتم اخوة فى الدين وأزواجه أمهاتكم بل هو أولى بكم من أنفسكم لأن أهل الأرض خلقوا فيها وهم غافلون عن العالم العلوى الذى هوالحياة الحقيقية فأنزل الملائكة بالوحى على الأنبياء فهم فى الحقيقة آباء لكم ومحمد ﷺ منهم وأبوة الأنبياء أشرف من أبوة الآباء إذ بها الحياة الحقيقية والأخرى بهاالحياة الثانية ، لذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهى منزلة لم ينلها الآباء الجثمانيون ، فاذا حضهم على الجهاد فذلك لارتقائهم الروحى وهذا قوله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لماتقدم بيانه فإذن كيف يستأذن الناس آباءهم وأمهاتهم لما أمرهم ﷺ بغزوة تبوك وهوأشفق من الآباء بل هوأولى بالمؤمنين الخ (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم * روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال ان رسول الله ﷺ قال « مامن مؤمن إلاوأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم - النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فأيما مؤمن ترك مالا فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أوضياعا بفتح الضاد أى عيالا فليأتنى فأنا مولاه » ومعنى عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر . وقد تقدم فى ﴿سورة النساء﴾ وهذا قوله تعالى

(وأولوا الأرحام) وذووالقرابات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث (فى كتاب الله) أى فيما فرضه الله (من المؤمنين والمهاجرين) أى وأولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة وذلك نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين فهذه الآيات فيها رجعت الامور الى نصابها فليس للانسان وجهتان معا مع ان له قلبا واحدا ، وليس للمرأة أن تكون أما وزوجة ، وليس الدعى ابنا ، وليس المهاجر والمؤمن أولى بالميراث من ذوى الأرحام (إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) لما نسخ الله الميراث بالحلف والمؤاخاة والهجرة وأصبحت الوراثة بالقرابة أباح الوصية لهؤلاء كما أباحها لغيرهم بالثلث فقال ولكن أن توصوا لمن تتولونهم من المعاقدين أى ولكن توصيتكم لهؤلاء مشروعة أوجائزة (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح المحفوظ . ولما كان ماتقدم مفيدا أن النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه يرفعهم الى عالم الأرواح أعقبه بذكر الأنبياء السابقين الذين هم آباء للامم السابقين فقال (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما جاؤا (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) فهؤلاء أشهر أرباب الشرائع وآباء الأمم وقدم عليهم ايذانا بأن أمته ستكون أرقى الأمم أدبا وأخلاقا لأن رقى الأمة تبع لنبيها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) مؤكدا ، وانما فعلنا ذلك (ليسأل الصادقين عن صدقهم) فيسأل الأمم كما يسأل الأنبياء ، فالأنبياء صادقون فى التبليغ والأمم التابعة لهم صادقة فى تصديق الأنبياء . فكل هؤلاء مسؤل . فالأنبياء عما قالوه لقومهم والمصدقون لهم عن تصديقهم وهل قاموا بما وجب عليهم ؟ فأثاب المؤمنين (وأعد للكافرين عذابا أليما) واعلم أن سؤال الأمم عن صدقها يدعو الى السؤال عن أعمالها لأن الايمان وحده لا يكفى كما قال تعالى ــ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ــ وعليه لابد من الاعمال والجد ومن أهمها الجهاد والجهاد أمر عام يشمل فروع الحياة كلها . فالعلم جهاد والأعمال كلها جهاد وقتال العدو جهاد . لذلك أعقبه بذكر غزوة الخندق وهى الأحزاب . والكلام عليها منحصر فى ﴿ ثلاثة فصول * الفصل الأول ﴾ فى ملخص الكلام عليها ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى تفسير الألفاظ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى ربط هذه الغزوة بما قبلها من الآيات وانها أشبه بما كان فى الأمم السابقة من امتحان الأمم وتذكيرها وفقا لما جاء فى قصص الأنبياء فى القرآن

﴿ الفصل الأول ﴾

ان نفرا من اليهود قدموا على قريش فى شوال سنة أربع من الهجرة بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم ان دينكم خير من دينه ثم جاؤا غطفان وقيسا وعيلان وحالفوا جميع هؤلاء أن يكونوا معهم عليه فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والحرث ابن عوف ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف وغيرهم . فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خط الخندق حول المدينة باشارة سلمان الفارسى وهو يومئذ حر إذ قال يارسول الله إنا كنا بفارس اذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وأحكموه وقد أقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فخرجت لهم صخرة بيضاء من بطن الخندق فكسرت حديدهم وشقت عليهم . فلما علم بها ﷺ أخذ المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها يعنى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون وهكذا مرة ثانية وثالثة فكانت تضىء وكان التكبير . ثم قال رسول الله ﷺ ضربت ضربتى الأولى فبرق البرق الذى رأيتم فأضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب . وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن

أمتى

أمّتي ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق البرق الذى رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها فأبشروا . فاستبشر المسلمون ــ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ــ فقال المنافقون ألاتعجبون يمنيكم و يعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا فنزل ما سيأتى ــ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ــ الخ ونزل ــ قل اللهم مالك الملك ــ الآية

ولما اجتمع هؤلاء الأحزاب الذين حزبهم اليهود وأتوا الى المدينة رأوا الخندق حائلا بينهم و بينها فقالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . وهناك كانت مصادمات بين القوم كرا وفرا . فمن المشركين من كان يقتحم الخندق فيرمى بالحجارة و يقتل . ومنهم من كان يقتحمه بفرسه فيصيبه الموت وهكذا . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فأعلمه انه أسلم وأن قومه لم يعلموا بذلك فقال ﷺ انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فأتى قريظة وقال لهم لاتحاربوا مع قريش وغطفان إلا اذا أخذتم منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم تقية لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا لأنهم رجعوا وسئموا حربه فانكم لاتقدرون عليه . وذهب الى قريش والى غطفان فقال لهم ان اليهود يريدون أن يأخذوا منكم رهنا يدفعونه لمحمد فيضرب أعناقهم وهم يتحدون معه على قتالكم لأنهم ندموا على ما فعلوا معه من نقض العهد وتابوا وهذا هو المخرج الذى اتفقوا عليه . فهناك تخاذل اليهود والعرب وحصل الفشل بسبب ذلك . وفى ذلك الوقت بعث الله ريحا فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم وقد قام ﷺ يصلى هونا من الليل ثم يلتفت و يقول هل من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم فعل ذلك ثلاث مرات ولم يقم رجل واحد من شدّة الخوف وشدة الجوع وشدّة البرد فدعا حذيفة بن اليمان فذهب الى القوم فسمع أباسفيان يقول يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل . فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل . انتهى الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) أى الأحزاب المتقدم ذكرها وهم نحو اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) هى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة وقد خرج النبى ﷺ اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينهم ومضى على الفريقين شهر لاحرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أرسل الله عليهم الريح كما تقدم فأخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض فقال طليحة الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء كما تقدّم (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق (بصيرا) رائيا . وقوله (إذ جاؤكم) بدل من ــ إذ جاءتكم ــ (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم بنوغطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش (وإذ زاغت الأبصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (و بلغت القلوب الحناجر) هذا إما تمثيل أوأن الرئة تنفتح من شدة الروع فتكاد ترتفع الى رأس الحنجرة و يرتفع القلب بارتفاعها اليها . والحنجرة منتهى الحلقوم وهومدخل النفس الذى وراءه المرىء وهومدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الأنواع من الظن . فالمؤمن يعلم أنه امتحان فيخاف الزلل والمنافق وضعيف القلب يقولان ماحكى الله عنهما . وألف الظنونا أثبتها بعضهم تشبيها للفواصل بالقوافى ولم يزدها بعضهم وهوالقياس (هنالك ابتلى المؤمنون) فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع (وإذ يقول المنافقون) عطف على الأوّل (والذين فى قلوبهم مرض) هم قوم لابصيرة لهم فى الدين كان

المنافقون يستميلونهم بادخال الشبه عليهم (ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا) كما تقدم (وإذ قالت طائفة منهم) وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه (ياأهل يثرب لامقام لكم) أى ياأهل المدينة لاقراركم هنا (فارجعوا) من عسكر الرسول ﷺ الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبيّ) وهم بنوحارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ذات عورة أى خالية من الرجال نخاف عليها سرق السراق (وماهى بعورة) بل هى حصينة (إن يريدون إلا فرارا) أى مايريدون بذلك إلا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم (من أقطارها) من جوانبها سواء أكان الداخل هم الأحزاب أم غيرهم (ثم سئلوا الفتنة) أى الردّة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لأعطوها (وماتلبثوا بها) أى ومالبثوا بالمدينة بعد اعطاء الفتنة (إلا يسيرا) إلاقليلا حتى يهلكوا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار) وهم بنوحارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا ألايعودوا لمثله أبدا (وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أوالقتل) فان لكل امرئ موتة سبق بها القضاء فلابد من نفاذه على حسب ماسبق به القضاء من قتل أوغيره (واذن لاتمتعون إلا قليلا) أى وبعد الفرار لاتمتعون إلا مدّة آجالكم وهو قليل (قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوأ) أى يصيبكم بسوء (أوأراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولانصيرا) يدفع الضرّ عنهم (قد يعلم الله المعوّقين منكم) المثبطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلمّ الينا) أى ارجعوا الينا ودعوا محمدا ﷺ فلاتشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك والقائلون هذا القول هم اليهود أرسلوا الى المنافقين فقالوا لهم ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يبقوا منكم أحدا وانا نخاف عليكم وأنتم اخواننا وجيراننا فهلموا الينا فأقبل عبدالله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه يثبطون الناس فلم يزدد المؤمنون إلا ثباتا واحتسابا . وقوله (ولايأتون البأس إلاقليلا) أى لايأتى الحرب المنافقون إلا اتيانا قليلا حال كونهم (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة النفسية والمالية (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى رؤسهم من الخوف والجبن (كالذى يغشى عليه من الموت) أى كدوران عين الذى قرب من الموت وغشيته أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلايطرف (فاذا ذهب الخوف) أى زال (سلقوكم) آذوكم ورموكم فى حال الامن (بألسنة حداد) ذربة تفعل فعل الحديد إذ يطلبون الغنيمة ويقولون انا شهدنا معكم القتال فلستم أحق بالغنيمة منا . وقوله (أشحة على الخير) حال أى خاطبوكم حال كونهم أشحة على المال كما هم أشحة بأنفسهم وماهم فلاقتال لديهم ولاانفاق وهم شديدوا الحرص على الغنيمة (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة بل هم مسلمون بالظواهر (فأحبط الله أعمالهم) أى أبطلها باضمارهم الكفر (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب) لجبنهم وجزعهم (لم يذهبوا) أى لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وان يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودّوا لوأنهم بادون فى الأعراب) أى يتمنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة الى البادية عائشون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مافيه الخوف من القتال (يسألون) الركبان والقادمين اليهم من المدينة (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولوكانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلاقليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) الاسوة القدوة وهو المقتدى به والمؤتسى فاقتدوا به اقتداء حسنا فانه كسرت رباعيته وجرح فى وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الأذى فصبر . وقوله (لمن كان يرجوالله واليوم الآخر) متعلق بقوله ـ حسنة ـ أى حسنة لمن يرجو ثواب الله ونعيم الآخرة (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر وهى تؤدّى الى ملازمة الطاعة (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) إذ قال تعالى ـ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ـ الخ وأيضا ـ أحسب الناس أن يتركوا ـ الخ وقال ﷺ

سيشتد

« سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم » وقوله أيضا « انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر » (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله (ومازادهم) الخطب والبلاء (إلا إيمانا وتسليما) أى إيمانا بمواعيد الله وتسليما لمقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول والمقاتلة لتكون كلمة الله العليا (فنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد والنحب الذى هو بمعنى النذر استعير للموت لأنه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ، وذلك مثل حمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدّلوا) العهد (تبديلا) شيأ من التبديل كما بدّل المنافقون ✰ روى أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده فقال ﷺ أوجب طلحة ، فلخص ماتقدّم أن قوما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوم بدّلوا بنقض العهد (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم الى الايمان (إن الله كان غفورا رحيما ✰ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم) ولم يشف صدورهم فهم فى حنق (لم ينالوا خيرا) ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) فى ملكه (عزيزا) فى انتقامه (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أى عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان وهم بنو قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصية وهى مايتحصن به ، ويقال أيضا لقرن الثور والظبى ولشوكة الديك لأن ذلك كله للتحصن من العدوّ (وقذف فى قلوبهم الرّعب) الخوف (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) ✰ روى أن جبريل أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب فقال يامحمد اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببنى قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أوخمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم ، فكبر النبى ﷺ فقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة . واعلم أن هذه الرواية ذكرها المفسرون ولم ترد فى الصحاح كلها . ثم قال تعالى (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم وأثاثهم (وأرضا لم تطؤها) بعد كخيبر ومكة وفارس والروم والقسطنطينية وغيرها من كل أرض تفتح للمسلمين (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك

روى البخارى عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم »

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول ﴿ لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أعزّ جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلاشئ بعده ﴾ انتهى الفصل الثانى فى تفسير الألفاظ

﴿ الفصل الثالث فى اتصال هذه القصة بما تقدّمها فى أوّل السورة وفى سور القرآن كله ﴾

لقد ذكر الله فى القرآن قصص الأنبياء وأمرهم أن يذكروا قومهم بأيام الله ومنهم موسى عليه السلام وقصته ذكرت غير مرة فى القرآن وآخرها ذكرا ماجاء فى آخر ﴿سورة السجدة﴾ قبل هذه إذ قال تعالى ــ ولقد آتينا موسى الكتاب فلاتكن فى مرية من لقائه ــ الخ ثم جاء فى أوّل هذه السورة ذكر موسى إذ قال ــ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ــ الخ ثم سوّى بين الأنبياء وتابعيهم فى سؤالهم عن عهودهم التى عاهدوها ، فالأنبياء مسؤلون لتوبيخ المكذبين والمؤمنون مسؤلون عما عاهدوا الله عليه هل صدقوا وثبتوا فى ايمانهم فجاهدوا وصبروا أم هم منافقون مذبذبون ؟ ولقد جاء فى ﴿ سورة ابراهيم ﴾ ــ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ــ فذكرهم بالشدائد التى لاقوها من فرعون وبالنعم التى أنعم بها عليهم كخروجهم من ذل العبودية وانهم ورثوا الأرض التى وعدوا

بها ، هكذا أمر النبي ﷺ أن يذكر المسلمين بغزوة الأحزاب والانعام عليهم بنجاتهم منهم كما أنعم على بني اسرائيل بنجاتهم من فرعون ، فانظر كيف يقول لموسى — وذكرهم بأيام الله — ويقول الله للمسلمين في القرآن — يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم — ويقول موسى — يابني اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون — وهنا يقول الله سبحانه — اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها —

إن السورة قد ابتدئت بذكر الدوام على طاعة الله وعدم الميل مع المنافقين والكافرين أي اتحاد الوجهة النفسية والعملية في الاعتقاد وفي الدعي وفي الزوجة فان اعتبار الزوجة أما واعتبار الدعي ابنا جمع بين المتناقضين كاجتماع طاعة الله وطاعة غيره . إن الله تعالى أرسل الرسل وهم صادقون وأتباعهم مسؤلون عن عهودهم فهل يوفون بعهودهم ، أم يكونون كالمنافقين الذين يجمعون بين المتناقضين ؟ قول مصدق وعمل مكذب كما يجعل الدعي ابنا والزوجة أمّا . إن هذه القاعدة عامّة في الرسل وأتباعهم وهكذا هذه الأمة . إن الله لايترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . إن الله ابتلى المسلمين بالغزوات ومنها غزوة الأحزاب فمنهم من صدقوا ماعاهدوا الله عليه ومنهم من بدلوا ، فهذا الامتحان والابتلاء في الاسلام تطبيق على القاعدة العامّة في قوله — وأخذنا منهم ميثاقا غليظا * ليسأل الصادقين عن صدقهم —

يقول الله . إن هذه القاعدة عامّة في الأرض فلابد أن تنالوا حظكم منها فننظر أتصدقون ، واذا كنا آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . هكذا يامحمد ستكون أنت وأتباعك من صبروا منهم يكونون أئمة . وقوله — فلاتكن في مرية من لقائه — فيه اشارة الى هذا المعنى من طرف خفيّ كأنه قال آتيناك الكتاب كما آتيناه وسيكون لك نصر وأتباع هداة كما نصرناه وأيدناه

﴿ أئمة الاسلام اليوم ﴾

فعلى المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة ويتفكروا فيها فانها لم تذكر في القرآن لمجرّد التبرّك . إن الله خلق الناس على هذه الأرض ليعدّهم الى الرقيّ الى عالم أرقى من هذا العالم ولارقيّ إلا ﴿بأمرين﴾ تهذيب جسمي وتأديب عقلي فلابد من نعم ونقم وخير وشرّ وعزّ وذل وصحة ومرض والمرء بين ذلك يربى ولاعلم له بالتربية ويؤدّب ولاعلم له بالتأديب . إن كل عمل نعمله في الحياة يبعدنا عن المادة ويقرّبنا من عالم الأرواح فكل صناعة نتقنها وعلم ندرسه وعمل نتقنه يرقى نفوسنا فيجعلها صانعة ذات حكمة مّا . ولقد جاء الاسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبينا نفسه أن يجاهد فكانت حياته كلها جهادا . فعلينا أن نقتدي به . علينا أن تكون حياتنا كلها جهادا يحرم علينا التواني والكسل . الجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات . يستلزم علم الرياضيات والطبيعيات والإلهيات . يستلزم علم السياسات وعلم الاقتصاد وعلوم الحرب كلها واستخراج المعادن من الأرض وعلم الزراعة وعلوم العالم قاطبة . إن العلوم كلها والصناعات أشبه بحلقة مفرغة لايدرى أين طرفاها . فاذا اطلعت على ماكتبته في ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى — لايكلف الله نفسا إلا وسعها — وأن العلوم كلها والصناعات لاينفك بعضها عن بعض عرفت أن الجهاد يكون بها كلها وأن الامم عليها أن تخص كل امرئ في الصناعة أو العلم الذي هو أليق به . فالجهاد في الاسلام يشمل جميع دوائر الحياة . ألاترى الى رسول الله ﷺ كيف قال لنعيم بن مسعود لما جاءه وقد أسلم سرا ﴿انما أنت فينا واحد فخذل عنا﴾ نخصصه بما هو أقوى عليه وهو التخذيل وقد نفذ الأمر فذهب الى بني قريظة والى قريش وغطفان وأوقع بينهم الفشل . أليس هذا بعينه هو علم السياسة . أليس علم السياسة اليوم هو هذا بعينه . أليست الأمم تفتح المدارس لتربية الشبان لامثال هذا . أليس هذا من الجهاد . لا لا بل هو سرّ الجهاد . أوليس صانع المدفع وسائق القطر وسفير الدولة وكاتب الجيش وأمثالهم مجاهدين . إن الجهاد يشمل سائر فروع الحياة ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . فاذا لم يكن قطورات تسير بالجنود لم يكن جهاد ولاقطرات إلا بالحديد ولاحديد إلا بالتجارة

ولا

ولاتجارة إلا بالزراعة ولازراعة إلا بالامن ولاأمن إلا بحكومة منظمة ولاحكومة منظمة إلا بعلاقاتها مع الأمم ولاعلاقة لها مع الأمم إلا بحفظ كيانها والذّب عن حياضها

اللهم إن هذا هو دينك . وانى قد أوضحت الأمر فى هذا التفسير . وانى قد أدّيت ماعلىّ . فألهم اللهم قراء هذا التفسير وأمثاله أن يجاهدوا فيك حقّ جهادك ويرجعوا مجد هذه الأمة ويكونوا رحمة للعالمين و يعدّوا الأمة لمستقبلها الزاهر وسعدها الباهر ومجدها الفاخر وليعلموا الأمة انها خلقت لانارة البصائر وتطهير السرائر واقامة الشعائر واسعاد الأمم وحفظ الذمم وانهم خلقوا ليكونوا رحمة للعالمين وهذا نتيجة ظهوره على الدين كله لأن الله لايظهر دينا على الديانات إلا اذا كان رحمة عامّة وهذا هو ديننا فى مستقبل الزمان ٥ انتهى القسم الثانى من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

متاعا

مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا *
إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا
أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ
مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا * لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ
اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ
اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

إن القسم السابق قد مضى فى جهاد الرجال وحفظ الثغور . فلما أتمّ الكلام عليه أخذ سبحانه يشرح جهاد النساء كأن يتركن الفاحشة ، وأن يقنتن لله ولرسوله ، وأن يفيض أزواج النبى ﷺ على الأمة العلم الذى عرفنه من النبوّة ، وكأن يأمرن جميع النساء بالحجاب الشرعى والآداب العامّة وما أشبه ذلك من كل حكم يختص بالنبى ﷺ أو بأزواجه أو بما يحوم حول ذلك من احترامه وحفظ حرمته واجتناب أذاه

وفى هذا فتح باب للجهاد الأكبر بعد اتمام الكلام على الجهاد الأصغر كما قال ﷺ ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ فان التدبير المنزلى ونظام العائلات واقامة الشعائر كل ذلك جهاد عظيم أكبر من جهاد العدوّ . ألا ترى الى قول (أرسطاطاليس) للاسكندر ﴿ إن الناس يحتملون الشدّة ولكنهم لا يحتملون الرخاء ﴾ يريد ان الناس يقدرون على مكافحة الحروب ولكنهم اذا أبطرتهم النعماء لا يتحدوا ونها بل تفترقواهم وتضيع نخوتهم ويذهب مجدهم ولذلك أكد عليه أن يراعيهم فى أحوالهم ويشغلهم فان لم يشغلهم أيام الامن هلكوا وضاعت دولهم ، فهكذا ههنا لما أتمّ الله الكلام على الجهاد أخذ يشرح الآداب المنزلية والأحوال الاجتماعية ، فاذا لم تنظم فلا حياة للأمة

ولقد مضى مثل هذا فى ﴿سورة البقرة﴾ فانه بعد أن ذكر أحكام الطلاق والعدّة والرضاع والخمر والميسر واليتامى وما أشبه ذلك من كل عمل للناس فى أنفسهم أعقبه بذكر القتال فقال ــ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ــ الخ فهناك ذكر القتال بعد النظام الداخلى وهنا عكس الأمر اشارة الى أن كلا منهما فى نفسه مطلوب فى وقته لا فضل للآخر عليه فان لم يكن نظام داخلى فلا نظام للحرب ، ومن أهملوا الدفاع عن مدنهم اختلت أحوالهم وضاعت مدنهم وفى هذا القسم فصول

﴿ الفصل الأوّل فى خطاب النبى ﷺ لأزواجه بالزهد فى الدنيا ، والاخلاص لله وأن وزرهنّ وأجرهنّ ضعف غيرهنّ ، ووجوب ملازمتهنّ البيوت ، وعدم التبرّج واقامتهنّ الصلاة . وايتاؤهنّ الزكاة ﴾

قوله تعالى (تردن الحياة الدنيا) أى السعة والتنعم فيها (وزينتها) زخارفها (أمتعكنّ) أعطكنّ المتعة . ومعلوم أن المتعة تستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء (وأسرحكنّ سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة (أجرا عظيما) أى تستحقر دونه الدنيا وزينتها (فاحشة) كبيرة (مبينة) ظاهر قبحها (ضعفين) ضعفى عذاب غيرهنّ أى مثليه لأن الذنب منهنّ أقبح فزيادة قبح الذنب تتبع زيادة فضل المذنب والنقمة عليه ولذلك جعل حدّ الحرّ ضعفى حدّ العبد وجعل ذنب العالم أشدّ من ذنب الجاهل وعوتب الأنبياء على مالا يعاتب عليه غيرهم (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهنّ نساء النبىّ (ومن يقنت منكنّ) ومن يدم على الطاعة (نؤتها أجرها مرّتين) مرّة على الطاعة ومرّة على طلبهنّ رضا النبى ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة (وأعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة (لستنّ كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد وهو فى النفى عام للمذكر والمؤنث والواحد والكثير أى لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء (إن اتقيتنّ) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكنّ خاضعا لينا مثل المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور (وقولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكنّ) من وقر يقر وقارا أومن قر يقرّ مع تصرّف بحذف الأولى من راءى اقررن ونقل كسرتها الى القاف فتحذف همزة الوصل ، ويصح أن يكون من قار يقار اذا اجتمع (ولا تبرّجن) ولا تتبخترن فى مشيتكنّ وتتكسرن أولا تظهرن زينتكنّ وتبرزن محاسنكنّ (تبرّج الجاهلية الأولى) تبرّجا مثل تبرّج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وهى جاهلية الكفر قبل الاسلام ، أما الجاهلية الأخرى فهى جاهلية الفسوق فى الاسلام (وأطعن الله ورسوله) فى سائر ما أمركنّ به ونهاكنّ عنه (الرجس) الذنب المدنس لعرضكنّ (أهل البيت) نصب

على

على النداء أوالمدح (ويطهركم) من المعاصى، واعلم أن تخصيص أهل البيت بعلىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين لم يقم عليه دليل واذا ثبتت الأحاديث الواردة فى ذلك فهى لاتفيدالتخصيص وقوله (من آيات الله والحكمة) أى من القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) عالما بغوامض الأشياء (خبيرا) عالما بحقائقها أى هوعالم بأفعالكنّ وأقوالكنّ . انتهى تفسير مايحتاج اليه من الألفاظ فى هذا الفصل من قوله تعالى ــ يا أيها النبىّ قل لأزواجك ــ الى قوله ــ إن الله كان لطيفا خبيرا

﴿ لطيفة ﴾

ورد أن سبب نزول آية التخيير أن النبى ﷺ لم يأذن يوما لأحد بدخول منزله إلاأبا بكروعمر فدخلا فوجداه جالسا وحوله نساؤه وهو واجم ساكت فأخذ عمر يضحكه ويقول يارسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبىّ ﷺ فقال هنّ حولى كماترى يسألننى النفقة فقام كل من أبى بكروعمر الى عائشة وحفصة يوبخانهما ويضربانهما ويقولان تسألن رسول الله ﷺ ماليس عنده ثم اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا أو ٢٩ يوما حتى نزلت هذه الآية ــ ياأيها النبىّ قل لأزواجك ــ الى قوله ــ للمحسنات منكنّ أجرا عظيما ــ قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لاتعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ، قالت وماهو يارسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، فقالت أفيك يارسول الله استشير أبوىّ بل أختارالله ورسوله والدارالآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهنّ الله فنزل ــ لايحلّ لك النساء من بعد ــ

﴿ حكم الآية ﴾

اذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها

(١) لايقع شئ عند عمر وابن مسعود وابن عباس وأكثر الأئمة

(٢) ويقع طلقة واحدة عند زيد بن ثابت ، وفى رواية عن علىّ

(٣) وان اختارت نفسها وقع طلقة واحدة رجعية عند عمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وسفيان والشافعى رضى الله عنه

(٤) وطلقة بائنة عندأصحاب الرأى ، وفى رواية عن علىّ

(٥) وثلاث طلقات عند زيد بن ثابت والحسن ومالك

﴿ الفصل الثانى فى الصفات التى يجب على الرجال والنساء أن يكونوا عليها من المسلمين ، وفى قصة زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ من قوله ــ إن المسلمين والمسلمات ــ الى قوله ــ وكفى بالله حسيبا ــ ﴾

ههنا ذكر الله ﴿عشرصفات﴾ للرجال والنساء وهى ﴿الاسلام﴾ وهو الانقياد لحكم الله ﴿الايمان﴾ أى التصديق بما يجب أن يصدق به ﴿القنوت﴾ أى المداومة على الطاعة ﴿الصدق﴾ فى القول والعمل ﴿الصبر﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿الخشوع﴾ أى التواضع لله بالقلوب والجوارح ﴿التصدّق﴾ بما وجب على الانسان من ماله وبما هو مستحب ﴿الصيام﴾ المفروض أوهو وغيره ﴿حفظ الفرج﴾ عما لايحل ﴿كثرة الذكر لله﴾ بالقلب واللسان ، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات العشر ــ أعدّ الله لهم مغفرة ــ لما اقترفوا من الصغائر لأنهنّ مكفرات لها ــ وأجرا عظيما ــ على طاعتهم

﴿ ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها وزواجها لزيد بن حارثة ثم طلاقها منه وزواجها للنبى ﷺ ﴾

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها

عبد الله ، ولقد كانت رضيت فى أوّل الأمر إذ ظنت أنه ﷺ خطبها لنفسه فلما علمت بالحقيقة أبت وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولامؤمنة) أى وماصحّ لرجل مؤمن ولاامرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمرا) من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أى أن يختاروا من أمرهم ماشاؤا بل عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه والخيرة مايتخير (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب ، واعلم أن الله عزّوجل يعلم مستقبل الأمم الاسلامية وأن للنسب دخلا عظيما ، وأن الأمم يعتريها الاضمحلال والخراب بسبب تفرق أهوائها ، وتفرّق أهوائها انما يكون بالدواعى المتشعبة وانه لامصيبة أنكى ولافتق أوسع ولاصدع أعظم من تصدع المسلمين وتفرّق شملهم وتفرّق كلمهم باتباع ذوى الأنساب المتصلين بذوى الشرف والعلم لاسيما المتصلين بصاحب الشرع ﷺ . علم الله ذلك فقطع الأمر قبل حصوله و بته قبل وجوده وأظهره بمظهر لامدخل للشك فيه إذ أوحى الى نبيه انى مزوّجك زينب ابنة جحش بعد أن يطلقها زيد ، ألا وان الله يعلم أن ابنا سيكون لأسامة اسمه زيد وانه سيكون له القدح المعلى فى الغزوات أيام أبى بكر ، فلوأن الأمر بقى بلاايضاح عملىّ وتشريع فعلىّ لجاز لأسامة أن يدعى الخلافة وسيأتى تفصيل هذا وأمثاله فى ﴿رسالة تعدّد الزوجات﴾ التى ستذكر فى آخر هذه السورة

أقول . لما أوحى الله الى النبى ﷺ أن زينب ستكون زوجته ألقى الكراهة فى قلب زيد لها كأنها كارهة له ، فلما جاء زيد وقال انى أريد أن أطلقها قال له ــ أمسك عليك زوجك واتق الله ــ فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت ــ أمسك عليك زوجك ــ وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا قوله تعالى (و) اذكر (إذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالاعتاق والتبنى وهو زيد بن حارثة حين قال لك انى أريد أن أفارق صاحبتى وقلت له أرابك منها شئ فقال لاوالله يارسول الله مارأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علىّ بشرفها وتؤذينى بلسانها (أمسك عليك زوجك) زينب وهومقول لقوله تقول (واتق الله) فى أمرها فلاتطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ماالله مبديه) وهوأنك ستنكحها وأن زيدا قبل ذلك سيطلقها (وتخشى الناس) تعييرهم إياك به (والله أحقّ أن تخشاه) ان كان فيه مايخشى فترى من هذا أن الله عاتبه على اخفاء ما أعلمه الله وهوأنها ستكون زوجته ، وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وذلك مقدمة لذكر أن النبى ﷺ ليس أبا أحد من الرجال ٭ روى مسلم عن أنس قال ﴿لما انقضت عدّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علىّ ، فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها فأبلغها ، فقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير اذن ، قال أنس فلقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حتى امتدّ النهار فخرج الناس و بقى أناس يتحدّثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ ودخل حجر نسائه واتبعته وهو يسلم عليهنّ فانطلق يدخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بينى و بينه ونزل الحجاب﴾ انتهى المقصود من الحديث ملخصا

ولقد كانت زينب تقول للنبى ﷺ انى لأدل عليك بثلاث ، مامن امرأة من نسائك تدل بهنّ . جدى وجدّك واحد ، وانى أنكحنيك الله فى السماء ، وأن السفيرجبريل عليه السلام وهذا قوله تعالى (فلماقضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدّتها (زوّجناكها) أى جعلناها زوجة لك بلاواسطة عقد (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطرا) لأن حكم النبى ﷺ وحكم أمته واحد إلافيما خصه الدليل (وكان أمر الله مفعولا) قضاؤه ماضيا وحكمه نافذا (ما كان على النبىّ من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدّر كما تقول فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لأرزاقهم ، سنّ الله ذلك (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) من الأنبياء وهونفى الحرج عنهم فيما

اباح

أباح لهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ، ثم وصف الذين خلوا بقوله (الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) تعريض بعد التصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا المخاوف أومحاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه

﴿ لطيفة ﴾

هذه الآية تفرض على الناس الشجاعة الأدبية ، وقول الحق ، واعلان الأمة بالحقائق ، واذا أمر النبيّ ﷺ بأن لا يكتم أمرا لابد من ظهوره ولاضرر في كتمانه ، فكيف يكتم الناس العلوم ولا يظهرونها للأمة وهانحن أولاء الآن في زمان أحوج الى اظهار الحقائق من كل زمان

يا أمة الاسلام . نزلت هذه الآية وعوتب النبيّ ﷺ في أمر لاضرر في كتمانه . انظروا انظروا . كم مصيبة نزلت بالاسلام والعلماء يخافون أن يجهروا بالحقائق . إن الله جعلنا تابعين للنبيّ ﷺ فالله هو الذي يؤمننا من المخاوف . قولوا للمسلمين كفى خمولا وجهالة . كفى نوما . فكروا في هذه الدنيا ونظامها . اقرؤا العلوم التي عرفتها الأمم . إن القرآن طافح بها . قولوا للرؤساء كفى تعاظما . كونوا أيها الرؤساء خادمين للأمة . كفى تخاذلا وتهاونا . لاتتعالوا بالأنساب لتجعلوا الناس عبيدكم حتى أصبحتم عبيد الفرنجة . قولوا لأبناء النبيّ ﷺ الذين لهم ملك أن لا يناموا عن رقيّ الأمّة فان هذا الملك لن يدوم وستأخذه الفرنجة لجهل الشعب . حرام أن يجعل الناس جهلاء لأجل أفراد من الأمة . الشعب كله يجب أن يتعلم . يجب التصريح بذلك واذاعة الحقائق والا فالعلماء معاقبون أشدّ عقاب ولاسيما من قرأ مثل هذا التفسير فانه مسؤل عن اذاعته بين الناس

﴿ الفصل الثالث في فضل النبيّ ﷺ وعموم رسالته ﴾

(من قوله تعالى ـ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ـ الى قوله ـ وكفى بالله وكيلا ـ)

قال تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فإذن لاتثبت حرمة المصاهرة كما في زيد بن حارثة ، وهو وان كان أبا للطاهر والطيب وابراهيم والقاسم فهم لم يبلغوا الحلم (ولكن رسول الله) فهو اذن أبو أمته من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم (وخاتم النبيين) فهو آخرهم الذى ختمهم أوختموا به ✡ قال ابن عباس يريد لولم أختم به النبيين لجعلت له ابنا فيكون بعده نبيا ، وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبيّ بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بأن يختم به النبوّة وكيف ينبغي أن يكون شأنه . يقول مؤلف هذا التفسير ان تكرار القول في عدم بنوّة زيد وخلق السبب العملي الموجب لذلك ذو شأن عظيم في قضية النبوّة لولا هذا التأكيد والتكرار والتقوية لادّعى قوم أن زيدا نبيّ بعد موت رسول الله ﷺ . ان الله احتاط لذلك أشدّ الحيطة . ومن العجب أن أمة الاسلام مغرمة بالأنساب وبالأشخاص في بعض الجهات وهذا من أضلّ الجهالات التي ابتلى بها المسلمون . فكم دخل في آل بيت النبوّة من دعيّ . وكم ادّعى قوم انهم من السلالة الهاشمية و بنوا على ذلك الرياسة على الناس وأضلوا كثيرا اذا لم يكونوا أهلا للرياسة بالعلم والعمل المؤهلين لها . إن فضل المؤمن بعمله و باتباعه و بصدقه و بعدله والنسب أمر ثانوى . إن الله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وقد أمرنا أن نحمده على ذلك لأن الولد يشغل عن غيره فلاولد ولاشريك ولاناصر له بل هو رب العالمين ، فهو عدل حكيم ، ولما أراد تكميل رسوله ﷺ قال ـ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وانما هو أب للجميع منه يستضيء كل مستعدّ للاضاءة ، فأما الابوة البشرية فليس فيها هذا النظام إذ قد يلد الفاضل فاسقا ولذلك أعقبه بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) ✡ قال ابن عباس « لم يفرض الله عزّ وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه

ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على عقله » وأمرهم به فى الأحوال كلها فقال تعالى ـ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ـ وقال تعالى ـ واذكروا الله كثيرا ـ يعنى بالليل والنهار، فى البرّ والبحر وفى الصحة والسقم ، وفى السرّ والعلانية * وقيل الذكر الكثير ألا ينساه أبدا (وسبحوه بكرة وأصيلا) أوّل النهار وآخره خصوصا ، والمقصود من التسبيح أن يكون الذكر على وجه التعظيم والتنزيه عن كل ما سواه ، والمقصد من ذكر طرفى النهار المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا ، ويدخل فى ذلك صلاة الصبح والعصر ، ومن أدخل فى الأصيل صلاة الظهر ومابعدها الى العشاء فقد توسع فى المعنى ، ويدخل أيضا « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم » ويكون من التكثير هنا أن الطاهر والجنب والحائض والمحدث يقولها (هوالذى يصلى عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين ، ومن رحمته تعالى اشاعة الذكر الجميل للعبد فى عباده والثناء عليه (ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعنى انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة أخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح أمرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقرّبين (تحيتهم) أى تحية الله تعالى للمؤمنين (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت وعند الخروج من القبر وعند دخول الجنة (سلام) أى يسلم الرب عليهم ويسلمهم من جميع الآفات * روى عن ابن مسعود قال « اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام » واعلم أن السلامة من الآفات فى هذه الدنيا مستحيلة ولذلك جعلوا مبدأها عند الموت اللهم إلا قوما أدركوا سرّ هذا الوجود ودرسوه وعرفوا أن الرحمة تغمر ظاهره وباطنه وظاهر الآخرة وباطنها وفهموا ذلك وتحققوه حتى صار ممتزجا بنفوسهم ، فمثل هؤلاء يرون الوجود كله سعادة ، وكل ما يحلّ بهم أو بغيرهم أو يسمعونه من أنواع الآلام فانهم يفهمونه كله على وجه يشرح صدورهم ويرون أنه حكمة تامة ونظام جميل ويوقنون أنه ليس فى الامكان أبدع من ذلك ، وهؤلاء قد سمعوا السلام من الله فى الحياة قبل الموت فى هذه الدنيا وأنسوا بربهم ولكن هذا الوجدان عزيز الوجود لأنه يعزّ على الناس أن يعقلوا شياطين وجنا وأبالسة ونيرانا جهنمية ويقولوا إن هذه رحمة ، فأما أولئك الأفذاذ فلهم دراسة أتمّ ومعرفة أهمّ وعلم أكمل وعرفان أعمّ ويصبح الوجود عندهم كأنه انسان واحد وحيوان واحد ، وهذه من لوازمه أو عمل من أعمال هيئته لابد منه ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ وقوله (وأعدّ لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهذه حال مقدّرة (ومبشرا) لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أى الى توحيده وطاعته (باذنه) بأمره (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر فراقب أحوال أمّتك (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم فانهم سيغيرون نظام النوع الانسانى من الظلم الى العدل كما فى نهضة الاسلام الأولى ، وسيصلحون شأن الأمم المنهمكة فى الضلالة فى مستقبل الزمان بعد زماننا كما قال تعالى ـ ليظهره على الدين كله ـ وبهذا يكون ثوابهم فى الآخرة عظيما (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ودم على مخالفتهم (ودع أذاهم) إيذاءهم إياك ولا تحتفل به (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) حافظا وموكولا اليه الأمر فى الأحوال كلها

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل لما قرّر أمر النبوّة وأن محمدا ﷺ ليس أبا لأحد من الرجال ، وأن النبوّة أبوة عامّة ، وأكد ذلك بالقول وبالفعل لقطع أطماع الرجال فى الاعتزاز بذلك أعقبه بذكر ما به يتفاضل الناس وتعظم أقدارهم ويشرفون فى الدنيا والآخرة فأمر بذكر الله كثيرا وتسبيحه وأنه سبحانه يرحم المؤمنين رحمة خاصة بالهداية وانه يحييهم بالسلامة والأمان ويدخلهم نعيما مقيما ، وأتبع ذلك بخطاب النبى ﷺ انه سراج

والسراج

والسراج تقتبس منه السرج ، فالأنبياء يستضاء بهم وتعرف بأنوارهم المشكلات فى دياجى ظلمات الجهالات كما يستضاء بالسراج فى الطرقات ويقتبس من أنوارهم كما يقتبس من السراج سرج أخرى ، ولذلك تجد العلماء فى كل أمة تابعين لأنبيائهم مقتبسين من أنوارهم مرشدين لأممهم وليس الأب الجسمى كذلك ، إن الأب الجسدى يلد ابنا ولادة مادّية ، والأنبياء يلدون ولادة نورية ، هـذا هو الذى يرشد له ذكر السراج فى هذا المقام ، فالأنبياء يلدون بهذا المعنى وخلفاؤهم هم المقتبسون منهم وعليه فليس أحد أولى بالأنبياء ممن اقتبسوا من أنوارهم والا فان نوحا قد كفر به ابنه وقال الله له — إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح — فرجعت ولادة الأنبياء الى الاقتباس منهم والى الاهتداء بهديهم ، فمن اكتفى بالنسب الجسمى للأنبياء فهو ضال مضل كاذب على الله ، فاذا ادّعى أحد اخواننا وأبناء أعمامنا الشرفاء أن النسب وحده يرفعه عند الله فان هذه الآية تكذبه والا فلماذا هذا التأكيد كله والتذكير ، فلاشرف لامرئ إلا بالاقتباس من الأنوار العلمية ، ذلك هو الشرف الحقيقى فى الدين — والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم —

إن العرب فى الجاهلية وأكثر الناس فى هذه الحياة الدنيا شرقا وغربا لا يصدّقون بعالم غير عالم الأجسام ولا يعقلون أن هناك أرواحا لطيفة تدبر أهل الأرض وتهديهم ، فانظر كيف ذكر الله هنا انه هو يرحم المؤمنين ورحمته عامّة لهم ولغيرهم من حيث الحياة الجسمية ، فأما رحمة الهداية فهى خاصة بهم ، فهكذا أرشدنا الى أنه سبحانه لم يدع هذا العالم بلا أرواح شريفة تقوم بالتدبير والتعليم كما نرى أنفسنا على هذه الأرض تقوم بالأعمال الجسمية والعقلية ، إن جميع الأرواح لها عمل فلاشئ فى الوجود معطل ، واذا كانت أرواحنا اليوم قائمة بتدبير هذه الأجساد فان لها بعد الموت أعمالا تناسب تربيتها فى هذه الدنيا ، فالضالون هنا يضلون غيرهم إما طبعا واما قصدا لقصد الشر والايذاء ، وهكذا النفوس الطيبة هنا ترجع الى عالم الأرواح وهى فى مركزها الذى خلقت فيه فى الدنيا من حيث الاصلاح والتعليم بالالهام والتى قبلها بالوسوسة

ولعلك تقول ومالنا ولهذا المبحث ، ان الآية فيها ذكر الملائكة وانهم يصلون على المؤمنين أى يستغفرون لهم ، فأىّ مناسبة لذلك ؟ أقول لك على رسلك . اعلم أن هـذا القرآن نزل للناس بأمور غائبة عن العقول لا يصدّقها الناس تصـديقا حقا ولكنهم يؤمنون به إيمانا والايمان شئ واليقين شئ آخر ، ولقد ظهر اليوم فى العالم الغربى هذا العلم . وقد تقدّم فى هذا التفسير انى نقلت لك ماذكره العلامة (أوليڤرلودج) الذى هو أشهر عالم طبيعى فى أوروبا إذ قال « انه أصبح موقنا بسبب تحضير الأرواح اننا نعيش فى عوالم من الأرواح نسبتنا اليهم كنسبة النمل الينا من حيث الادراك والعقل ، وهم يهتمون بأمرنا ويسعون فى مصالحنا ، وعلم الأرواح اليوم شاع وذاع بأوروبا ، وقد اتضح فيه أن أرواحنا بعد الموت صائرة الى نحو ذلك فهى إما ملهمة للخير أوساعية للشر فكأنها ملحقة بعالم الملائكة وعالم الشياطين ، وتجد نظير هذا فى تفسير الامام الرازى فى سورة ابراهيم وسورة النازعات إذ قال فى الثانية ﴿إن الروح الانسانية هى التى تصير من المدبرات أمرا﴾ أى انها قد تلحق بعالم الملائكة ، ولقد قسم المعلم الفيلسوف (الان كاردك) الأرواح الى طبقات ثلاث وهى الأرواح السفلية والعلوية والنقية ، وقال ان السفلية هى التى فى مؤخر الدرجات والمادة متسلطة عليها ، فهى فى الحياة محبة للشرّ والفساد ، وفى الموت ملقية للشر والعداوات بالوسوسة ، وقال فى العلوية انها متسلطة على المادّة ومحبة للخير ومنها الصالحة وهى تحب الصلاح العام وعمل البرّ والهام البشر أفكارا صالحة ومعارفها محدودة وأدبها أكثر من علمها ، ومنها الأرواح الحكيمة وهى ذات أخلاق حسنة ولكن علومها أوسع ومنها الأرواح الرفيعة وهى التى جمعت بين الكمال العلمى والأدبى ، وهـذه لا تعطى تعليمها إلا لمن يطلب الحق بخلوص نية وقال فى السفلية انها هى التى بلغت ذروة الكمال وتجرّدت من كل نقص ولم يعد للمادّة أدنى تأثير فيها فأصبحت ناظرة لله مغتبطة به ، ولن يناجيها الانسان إلا اذا كان ذا فضيلة سامية وقلب مجرّد من كل أمر ذميم ونقص

أرضى مادّى ، واستنتج العلماء من ذلك أنه ليس كل إلهام نأخذ به لأن معارف الأرواح الملهمة ليست فى درجة واحدة فكم من إلهام ناقص يضرّ العمل به اهـ

هذا مايدور فى محافل العالم الاوربى اليوم ، فانظر كيف يخبرالله أن الملائكة يساون علينا أى لاخراجنا من الظلمات الى النور ، وانظر كيف ترى أن علماءنا رحمهم الله قالوا ﴿ان هناك وسوسة والهاما من الملائكة﴾ وكيف يقول الامام الرازى والغزالى ورجال اخوان الصفاء ﴿إن أرواحنا ملحقة بعد الموت بعالم الشياطين والملائكة إلهاما ووسوسة﴾ وكيف يقرّر ذلك نفسه العلامة (الان كاردك) فى أوروبا والمسلمون لايعلمون

انظر كيف يظهر سرّ القرآن فى أوروبا والمسلمون فى الشرق نائمون ، كيف يقول (كاردك) المذكور « إن الأرواح النقية التى لم يبق لها مأرب فى المادّة تعاين الله وهى به مغتبطة » يقولها هذا الافرنجى من علم الأرواح وهو لم يسمع قول الله تعالى ــ وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة ــ فعبر الله سبحانه عن نقاوة الروح من كل رجس بنضارة الوجوه ، ومتى نضرت الوجوه نظرت الله فكأن أرواحنا ترتقى من عالم الى عالم درجات وراء درجات وتتخطى فى الجنان درجة بعد درجة حتى تصل الى أعلى الدرجات وتكون الى ربها ناظرة ، وفى أثناء مرورها على النيران تكون موسوسة شريرة ، وفى أثناء مرورها على الجنان تكون ملهمة للخير معلمة وتصعد الى أن ترى ربها ، ولامعنى لرؤية الله والنظر اليه إلا بزيادة الكشف المعبر عنه فى الحديث بأننا نراه كما نرى القمر ليلة البدر ، فالعامّة يظنونه نظرا بصريا والخاصة يرونه أرقى وأوسع من نظر البصر بل نظر البصر ضعيف ضئيل مادّى ، أفليس المسلمون أولى بهذه العلوم و بمعرفة الأرواح حتى يدركوا سرّ هذه الآية

أما أنا فاقول : الحمد لله الذى جعل فى قدمائنا من بحثوا ودققوا وذكروا مثل هذا القول ، ولولا أنهم ذكروه كما قلته لك لم يتجاسر أحد أن ينقل عن أوروبا مثل هذا لئلا يعدّ ذلك خروجا عن الدين ، والأمة اليوم فى مبدأ نهضة جديدة ، فلن تقبل حديثا إلا اذا وصل بقديمها ثم تأتى أجيال يستقلون بالرأى ويكونون أوسع حرية إذ يرون الجوّ فسيحا والعلم منتشرا . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم

﴿ الفصل الرابع فى المطلقة قبل الدخول وفيما يحلّ للنبىّ ﷺ من النساء . وفى بعض الأحكام المناسبة لذلك من قوله تعالى ــ يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ــ الى قوله ــ واتقين الله إن الله كان على كل شئ شهيدا ــ ﴾

قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ) تجامعوهنّ (فمالكم عليهنّ من عدّة تعتدونها) تستوفون عددها . وليس تخصيص المؤمنات مخصصا للحكم بل هو عام وذكرهنّ لفائدة تخير النطف لاتخصيص الحكم (فمتعوهنّ) أى اعطوهنّ مايستمتعن به وقد تقدّم ايضاحه فى ﴿سورة البقرة﴾ وذلك التمتيع إما فرضا اذا لم يكن سمى لها مهر واما ندبا اذا كان سمى لها المهر فيكون التنصيف وجوبا والتمتيع سنة (وسرّحوهنّ) أخرجوهنّ من منازلكم لأنهنّ ليس عليهنّ عدّة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولامنع حق

﴿ لطيفة ﴾

اذا طلق الرجل امرأة قبل النكاح لايقع الطلاق لظاهر الآية لأنه سبحانه قال ــ اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ــ ولم يقل طلقتم ثم نكحتم ، فلوعلق الطلاق قبل النكاح عليه سواء أكان لامرأة معينة أم لكل امرأة فان الطلاق لايقع ، وهذا رأى الأكثرين كابن عباس وعلى وجابر ومعاذ وعائشة والشافعى ، وقال ابن مسعود وأصحاب الرأى والنخعى يقع الطلاق ، وقال مالك وربيعة والأوزاعى « إن عين امرأة

وقع

وقع والافلا » اهـ

ثم قال تعالى (يا أيها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) مهورهن لأن المهرأجر على البضع وليس التقييد بايتاء المهرمعجلا إلا لايثار الأفضل والافالحل ليس متوقفا على ذلك التعجيل كمالا يتقيد احلال المملوكة بكونها مسبية فى قوله (وماملكت يمينك مماأفاء الله عليك) من السبى مثل صفية وجويرية وانما كان القيد بذلك لأن المشتراة لايعرف بدء أمرها وماجرى عليها وقوله (وبنات عمك وبنات عماتك) وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) المعية هنا ليست للقران بل لوجودها فحسب كقوله تعالى حكاية عن بلقيس — وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين — فيحل له ﷺ بنات العم والعمة من بنى عبد المطلب وبنات الخال والخالة من بنى عبد مناف بن زهرة بشرط أن يكن هاجرن من مكة الى المدينة والتقييد بالهجرة إما للحل واما للأفضل ويؤيد الأول قول أم هانئ بنت أبى طالب « خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه » ثم عطف على ماسبق قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى إن أراد النبيّ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) يقول الله أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولاتطلب مهرا كأم شريك بنت جابر العامرية أوميمونة بنت الحارث أوزينب بنت خزيمة الأنصارية أوخولة بنت حكيم وذلك مشروط بأن يريد النبى نكاحها فان لم يقبله فلاتحل ، وقوله — خالصة لك — أى بلامهر وهى حال من الضمير فى وهبت . وقوله — لك من دون المؤمنين — أى انه يجب المهرعلى غيرك وان لم يسمه أونفاه

﴿ حكم من تهب نفسها ﴾

اذا وهبت امرأة نفسها للنبى ﷺ فالأمر ظاهرانه ينعقد نكاحا بلا ولى ولاشهود ولامهر لقوله تعالى — خالصة لك — وأيضا له الزيادة على الأربع ويجب عليه تخيير النساء وحده . وقال بعض العلماء بل لاينعقد له إلا بلفظ النكاح أوالتزويج كما فى حق سائرالأمة لأنه عبر بلفظ الاستنكاح فالاختصاص انما هوفى ترك المهر فأما من وهبت نفسها لغيره ﷺ فانه لاينعقد نكاحها بل لابد من لفظ الانكاح أوالتزويج وهوقول سعيد ابن المسيب والزهرى وربيعة ومالك والشافعى . وقال النخعى وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك والهبة وقوله تعالى (قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم) أى من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء اذا لم يسم (وماملكت أيمانهم) أى ما أوجبنا من الأحكام فى ملك اليمين . وهذه الجملة معترضة بين قوله تعالى — خالصة لك من دون المؤمنين — وقوله (لكى لا يكون عليك حرج) أى أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة واختصصناك بذلك لكيلا يكون عليك ضيق والجملة الاعتراضية تفيد أن ذلك ليس للتوسيع عليه وحده والتضييق على المسلمين بل هناك معان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى وسترى ايضاحه فى ﴿ رسالة تعدد الزوجات ﴾ الملحقة بهذه السورة . وقوله (وكان الله غفورا) أى لما يعسر التحرز منه (رحيما) بالتوسعة فى مظان الحرج (ترجى من تشاء منهن) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت فلاجناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلاضيق عليك فى ذلك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولايحزنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ) أى أقرب الى قرّة عيونهنّ وقلة حزنهن ورضاهنّ جميعا لأنهنّ اذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهنّ وذهب التغاير وحصل الرضا وقرّت العيون (والله يعلم مافى قلوبكم) وهذا وعيد لمن لم يرض منهنّ بما دبر الله فى ذلك (وكان الله عليما) بما فى القلوب (حليما) لايعاجل بالعقوبة فعلى الناس أن يحذروه

روى عن أبى رزين قال « لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن يانبيّ الله اجعل لنا من مالك

ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجأ منهن خمسا وآوى اليه أربعا » انتهى باختصار وسنوضحه فى رسالة ﴿ تعدد الزوجات ﴾ الآتية . وكذا مابعده مفصل هناك وهو قوله تعالى (لايحل لك النساء من بعد) من بعد التسع (ولاأن تبدّل بهنّ من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ولوأعجبك حسنهن) حسن الأزواج المستبدلة وهى أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبى طالب لما استشهد جعفر أراد ﷺ أن يخطبها فنهى عن ذلك (إلاماملكت يمينك) وقد ملك بعد هؤلاء مارية القبطية (وكان الله على كل شئ رقيبا) أى حافظا وهذا يدل على جواز النظر الى من يريد الانسان نكاحها * قال رسول الله ﷺ « اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر الى مايدعوه الى نكاحها فليفعل » أخرجه أبوداود . وعن المغيرة بن شعبة قال « خطبت امرأة فقال لى النبىّ ﷺ هل نظرت اليها ؟ قلت لا . قال انظراليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما »

هذا وقد تقدم حديث أنس بن مالك . وقوله فى الحديث ماملخصه « ان القوم طعموا فى وليمة زينب بنت جحش وخرج قوم وبقى آخرون . فخرج النبىّ ﷺ وخرج معه أنس حتى جاء حجرة عائشة ورجع فاذا هم جلوس فرجع حتى بلغ حجرة عائشة وظن انهم خرجوا فرجع ورجع معه أنس فاذا هم قد خرجوا فضرب النبى ﷺ بينه و بين أنس بالستر وأنزل الحجاب وسمع أنس النبى ﷺ يقول (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم) أى إلا وقت أن يؤذن لكم (الى طعام) متعلق بيؤذن حال كونكم (غيرناظرين إناه) أى غيرمنتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرّقوا ولاتمكثوا والآية لأولئك الذين يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فهى لهم ولأمثالهم ولولا ذلك لمنع من يدخل بيته بالاذن لغيرالطعام ومن يمكث بعدالطعام لمهمّ ولا قائل به فافهم (ولا) تمكثوا (مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أولحديث أهل البيت بالتسمع له (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه (فيستحيى منكم) من اخراجكم (والله لايستحيى من الحق) يعنى أن اخراجكم حق فينبغى أن لايترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فأمركم بالخروج (واذ سألتموهن متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر * روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلوأمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطرالشيطانية (وما كان لكم) وماصح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى تفعلوا معه ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) من بعد وفاته أوفراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوّج المستعيذة فى أيام عمر رضى الله عنه فهمّ برجمها فأخبر بأنه ﷺ فارقهاقبل أن يمسها فترك من غيرنكير (إن ذلكم) أى إيذاءه ونكاح أزواجه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما ثم بالغ فى الوعيد لحرمته ﷺ فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهنّ على ألسنتكم (أوتخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به (لاجناح عليهنّ فى آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولاأبناء اخوانهنّ ولاأبناء أخواتهنّ ولانسائهنّ) يعنى النساء المؤمنات (ولاما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء أومن الاماء خاصة . انظره فى ﴿ سورة النور ﴾ (واتقين الله) فيما أمرتن به (إن الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه خافية * روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله أونكلمهن من وراء حجاب فنزلت ولم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين . انتهى الفصل الرابع

(الفصل)

﴿ الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه ، وأن لا يؤذى في أهله ، وضرب مثل بالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا ، وذكر التكاليف التي لم يكلف بها أحد إلا الانسان لشهوته وغضبه ونوازعه الكثيرة وهي الأمانة ، وهو من قوله تعالى — ان الله وملائكته يصلون على النبيّ — الى آخر السورة ﴾

اعلم أن العالم المشاهد كله منتظم ، فالأعلى يسبغ النعمة على الأدنى ، والأدنى مطيع للأعلى . ومثال ذلك الملوك والوزراء والأمراء ومن دونهم . فكل من هؤلاء يستمدّ الأمر ممن هو فوقه ثم يصل الأمر الى الزارع والتاجر والعامل . فهؤلاء جميعا يعطون مالا للمحافظين عليهم و يعيشون في أمن بتدبيرهم . فالأمراء يتناولون أجورهم من الرعية والرعية محفوظة بتدبيرهم . فالأمة كالجسم . فالعين تستحسن أزهار الربيع فيساعد القدم والساق على النقلة الى هناك في الحقول والبساتين . فالعين والرجل تشاركتا في العمل . هكذا الأمة عاليها وسافلها متشاركون وان كانوا لا يعلمون بل الأمم كلها فوق الأرض مشتركة ولكن أكثر الناس لا يعلمون

اذا عرفت هذا في العالم المشاهد فانظر الى ما نحن فيه وتأمّل . ألم تقرأ فيما مرّ في هذه السورة ان الله يصلى علينا وملائكته . أليس معنى ذلك أنه سبحانه يرحمنا وملائكته يستغفرون لنا . ورحمة الله العامّة تشمل البهائم والكافر . وانما القصد رحمة الهداية . فالله يهدينا ورسله فأما الملائكة فهم الملهمون لنا بلا واسطة كالالهامات التي يحس بها كل منا . وهذه الإلهامات لابد لها من قانون ولا قانون إلا الدين والدين بالوحى والوحى من الملائكة الى الأنبياء . فاذا قال الله انه يرحمنا وملائكته وسائط في ايصال رحمة الهداية لنا فذلك يدخل فيه الأنبياء ، ألا ترى الى قوله تعالى — ليخرجكم من الظلمات الى النور — فلم يذكر النبيّ ﷺ اكتفاء لوضوح المقام والا فمن المخرج لنا من الظلمات الى النور المصرّح بها غير مرة في القرآن سوى الأنبياء فاذن الله وملائكته ورسوله يصلون علينا . فالنور من الله والملائكة وسطاء والأنبياء مبلغون وهكذا العلماء بعدهم الى أن يصل الى جميع المسلمين كما قال تعالى — شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط — . اذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى هنا (إن الله وملائكته يصلون على النبيّ) كما صلوا عليكم وصلى هو عليكم أيضا وعلى من أنعم عليه بنعمة أن يشكرها وشكر النعمة أن تدعو له . فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وخير الناس المنعمين الأنبياء ولذلك قال (يأيها الذين آمنوا صلوا عليه) لأنه صلى عليكم أى أعلمكم بوحى الملائكة والعلم يوجب مغفرة الذنب اذا عمل به ويخرج الناس من ظلمة المادّة الى نور عالم الأرواح فتكون الصلاة على النبى ﷺ أى الدعاء له شكر على نعمة العلم التي جاءت على يديه . فاذا أضيف الى ذلك انقياد المسلم وتسليمه لما جاء على لسانه من الشرائع كان قائما بالشكر خير قيام ولذلك قال (وسلموا تسليما) أى انقادوا لأوامره انقيادا كما قال تعالى — قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى — أى التقرّب لله . ولاجرم أن امتثال أمر الله في شريعته وصلاة المسلم على نبيه قيام بالشكر لأن ذلك هو المطلوب . إن مقصود الأنبياء رقى أممهم بانقيادهم للأوامر والنواهى ، وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لأن الصلاة في العادة شعار الرسل كما لا يقال « محمد عزّ وجل » ثم وجوب الصلاة إما في العمر مرة أو في كل صلاة في التشهد الأخير أو كلما ذكر والأوّل قول الأكثر والثاني قول الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد والثالث قول الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية وهو ضعيف . والجمهور ان هذا مستحب . والواجب « اللهم صلّ على محمد » وما زاد سنة . والمعنى الآخر في السلام التحية أى حيوه بتحية الاسلام . يقول الله ادعوا له بالرحمة وحيوه تحية الاسلام أى قولوا ﴿ السلام عليك أيها النبيّ ﴾

إن الصلاة على النبيّ ﷺ والانقياد لأوامر الله والتسليم عليه ﷺ مما يرفع العبد درجات ، كيف لا وهو في حال الصلاة عليه قد ترك الغيبة ولامست روحه ذكر نفس طاهرة في عالم الكمال ، إن الصلاة

على النبي ﷺ عمل من الأعمال الجيدة له حسنات مذكورات مشهورات فى الأحاديث ، إن الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة التي هي معنى الصلاة يزيده رفعة وهو ومن تبعه متواصلون فى عالم الأرواح ، وكلما زاد رفعة ازداد أتباعه لعلاقة الرابطة ، إن بين الأرواح عاليها وسافلها لصلة متناسبة كالصلة بين الكواكب والشموس و بين جميع ماحولها ، ان تذكر الأنبياء والسلام على الصالحين وعلى آل الأنبياء كل ذلك تذكرة لعلاقة النفوس الطاهرة بعد الموت فى العالم الروحي ليؤهل نفوسنا الى المقام معها هناك حتى لاتستوحش النفس عند مفارقة الدنيا ، إن كل هذا يطلب به الاستيحاش من هذه المادّة والائتناس بعالم الأرواح ، يقول المسلم ﴿السلام عليك أيها النبي﴾ ثم يسلم على نفسه وعلى الصالحين من جميع الأمم و يصلي على نبينا و يذكر ابراهيم وأمثال ذلك ، كل هذا ليأنس بتلك الأرواح ، إن عالم الأرواح عالم الحياة كما ان عالم المادة عالم الموت ولذلك يختم المسلم الصلاة فيستعيذ من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الحياة وفتنة الممات وفتنة الدجالين والكاذبين ، وهذه كلها من علائق الدنيا والمادّة ، فأما عالم الأرواح فهو عالم الجمال والبهاء والكمال ، ولما كان اعظام النبي ﷺ يقضي بالأولى ألا يؤذى أعقبه بقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) بأن يرتكبوا مايكرهانه من الكفر والمعاصي ومنهم من كسر رباعيته ، ومنهم من قال هو شاعر ومجنون (لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) ظاهرا وذلك كما حصل فى مسألة عائشة وكايذاء عليّ رضى الله عنه ، وكما كان الزناة يمشون فى طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حاجتهن ولم يكونوا ليعرفوا الحرة من الأمة . ولذلك نزل قوله تعالى (ياأيها النبيّ قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ) جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار أوهى كل مايستتر به من كساء وغيره ＊ قال ابن عباس « أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهنّ ووجوههنّ بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم الناس أنهن حرائر » وذلك قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين) أى لايتعرّض لهن أحد (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده إذ يراعي مصالحهم فى الجزئيات كما فى الكليات (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) ضعف ايمان (والمرجفون فى المدينة) يرجفون أخبار السوء مثلا اذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون فى الناس انهم قتلوا أوهزموا أو يقولون قد أتاكم العدوّ ونحو ذلك (لنغرينك بهم) لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لايجاورونك فيها إلاقليلا) أى إلا زمانا قليلا حال كونهم (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) سنّ الله ذلك (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) من الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا ＊ يسألك الناس عن الساعة) تعنتا (قل إنما علمها عندالله) لم يطلع عليها ملكا ولانبيا (ومايدريك لعلّ الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا (إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لايجدون وليا) يحفظهم (ولانصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى على النار (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فى الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) وهم رؤس الكفر الذين زينوه لهم (فأضلونا السبيلا) أى عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) أى السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أى ضعفي عذاب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) لعنا متتابعا (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) كريما ذا جاه وقدر . أوحظيا عنده لايسأل شيأ إلا أعطاه فهو مستجاب الدعوة . فقد اتهمه قوم بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول أوأحياه الله فقال لهم ذلك . وأيضا قد صرّح فى ﴿سورة الشعراء﴾ أن قارون حرّض بغيا على قذفه بنفسها فعصمه الله

من

من كذبها . أو قذفوه بعيب فى بدنه كبرص أوأدرة وكان كثيرالتستر حياء فأطلعهم الله عليه فبرأه الله مما قالوا وقوله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) صوابا عدلا صدقا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبل حسناتكم (ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فازفوزا عظيما) أى ظفر بالخير العظيم * جاءفى رواية البخارى ومسلم عن عبدالله بن مسعود قال « لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا فى القسمة كالأقرع بن حابس مائة من الابل ومثله عيينة بن حصن وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم فى القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تغير وجهه كأنه الصرف بكسر الصاد وهو صبغ أحمر يصبغ به الاديم ، ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال يرحم الله أخى موسى قد أوذى بأكثرمن هذا فصبر » انتهى ملخصا ثم قال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) خفن منها (وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) اعلم أن للمفسرين ﴿رأيين مشهورين﴾ فى هذه الآية ﴿آوّلهما﴾ إن الله خلق فى هذه الأجرام فهما وقال أتحملن هذه الأمانة بما فيها وذلك انكن ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لامرك لانريد ثوابا ولاعقابا ، وتلك الأمانة هى الوفاء بالعهود والودائع وجميع ماحمله المكلف من التكاليف القوية والفعلية وهذا القول يناسب قوما ﴿الرأى الثانى﴾ ان هذا القول من المجاز المركب ، يقول الله ان هذه السموات والأرض والأنهار والجبال والدواب والنبات كلها وكذلك الملائكة ، كل هؤلاء مسخرون لأعمال على مقدار الاستعداد ، فالشمس والقمر والجبال والأنهار والأرض كلها قائمات بما خلقت له لاتحيد عنه شعرة — ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا — والبهائم ليس عندها من العقل ما به يصح التكليف ، فهذه المخلوقات كلها تأبى طباعها أن تكلف بعمل مّا وانما عملها يكون على حسب جبلاتها ، والجبلات والغرائز غيرعاصية فان النحل والنمل والعنكبوت والطيور كل جماعة من هذه قائمات بأعمالهن بلاخلل فى النظام كما ترى فى مسدسات النمل وفى نسيج العنكبوت وفى تربية الطيور لأفراخها ، وفى أن كل طائر اذا خرج من البيضة اتبع أمه وسارمعها كأنه تعلم ذلك قبل خلقه وهكذا تسير الكواكب كلها وكذا الأرض لااختلاف لسيرها ولااختلال لنظامها فليس شئ من ذلك كالانسان — بل الانسان على نفسه بصيرة ولوألقى معاذيره — ويخرج من بطن أمه ضعيفا ثم يتعلم شيأ فشيأ حتى يبلغ أشده وله اختيار فى الأعمال يتصرف بعقله فى الامور ولذلك تختلف أفراده اختلافا كثيرا لتنوع تعاليمهم وقدرهم وتهذيبهم وأخلاقهم واجتهادهم وانما كلفناه لأنه ابتلى بقوّتى الغضب والشهوة اللذين هما صفتا البهائم وهو بعقله يرقى عنها الى ذروة الكمال ، فالشهوة والغضب يصرفانه فى أمور كثيرة ، ويوقعانه فى الفجور والكبرياء وغيرهما وتتنازعه الأهواء ، فاذن كلفناه بالشرائع لأنه كان ظلوما بأنواع الشهوات وفنون الغضب التى تقذف به فى المهاوى ، جهولا بما يجب عليه ، فهذه الأمانة وهى التكاليف والأمانات والودائع كالحواس الخمس والأعضاء والمواهب كلها حملها الانسان لحاجته اليها فى ردع ظلمه وجهله ، وتكون نتيجة ذلك أمرين تعذيب المنافقين والكافرين والمنافقات والكافرات لأنهم لم يقوموا بحمل الأمانة حق القيام واثابة الله المؤمنين والمؤمنات وأن يتوب عليهم وهذا قوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) حيث عفا عن فرطاتهم وأثاب على طاعاتهم . وههنا ﴿سبع لطائف﴾

(اللطيفة الأولى) فى سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبى ﷺ وهى رسالة ألفها المؤلف وطبعت سنة ١٣٣٣ هجرية للرد على قوم اعترضوا على الاسلام

(اللطيفة الثانية) فى قوله — وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما —

(اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى — يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا —

(اللطيفة الرابعة) فى قوله تعالى ـ يا أيها النبىّ إنا أرسلناك شاهــدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ـ
(اللطيفة الخامسة) فى قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ـ
(اللطيفة السادسة) فى ملخص السورة كلها وفيما قبلها وما بعدها
(اللطيفة السابعة) فى معنى ـ وحملها الانسان ـ

﴿ اللطيفة الأولى فى سرّ تعدّد الأزواج فى الاسلام ، وتعدد أزواج النبى ﷺ ﴾

وهى رسالة ألفها المؤلف للردّ على قوم اعترضوا على الاسلام فى هذا المقام ، وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلس الأول ﴾

(محاورة دارت بينى و بين صديقى محمود أفندى طلعت أبو مسلم القاضى بالمحاكم الأهلية)

(المدرّه) أيها الاستاذ . كثر القيل والقال فى أمر تعدّد أزواج النبى ﷺ ونحن معاشر المسلمين ولاسيما علماء القانون لايزال بعضنا فى شك مريب مما ذكر ويذكر فى كل آن فى المسألة ، ولقد تربصنا قولك فلم نحس لك من خبر ، ولم نسمع لك من ركز ، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين : لولا ان الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع ، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع ، ما أغمض الجفن على القذى ، ولا بقى فى غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب والالحاح المتوالى عليه من الفرق المختلفة عزين

(الاستاذ) لم أذر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة ودروس مترادفة . يتخللها سآمة . تتبعها كلالة . ولم أشأ أن أقف موقف الرادّ على فريق مبين . أو قائل متهوّر . أو مدع يتبين جهله . فالقرين لقرينه منسوب والشئ يذكر بضده والمرء يتحدّث مع نده . انما تربصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة ناصعة وتكون رسالتى قائمة بنفسها . ولأقف على أكثر مايجول فى الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء . والجواب على مقدار السؤال

(المدره) كيف تزوّج النبى ﷺ تسعا وقد حرّمت الشريعة مازاد على الأربع . وأنت خبير بأن من مرن على القانون يختلجه الشك والريب اذا رأى أن المشرّع قد اختص بما لم يبحه لغيره ؟ وكيف يتزوّج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسنن الأنبياء تأبى ذلك . ألم تر الى ماحكى الله تعالى عن شعيب ـ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ـ وههنا المخالفة واضحة ؟

انا معشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التى كثيرا ماسمعناها من شيوخنا وقرأناها فى الكتب فنبينا ﷺ يتبعه نحو خمس النوع الانسانى وسيرته قدوة للأمة

(الاستاذ) لعلّ النبى ﷺ تزوّج هؤلاء السيدات قبل تحريم مازاد على الأربع وهنّ عائشة وميمونة وصفية وحفصة وهند وزينب وجويرية ورملة وسودة

(المدره) مامنعه أن يفعل معهنّ مثلما أمر الحرث بن قيس قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اخترمنهنّ أربعا . أخرجه أبو داود . وهلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الثقفى ؟ أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهنّ أربعا . أخرجه الترمذى

* وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام أمسك أربعا وفارق واحدة ، والنبى ﷺ كان عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس و بين ابن سلمة . أفما كان الأجدر أن يفارق خمسا و يبقى أربعا ؟

(الاستاذ) قد أعددت ثلاث اجابات لك فى كلتهن (١) شاهد مقنع

(١) كلة بضم الكاف وتشديد اللام للمؤنث فى بعض اللغات

(المدره)

(المدره) هات أولاها

(الاستاذ) لقد حرّم الله عليه أن يتزوّج غيرهنّ وأن يستبدل بهنّ من أزواج ، فكان للمسلم بكل من الأربعة غيرها بحيث يتزوّج غيرها ويطلقها والرسول محرّم عليه ذلك ، قال الله تعالى ـ لايحلّ لك النساء من بعد ولاأن تبدّل بهنّ من أزواج ولوأعجبك حسنهنّ إلا ماملكت يمينك ـ ✲ قال البيضاوى لايحل لك النساء بعد اليوم حتى لوماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ✲ وقال ابن عباس « ان النبي ﷺ لما خيرهنّ فاخترن الله ورسوله شكر لهنّ الله ذلك وحرّم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ » فيتبين منه أن القانون قد اشتدّت وطأته عليه فجعل لهنّ أن يأمن الطلاق والاستبدال وسواهنّ لايأمن طلاقا ولااستبدالا ، فكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع ، وقلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالا وطلاقا ، فلئن ضيق على المسلمين فى الكم فقد ضيق عليه فى الكيف ، ولئن وسع عليه فى الكم فقد وسع عليهم فى الكيف . فالمساواة متعادلة ضيقا وسعة

(المدره) لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من ذى الغلة الصادى فالقانون لم يزل كالمحترم وهو عند الله والناس المحترم ، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا وأدعى للطمأنينة فانا قد أصبحنا فى زمن لا نعرف فيه للمحاباة معنى ولانعدّ مثل هذا إلا تلمسا لجواب من أى باب . نعم هذا فيه مساواة فى الحقيقة ولكن يصبح القانون نوعين لاقانونا واحد

(الاستاذ) لوطلق نساءه ﷺ لكان ذلك خللا فى السياسة . وسوأ فى التدبير ، وتفريقا للكلمة ، وبخلا بالجاه على مستحقه ، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسماحة . من ذا ترى أحقّ بالطلاق من نسائه ، أعائشة بنت أبى بكر . أم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم زينب ابنة جحش الاسدية ، أم أمّ سلمة بنت أبى أمية المخزومى ، أم أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، أم صفية بنت حيى بن أخطب ، أم ميمونة بنت الحرث الهلالية ، أم سودة بنت زمعة بن الاسود ، أم جويرية بنت الحرث المصطلقية ؟ فوالله لئن طلق عائشة بنت أبى بكر لزلزلت القلوب ولكان ذلك أمرا إدّا تكاد الأفئدة تنفطر منه وتنشق المرائر ، أنى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه فى الغار ، وداعى أهل الضلال والكفر للاسلام . وصاحبه الأوّل ، ومؤاسيه بنفسه وماله ، لئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا ، ولكان الغدر بالأصحاب ، من خلال أولى الألباب ، ولئن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة سوداء فى جبين الشرف . وسبة شنعاء فى وجه الأدب . وكفرانا للمنعمين . وطغيانا على الصحابة الصادقين . فيالها من فضيحة يخجل لها وجه الزمان . ويسود لها الحدثان . وينبذى لها جبين الفضيلة . وينتصر بها جنود الرذيلة . ويشمت لها جماعة الأعداء . ويتمزّق بها عن المصالح شمل الأخلاء . ألم ترالى ماورد فى السيرة الحلبية ومثله فى البخارى بزيادة وحذف فى مختلف الروايات . عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء اليه ليلا فدقّ عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا ؟ أجاءت غسان . لأنا كنا حدّثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا . فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول . طلق رسول الله ﷺ نساءه . فقلت خابت حفصة وخسرت . كنت أظنّ هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت علىّ ثيابى ودخلت على حفصة وهى تبكى . فقلت أطلقكنّ رسول الله ﷺ ؟ قالت لا أدرى هو هذا معتزلا فى هذه المشربة . وفيه انه استأذن على النبى ﷺ ثلاث مرات وفى كل منهن يجيبه الغلام بقوله ذكرتك له فصمت . قال فلما كانت المرة الرابعة وقال لى مثل ذلك وليت مدبرا . فاذا الغلام يدعونى . فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه ﷺ . فقلت أطلقت يارسول الله نساءك . قال

فرفع رأسه الىّ وقال لا . فقلت الله أكبر (الحديث مطولا) وفيه قال عمر فقلت أستأنس يارسول الله . قال نعم فجلست . وقلت يارسول الله قد أثر فى جنبك رمل هـذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لايعبدون الله فاستوى ﷺ جالسا وقال : أفى شك أنت ياابن الخطاب . أولئك قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت : أستغفر الله يارسول الله (ولقد اقتطفنا من الحـديث مايليق بالمقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحلول البلاء . ثم يفرق و يدهش و يستأذن . ثم يرد وهو يوجس فى نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته ، وجهنم وخزنتها ، والزبانية وسلطتها ، تحيط به و بابنته لوطلقها النبى . وروى أنه كانت جفوة بين حفصة والنبى ﷺ فبلغ أباها عمر أن النبى ﷺ طلقها فحثا التراب على رأسه وقال مايعبأ الله بعمر وابنته بعدها . فنزل جبريل على النبى ﷺ من الغد وقال : ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر ـ أى تصالحها . وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه أراد النبى أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام إنها صوامة قوامة وانها زوجتك فى الجنة . فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة فقال أما هاتان فطلاقهما فتنة ومحنة ومفسدة أى مفسدة

(الاستاذ) فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة هندا زوج أبى سلمة عبدالله بن عبد الاسد بن عمة النبى ﷺ وهى برة بنت عبدالمطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة فآواها النبى ﷺ اليه وتزوجها بعد أن اعتذرت اليـه وقالت انى امرأة مسنة ، وانى أمّ أيتام ، وانى شديدة الغيرة ، فأجابها على لسان رسوله بقوله : الايتام أضمهم الىّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن بل كانت تلك المزهدات والمعقبات من أقوى الدواعى للاسراع فى طلبها عطفا عليها ، ورحمة ببناتها ، وصلة لرحمها ، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع ، وايواء لصغاره من بعده . أفتراه يطلق بعد ذلك ، ولو أنه فعل لكان أمرا نكرا واستضعافا للايتام ، واستخفافا بصلة الارحام ، واحتقارا لشأن اللاجئات اليه اللاتى يستحققن معونته أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذى تبناه ﷺ وتزوجها بعد طلاق زيد رمزا الى مايقع فى بلاد المسلمين كل آن من بعده اذ يصطفى الدعىّ بعد النسب ، و يقصى القريب ، فيكون الخلل فى السياسة والخطل فى الرياسة ، والاسلام وان سوّى بين الناس وجعلهم اخوة فى أعمالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر الى الكياسة فى السياسة . فلقد يصدق المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة . نعم هؤلاء واضرابهم كانوا من أجل الانصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام و بيضته بالقنا والسيف ، كل ذلك مسلم ولكن نظر النبى نظرا أدق وعلمه الله بالوحى ماجهله الملوك العباسيون كالمعتصم والترك فجعلوا الموالى أولى بالمناصب ، وأحق بالكراسى ، وأجدر بحفظ السياسة ، والاستبداد بالرياسة ، ـ حق القول على أكثرهم فهم يعمهون ـ . نظر ذلك كله النبى فأمره الله أن يتزوج زينب وألقى فى روعها بغض زيد فلما شكا زيد انفتها منه ، وجفوتها له ، وشمخها بأنفها خيلاء وكبرا اذ كانت من صميم قريش وهو مولاهم قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كتم فى نفسه من أنه أمر قبل ذلك واخبر بأنه سيتزوجها فقال له ـ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ـ

ذلك لان يصدع بالأمر ولايخاف فى الله لومة لائم فكيف يخجل من تغيير ماظهرت عواقبه الوخيمة بعد ذلك واستبان ضرره ، فلقد كان للترك فى دولة بنى العباس من الفتك بالملوك ، وتسميل العيون ، وقطع الرقاب ماتقشعر منه الجلود ولكم شدخوا الرءوس واستنزلوا قرابة النبى بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت ، ونميمة بدت ، وضغينة كاذبة يبتدعونها ، وأغراض ذميمة يتبعونها ، ولآثام يقترفونها . وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون الانكشارية علموا أنهم من وشيجة غير الترك ومن عنصر لايتصل معهم ولا يلتئم فاتحدوا للمنفعة ثم أتوا صفا وأهلكوا الحرث والنسل فى أنحاء الدولة وقد استنام الترك لتلك العقارب والحيات كما

استنام

استنام العرب قبلهم لغلمان المعتصم الذين تناسلوا وتكاثروا وأوقعوا الدولة فى حيص بيص فتفرقت شذر مذر ، ومزقت كل ممزق ، وأصبحوا أحاديث للامم الحاضرة والغابرة ، ذلك ما كان يرمز اليه زواج زينب ابنة جحش ذلك هو السر المصون ، والجوهر المكنون ذلك أصل سياسة الله فى الاسلام جهلها الناس ، وان علموا فلقد غشى على أعينهم الطمع ، وذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون

وهاهنا قال المدره للاستاذ آن أوان الانصراف ، فلنعد غدا صباحا ، وان موعدنا الصبح ، – أليس الصبح بقريب –

﴿ المجلس الثانى ﴾

جاء الاستاذ والمدره وقال الاستاذ هانحن أولاء فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فنقول اليوم أترى أن يطلق أم حبيبة وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب ! وهى التى نبذت دين أمها هند وأبيها أبى سفيان خل قريش زعيم القوم وكبير العشيرة أبى معاوية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى فتنصر زوجها هناك وثبتت هى على الاسلام فانظر كيف رزئت بهجر أبويها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشرت قوما سود الالوان يخالفونها فى العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن تصب واحن وعذاب واصب . فماذا فعل النبى ﷺ . ليكافئها أرسل عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله ، فزوجه ﷺ اياها وأصدقها النجاشى عن النبى ﷺ أربعمائة دينار والذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهزها النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذى توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك يفارقها . ان هذا لعار وأى عار ، بل اثم كبير ، وزلة لا يغفرها الدهر ، ولا يرضاها الصعلوك الغر ، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم ، والسيد الاكرم . أم يطلق جويرية بنت الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق واسمها برة التى تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها . ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم قال فى الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ، ووطئوا نساءهم ، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى فهل يطلقها بعد أن شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم بين القبائل . أفيجوز فى شرعة الفضيلة أن ينكسوا رؤوسهم بين الملا صاغرين ، ويصيروا بالخيبة والتعاسة خاسئين .

المدره – هذه المعاذير التى ذكرتها اقناعية لا تروى من غلة ولا تشفى من علة ولكنها تقوم حجة وقتية ، ويجتزىء بها أواسط الناس ، فأما الاذكياء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب وقلق واضطراب .

(الاستاذ) – ولماذا .

المدره – ان ما جاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع سراة العرب واشرافهم فلقد يحتج كل بما يرزأ نساءه من المصائب ، وما ينتابهن من النوائب ، وما يعترى احبابهن والحبائب : من تنكيس الرؤس ، وحلول البؤس . وذل النفوس . وشماتة الاعداء . وحزن الاخلاء .

(الاستاذ) – ليس شان سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبى ﷺ ، ولا وقائعهم كوقائعه . فالطامة هنا كبرى وهى متوجهة للامة ونظامها كما أوضحته لك فيما مضى وكيف تمنى عمر وماحثا من التراب على رأسه وهو ركن مهم فى الاسلام . وكيف قال هو وصاحبه ان طلاق نسائه أشد من احتدام وطيس الحرب ، وضرب الهام ، وإعمال السيوف ، والقنا يقرع القنا ، وأمواج المنايا تتلاطم .

ثم قال الاستاذ فماذا كنت تفعل لو كنت مكان النبى ﷺ .

(المدره) – أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء .

(الاستاذ) ـ وكيف ذلك .

(المدره) أملكهن زمام انفسهن . وأخيرهن . فأكون قدمهدت لنفسي العذر . وقطعت لسان العذل فاوطلقت احداهن نفسها لم يسود وجهها بما يقول الناس ان النبي أبغضها فنبذها وليس مقام النبوة يمسه سوء من فراق سيدة لم تختره .

(الاستاذ) قد فعل النبي ذلك اذ قال الله له (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) . فبدأ بعائشة فقال ياعائشة انى أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وماهو يارسول الله ! فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوى . بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت . قال لاتسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى معنتا ولامتعنتا ، ولكن بعثنى معلما ومبشرا .

(المدره) هذا كلام حسن فماذا كان بعد ذلك .

(الاستاذ) اختاره نساؤه كلهن ، وحرم عليه استبدالهن وطلاقهن ، كما تقدم وسمين أمهات المؤمنين . وأعطين هذه المنزلة السامية فى التاريخ والامم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا

(المدره) هل كان نساء النبي يقدرن هذا المجد قدره . وهل يرين أن المجد والشرف والاسم والصيت فضلا عن الدار الآخرة أرقى وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية . وهل من حوادث تؤيد ذلك حتى نقول انهن كن يردن الله والعزة والشرف والآخرة وحتى نضرب الذكر صفحا عما نعلمه من انهن كن يطلبن منه النفقة وان ذلك كان من أسباب هجره لهن شهرا كاملا لمغاضبتهن له فكان ذلك من أسباب نزول آية التخيير

(الاستاذ) نعم كن يقدرنه حق قدره ألم تر الى أخت دحية التى ماتت من الفرح لما علمت أن النبي ﷺ تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يانبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا . ألا ان للنساء نفوسا كما للرجال : يحببن الشرف كما يحبون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلو الهمة كما يسعون . لقد برهنت النساء فى كل زمان على ان فيهن من تفضل الموت على العار بل انهن أرق شعورا ، وألطف أفئدة ، وأشد قبولا لموعظة ، وأكثر تقديرا لفضيلة ، وأوفى ذماما اذا صدقن العشير . فانظر كيف قضت أخت دحية الكلبي نحبها لما فاجأها من خبر زواجها بالنبي فقل لى رعاك الله . أكان ذلك لمال والنبي ﷺ كان ينام على حصير ، ويأكل الشعير ، ولايبالى بالحطام ، ونساؤه يطلبن منه النفقات . ويقلن له كل يوم هات . أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الفريدات وهو قائد حرب ومعلم تلاميذ وقائم ليل . وصائم نهار . وقاض بين خصوم . ومفرج هموم . فماذا يكون حظ النساء منه . كلا وانما ذلك الشرف والمنزلة الرفيعة فى الدين والدنيا فلاعجب اذا قالت سودة بنت زمعة دعنى حتى أموت تحت كنفك وقالت هى والباقيات لاتقتلنا بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معنا من ترك قسمة على اننا أمهات المؤمنين وانا لانتنكح بعدك حتى نزل قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافى قلوبكم وكان الله عليما حليما) قال البيضاوى ترجى من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها وهناك أقوال أخرى غير هذا لاحاجة لها فى موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولاأن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) فكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ماتراضين عليه لما نلن من شرف . وماأحرزنه من فخر . الى أبد الدهر .

المدره

المدره ـ لم حرمت أزواجه على المسلمين من بعده . وهلا أباح الله زواجهن أسوة بالناس .

(الاستاذ) ان من الحكمة التي أودعت ذلك أن في التحريم سدا لباب الفتنة وحفظا للسياسة وتوحيدا للكلمة . فلو أن إحداهن تزوّجت برجل لتطاول للتدخل في السياسة ولفعل بأدنى سبب ولأي وسيلة مافعلته عائشة فقد أدّاها اجتهادها الى محاربة عليّ مطالبة بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها في الخلافة ولاجمل ولكنها رضي الله عنها أدّاها اجتهادها الى النهي عن المنكر في نظرها واجتهادها . فلو أن إحداهن تزوّجت برجل لتطاول للرياسة بحجة زوجية أم المؤمنين . ولكان له قدم صدق في الخلاف في مواطن السياسة . هذا فضلا عن اكرام النبي ﷺ وتعظيمه فكان التحريم لحكمة بالغة وحجة نيرة وآية باهرة و بينة للباطل دافعة وللحق جامعة . فهل بقي في صدرك أيها المدره حرج ؟ ألم يعذرالله والنبي وقد فعل مالا مطمع بعده في اعذار ولا بقيت سبيل لعالم نطاسي وخرّيت لوذعي فيختار . بل قطعت الأسباب . ولاملجأ لعاقل بعد ذلك أن يلج من أي باب ؟

(المدره) لم يبق لي إلاباب واحد ألجه . ومحجة واحدة أسلكها . فهلااتخذ ذلك فرصة ونحى منهن جماعة للعبادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة . واصطفى منهن أربعا ليكون جامعا للخصلتين مؤديا للغرضين محييا للسنتين . فالمتروكات للدين والعبادات وذكر القرآن ومدارسته وفهم الأحاديث وحفظها على أن يقمن بهداية الخلق . وارشاد الناس الى الحق . والمصطفيات يكنّ على عدد الزوجات لسائر الناس ليكون ذلك قاطعا لألسنة الملحدين . وارشادا للضالين . وحجة في هذا الزمان

(الاستاذ) قد كان كل ذلك واختص النبي بأربع ولم يزد عليهن . وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن والحكمة . ففي النسفي والخازن والسيرة الحلبية مايفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية مانصه ﴿ وقد كان أرجأ النبي ﷺ من نسائه خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وآوى اليه أربعا عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة . ألاتعجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن فاقرأ ماقال الله ـ وقرن في بيوتكنّ ولاتبرجن تبرّج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا * واذكرن مايتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا * إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدّقين والمتصدّقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ـ . أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يعلمن الحكمة و يذكرنها عسى أن يعلمن الناس و يكنّ قدوة كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صناع اليد ماهرة في الخرز وصنع الخفاف فكانت بعده ﷺ تخرز وتدبغ الجلود وتبيع وتتصدّق بالثمن على الفقراء والمساكين فكانت قدوة . وياليت بنات المسلمين يعلمن ذلك . ليتهنّ يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام به زوجات النبي ﷺ كما تفعل الأمم المتمدينة الآن في أوروبا والشرق واليابان

(المدره) عجب . إذن كانت ثمّة مدرسة

(الاستاذ) نعم هما مدرستان فأوّل مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات في الاسلام النبي ﷺ . وهنا انفض الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد

﴿ المجلس الثالث ﴾

(الاستاذ) ذكرنا أمس أن أوّل مؤسس في الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة السيدات . أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم أهل الصفة منهم أبوهريرة وصهيب وسلمان

وعمار وأمثالهم ويقال انهم يبلغون أربعمائة يأخذون الصدقات ويحفظون القرآن ويتعلمون الدين عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أمهات المؤمنين معلمات فيما بعد . فهل بقي بعد ما تقدم قول لقائل ؟ أليس في ابعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ماذكر قسوة وشدة لامحل لها ؟ ألم يبين للشعب أن لامطمع له في الاختصاص ولوكان جائزا له فساواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يرجأن اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم فالطلاق إذن طريق وعر ومسلك خبيث بل معرة يأنف منها العاقل والجاهل فضلا عن الصالح والعالم والنبي ﷺ لوأنه فاجأهن بالطلاق قسرا لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابي الصعلوك فلنكسر سنك كما كسرت سنه . ولم يتئد عمر في ذلك ولم يترقب حتى يجد له مخرجا من عفو أوقبول أرش ولم يطاوله ففر (جبلة) ومعه ستون ألفا من رجاله الى بلاد الروم فتنصروا . ذلك لصرامة عمر في القانون ولم يتربص حتى تتيح له الفرص مخرجا . فما فعل النبي ﷺ لامفر منه ولامخلص . فليس في الامكان أبدع مما كان

(المدره) واها لك . ثم واها واها . لقد أتيت بالعجب . وعلمت منك مالم يكن ليخطر على بال . وان في بيانك لسحرا . فما الجواب الثاني ؟

(الاستاذ) أما الجواب الثاني فقيل : ان أولئك النفر وهم غيلان ونوفل بن معاوية والحرث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكونون قد اعتنقوا الدين بجميع نواهيه وأوامره . فتحديد العدد واجب عليهم . فأما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جموع وافرة وألوف مؤلفة وربيون كثير . فما قرأنا ولارويناأن أحدا منهم فارق مازاد على الأربع . ولوكان ذلك لنقل الينا واتصل بنا . وأمر تعدد الزوجات ليس بيسير وانما هو أمر اجتماعي يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات . بل نظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الاسرات . فلوأنه أمر بفراق مازاد على الأربع جميع من أسلموا قبل التحريم ماخفي علينا ولتعدد النقل وكثرت الشواهد والدلائل وعليه يكون ﷺ واحدا من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الالوف المؤلفة والجموع المختلفة والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الأربعة قبل التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع النبي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السراة المثرون والشجعان الجاجيح والقروم القماقم والسادة الصماصيم وذووالبأس والشدة الذين هم أقدرالناس على الشهوات واحرازالعقيلات الفاتنات فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة

ثم قال الاستاذ : أما الجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحا عما تقدم وكأن الجوابين السابقين لم يكونا لاسيما أن الاجماع قام على أن ذلك خاصية له ﷺ والاجماع حجة فيسقط الجواب الثاني بذلك ونقول : انه مامن دين إلاوقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أوفعله أونتائجه . فانظر في سيرالأنبياء السابقين واللاحقين ترأن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله وأعماله ﴿وجهين﴾ وجه يتلألأ نورا وتستبين فيه الحقائق واضحة جلية وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتسود وجوههم فيلج الشك في قلوبهم ولايؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وهذا في المشاهدات معلوم . يرى الناس الأشجار على شواطئ البحار ذات ظل في الماء منعكس أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ولاحقيقة لهذا وانما ظله مرتسم على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل الى أسفل ويرون النار المتقدة من بعيد كبيرة وهي صغيرة ويرون الشبح فوق الجبل صغيرا وهو كبير . ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولابياض وانما هو ضوء الشمس أوغيره وتتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسموع عن الأنبياء . ألاترى الى قصة الخضر عليه السلام إذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى عليه السلام . فلما أن تبينت الحقيقة أدرك أن — فوق كل ذي علم عليم — وأن الوجه الذي

تراءى

تراءى له أسود . وأن المقصد اغاثة اليتامى بعيب السفينة لئلا يأخذها الملك غصبا
وما كان ذلك الا للأخذ بظواهر الأمور ، وانعكاس الحقائق فى المرويات كما عكست فى المرئيات . وفى قصة داود وسليمان معتبر فقد كان لأولهما (٩٩) امرأة ولآخرهما المئات من الحور الحسان — كأنهن الياقوت والمرجان — مما ماج به قصره ، وازدانت بهن حجره ، وحكم سليمان ، ومزامير داود ، عمت أرجاء المعمورة ، وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يعمرون الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى نحو (سبعمائة مليون) يؤمنون بداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلونها آناء الليل وأطراف النهار ، يناجون ربهم بكرة وعشيا ، متضرعين بما فى المزامير من الآيات ، ولا يجدون فى صدورهم ما يجد الناس اليوم مما تموج به بحار الأنفس ، وقواميس العقول . وتغلى به مراجل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء ﷺ علمت الأنفس بفطرتها أن الديانات والملل لا تتصدع بمثل هذه المتشابهات التى قد يعوزها الدليل والبحث فلا يعبأون بمثل تلك الشكوك . إذ هو مما يبدو لبعض النفوس وجها أسود بادئ الرأى . ولو حقق الامر الاديب . ودقق الاريب . لوجدا العالم كله ليس يخلو من الوجهين فى ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لا عوج فيه ولا شبه — ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت — ولأضرب لك مثلا بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون منها حياة الحيوان . وقوام النبات . واستضاءة الطرق والمسالك . وجرى الأنهار بحرارتها . ومع ذلك لا نعدم زاريا عليها . عائبا لها . لوجهها المسود فى نظره لحكمة لم يفقهها . وآية لم يدركها . لهاجرة لدغته . أو ريح سموم آذته . أو ضربة شمسية فى رأسه أصمته . أو زيادة حرارة فى عينه أعمته . لا ستعداد فى نفسه . وضعف فى جسمه . وخلة فى المزاج

ومن يك ذا فم مر مريض ✡ يجد مرا به الماء الزلالا

فلا عيب على الشمس المضيئة . انما العيب على القوابل الرديئة . فيعمى إذ ذاك عن فضائلها . ويحكم بالجزئى الموهوم على الكلى والعموم . وقد دق ذلك الجزئى فلم يحط به علما فكان النظر جزئيا لا كليا . بل وهميا لا عقليا . فالأنبياء والمصلحون كالشموس . وعلومهم كالاضواء والأنوار . والملحدون أصابهم حرها لضعف عقولهم وإدراكهم

ومن يتطلب جاهدا كل عثرة ✡ يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فلا ضرورة اذن لما صح من الجوابين السابقين إلا ردا لما يقال على ألسنة أولئك الثرثارين والا فبالله قل لى كتاب الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الاضاليل والسخافات . مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأممهم لا تعترض ولا تسخط . قتل الانسان ما أجهله . قتل الانسان ما أظلمه . قتل الانسان ما أقل علمه . وما أتعس نفسه . يتركون ما لديهم . ويأتون بخيلهم ورجلهم وصفوفهم . ليحاربوا دينا فى مسألة عرضية لا جوهرية . وثانوية لا أولية . اللهم ان عبادك فى الارض يضلون . وأكثرهم فاسقون : يتبعون الشهوات فى لهجة الدين . فوالله لا يريدون وجه الله . انما هو وجه الشيطان . وخبث النفوس . وجهل العامة . اللهم ان أكثر الناس ظلوم كفار . اللهم اننا خلقنا فى أمم يسير سوادهم مع الاهواء . يساقون كانساق الأنعام . ما حججهم الا المغالطات . كل يسعى لملء بطنه . وسد نهمته . وشهوة فرجه . وسلخ جلود الامم الضعيفة . وذبحها على انصاب الأمم القوية . فسلاح العلم أذكى سلاح وأمضاه . وهو طليعة جيش المدافع والسهام

(المدره) قد تجلت الحقيقة . وتلألأ نورها . ووضح الحق . واستبان السبيل وانى أريد الكلام على تعدد الزوجات وجعلها أربعا .

(الاستاذ) لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحانان مستبشران

(المجلس الرابع)

(المدره) قد اتفقنا فی الاجتماع الفائت أن نأخذ باطراف الاحاديث بيننا فی أمر تعداد الازواج للمسلمين ولكنى اليوم تبدت لی شبهة فلأقدمها بين يدی ذلك السؤال

(الاستاذ) أنا لا أفهم أأنت مؤمن أم كافر . فان كنت كافرا فلا شأن لی معك ، وان كنت مؤمنا فلندع المقال . الا وان نبوته ثابتة عقلا ألا ترى الى ماقاله كارليل المؤرخ الانجليزی فی كتاب الشجاعة والشجعان وكيف برهن كما برهن شراح العقائد النسفية بالنتائج والثمرات . قال كارليل : (رجل بنى بيتا حسن البنيان . متين التركيب . قائم الجدران منتظم الاركان . ثم بقى البيت ألفا ومائتی سنة لم ينهدم منه ركن . ولم تسقط من أعلاه شرفة . وهو لايزال يزداد جدة مهما تقادم عهده . و بعد أمده . فهل بينيه دعی فی البناء - البانی محمد ﷺ والبيت الاسلام فاذا ثبتت لديك نبوته فاضرب بالشكوك عرض الحائط وهناك أدلة التجربة فجرب قوله فی الحديث وفيما أنزل عليه من القرآن وانظر هل تكون النتيجة كما أخبر الدين أوماذا تكون . فان صدقت النتائج فالقول حق - فاذا قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين) فاعمل بها وانظر النتائج - هذه أمور قد فرغ العلماء والكتاب منها ، وجربوها وصدقوها ، فكن على آثارهم . واقتد باعمالهم . تفز كفوزهم .

(المدره) أنا مؤمن ولكن أسألك ليطمئن قلبی . ولأحاج الجاحدين

(الاستاذ) الجاحدون اذا لم يؤمنوا فلنترك الجدال معهم .

(المدره) حقا ولكن بعض الشبان يحار فيها لعموم المضلين . أذناب الاوروبيين فی بلادنا . اذ قد أتوا صفا . وقالوا لقد أفلح اليوم من استعلى

(الاستاذ) وغلادمه - ماذا يقول أذناب الاوروبيين .

(المدره) يقولون ان النبی ﷺ كان مغرما بشهوة النساء وقد استدلوا بحديث فی طبقات ابن سعد انه جیء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا فی الجماع وهذا الكتاب يسمى كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد ابن سعد كاتب الواقدی رحمهما الله وطبع فی مدينة ليدن بمطبعة بريل وهو خمسة عشر جزءا وصححه علماء ألمانيون بأمر من الجمعية الكبرى الأكادمية الملوكية البروسيانية سنة ١٣٢٢ فيه ان المؤلف روى عن محمد بن عمر عن رجل يسمى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال ان النبی ﷺ قال كنت من أقل الناس فی الجماع حتى أنزل الله علی (الكفيت) تصغير الكفت فما أريده من ساعة الا وجدته وهو قدر فيها لحم . وفی رواية لقينی جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت الكفت قوة أربعين فی الجماع .

(الاستاذ) تبسم ضاحكا وقال : أهذا حديث النبی .

(المدره) نعم . ضحك الاستاذ . ثم استهزأ بالقول وسخر . وقال أما أن تصدق مافی القرآن من آيات : واما أن تصدق هذا الكلام : يقول الله (وانك لعلى خلق عظيم) و يقول (وأرسلناك رحمة للعالمين) ثم يأتی أذناب أوروبا . وصغار العقول وذبان العلماء . يقولون انما جاء يعلم الناس قوة الجماع بأكل لحم فی قدر وفی المثل العامی اذا كان المتكلم مسلوب العقل . فالسامع فؤاد يعقل . ونهى وارب . يميز الحق من الباطل . نبی يقول الله على لسانه (أذهبتم طيباتكم فی حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ثم يقال كان يعلم الناس علم الشهوات . هذا ضلال مبين .

(المدره) ماقلت معقول فماذا تصنع فی الحديث .

(الاستاذ) الحديث مزور مكذوب وقد أخطأ ابن سعد فی كتاب الطبقات الكبير

(المدره) ان هذا الكتاب اجمع وأحسن كتاب فی سيرة النبی وأصحابه والتابعين واذا لم نثق به فبم نثق .

(الاستاذ)

(الاستاذ) الحديث مكذوب موضوع

(المدره) غضب غضبا شديدا كيف تقول مكذوب ومابرهانك

(الاستاذ) تبسم ضاحكا هذا الحديث مروى عن عمى نصار بائع الفول المدمس أمام باب الصعايده بالازهر

(المدره) أتخرج من الجد الى الهزل

(الاستاذ) ماقلته لك حق

(المدره) الحديث فى طبقات ابن سعد وهو فى القرن الثالث وهذا الرجل فى أوائل هذا القرن الرابع عشر فليس ماتقول مقبولا

(الاستاذ) اسمع أيها الصديق : اذا أثبت لك أنه مروى عن رجل يشابهه فى صنعته أراد أن يشتهر ببيع الهريسة (القمح المدقوق المطبوخ فى القدور) كالمدمس فماذا تقول ؟

(المدره) أقول : إن أذناب الاورو بيين جميعا قوم لاخلاق لهم وانهم صعاليك الأمم يريدون بنا شرا ولسنا نذم إلا الكذابين الضالين منهم . فأما حكماؤهم وعظماؤهم وأجلاؤهم فلهم عندنا مقام عظيم

(الاستاذ) أتعطينى عهدا ؟

(المدره) قال نعم

(الاستاذ) ــ قال العقيلى : حدثنا معاذ بن المثنى . حدثنا سعيد بن المعلى . حدثنا محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن خراش عن معاذ بن جبل قال قلت يارسول الله : هل أوتيت من الجنة بطعام قال نعم : أوتيت بهريسة فأكلت فزادت فى قوتى قوة أربعين وفى نكاحى نكاح أربعين . قال وكان معاذ لا يعمل طعاما إلا بدأ بالهريسة . قال العقيلى : هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمى وكان صاحب هريسة وغالب طرقه تدور عليه وسرقه منه كذابون . أليس ياصديقى هذا نصا على أن هذا الرجل هو المخترع وأخذه كثير عنه بأسانيد اخترعوها وألفاظ غيروها . أولم أكن صادقا فى قولى لك انه مثل عمى نصار بائع المدموس فهذا اشتهر بالمدموس وذاك اشتهر فى هريسة فكسب مالا عظيما بهذا الكذب . وذبان أوروبا يتبعون ذلك الفحش والحقارة والدناءة ليضحكوا على عقول الجهلاء . وقال ابن عدى : هذا الحديث روى عن سلام بن سليمان عن نهشل ونهشل كذاب وسلام متروك مرمى وأن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له أسنادا وقال الأزدى : هذا الحديث روى من طريق ابراهيم بن محمد وابراهيم هذا ساقط . فنرى انه سرقه وركب له اسنادا

(المدره) الآن قد اكتفيت فلك الشكر والثناء على ما أوفيت . إذ قد حصحص الحق . وانقشعت غياهب الشك ــ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ــ وانى لأعجب كيف يكذبون على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) الموعد غدا فى المجلس الخامس ان شاء الله تعالى

(المجلس الخامس)

(انتظم المجلس الخامس وتناجى الاستاذ والمدره)

(المدره) وعدت أيها الاستاذ أن تفيض فى الكلام على الأحاديث الموضوعة وكيف تسنى لامرئ أن يكذب على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) لاتعجب من قولى . فكم من عجب فى هذا الانسان فلقد طغى و بغى وكذب قديما وحديثا ولم يذر من شئ إلا أحاطه بشروره وألبسه من أثواب زوره . ونسج بعناكب بهتانه على حقائقه . ولكم أنبت فى طيب أرض الحقائق من شوك قتاده وحسك عناده وعضاه اختلاقه فاذا رأيت الأمم الحاضرة والجرائد

السائرة تختلق إفكا وتفترى إثما فهكذا كانت فرق من السابقين وعزون من الأوّلين يتقوّلون على النبى ﷺ لأغراض يقصدونها وآثام يجترحونها ومقاصد يؤمونها ومناصب يرتقونها وممالك يحكمونها وظلامات يقترفونها • ألم تر الى ماروى عن عبد الله بن يزيد المقرى قال :

(۱) رجع رجل من أهل البدع عن بدعته فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا اذا تراءينا رأيا جعلنا له حديثا

(۲) وعن ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هـذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا

(۳) وعن حماد بن سلمة قال : حدثنى شيخ من الرافضة قال : كنا اذا استحسنا شيأ جعلناه حديثا

(٤) وعن أبى أنس الحرّانى قال : قال المختار لرجل من أصحاب الحديث • ضع لى حديثا عن النبى ﷺ انه كائن بعده خليفة مطالبا بترة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم ، فقال له الرجل : أما عن النبى ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة وحط من الثمن ماشئت

(المدره) إن شئت أن توضح هذا الأخير فانى لفى حاجة اليه

(الاستاذ) ان المختار كان أميرا على الكوفة مطالبا بثأر الحسين رضى الله عنه ظاهرا طالبا للملك باطنا ✡ وفى المثل « أسرّ حسوا فى ارتغاء » وفيه أيضا « بعلة الورشان يأكل رطب المشان » وفى المثل أيضا « فلان محزنبق لينباع » أى يطرق ليثب • ولقد كان من خدعته انه يخلق إفكا و يتظاهر بخوارق العادات ✡ وكان من حديثه انه يوما مّا كان محاربا فقال لقومه ستفرّون من العدوّ بذنوبكم ، فاذا كانت الهزيمة فستأتى الملائكة فى صورة الحمائم البيض دون السحاب فبها تنصرون ، ثم أعطى بعض خواصه تلك الحمائم البيض التى رباها ، فلما كان الغد وقعت الواقعة وانشقت جموعهم وكانت واهية لكثرة العدوّ فأطلق أصحاب الحمائم البيض فاجتمعوا وأتوا صفا وغلبوا العدوّ ومزّقوه شرممزّق ، وكان من جملة احتياله ونصب شراكه ورصد نخاخه ومبرم حبال اشراكه أن جعل لذلك العلامة فى الحديث مالا وافرا وهدايا ثمينة توافق مرامه وتواتى أن يقول انه خليفة بعد النبى ﷺ مطالب بثأر ولده (يعنى سيدنا الحسين رضى الله عنه وأرضاه) فأبى الشيخ عليه ذلك حفظا للدين ورضاء لله عزّوجل

(٥) ومن الوضاعين قوم وضعوا الأحاديث فى الترغيب والترهيب ليحثوا الناس بزعمهم على الخير ويزجروهم عن الشر ، ومضمون هذا أن الشريعة ناقصة وتحتاج الى تتمة بزعمهم ، فعن عبد الله النهاوندى قال : قلت لغلام خليل هـذه الأحاديث التى تحدث بها من الرقائق ، من أين أتيت بها ؟ فقال وضعناها لنرقق بها قلوب العامة ✡ قال ابن الجوزى : غلام خليل كان يتزهد ويهجر الشهوات و يتقوّت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته فحسن له الشيطان هذا الفعل القبيح ✡ وسئل عبد الجبار بن داود النخعى فقال كان أطول الناس قياما بليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعا • وكان أبو بشر أحمد بن محمد الفقيه المروزى من أصلب أهل زمانه فى السنة وأذبهم عنها وأخفهم لمن خالفها وكان مع هـذا يضع الحديث و يقلبه وعن أبى عمار المروزى قال : قيل لأبى عصمة بن أبى مريم المروزى من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ، قال انى رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هـذا الحديث حسبة • وكان وهب بن حفص من الصالحين . مكث عشرين سنة لايكلم أحدا • قال أبوعروبة كان يكذب كذبا فاحشا • وعن يحيى بن سعيد القطان : مارأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير . فاذا كان هـذا حال الزاهدين والأتقياء فما بالك بالفجرة الأشرار

ومن

ومن الوضاعين قوم كانوا يتقربون للملوك والأمراء كغياث بن ابراهيم فانه حين دخل على المهدى وكان المهدى يحب الحمام فقيل له حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال « لا سبق إلا في خف أوحافر أو جناح » فأمر له المهدى ببدرة ، فلما قام قال المهدى انه كذاب وأنا حملته على ذلك . ثم أمر بذبح الحمام ورفض ما كان فيه .

ومن الوضاعين من كان يضع الحديث في ذم من يريد ان يذمه كما حكى عن سعد بن طريف انه رأى ابنه يبكى فقال مالك فقال ضربنى المعلم فقال أما والله لاحدثنهم حدثنى عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : معلمو صبيانكم شراركم ، وقيل للمأمون بن احمد ألا ترى الى الشافعي والى من تبعه بخراسان فقال حدثنا احمد بن عبدالله بن معدان عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتى من ابليس ، وقيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : ان قوما يرفعون أيديهم فى الركوع و بعد رفع الرأس من الركوع فقال أنبأنا المسيب بن واضح حدثنا عبدالله بن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهرى عن انس قال : قال رسول الله ﷺ من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له .

(اقسام الوضاعين)

ان الوضاعين ثمانية أقسام:

(١) الزنادقة قصدوا افساد الشريعة وايقاع الشك فى قلوب العباد والتلاعب بالدين كعبدالكريم بن أبى العوجاء قال ابن عدى لما أخذ ابن أبى العوجاء الى محمد بن سليمان بن عامر فأمر بضرب عنقة قال : والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث احلل فيها الحرام واحرم فيها الحلال وعن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدى يقول : عندى رجل من الزنادقة وضع أربعمائة حديث فهى تجول فى أيدى الناس

(٢) قوم كانوا يقصدون بوضع الحديث نصرة مذهبهم كما تقدم عن عبدالله ابن يزيد المقرى .

(٣) قوم وضعوا للترغيب والترهيب كما ذكرته لك اجمالا فيما تقدم والمثال فى ذلك ما يروى عن ابن عدى حدثنا احمد بن حفص السعدى حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا خاقان السعدى حدثنا أبو مقاتل السمرقندى عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر مرفوعا من زار قبر أبويه أو أمه أو عمته أو خالته أو أحد من أقربائه كانت له كحجة مبرورة ومن كان زائرا لهم زارت الملائكة قبره . قال ابن حبان ليس لهذا الحديث أصل وأبو مقاتل حفص بن سليم يأتى بالاشياء المنكرة . وقال ابن عدى حدثنا عبدالرحمن بن عبدالمؤمن حدثنا احمد بن صالح المكى حدثنا على بن عباس الحمصى حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : حسنوا أكفان موتاكم فانهم يتزاورون فى قبورهم قال بعض العلماء هو موضوع وصححه آخرون من طريق غيره وقال عبد الوهاب بن المبارك الحافظ انبأنا شهر بن حوشب بن عبد العزيز الجيلى أنبأنا أبو حامد محمد بن همام حدثنا محمد بن سليم حدثنا ابراهيم بن هدبة عن أنس أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تطلعوا فى القبر فانها أمانة فلعل وعسى تحل العقد فيجلى له وجه أسود ولعله يحل العقد فيرى فيه حية سوداء مطوية فى عنقه فانها أمانة وعسى أن يقبله فيعود اليه دخان من تحته فانها أمانة . هذا موضوع وأكثر رواته مجهولون وابراهيم بن هدبة كذاب وقال الخطيب أخبرنى أبو الفرج الطناجيرى أنبأنا عبدالله بن عثمان الصفار أنبأنا ابو محمد الحسن بن أبى الحسين بدر بن عبدالله مولى المعتز بالله حدثنا أبو القاسم انس بن محمد بن على الطحان حدثنا محمد بن بشر الارطبانى حدثنا محمد بن معمر حدثنا حميد بن حماد عن مسعر بن كدام عن عبدالله عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : دفن البنات من المكرمات . قال لا يصح وحميد يحدث عن الثقات بالمناكير وروى من طريق آخر وهو منكر قال الشيخ السيوطى سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الانماطى الحافظ يحلف بالله عز وجل انه ما قال رسول الله ﷺ

شيئا من هذا قط .

(٤) قوم استجازوا وضع الاسانيد لكل كلام حسن كما حكى عن محمد بن سعيد أنه قال : لابأس اذا كان كلام حسن ان نضع له اسنادا

(٥) قوم كان يعرض لهم غرض فيضعون له الحديث كالتقرب للملوك كما تقدم عن غياث والمهدى .

(٦) قوم وضعوا أحاديث قصدا للاغراب ليطلبوا و يسمع منهم قال أبو عبدالله الحاكم منهم ابراهيم بن اليسع وهو ابن ابى ضبة كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك تستغرب تلك الاحاديث بتلك الاسانيد .

(٧) قوم شق عليهم الحفظ أو رأوا أن المحفوظ معروف فأتوا بما لا يعرف مما يحصل مقصودهم وهؤلاء منهم القصاصون الذين لا رىح لهم الا بالاحاديث الموضوعة .

(٨) الشحاذون وأغلبهم يحفظون الموضوع وروى الدارقطنى عن ابى حافظ البستى دخلت تاجردان « مدينة بين لرقة وحران » فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال حدثنا ابو خليفة حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا فلما فرغ من دعوته قلت له رأيت أباخليفة ؟ قال لا قلت له كيف تروى عنه ولم تره فقال ان المناقشة معنا من قلة المروءة انا أحفظ هذا الاسناد الواحد وكلما حفظت حديثا ضممته الى هذا الاسناد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن الجوزى والوضاعون خلق كثير من كبارهم وهب بن وهب القاضى ومحمد بن السائب الكلبي ومحمد ابن سعيد الشامى المصلوب وأبوداود النخعى واسحق بن نجيح الملطى وعباس بن ابراهيم النخعى والمغيرة بن شعبة الكوفى واحمد بن عبد الله الجويبارى ومأمون بن احمد الهروى ومحمد بن عكاشة الكرمانى ومحمد بن القاسم الطائكانى ومحمد بن زياد اليشكرى

وقال النسائى الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة ابن أبى يحيي بالمدينة . والواقدى ببغداد . ومقاتل ابن سليمان بخراسان . ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . وقال الحافظ سهل بن البراء ثم وضع أحمد بن الجويبارى ومحمد بن عكاشة الكرمانى ومحمد بن تميم الدارى على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث

﴿ اعتراف الكذابين ﴾

قد أقدم جماعة من الكذابين على كذبهم وتنصلوا من ذلك . عن ابن أبى شيبة قال كنت أطوف بالبيت ورجل ورائى يقول ﴿ اللهم اغفرلى وما أراك تفعل ﴾ قلت ياهذا قنوطك أكثر من ذنبك فقال دعنى فقلت له أخبرنى فقال انى كذبت على رسول الله ﷺ خمسين حديثا فطارت فى الناس وما أقدر أن أرد منها شيأ وقال ابن لهيعة دخلت على شيخ وهو يبكى فقلت وما يبكيك قال وضعت أربعمائة حديث أدخلتها فى الناس فلا أدرى كيف أصنع فعند ذلك قال

(المدره) : كفى قد شربنا من هذا النهر حتى ارتوينا فحسبنا ماعلمنا .

﴿ الكلام على تعدد الزوجات بين المسلمين ﴾

وانى أرجو أن تفيض الكلام على تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقادا ولا أمر مذاقا ولا أعظم وقعا من هذه فهى التى أطالت ألسنة القادحين وأطمعتهم فى هذا الدين فأوضح القول فيه ايضاحا والتمس فى القول نهجا وسطا لا رمزا ولا شططا بين ذلك متخذا المساواة سبيلا وان شئت فليكن الايجاز أحسن تأويلا

(الاستاذ) لقد غصت المجالس بهذه الكلمة واستفاض بها الحديث من الشرقيين والغربيين ولن تجالس

امرا

امرأ من بنى التأميز أو السين أو الطونة أو من الالمان أوالطليان وكان من المغرمين بالديانات الافاجأك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف و ينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات ، هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الاورو فى عالما بكثير من الشؤون طائرا فى الجو جاريا على الارض بالصناعات عائما فى البحر سابحا فيه بعمله حتى اذا دخل فى مجادلات الدين هالك أمره فأيقنت أن هذا الانسان المسمى بالمتمدين مقلد يستتلى كما تستتلى الجنيبة

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة و ياليت شعرى لوأنها كانت ثلمة فى الدين لم تغن فتيلا فى الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد وهنه فكيف وهى كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع ومقومات هذا النوع الانسانى . التعدد المعتدل على ماسترى من أعمدة المدنية المقبلة ومن عقاقير الامراض الاجتماعية المزمنة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل ، وتقومه أحسن تقويم ، فمزاج الانسان اليوم منحرف من الضرر واصابة الحمى من تعفن الاخلاط وتراكم ادرانه وتتابع آلامه ومسألة اجتماعه المنزلى من عويصات المسائل وكبرياتها فلأفض فى القول واتسع ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول:

(١) اعلم أن المقرر فى الطبيعة كما هو المعلوم فى سائر الدول والممالك أن عدد الذكور فى الميلاد يساوى عدد الاناث تقريبا كما أوضحت فى كتابنا (اين الانسان) وعليها بنينا نظام الأمم المقبلة ان صحت عزيمة الانسان وأراد التملص من حطته والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الامم أمة أمة والبلدان بلدة بلدة لرأيت هذه العجيبة الغريبة وهى التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة احصت ذكورها واناثها تجد التساوى تماما الا قليلا لخلل عرض ، وضعف ومرض ، وأحوال استثنائية ، وأمور فجائية هذا هو القانون العام وهذه اس بنينا عليه ماهذا الانسان من نظام طبيعى فى اخلاقه وسياسته وصناعته وحكومته وكيف زاغت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات واكفهرت الاجواء واختلفت الانواء وتواثبت الشبات ونقضت العهود والامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيغه عن جادته فاقرأه فى كتاب «أين الانسان» تر العجب العجاب مما لا محل لذكره هنا وانما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكرانه بأناثه فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطرارا ولم يكن من زلة طبيعية واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهما طال عليها القدم كانت مواليدها يوما ما جميعا اناثا أو ذكورا بل العدل مستمر دائم فهذه أول مقدمة .

(٢) المقدمة الثانية انى قرأت فى احدى صحائف (اللورد كرومر) الذى كان عاملا للانكليزى فى مصر فى صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لايزيد عن خمس فى المائة ثم نقل عن آخر من السائحين من بعده فقال انهم لايزيدون عن ثلاثة فى المائة هذان هما الاصلان اللذان ابنى عليهما النتائج الآتية . فاذا تقرر هذان الاصلان نقول . منذ سنين معدودة عدّت أمّة الانكليز نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشرة امرأة فى كل الف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وولولوا وندبوا حظهم من الطبيعة وقسطهم من العدل وقالوا ان هذا الاتباب أين نضعهن ومن يعولهن وماذا نصنع فيهن وزلزلت ارض نادى العموم زلزالها وأخرجت ارض الهموم أثقالها وقال سادات الانجليز مالها فيومئذ حدّثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وماتغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكليز فى التعداد العام ولعمرك مامن أمة الا أصابها موت الابطال فى ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نسائها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فكم من نساء ايمات قدفقدن النصير واعزهن العشير فقلت الرجال وكثرت النساء وقد بلغنا عن التعايشى خليفة المهدى السودانى انه ذبح الرجال واستحيا النساء فكنت ترى فى القرية الواحدة بضعة شيوخ وأطفال وآلافا من النساء وقد صح فى الحديث عن سيدالرسل ﷺ اذ قال فى اشراط الساعة :

﴿ وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد ﴾ عجب أمر النبوة يذكر أيام المسيح الدجال وان أول أيامها يساوى سنة وثانيها يساوى شهرا وثالثها يساوى اسبوعا الخ مشاكلة لحال الكرة الارضية حذو القذة بالقذة كما فى رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وهاهنا تذكر أشراط الساعة ويذكر انه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة فى هذه الايام السود اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولاعائل لهن ولقد علا صراخ الانكليز وعويلهم من خمس عشرة امرأة زادت فى كل الف رجل وامرأة لعلة عارضة فى النسل وطارئ من الضر على ارحام النساء وأصلاب الرجال ومناهج التربية وطرق الاغذية وماشا كل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والاضغان الظاهرة وقد جندل الابطال وعم النكال واصطدم أعظم الأمم قوة وأشدهم بأسا فى العراك والقتال فطاحت تلك القماقيم الجحاجح وبادت تلكم الصناديد الفواتك والصماميم الصوائل فأصبحوا لاترى الامساكنهم وحرمهم الفواتن الحرائر البوائر العوانس

(المدره) لقد أطلت فى هذا المقام وخرج القول الى الابهام فان حاصل الأمر يرجع الى أن الرجال وان سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهن بالطبع كما حصل نادرا بانجلترا وقد يكون بالمصائب فى الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لاأرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان القانون العام لايكون لمثل هذه الاحوال العارضة والامور الطارئة على انه لوان ذلك يكفى فى التشريع لعارضه تشتت الاسرات وتفرق الجماعات بتعدد الامهات فى الاسرة الواحدة وهل أتاك حديث الازواج وبؤسهم والزوجات ونكد عيشهن وابناء الضرائر وضغنهم وسوء العيش والشجار والعراك والتقاضى فى المحاكم وسوء العشرة كل ذلك الشر لايقاوم الخير الناجم من زواج تلكم الأيامى اللائى مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الاخف وهذه الشرور الكثيرة فى الاسرات أنكى من ضرر عدد من النساء فقدن العائل وعشن على غير طائل وهن أرامل

(الاستاذ) لقد تعجلت ولم تمهل حتى أتم القول فاصغ لما أقول موجزا : ان أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبعى يتزوجون بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين ففريق أصبح شديد الشهوة قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء امازهدا دينيا كالرهبان وأما ضعفا عارضا واما فقرا مدقعا واما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت فى نوع الانسان فضلا عن الحرب والنكال فى الأمم فهذا يدحض ما أشرت اليه من أنه نادر أو عارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللاتى لاعائل لهن يقابلن الفريق الأول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو انا حرمنا التعدد لاصبحنا وجها لوجه أمام الخطر الداهم الذى طغى سيله وطم وعم فساده من أوروبا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمى كما هو فى مصر الآن وسعى له سائر الممالك المتمدينة لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو حجرنا عليهم وعليهن وجب ان نخصص أماكن للفجور كما هو حاصل الآن فطاحت العفة وضاع الشرع وذهبت المروءة أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحدق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف . انظر اليس التعداد كان خمسة فى المائة أو ثلاثة فى المائة أى ثلاثين فى كل ألف ومن عجب أن هذا العدد الاحصائى يوافى ماقدمناه فان هذا المقدار فى الالف يقابل المتقاعدين فى كل أمة عن الزواج وهو القدر الذى يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدة وهى مفسدة للمرء أى مفسدة

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المفسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتعلمين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالخنا والامانة بالخيانة والصيانة بالأهانة أباح الاسلام تعدد الزوجات ! فماذا جرى تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المسرفون فمدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللائى لاقيم لهن فتزوجوهن واقفلوا بيوت الخنا ومحال العهر والفحش . شهد (اللورد كرومر) فى تقريره ان هذا العدد لم يزد . جعل الله لكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أومات فقام غيره فاتخذ نظيره من النساء

وعالهن

وعاطن وهل جل المسلمين يعددون أوكلهم وهل المعددون استوعبوا النساء حتى فقد عددهم كلا ثم كلا . لسببين الأول انه لم يخلق الله الا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمتروكات نظير الهالكين والضعفاء الثانى : اننا لم نسمع أن رجلا ماأراد ان يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا فى تاريخ أمة من الأمم حتى التى أباحت العدد المطلق الى مالا يحصى فعلمنا ان الحكمة الالهية حفظت نظام العالم

أما مايقال من سوء العشرة وفساد المنازل بين الاخوة فهذا كلام ناشئ من جهل القائلين به وعدم تبصرهم فليس كل أخوين من أمين متشاكسين ولا كل اخوين من أم واحدة متحابين . ان واحدا من ذوى قرابتى رأيته يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبا أكثر من أخى الميت الشقيق فعجبت لكذب القوم الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد فى الاخوة أمر طبعى وانما يهذبه العلم والتربية والادب والدين ولو كانت المشاجرة والعداوة بين الاسرة علة لمنع التعدد لقلنا فليزل نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأمم كلها فى ضغائن والافراد متشاكسون ولو سلمنا جدلا ان العداوة كائنة فالابناء خير والشر العارض لايمنع الخير العظيم وهو ازدياد عدد الأمة وظهور الرجال فيهم على ان أكثر من نراهم فى الأمة هم أبناء أولئك الاقوياء المترفين الاغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما ان آخرين يعيشون ليعلموا ويؤلفوا . قوم يلدون أجساما وآخرون يلدون عقولا كم من رجل فى البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكرا أو أربعين ومنهم من بلغ أبناؤه وأبناؤهم عددا وافرا فاختلطت عليه الاسماء . ما أسوأ الأمم الغبية الجاهلة التى تقول لاقويائها لاتتزوجوا علنا وتزوجوا سرا لتموت أبناؤكم فى المراحيض ماأجهل تلك الأمم ماأقل علمهم ماأكثر جهلهم ماأوضح العلم وما أجهل أولئك فى علم الاجتماع فالحق والحق أقول ان العالم الانسانى اليوم يعوزه الفلاسفة والحكماء ليعرف كيف يعيش فان نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثة ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان ويتبعها اتباع الصبيان ويذم ماليس من عادته وفى التنزيل ـ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ـ يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامى وياللعجب لوأن التعدد افساد لم يكن الثلاثون فى الالف شيئا مذكورا حتى يفسد الالف ومن ذا الذى ضل عقله وزاغ بصره فحكم بفساد الالف اذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من فى قلبه مرض وعلى عينه غشاوة فكيف وقد استحال الفساد صلاحا وأضحى الثلاثون فى الألف أوالخمسون منها اصلاحا لباقيها يلدون لهم البنين والبنات ويخرجون القواد والعلماء والعقائل والفتيات وهم أقدر فى الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا من ثروة وما أوتوا من مال فياليت شعرى كيف تسنى للأمم أن يقولوا للمرأة افعلى الخنا اذا اخترته سبيلا وكونى زانية اذا راق لديك وصفا وقتك ويأيها الرجل ابحنا لك الزنا واخترنا لك الخنا وآتيناك منا قوة القانون على أن تغازل من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضحتها وأفزعتها وأى امرأة أزلت صونها ومددت يديك الى سترها فرقته والى بيت شرفها فهدمته وكان ذلك على اختيار منها ورضا فانا لكم معينون وان أثمر ذلك وأد البنين والبنات وقلة النسل العام فى الأمة وان فاق أعداؤها عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم ثم تقول تلك الأمم أنفسها أيتها المرأة ويايها الرجل أيا كان ان تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك أيها الرجل منهن ثلاث أوأربع احذروا ذلك فانها عادة المتوحشين ولوصينت الأعراض وأقفلت بيوت الخنا وقت أيها الرجل على امرأتك فأقتها وكسوتها ورحمتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك أيتها المرأة نحرمه تحريما باتا ولكنا فى الوقت نفسه نبيحه على سبيل الفجور والخنا فاجمع يارجل من شئت من النساء ولو ألفا مادام ذلك سفاحا وايا كما أن تجتمعا اجتماعا شرعيا ولوأدى ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء وتكاثر النسل حتى يغلب العدوّ المفاجىء الداهم رضينا بالخنا رضينا بالزنا رضينا بقلة النسل وكثرة العقم رضينا أن يكون نسبتنا الى عددنا العام كنسبة عدد الفرنسيس الى الالمانيين لما فى الاولين من اهمال أمر الزواج وفى الآخرين من الحرص

عليه وانما علينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تتكاثر ولادة بقوانين بلادها علينا أن نحسدها ونتطير منها ونشفق ونسومهم سوء العذاب ونوجس شرا من كثرة نسلها ونرسل رسلنا وطلائع استعمارنا ونصطفي الحكام من صغار النفوس المتواضعين ونوحي اليهم ان قبحوا لهم هذه الشريعة البيضاء سودوها في وجوههم افعموا افئدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهوشوا عليهم لعلهم يرجعون عن التعدد بل لعلهم يزنون ولعله يقل نسلهم فنتمكن من حكمهم كما قال هنرى الفرنسى فى كتابه عن الجزائر اذ قال ﴿ قعدنا لهؤلاء المسلمين كل مرصد وسددنا عليهم السبل وأحطناهم بسرادق من نار لعلهم يقاون فلم نقدر حتى الخمر سلطناها عليهم وهى السلاح الفذ لمحاربة الشرقيين فنعه الاسلام ان يشرب حبه فى قلوبهم أو يفتت أكبادهم فهم يتناسلون والفرنسيون لا يتناسلون ﴾ حارت والله تلك الأمم ، حارت فى محاربة النسل فى الأمم المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة ولقد أخبرنى صديق أن احدى الأمم لما رأت الزنوج الافريقيين والوثنيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وليس عليه الا أن يجلس فى خيمته طول نهاره يتمتع بما تكسب النساء له من كدهن وعملهن وهو قوى البنية ولا يصرفها الا فى احبالهن وايلادهن وانجاب الذرية فكثر النسل ولم يقدر الأوروبى أن يحاربه . ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى أن يقل نسلهم فما أشأم هذا الانسان قتل الانسان ما أكفره ـ ان الانسان لظلوم كفار ـ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ـ

(المدره) والله لقد شفيت صدرى وأزلت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجيل . تمت الرسالة فى صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤ فى ميدان القلعة بالقاهرة . ولما أضيفت هذه الرسالة الى السورة تمت فى يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٣٠ م و ٢١ شوال سنة ١٣٤٨ ﻫ بقسم السيده زينب

✲ ✲ ✲

(الاسلام وتعدّد الزوجات)

جاء فى (مجلة المرشد) مانصه

إن قوانين الاقتصار على زوجة واحدة أكثرت فرائس العزوبة فى الغرب وزيادة عدد الاناث على الذكور أوقعت العقلاء فى مشكلة ينادون منها بالويل والثبور ويطلبون الخلاص ـ ولات حين مناص ـ

جاء فى المجلد السابع من العرفان مانصه « إن عدد النساء فى ايطاليا يزيد على عدد الرجال بمليونى نسمة » وفى ملزمة (٣٤) من «الهلال» فى ضمن مقال بقلم (أميل زيدان) عن جريدة الماتان الافرنسية عن الاستاذ (بيتار) الطبيب الكبير الذى هو اليوم عضو مجلس النوّاب فى فرنسا انه يقول « إن فى فرنسا الآن ١٫٥٠٠٫٠٠٠ فتاة لن يجدن لهنّ أزواجا على افتراض أن كل شاب افرنسى يتزوّج بفتاة واحدة ، وانى أقول بصراحة ما أنا واثق من صحته أن المرأة لاتتمتع بصحة جيدة مالم تصبح أمّا ، وفى اعتقادى أن القانون الذى يحكم على تلك الفرقة الكبيرة بأن تعيش على نقيض ناموس الطبيعة انما هو قانون وحشى بل مناف لكل عدالة » وفى م (٣٧) منه أيضا « يزيد عدد الاناث على الذكور فى انجلترا بمليون ونصف مليون ، أما زيادة الاناث على الذكور فى ألمانيا فتبلغ مليونين ، ولكن هذا الفرق أقل من النسبة الحاضرة فى عدد المتزوّجين ، ففى انجلترا نحو ثلاثة أوأربعة ملايين فتاة غير متزوّجة مع انها فى سنّ الزواج » وقال (شوبنهور) الفيلسوف الألمانى الشهير فى رسالته ﴿ كلمة عن النساء ﴾ تعريب حسن رياض مانصه « إن قوانين الزواج فى أوروبا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا وضاعفت علينا واجباتنا ، على انها مادامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلا مثل

عقله

عقله » الى أن قال « ولا تعدم امرأة من الأمم التى تجيز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤنها ، والمتزوجات عندنا نفر قليل وغيرهن لايحصين عدا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهى هائمة متحسرة ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب و يتحملن مشاق الأعمال وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبسات بالخزى والعار ، ففى (مدينة لوندره) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تمنت السيدة الاوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل ، أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره » الى أن قال « على أنه من العبث الجدال فى أمر تعدد الزوجات مادام منتشرا بيننا لا ينقصه غير قانون ونظام » أمعن النظر فى هذه الفقرة ، الى أن اعترف بقوله « بل اننا لا ننكر اننا فى بعض أيامنا أومعظمها كنا أوجلنا نتخذ كثيرا من النساء ، ومادام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب أن يكفل شؤن هذه النساء »

وعن مؤلف كتاب ﴿العشيقة الشرعية﴾ الذى حاز السبق فى مضمار الزواج فى فرنسا وغيرها وطبع منه أكثر من (٥٠٠٫٠٠٠) نسخة « انه ذهب الى أن يكون لكل رجل الى جانب زوجته خليلة تكون لها صفة قانونية فلا تحتقر ولا تمتهن فى نظر الشريعة أوفى نظر الرأى العام . قال : هذا هو الأمر الواقع اليوم فى آدابنا الاجتماعية ، ولم يبق علينا إلا أن نعترف بهذه الحالة وندخلها رسميا فى عرفنا » ✲ قلت من هذا علم أن القوم لا يأنفون من تعدد الزوجات ومعترفون باباحته الشرعية ولكنهم يطالبون بقانون يبيحه لهم بعد أن ذاقوا مرارة الاقتصار على زوجة واحدة ورأوا المفاسد الناشئة منه كالتعدد غير المشروع وأمثاله . هذا ولايخفى أن التعدد الذى يعيبه الجاهلون اليوم قد أباحه بالأمس المصلح الكبير فى النصرانية (لوثر) فسمح لأمير الألمان (هس) بأن يتزوج ثانية لأن امرأته كانت شوهاء ، و (ادوارد السابع) وهو من علمت أصدر فى أواخر أيامه منشورا يبيح فيه تعدد الزوجات ، وكانت أمه من قبل معارضة لهذا الرأى أشد المعارضة ، وسيأتى يوم يدرك فيه الناس فوائد التعدد [1] فيميلون اليه ميلة واحدة و يعترفون بفضل القرآن الكريم . انتهى ماجاء فى المجلة المذكورة

✲ ✲ ✲

فى يوم الثلاثاء (١٤) يناير ١٩٣٠ م سألنى أحد المدرسين بمدرسة عابدين الخيرية . فقال : قد حصل بينى و بين ناظر المدرسة جدال فى أمر تعدد الزوجات ، وأن الاسلام فى هذا ضد المدنية . قال وأنا أجبته بأن العدل اذا لم يتم فانه يمتنع التعدد بمقتضى الآية وهكذا . فقلت له أريد أن تسمع منى ما أقوله لك بعقلك وتتخلى عن كل مالديك من الآراء المحفوظة وتخلى بينى و بين عقلك وحده . ثم لتكن حرا فى أن تعترض بما تشاء والعقل هو الحكم . فقال أحب ذلك . فقلت أولا ان هذا المقام مستوفى فيما تقدم قريبا . فلندع هذا الآن ولأقل لك اعلم أن بنى آدم على وجه هذه الأرض قد وضع لهم نظام لا اختلال فيه وهو أن يكون الذكور والاناث متساويين وهكذا كل حيوان لأن اختلاف العدد خلل فى النظام . ولذلك تجد الناس فى كل بقعة من بقاع الأرض يكادون يتساوون فى عدد الرجال والنساء والذى يمنع هذه المساواة عوارض تعرض للحياة فتختل هذه الموازنة اختلالا يسيرا . قال نعم . قلت ان المسلمين أطلق لهم العنان فيما مضى فتزوجوا مايشاؤن . أتدرى ماذا حصل ؟ قال لا . قلت لم يعدوا من الرجال فى الاسلام إلا (٣) فى المائة أو (٥) فى المائة . وهذا القدر صغير جدا . قال نعم والله . قلت وهنا نسأل : اذا أراد رجل أن يتزوج امرأة فى أى قطر

(١) من فوائد التعدد تكثير النسل وتقليل الزنا والتكفل بمن ليس لهما كفيل والمحافظة على الأعراض عند ازدياد النساء وقلة الرجال وحفظ الزوجة الأولى لدى عقمها أومرضها مثلا . وأما قول ان التعدد ينغص العائلة فهو غير مقبول لأن قلب الرجل يسع التعدد سيما مع استعمال العدل المطلوب

من أقطار الاسلام فهل يجد امرأة يتزوّجها مع هذا التعدّد . قال نعم والله يجد . قلت فهل جاء في تاريخ الأمم أن الناس بحثوا عن النساء فلم يجدوا لأن الآخرين قد استحوذوا عليهنّ . قال كلا ورب الكعبة . قلت إذن المسألة واضحة تساوي الرجال والنساء عددا ولكن قد يموت بعض الرجال في الحرب أو بالمرض أولا يتزوّج الآخر للفقر فيلهم الله بعض الأغنياء الأقوياء أن يتزوّجوا بعض الباقيات . فقال هذا والله عجب . فقلت اذن النوع الانساني اليوم مقلد كالطفل . فلولا اتباع الانسان للتقاليد الجاهلة لم تبق النساء البائسات بلا أزواج في أمة من الأمم . فالمسألة كلها مسألة القسيسين الذين ملأوا الأمم صياحا والأمم لا تفكر بل تتبع آراءهم ولا يفكر إلا العقول الكبيرة عندهم (كما تقدم قريبا) فالنوع الانساني اليوم لا يزال في حال المراهقة وسيأتي يوم يعرف الحقائق . فقال هذا والله حق وليس لي عليه ردّ . فقلت الحمد لله رب العالمين . تمّ الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في معنى قوله تعالى — وخاتم النبيين — ﴾

(الجواب الكافي)

« وهو ما أجاب به (عبد الله كويليام) الانكليزي المهتدي للاسلام عن سؤال أحد علماء أوروبا في الشريعة المحمدية الغرّاء . وقد أتى في الجواب بالأدلة الفنية والبراهين العقلية على أن الديانة الاسلامية أكمل الأديان وأرجح الشرائع وناسخة لجميع ماسبقها وانه لن ينسخها شئ بعدها أبدا مادامت الأكوان وبقي الانسان »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ السؤال ﴾ ماهو البرهان العقلي والدليل الفني على أن الشريعة المحمدية أفضل الشرائع وأكملها وانها ناسخة لكل ماسلفها ولا ينسخها شئ بعدها أبدا

﴿ الجواب ﴾ لو أدمنا النظر ذات ليلة (وكان الهواء صافيا والجو من الغيم خاليا) في الفضاء الذي لا يتناهى لرأينا لأوّل وهلة شموسا تدور حولها سيارات كثيرة كمنظومتنا الشمسية . تظهر لأبصارنا من أبعد المواقع في هذا الفضاء تسير منقادة كل الانقياد للقانون المسنون لها لا تحيد عنه مادامت . فاذا انقضت تلك الليلة نرى الشمس تطلع من المشرق . وما أسرع ما تنشر أشعتها على هذا العالم فيتمثل بين تلك الأشعة صور متتالية بديعة الجمال ، ولو لفتنا النظر الى الكرة الأرضية التي نحن عليها ، التي اذا نسبت الى سائر الأجرام العلوية لا تكون إلا كذرة صغيرة ، نراها كتلة تألفت من البحار والأنهار ، من الأودية والبراكين والجبال ، من الصحارى والفلوات ، من الأتربة والمعادن والرمال ، من الأشجار والأزهار والأثمار ، من النباتات والجمادات وذوى الحياة من الانسان والوحوش والحشرات

وان عقل البشر على مابلغ من الارتقاء وماوصل من الدرجات العالية لعاجز عن اكتناه هذه الأجناس التي تألفت منها الكتلة الأرضية ومايعتورها من الأشكال والهيئات وقاصر عن ادراك حقيقتها لما بين أشخاصها من الاختلاف و بين خواصها ونفعها وضرها من التغاير والانحراف

كثيرا ما يكون جوّ السماء صافيا ، والهواء راكدا ساكنا ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب ثم تحيطنا بالأمطار حتى نظن اننا في وسط البحار ، واذا بحثنا في هذه الحادثة الجوّية وخصصناها بالنظر علة حصولها بمقتضى القواعد الفنية نرى أن حرارة الشمس قد مست وتدخلت برطوبة الأرض فتجعل تلك الرطوبات بخارا ثم تتصاعد تلك الأبخرة الى الجوّ كما هو شأنها وتجتمع وتتكاثف حتى تصير سحابا ثم تتحلل فتصير ماء وتتساقط مطرا ، وأيضا لما كان في بعض ذلك السحاب بالضرورة كهربائية سالبة وفي البعض الآخر كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الأجسام يحصل في الهواء من احتكاك تلك السحب بعضها ببعض صوت يقال له

الرعد

الرعد ، ولاريب أن الحكمة فى هذه التحوّلات والتركبات الجوّية هى حصول المطر لتزدان الأرض وتنشط الحيوانات وتروى النباتات وبالاجمال لتحيى الأرض بعد موتها . ولوأردنا أن نبين مافى هذا الفضاء الذى لانهاية له من العجائب والغرائب بيانا يشفى الصدور ونفصلها حق التفصيل لوجب علينا أن نملأ الأسفار . ولخرجنا عن بيان المقصد فيكفينا ماتقدم ذكره ، ولنرجع الى مانحن بصدده ، ماذا يخطر لنا عند مشاهدة هذه المصنوعات بما فيها من عجائب الترتيب وبدائع النظام ، لاريب أن أوّل مانجده فى نفوسنا هو الميل الى البحث عن مظهرها من العدم الى الوجود ، عمن جعلها منقادة وخاضعة للقوانين والسنن الفطرية التى لا يعتريها تغير ولا يشوبها خلل ولاتشويش ، عمن جعل كل فرد من أفراد هذه الكائنات مختصا وممتازا بخاصة من الخواص وسرّ من الأسرار الطبيعية ، عمن يحفظ على هذه الكائنات تأثيراتها وتأثراتها فى كل آن وزمان

فاذا سرنا وراء تلك الخواطر القلبية وتأمّلناها كل التأمّل ، فلا محيص لنا من أن نصدّق بالقلب والوجدان ونقر وننطق باللسان بأن مانشاهده من العوالم ومالانشاهده (ومالانشاهده أكثر) ليست إلا آثارا للذات المقدّسة ألاوهى ذات واجب الوجود جلت قدرته وعظم سلطانه وأن هذا التصديق ينادينا نداء بليغا ظاهرا وباطنا بقوله « ان ظهورى بين هذه الكائنات بين مالا نهاية له من الآيات البينات لدليل واضح على أننا من آثار قدرة ذلك الفاطر العظيم ، وبراهين جلية على وجود الخلاق الذى يفعل مايريد

وبعد أن ندرك وجود ذات الواجب على هذه الصفة نجد بأنفسنا سائقا وجدانيا يسوقنا لمعرفة كيفية تكون الكرة الأرضية التى نحن عليها ، وهنا نحسّ انه يجب أن نرجع الى الفنّ فقط إذ الفن انما هو قوانين وقواعد مستنبطة بالعقل الموهوب للانسان من القوانين التى اندمجت فى هذه الكائنات . فاذا رجعنا اليه رأينا أن مايوجد فيه من النظريات الفنية فى تكوّن العالم ترشدنا الى أن الخلاق الأزلى والموجد الحقيقى أوجد هذه الأرض من البخار فجعلها أمثالها نار يا واستمرت أزمانا كثيرة على حالها هذا تنتشر حرارتها وكانت حرارتها تنقص زمانا بعد زمان وكلما تناقصت الحرارة تبرّدت الأرض وكلما تبرّدت تكاثفت حتى حصل عليها قشرة وصارت صلبة على كرّ الأزمان ثم بدأ الخلق فيها فأوّل ماخلق النباتات ثم سائر المخلوقات وكان يعرض التبدّل والتغير على النباتات والحيوانات على مر العصور وتعاقب الأزمان فكما أن ازدياد تصلب الأرض يوما فيوما سبب لتناقص الحرارة فكذلك تناقص الحرارة سبب لتغير القوّة الانباتية . ولهذا التبدّل والتغير تختلف أصول الخلقة والقوانين الطبيعية دائما . نعم إن هذه الدعوى صحيحة فانه كما ان حياة المخلوقات التى وجدت فى بداية تكوّن الأرض الأرض مستحيلة بعد مرور عصور وأزمان على تلك البداية فكذلك حياة ماوجد من المخلوقات فى الأعصر البدائية خارجة عن حيز الامكان أيضا بعد ذلك فان مايعيش فى الماء من المخلوقات لا يعيش فى التراب ومايعيش فى التراب لايعيش فى الماء إذ ليس لها إلا ذلك الاستعداد وتلك القابلية التى وهبت لها وخلاصة القول أن أشكال طبائع المخلوقات ومهاياها كانت ولاتزال تتغير بتغير الأزمان والأحوال والأمكنة . ومما لامرية فيه أن المخلوقات بقسميها النامى والجامد خاضعة لناموس طبيعى فى تكونها ونشوءها ونموّها وتكاملها وبقائها وفنائها فلا يخطرنّ بالبال أن مايشاهد فى الخلقة من التكامل آنىّ . كلا [1] ان مايحصل جميعه ليس إلا تدريجيا وتابعا لناموس التكامل المسنون فى هذا العالم ومع هذا فلاريب فى فنائه اذا بلغ الغاية فى كماله لوجوب زوال كل شئ عند انتهائه . وفى هذا يقول الشاعر

اذا تمّ أمر بدا نقصه ✫ ترقب زوالا اذا قيل تم

فالشرع يقول لهذا الزوال « القيامة » والحكماء يعبرون عنه بالانقراض . ثم ان كل شئ اذا فنى وزال لابد أن يتكوّن ثانيا إذ ليس هناك ماتنعدم أجزاؤه كليا فانظنه قد فنى وزال من المخلوقات انما استحال شكله الأوّل وماهيته الأولى فيظهر فى شكل آخر وماهية أخرى . وأيضا فانه كما ان الأحوال الطبيعية التدريجية

(١) هذا هومذهب النشوء وقد أبطله علماء القرن العشرين (انظره فى أوّل سورة المؤمنون)

كالتكوّن والنموّ والمرض والموت تعرض للحيوان والنبات فكذلك تعرض تلك الأحوال للأجرام السماوية وهذا الذى يقول له أرباب الفنّ ناموس التكامل وبالافرنسية «ئه وولسيون» والانكليزية «ئه وليش»

والى هنا أكتفى بما ذكرته من المقدّمات لما للسائل الفاضل من التبحر وطول الباع فيها وماذكرتها إلا لتوقف الجواب عليها فأرجع الى القصد وأقول :

إن ظهور الانسان فى هذا العالم متأخر عن تكوّن سائر المخلوقات كما هو مشاهد لنا ومع هذا ينبغى أن لايرتاب فى أنه أشرفها وأفضلها خلقة وطبعا مادّة ومعنى إذ أن قانون التكامل يقضى بأنه أتمها من حيث توجه الأشياء نحو الرقىّ الى الكمال . فالانسان فى الظاهر جرم صغير وفى الحقيقة عالم كبير . الانسان مهبط السجايا القدسية وقطب الخصال البهيمية ومركز الخير والشر وقرارة الانس والوحشة فهو مجتمع الأضداد ومكمن الغرائب فهما كان الانسان مدنيا بطبعه لابد أن تقضى عليه حيوانيته باتباعه القانون الطبيعى ضرورة فلايتسنى له أن أن يعرج بنفسه من حضيض الذلة والوحشية ودرك السفالة والجهالة الى منصات العلم وذرى السعادة . على أن الانسان فى بداية الخلقة كان كسائر الحيوانات والبهائم متوحشا يضرب فى الأرض عارى الجسم مكتسيا ثياب الغفلة . الجهل رفيقه والعمى قائده . يتجوّل صباح مساء فى الصحارى والقفار . لايفقه من الحقائق شيأ . ولايفرق بين القبيح والحسن و بين الغثّ والسمين . تتجاذبه شهواته حيث توجهت فهو مغلوب لها خاضع لقيادتها . لايعرف الليل إلا بغروب الشمس ولاالنهار إلا بطلوعها ولايدرك ماهو الأكل والشرب والنوم والقيام والقعود . كان يتجوّل فى مواقع كثيرة وأمكنة متعددة من الأرض وهو لايدرك أين يتجوّل وأين يوجد وما هى ذاته . نعم انه كان يشاهد مالايتناهى ولايحد بالبصر من الصحارى والقفار والبحار وسائر الحيوانات والطيور لكنه لايفرق بين الحيوان والنبات و بين النبات والجماد و بين الجماد والانسان . ترى هل كان الانسان إذ ذاك يتخيل شيأ عند مايرى ماتمثله الأجرام السماوية كل ليلة من المناظر العجيبة والأشكال البديعة أوكان يلفت نظره مايراه من صور القمر حينما يظهر هلالا ثم يكون بدرا ثم يتناقص حتى يمحق ثم رجوعه الى منواله السابق أوكان يمعن نظره فيفكر فى كسوف الشمس وخسوف القمر ؟ كلا . انه لم يكن يدور فى خياله أو يخطر بباله شئ من ذلك . إذن ماذا كان يتصوّر الانسان ، وحول أى شئ كان يجول فكره ؟ انه كان لايفكر فى شئ سوى أن يفترس كل مايصادفه من الحيوانات الضعيفة ليدفع بها بلية جوعه وأن يهرب مما هو أقوى منه من الحيوانات لئلا يكون غذاء لها فيلتجئ الى الكهوف والمغارات ومقعرات الأشجار لينجو بنفسه منها ، ومع هذا لم يكن همه وفكره منحصرا فى ذلك بل كان لاينسى أيضا التعارف بمن يلاقيه ليسكن شهوته اذا ثارت عليه . وخلاصة القول انه كان لايتوانى فى التوسل بما يفضى الى قضاء حاجاته الحيوانية والشهوانية فكان لايحجم عن قتل أخيه الشقيق فى هذا السبيل . فيتحتم إذن احتياج الانسان لقانون آخر غير القانون الطبيعى ليهتدى به الى الصراط المستقيم فى معاشه و يصون من الخلل نظام حياته و يسلك أعدل السبل فى واجباته وكل شؤونه و يعلم علوّ شرفه على سائر الحيوانات ومكانة فضله فان الانسان من حيث هو حيوان ميال بالضرورة لاتباع الهوى وترتيب المكائد والحيل والكذب والظلم والعدوان وغير ذلك من الأخلاق المذمومة ، فلوترك الانسان وشأنه لبقى حليف التوحش أليف الجهل أبد الآبدين ودهر الداهرين لكنه اذا وجد من يرشده الى النافع والصواب فى أمره ، لاريب انه يصعد الى ذرى درجات المدنية لغلبة السجايا القدسية فيه على الطبائع البهيمية . إن كل ذى عقل سليم وفكر مستقيم يدرك مما سبق حتما أن مانشاهده فى عصرنا من الترقيات العظيمة ومانراه يوما فيوما من الاكتشافات الجديدة ، وماتحار فيه العقول من الاختراعات العجيبة ، ومالامتاز به الانسان على غيره من ادراك آثار الصانع المختار البديعة هو بقانون وراء القانون الطبيعى و بسائق غيره وهو الذى يقول له الحكماء «القانون المدنى» و يسميه أهل الشرع (الدين)

وقد

وقد اختار الحق تعالى أناسا (متصفين بوفرة العقل وجودة الفكر يفوقون معاصريهم بسلامة الفكر والتصوّر والعواطف الوجدانية و باتباع الحق والتزام الحقيقة) ليؤسسوا هذا القانون المدني و ينشروه بين البشر لحفظ سلامته واقامة سعادته . هؤلاء الرجال هم الذين أرشدوا البشر الى مايوجبه الزمان والمكان وتقتضيه المصلحة والحاجة ، هم الذين بلغوا بالبشر تدريجا الى مانشاهده من الأحوال المستحسنة والأخلاق الفاضلة ، هم الذين أخرجوه من الوحشة الى التمدن بقدر ما اختصوا به من الحسّ الصادق المتناسب باستعدادهم وما امتازوا به من القدرة ﴿و بعبارة أخرى﴾ بقدرما أوتوه من الوحي الإلهي والنور القدسي

فهؤلاء الرجال هم الذين يقال لكل واحد منهم « مؤسس المدينة » عند الحكماء ، ونبيّ لدى الشرائع والأديان ، ومن هذا يتضح أن الفنّ والشرع متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر ، فالشريعة مجموع فنون كثيرة لاتخالف الفن بل الفن شعبة منها

إن أوّل نبيّ أومؤسس للمدينة أتى ليسوق البشر الى نهج الهداية قد جعل فاتحة أعماله و باكورة ارشاداته الأمر بستر الجسم والنهي عما كان عليه الانسان من كشف البشرة وأكل كل مايصادفه كسائر الحيوانات ، وقد جدّ في سبيله حتى تمكن أن يسنّ عادة التستر بين البشر ولو بأوراق الأشجار و يحصر الغذاء عليها فان المجتمع البشري كان محروما إذذاك من كل حاجات المدنية ولوازم الانسانية فالمعامل مفقودة والصناعة والتجارة مجهولة ، فلم تكن الأقمشة والأصواف ولاشئ من المنسوجات ، ثم اتسعت الأفكار بمرور الزمان فوجد في الانسان قابلية التعلم والتعليم واستعداد لمعرفة الامور الحسنة ومنافعها ، فيأتي النبيّ الثاني والعالم في حاجة شديدة الى ظهوره فيوسع ماوضعه سلفه المحترم من القانون و يعلم البشر ماعجز عن ادراكه بعبارة أوسع من سابقتها فتتوسع ساحة الادراك حتى تصير أمة النبي الثاني تهزأ من الأمة السالفة كلما تذكرت وحشيتها وضيق ادراكها ، وهذا من أحكام التكملات الأرضية والترقيات الزمانية فانها تولد في الأفكار انتباها يعين النبي الثاني على تبليغ كثير من الأحكام وتلقين كثير من الحقائق التي لم يتسنّ تبليغها للسابق لعدم الاستعداد ، فاذا زاد توسع الأفكار على مرور الأزمان ينتظر ظهور نبي آخر ، فاذا أتى ذلك النبيّ سهل عليه تبليغ الأحكام التي لم يبلغها النبي السابق أيضا لضعف ادراك البشر حينئذ ومع هذا لم يكن مفقودا منه له قابلية الأخذ واستعداد القبول لما أتى به النبي إلا ان هذا الفريق كان لايجيب دعوة النبي لعناده وتمرده حبا في البقاء على التوحش والهمجية وهؤلاء هم الذين أطلقت عليهم الكتب المقدّسة اسم الكفار ، ثم يفيض العالم نورا بظهور النبي الرابع فيقسم الحيوانات لما يركب وما يؤكل و يأمر بقتل المضر منها و بترك غيرها على حالها ، وعلى هذا المنوال قد جاءت أنبياء كثيرة ساروا بالبشر تدريجا الى مانراه من الترقيات العظيمة وقطع المراحل في سبيل المدنية الفاضلة ، ولما جاء موسى عليه السلام اتسع نطاق المدنية بالنسبة للأزمان الغابرة وتكاثرت أفراد الجمعية المتمدنة ووجدت الصناعة والتجارة . وفي زمن عيسى عليه السلام تقدّمت الجمعية تقدّما يفوق ماقبله بالضرورة ، و يمكن أن يقال ان زمن هذين النبيين العظيمين كان متفوّقا على أزمان سابقيهم ، وهذا التفوّق لايحط من قدر الأنبياء السابقين ولامن شرفهم لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا يبلغون في زمن رسالتهم إلا ما كان ملائما لعقول المرسل اليهم فاذا أهمل أحدهم الأمر بشئ أوالنهي عنه ثم جاء نبي آخر وقرّر فيه حكما فليس من الصواب أن يقال ان النبي الأوّل حرّم ذلك الشئ أوحلله فان قال قائل لماذا إذن تركه ذلك النبي ولم يشرع فيه حكما وعلامَ نحمل ذلك ؟ أجبناه بأن عدم تكلم النبي الأوّل في أمثال ذلك الشئ لاشتغاله إذ ذاك بالأهم منه والأعظم نفعا ﴿مثاله﴾ ان عدم تحريم الخمر في زمان نبيّ وعدم النهي عن نكاح الأخت في زمان آخر لايدلان على أن الخمر حسنة مباحة ، وأن نكاح الأخت جائز عندهما ، وانما لم يرد النهي في ذلك لعدم استعداد القوى العقلية لادراك مضرّات تلك الأشياء فلو حرّم شئ منها قبل وقته لنجم عنه فتن عظيمة ومنازعات طويلة ومقاتلات

شديدة ولذلك لم تحرّم ولم تمنع حينئذ ، فلا يفهمن من هذا الكلام انا نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متساوون فضيلة وعرفانا ، فان من الحقائق التى لاتنكر أن بعضهم مفضل على بعض حيث كان تجدّد الزمان من العوامل فى نمّو وازدياد القوى المدركة ، فالنبيّ المتأخر أعظم تكاملا من السابق وهذا قطعى لاسبيل للارتياب فيه ، وقد يقول بعض من استولى عليهم الوهم واستسلموا له « ان الحق والسذاجة التى عند البعض فى عصرنا لهى أعظم وأشدّ منها فى بعض من كان فى العصور الأولى » فيقال لهم « إن هذا صحيح ولكنه لاينقض مدعانا فان الحكم دائما يكون على الأغلب ، فاستيلاء التوحش على مدينة لايقتضى عدم التمدن فى اقليم آخر وارتقاء المدنية وعدم خلوّ اقليم منها فى يومنا هذا هو ارتقاؤها من حيث العموم والافلاس المراد أن المدنية عمت كل مكان ولم يبق للتوحش أثر فى كل الجهات ، فانه لايستبعد وجود من هو أفحش توحشا ممن سبق فى الأعصر الخالية

ولما تشرف العالم بظهور سيد البشر (الذى هو الوسيلة العظمى ، والواسطة الكبرى ، لارتقاء الانسان الى أعلى درجات المدنية) محمد ﷺ أكمل للانسان حاجاته الضرورية على نهج مشروع وما أسرع ما وصل به الى أرفع مراتب السعادة ، إذ كل من ينعم نظره ويحكم وجدانه فيما كان عليه الانسان قبل بعثته ﷺ من الضلالة والغواية والسفاهة والجهالة ، ثم يتأمل فى حال الانسان وترقياته منذ البعثة لاشك انه يرى ما بين الحالين من البون العظيم والفرق الذى لايتأتى معه القياس والتقريب

نعم نعم ! إن محمدا ﷺ قد عرّف الناس بخالقهم وزجرهم عن عبادة الأوثان والشمس والنجوم والنار وما أشبه ذلك وهداهم الى سبيل النجاة والفلاح ، وكانت دعوته باللطف واللين تارة والعنف والشدّة أخرى حسب مايقتضيه الحال حيث كان بعض الناس المعاندين يستعمل أنواع التهديد مرّة ويحاربه أخرى ليثنى عزمه ويرجعه عن دعوته ، ولذلك كان النبى ﷺ يعامل بعضهم بالترغيب وبعضهم بالارهاب والتخويف كما توجبه المصلحة ويقتضيه الحال . فما لبثت أنوار المدنية الاسلامية أن سطعت فى جميع أنحاء العالم وأزاحت ظلمات التوحش عن كل ما وصلت اليه ، ولعمرى ان انتشار تلك الأنوار بسرعة برقية وتكاثر أتباعها فى أزمان قصيرة لمما أدهش أولى الألباب ، واذا بحثنا عن سر ذلك التقدّم السريع والنجاح العاجل لانرى له سببا إلا كون أوامر الاسلامية ونواهيها موافقة للعقل ومطابقة للحكمة ، فها هو القرآن المبين الذى كل كلمة منه عين الحكمة ، من ينعم نظره فى اعجازه وأسلوبه وبدائعه وأحكامه يرى نفسه مضطرا للحكم بأنه قد أنزل فى يومنا هذا رغما عن نزوله قبل ثلاثة عشر عصرا فانه بليغ معجز مع سهولته ومفيد لجميع ما يرمى اليه من المقاصد مع ايجازه ، وموافق لأساليب كل زمان ، ومهما ارتقت الكتابة وارتفع شأنها لايزال فى أعلى مراتبها ، يعلم ذلك كل من له دراية بالمزايا القرآنية ، وانه كما أعجز البلغاء وتركهم يتيهون فى مهامه الحيرة فكذلك قد جمع أسباب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا والآخرة ، ولو بحثنا فى الأحكام التى جاء بها وأدركنا ما فيها من المنافع والحكم لوجدناه جامعا لكل ما يحتاج اليه البشر فى بقاء حياته وتهذيب أخلاقه وبلوغه الكمال ، فهو يأمر بالأخلاق الحسنة والخصال العالية وبكل ما يكفل للبشر سعادته فى الدنيا والآخرة ، وللبيان أذكر نبذة من أوامره

يأمر بالعدل والتواضع وحسن المعاشرة والتعاون وحسن الخلق وترك المرء ما لا يعنيه وقدر النعمة حق قدرها والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واصلاح ذات البين والاحسان بالوالدين والترغيب فى طلب العلم والسعى وراء المعيشة وعيادة المريض وقبول النصيحة والاعتراف بالجهل واحترام أهل العلم واتباع الحق والتأنى فى الامور وملاطفة الأيتام ومجاملتهم واعانة المحتاجين وحب الخير والشجاعة والعفو والاحسان والاعتناء بالطهارة والنظافة واطاعة أولى الأمر وعدم المبالاة بالحياة الشخصية لأجل الحياة العمومية والحلم والصبر وعدم الغش وعدم الغدر والسخاء ومعرفة الحقوق والثبات عند مشكلات الامور والقناعة وحفظ الأمانة والتعلم والتعليم

والاستقامة

والاستقامة والعفة والصدق والمروءة وصفاء النية وعلو الهمة والاعتراف بالتقصير والاذعان للحق والانصاف والرأفة وصيانة العرض والشرف والدلالة على الخير وفصل الدعوى ومجانبة الهزل والسعي لتهذيب النفس وصلة الرحم وحفظ المحبة والوفاء بالوعد وايفاء الدين والشورى والتزام الحقيقة وتوقير الكبير والرأفة بالصغير وغير ذلك من الامور المستحسنة التي كل واحد منها ركن عظيم من أركان سعادة البشر

وأما مانهي عنه فهي الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة التي قد ثبت بالتجارب العديدة انها مضرّة بالانسان ومفسدة لمعاشه ومعاده ، ومن تلك المنهيات الزنا واللواطة وشرب الخمر وأكل الربا والظلم والغدر والكبر والحسد والبغض والحقد والحرص والكذب والغيبة والنميمة والرشوة وسوء النية وقتل النفس والعناد وعقوق الوالدين واكثار الكلام فيما لافائدة فيه والميل للقبائح والرياء والجبن واعانة الظالم والحيلة والغرور والغضب وكتم شهادة الحق وشهادة الزور والتجسس وسوء الظنّ والميسر (لعب القمار) والتفاخر وتطفيف الكيل والميزان واحتكار الطعام وعدم إعانة المحتاجين وقطع المودّة والتعادي والقذف في عرض الناس ونقض العهد وخلف الوعد

وفي القرآن أحكام أخرى جليلة لايمكن انكار فوائدها ، منها مايتعلق بسياسة الملك والدولة وعمران البلاد ورقيها ، ومنها مايحفظ أمن الرعايا واستراحتها ، ومنها ما يتعلق بتقسيم المواريث وايتاء كل ذي حق حقه ، وفيه أحكام غير هذه لم تكن في غيره من الكتب السماوية ، وأن كل ذي عقل واذعان يعلم أن أحكام الشريعة المحمدية واسعة بقدر سعة العقل وامتداد الفكر متكفلة بصيانة كل حقوق متبعيها أحياء وأمواتا .

وكم في القرآن من أحكام غامضة ومعان دقيقة ولما يكشف الفن نقابها رغما عما بلغه من الرقيّ ، ولم تستلفت تلك الأحكام أنظارنا فضلا عن إدراكنا ، وسبب ذلك أن عقول البشر لم تزل غير كافية لفهمها حتى اذا ارتقت الأفكار و بلغت كمالها واتسعت العلوم والفنون ووصلت غايتها لاريب انها تنجلي أيضا ﴿مثال ذلك﴾ حركة الكرة الأرضية لم يتسنّ لنا ادراكها وثبوتها إلا لازمان قريب من زماننا . والقرآن المبين قد رفع حجاب هذه المسألة قبل ألف وثلاثمائة سنة ولكنا معشر الانسان لم نكن لندرك تلك الحقيقة حتى كشفت بعد مامضت عليها العصور وتعاقبت القرون

وفي القرآن من أحكام حفظ الصحة ورعاية أسبابه ، ومن أحوال الأمم الماضية وأخبارها مايخوّل لنا الحكم عليه بأنه قانون طبي وكتاب تاريخي أيضا . فاذا قرأنا مافيه من القصص والحكايات نشاهد انه ذكرها بأبدع أسلوب وأعلاه بلاغة واعجازا وانه يؤثر على نفوس البشر تأثيرا لانجده في الكتب الأخلاقية والتاريخية والروايات الأدبية سواء كتبت بالعربية أوالتركية أوالافرنسية أوغيرها . وانه يصوّر الحقائق بكلام موجز كأن تلك الحقيقة مشاهدة وملموسة وغير ذلك مما يعلن أن هذا الكلام المعجز منزل من لدن حكيم عليم

ثم ان جلّ المباحث القرآنية لم توجد في غيره من الكتب المقدّسة وهذا أمر ضروري فان الانسان في تلك الأزمنة السابقة كان محتاجا لما هو أهم من هذه الأحكام بداهة ولم يكن من همّ المرشد حينئذ أن يشتغل بتبليغ غير ذلك الأهم حتى انه لو بلغ الأحكام المتأخرة لم يكن ليفهمها أحد فتبليغها إذن عبث وان كثيرا من المطالب الرفيعة والفنون العالية ذكرت في القرآن ولما تدركها العقول وستدركها مع ماحوتها من الأسرار على مرور العصور والأزمان . وقد ذكرت آنفا قاعدة تفيد أن قانون التكامل تدريجي ليس آنيا فيعلم بالضرورة أن القانون المذكور مفتقر الى كتاب سماوي كالقرآن الحكيم إذ شريعة النبي الأوّل أكملت بشريعة الثاني وشريعة الثاني بشريعة الثالث وهكذا حتى جاءت شريعة موسى فأكملت بشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم أكملت الشرائع السابقة كلها بشريعة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد ظهر أن شريعة موسى عليه السلام أكمل وأرجح مما سبقها وشريعة عيسى أكمل من شريعة موسى عليهما السلام فلم يبق مجال للشك

فى أن الشريعة المحمدية أكمل الشرائع السابقة وانها ناسخة لها . فقد أتى الانجيل بأحكام جمة لم تكن فى التوراة حيث كان بعدها ولهذا كان الانجيل أرجح من التوراة . وللسبب عينه كان القرآن أرجح من الانجيل فلو عكسنا القضية وزعمنا أن التوراة أرجح من الانجيل والانجيل أرجح من القرآن لجلنا أنفسنا كلفة القول بأن عقل البشر قد أصيب برجعة قهقرية . وبهذا القول الذى لايتفق مع المنطق نرتكب خطيئة لاتغفر ونظلم النوع البشرى رغما عما يدهش أبصارنا وعقولنا من الترقيات الجديدة والاختراعات الحديثة . ولهذه الأسباب كلها كان المتأخر ناسخا للمتقدم . وبموجب هذه القاعدة كانت الشريعة المحمدية ناسخة لكل ماتقدمها من الشرائع ولن تنسخ بشريعة أخرى فهى باقية الى الأبد . فان نسخ الشريعة بأخرى لم يكن إلا لأن أحكام الشريعة الأولى غير كافية لسد عوز البشر واحتياجاته التى يولدها الزمان وتزداد يوما فيوما . ومهما تكثرت حاجات الانسان وازدادت لوازمه فلايحتاج الى شريعة أوسع من الشريعة المحمدية

فقد ذكرت لك قسما من الأحكام القرآنية . ولوأنعمت فيها نظرك قليلا لرأيت أن حاجات الانسان ولوازمه المدنية مهما كثرت لاتخرج عن دائرة الأحكام القرآنية . فالقرآن كافل لكل احتياجات البشر فى كل عصر . وأن العقل البشرى مهما ارتقى وتكمل لايمكنه أن يخرج عن حدود الأحكام التى اشتمل عليها القرآن فأصبح من الضروريات اللازمة التى لامحيص للعقل عنها أن يتبع البشر الشريعة المحمدية الغراء فى كل زمان ومكان

وظهر مما قررناه آنفا ظهورا لاغبار عليه أن القرآن المبين قانون إلهى ونظام سماوى ومحكم أزلى لن ينسخ أبدا ولايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه وأن اتباعه فى كل زمان والعمل به فى كل مكان هو السعادة والنجاة والفوز والفلاح ومخالفته هى الذلة والمسكنة والخسران العظيم وأن من أتى به هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ . انتهى بالحرف الواحد من ﴿ رسالة الجواب الكافى ﴾ لعبد الله كويليام التى ترجمها الى العربية الاستاذ (زهدى الخماش) أستاذ علوم الدين بالمدرسة السلطانية فى (بيروت)

ويحسن بنا أن نلمّ بما كتبه المترجم الفاضل ترجمة لحياة المؤلف . قال

﴿ نبذة من ترجمة المؤلف ﴾

هو عبد الله ويليم كويليام الانكليزى المحامى بالمحكمة العليا (بمدينة ليفربول) يبلغ من العمر نحوا من الخمس والخمسين (حينئذ) نحيف الجسم ربعة وله ولدان اسم أحدهما بلال والآخر أحمد

نشأ الرجل بين المتمذهبين بمذهب (الوسيليان) وكان من رؤسائه وواعظا لشيعته ، كان يعتنى بالعلوم الرياضية ، وله الباع الطويل فيها ، وفى سنة ١٨٨٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية أصيب بمرض عضال جعله طريح الفراش نحو سنة ، فأوصاه الأطباء بالسفر الى (اسبانيا الجنوبية) لتبديل الهواء فتوجه الى (جبل طارق) ثم الى (طنجة) وأقام حينا من الزمان يشاهد محاسن الدين الاسلامى وصفاء المسلمين واخلاصهم ويتعلم العقائد الاسلامية فكان يزداد بالاسلامية حبا وشغفا كلما ازداد علما ، ولما رجع الى بلاده أخذ نسخة من القرآن مترجمة للانكليزية فكان يقرأها بتدبر وامعان ويقرأ كل مايصل اليه من الكتب الاسلامية ، فعلم علم اليقين أن الاسلامية هى الشريعة الحقة التى لاشك فيها ولاارتياب ، ولم يعجل فى اعتناقها بل أخذ يبحث فى الشرائع الأخرى وذلك مما زاده إيمانا ويقينا ، فصمم على اعتناق الاسلامية إلا انه كان يحول بينه وبين ذلك كثرة العيال وما أهمه من الأشغال ، ولما تمكنت تلك العقيدة من نفسه وخالطت حلاوة الايمان مجامع قلبه فاتح أحد أصدقائه بما عزم عليه ، فأجابه ذلك الصديق « إن كنت تأنف أن

تعتقد

تعتقد بالثالوث وأزمعت على تركه فادخل فى مذهب الموحدين من النصارى » فقال له . كلا ! انه يتعذر على الوقوف بمنتصف طريق التوحيد ولابد لى من ترك النصرانية بتاتا ، فاعتنق الاسلامية وأقر بالشهادتين ، وأفشا اسلامه بين أقربائه وذويه فسخروا منه وزعموا انه مجنون ، ثم جعل ينظم أحوال معيشته على القواعد الاسلامية ، ولم يأل جهدا فى دعوة بنى جلدته الى طريق الهداية والسعادة الى الفوز الأبدى والفلاح السرمدى فهدى الله بدعوته من ألهمه الاجابة . ولم يزل يشتغل بالدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ولما اجتمعت كلمته مع من تبعه اتخذوا لهم مسجدا لاقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين وهو الآن شيخهم ومرشدهم . ولما اتصل نبؤه بالخليفة الأعظم دعاه اليه وأناله من التفاته ماقرت به عينه وثلج صدره وقد اجتمع بمشاهير العلماء والأفاضل بدار السعادة . فكل هنأه بما ناله من السعادة والمجد باهتدائه لهذا الدين المبين . ثم رجع الى بلده (ليفر بول) ولم يزل عاكفا على الواجبات الدينية والشعائر الاسلامية . وقد ترجم محمود أسعد أفندى زيد فضله كتاب ﴿دين الاسلام﴾ للموى اليه . فقال بعد ماذكرنا من ترجمة حاله « وقد شاد المسلمون هناك مدرستين اسلاميتين إحداهما للذكور والأخرى للاناث يقبل فيهما كل من يأتى من أطفال المسلمين من الخارج بأجرته ولهم مجتمع منتظم فيه رئيس وأعضاء ولهم أئمة وخطباء ومؤذنون ويجتمعون فى كل سنة اجتماعا عموميا ينتخبون فيه من يستخدمونه فى مصالحهم . وفقهم الله أجمعين لما فيه الخير والصلاح انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير »

* * *

من آثار كونه ﷺ رحمة للعالمين (١) أن دين الاسلام لايبيح أن يفضل أحد أحدا إلا بالتقوى . أما الأنساب فلا (٢) وأن أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام فارتقوا ، وسترى مثل ذلك فى ﴿سيرة موسى بن ميمون﴾ و ﴿اعترافات جاسوس﴾ أو ﴿ثلاثون عاما فى الاسلام﴾

الانسانية الآن جاهلة متعصبة لكل شئ حتى للون . ألم تر الى ماجاء فى جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ معاملة الزنوج فى لندن ﴾

عاد المستر (ابوت) صاحب الجريدة اليومية فى (شيكاغو) وهو زنجى واسع الثروة الى الشكوى من معاملة الانكليز لغير البيض فأبرق الى المستر (مرلى) العضو البرلمانى يشتكى انه منع هو وزوجه من حضور حفلة على ظهر إحدى البواخر البريطانية فى دعوتهما الى أمريكا . وقال المستر (مرلى) إن عددا معلوما من غير البيض كلفوا أخيرا أن يخرجوا من حفلة راقصة فى لندن فرفعوا شكواهم الى (اللورد باسفيلد) وقد صمم المستر (مرلى) أن يثير هذه المسألة فى مجلس العموم . وقال انه ورد عليه كتاب من (المستر مكدونلد) عن مسألة تحريم الفنادق على المستر (ابوت) الصحفى الزنجى قال فيه مانصه « إن هذا من الامور المزعجة جدا ولا تتفق مع العادات المرعية فى الفنادق البريطانية ، ولكنى لاأرى أية مصلحة من مصالح الحكومة مسؤلة عن هذا الأمر ولست قادرا أن أجد أية طريقة تخول الحكومة حق التدخل » اه

فأين النوع الانسانى الجاهل من قوله تعالى ـ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ وقد أذن بلال فى الكعبة بمحضر قريش عند فتوح مكة بل أين هذا النوع الانسانى الكافر بالنعمة من النعجات والكلبات والثيران والحمير فانها تعيش معا ولاتبالى باختلاف الألوان ، فاننا نرى الهرة والكلبة والنعجة والحمارة والبقرة ذوات اللون الأبيض تصاحب القط والكلب والحمار والخروف والثور ذا اللون الأسود أو الأحمر فلاملازمة بين الألوان والأخلاق ، إذن هذا

الانسان جهول كفار ، نسى الفطرة فذكره الله بالاسلام وأصبح المسلم فى مصر لا يفرق بين لون ولون فى صلاته ومجالسه ، إذن النبى ﷺ رحمة للعالمين والانسان جهول كفار ، وأما كون أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام وارتقوا فهاك منه مثلا وهو ماجاء فى جريدة المقطم تحت العنوان التالى وها هوذا

﴿ موسى بن ميمون ﴾

(رسالة الحاخام الاكبر)

انى مغتبط بان أوفق الآن الى تحقيق الرغبة التى أبداها أحد الافاضل فى المقطم فى الاطلاع على نبذة من حياة موسى بن ميمون وسيرته وها أنا أبر بوعدى السابق موجزا مقالى على قدر الاستطاعة ذلك لان الشروع فى بحث أصله ونسبه يؤدى حتما الى بحث حياته الشخصية وعلو أخلاقه ومكنونات صدره وحدة ذهنه وعلومه وآدابه ثم تأليفه وتأثير كل ذلك فى الهيئة الاجتماعية وهذه كلها من الامور التى يتعذر شرحها فى مقال واحد مهما روعى الايجاز والاختصار ، فقد كتب عنه أكثر من مائة وخمسين عالما من اسرائيليين وغير اسرائيليين ولو جمعت كل الكتب التى أتى ذكره فيها لتألفت منها مكتبة كبيرة . ولذلك أترك جانبا كل مايختص بالوجهة الاسرائيلية من تعاليمه ومؤلفاته ، وهذا ليس بالشئ القليل بالنسبة لما فى علومه الدينية والفقهية من الاهمية وأقتصر على الكلام عن المكانة العليا التى بلغ ذروتها فى تاريخ الفلسفة ولاسيا تأثير الآداب الاسلامية فيه باتصاله بعلماء الاسلام المعاصرين له مكتفيا بذكر الدور العظيم الذى مثله هذا العالم الجليل فى القاهرة مدة (٣٧) سنة بصفته حجة دينية ورئيسا روحيا للاسرائيليين وطبيبا فى البلاط الايوبى والمجتمع البشرى

(أصله ونسبه)

ولد أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله يوم (٣٠) مارس (١١٣٥) م . فى مدينة قرطبة عاصمة الامويين باسبانيا وتوفاه الله يوم (٢٠) ديسمبر ١٢٠٤ فى مدينة القاهرة . و بعد أيام من وفاته نقل جثمانه الى مدينة طبريا بفلسطين حيث دفن . وقد حفظت التقاليد الاسرائيلية أسماء أجداده حتى السابع منهم وأسماء ذريته حتى النسل السابع فيهم . و بين محفوظات الاسرائيليين الأثرية فى القاهرة مخطوط على جانب عظيم من الأهمية كتب بالعبرية والعربية وفيه ذكر لأحد أفراد ذريته من الجيل السابع يدعى داود ميمونى كان يجده صاحب الترجمة رئيسا روحيا للطائفة الاسرائيلية فى القاهرة سنة (١٤٠٤) م و يغلب على الظن انه هو الذى قصد فى أواخر حياته الى دمشق الشام ليستوطنها مع عائلته

و بعد ذلك تشتتت تلك الذرية فى انحاء مختلفة . فقد ورد فى التاريخ ذكر اسمين أحدهما عالم يدعى ميمون الفاسى نسبة الى فاس وذلك فى سنة (١٤٣٨) والآخر فى سنة (١٥٦٨) كان عائشا فى بلدة مورانو بايطاليا ويكنى بالباز وفى أيامنا هذه نرى عائلات اسرائيلية كثيرة من أصل أسبانى تحمل هذا الاسم الا أن كلمة الميمونى لم تكن فى الاصل اسما لعائلة بل لشخص . فوالد صاحب الترجمة كان يدعى ميمون بن عباديا أى عبد الله وكثيرون من اسرائيلى المغرب والجزائر يدعون بهذا الاسم كميمون الدهان وميمون البريل . والثابت عن اسلاف الميمونى انهم كانوا قد رحلوا من مراكش الى قرطبة مع غيرهم من الاسرائيليين ، وكان ذلك فى عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث

(صباه ودروسه الابتدائية وأسفاره)

تولى والده تربيته وتثقيفه وكان منذ حداثته يبث فى نفسه محبة العلم . ثم سلم زمامه الى أشهر الاساتذة فى قرطبة . فكان يدرس أصول الدين الاسرائيلى على أساتذة اسرائيليين والعلوم على أساتذة مسلمين . وكانت العربية والعبرية لسانه القومى . وعدا تضلعه من العلوم العبرية يدرس العلوم اليونانية والعربية والرياضيات

والطبيعيات

والطبيعيات والطب والفلسفة . على أنه لاسباب سياسية اضطر والده للهجرة مع أسرته فغادروا قرطبة أيام كان صاحب الترجمة فى الثالثة عشرة من سنيه . و بعد أن تجولوا مدة اثنى عشر عاما فى مدن الاندلس عقدوا النية على التوطن فى مدينة فاس سـنة (١١٦٠) فقصدوا اليها واذ لم يجدوا فيها راحتهم شدّوا رحالهم الى فلسطين ومنها الى الاسكندرية حيث أقاموا شهورا ثم جاءوا الى القاهرة واستقروا فيها . وكان صاحبنا قد بلغ الثلاثين من سنيه . على أن كل هذه الاسفار وما كان يتخللها من مشاق وأخطار فضلا عن العـذاب المادى والادبى الذى كانوا عرضة له فى كل آن . كل ذلك لم يوقف صاحب الترجمة عن متابعة سيره نحو الغاية العلمية التى كان يسعى لها . فحياته من هذه الوجهة يجدر تشبيهها بحياة ابن سينا كما انها من حيث الجهود والتأليف والشهرة أشبه شئ بحياة الغزالى . وبالفعل انه لم يبلغ العشرين من سنيه الا وكان قد ألف كتابا فى التقويم الفلكى وكتابا آخر دعاه : مقالة فى صناعة المنطق

أما مؤلفاته العلمية فيمكن حصرها فى ستة أقسام وهى :

(١) علم التفسير
(٢) علم الفقه
(٣) علم الكلام
(٤) الفلسفة وعلم مافوق الطبيعة
(٥) علم التصوّف أو الاخلاق
(٦) الفتاوى والرسائل

﴿علم التفسير وعلم الفقه﴾

لانتعرض لبحث مذهبه فى علم التفسير العبرى لان ذلك من الموضوعات التى تهم رجال التفسير الاسرائيليين دون سواهم . الا أنه لامندوحة من القول أنه التزم فى كل تآليفه خطة الوضوح والدقة فى التعبير وهى الخطة التى ينبغى أن تتوافر شروطها فى علم العقليات . أما فيما يختص بعلم الفقه فبوسعنا أن نقول انه كان أول مهندس شرعى فكر فى ترتيب وتبويب جميع أقسام التشريع الاسرائيلى وقد كانت حينذاك مبهمة ومختلطة بموضوعات أخرى لاعلاقة لها بالتشريع وواردة فى التلمود وهو سفر مؤلف من ستين جزءا عدا التفسيرات الكثيرة . فقد كان كالمهندس يبدأ بوضع رسم البناء ثم يقسمه الى طبقات ومساكن وغرف بحيث يتيسر للزائر الدخول والخروج من غير صعوبة . وكانت هذه خطته فى تأليف كتابه الشهير المعروف باسم «اليـد القوية» وهو مولف من ١٤ جزءا و يقسم الى فصول و بنود وأبواب ولغزارة مادته وتضلعه فى جميع العلوم واكتسابه شهرة عظمى لقب بالمنور الغربى والنسر الاكبر كما لقب الغزالى بحجة الاسلام . والان نشرح للقارئ المسلم الكريم مكانة هذا العالم الكبير فيما يختص بعلومه الدينية والفلسفية والاخلاقية

﴿علومه الدينية وفلسفته﴾

ان هذه العلوم مع شدة اتصالها بعلم التفسير مرتبطة به كل الارتباط لانها ترجع فى أحكامها وأدلتها الى النصوص المقدسة . فانك تجد فى كتاب «أنوار التنزيل فى اسرار التأويل» للبيضاوى المبادئ الدينية كما تجد مبادئ الزمخشرى فى كتاب الكشاف فيما يختص بالعلوم الدينية والفلسفية والعقلية . وتعلم أيضا من أبحاثه فى كتابه «دلائل الحائرين» انه وقف على اسرار فلسفة أفلاطون وارسطوطاليس وعلى علوم الصوفية واخوان الصفا وأصحاب العدل والتوحيد وانه لم يخف عليه شئ من مبادئ هذه الفرق . واذ تراه يذكر الزمخشرى فلا بد من الاعتراف بانه كان مطلعا كل الاطلاع على كتاب الملل والنحل . كذلك فى كتبه التى يبحث فيها عن المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء . ومن الأمور التى تستوقف الأنظار وجود شبه كلى بين مؤلفاته ومؤلفات الغزالى

من حيث الاسماء والموضوعات ففى كتابه « مقالة فى التوحيد » تجد شبها بينه و بين كتاب « العقيدة » وكتابه « دلالة الحائرين » كثير الشبه بكتاب « المنقذ من الضلال » وكذا مقالاته فى الاخلاق . انتهى الكلام على موسى بن ميمون

☆☆☆

أما ما جاء فى « مجلة المرشد » فهذا نصه

(اعترافات جاسوس)

أو

(ثلاثون عاما فى الاسلام)

ندبت الحكومة الفرنسية فى القرن الماضى المسيو (ليون روش) ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر الجزائرى وأوعزت اليه أن يتظاهر عنده بالاسلام وأن يتوصل الى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته . ففعل ذلك ونجح وأقام فى ديار المسلمين ثلاثين عاما تعلم فى أثنائها اللغة العربية وفنونها والاسلام وعلومه ، واختبر الأوطان الاسلامية المهمة (الجزائر وتونس ومصر والحجاز والقسطنطينية) ثم ألف كتابا اسمه (ثلاثون عاما فى الاسلام) قال فيه ما نصه

« اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت فى الحيلة فوثق بى الأمير وثوقا تاما واتخذنى سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين (الذى يعيبه الكثيرون منا) أفضل دين عرفته ، فهو دين انسانى طبيعى اقتصادى أدبى ، ولم أذكر شيأ من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل انى عدت الى الشريعة التى يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف فى عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب ، فالمسلم بسيط لا يظنّ بأحد سوأ ، ثم هو لا يستحل محرما فى طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين ، ولقد وجدت فى الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الأولى فى قول القرآن — إنما المؤمنون اخوة — فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية فى فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية . إن الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم و يفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم فى كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرّفون كلمه و يمسخون جماله ويدخلون عليه ما ليس منه ، وانى تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين فى الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين و بأن لا ينزعوا الى الثورة و بأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس . وكل ذلك لم يكلفنى غير الآنية الذهبية » اهـ

☆☆☆

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — ولكن رسول الله وخاتم النبيين — مع قوله فيما سيأتى — ياأيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ☆ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا — ﴾

أقول : ومن شأن السراج المنير وهو الشمس أن تعمّ أشعتها ، ويضمّ الى ذلك آية — ياأيها النبىّ إنا أحللنا لك أزواجك — الخ وانما جعلنا هذه الجوهرة مشتركة فى هذين الموضوعين موضوع عموم شريعته وجواز تعدّد زوجاته فوق الأربعة لأن ذلك كله جاء فى المقال الذى عنوناه بهذه الجوهرة من كتاب العلامة (الكونت هنرى دى كاسترى) المسمى « الاسلام . خواطر وسوانح » قال تحت عنوان الفصل السادس ما نصه

انتشار

(انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية)

تخطيط ممالك الاسلام . انتشاره فى أفريقيا الوسطى . تجار المسلمين ومستكشفو الاوروباويين الاسلام فى مبدئه و بعد ذلك . أسباب الانتشار . المرسلون المسلمون . الفولبوسيون والخواصه أسباب انتشار الاسلام الإلهية

قد كشفنا الغطاء عن العلل التى انتحلوها سببا فى انتشار الاسلام انتشارا عظيما و بينا فسادها ووعدنا ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن تقدمه فى هذه الازمان لانا نعتقد ان استطلاع حال هذا الدين فى العصر الحاضر لايبقى أثرا لما زعموه من أنه انما انتشر بحد الحسام كما فندناه من قبل ولو كان دين محمد ﷺ انتشر بالعنف والاجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لانزال نرى القرآن يبسط جناحيه فى جميع أرجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة فى هذه الايام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الذى جاء موافقا لطبيعة البشر . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعا لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التى كانت تأخذ بالنفوس فى دمشق وقرطبة و بغداد وأنه انقضى بانقضاء ذلك قال (بارتلمى صانت هيلير) ماعاد أحد من الناس يعتنق الاسلام . والواقع أنهم أخطأوا فى معرفة حقيقة الامرين انتشار الاسلام وتمدن العرب فأما التمدن فهو أمر يعتبر لغوا فى الاسلام أو هو نقيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب القرآن ولو أنه استمر لاطفأ نور دين النبى العربى بسقوط الامراء فى مهواة عدم التصديق وقلة الايمان وانحياز الأمة الى عالم التخييل والاوهام . و بينما كان هذا حال مدن الخلفاء الآهلة بالعمران فلا تحصى شعراؤها ولا تعد الأدباء وفيها الفلاسفة يتناظرون والعلماء فى المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا وافريقيا محتفظة على الدين الاسلامى فى كماله الأصلى ولم تمسسه فيها يد أجنبى عن تعاليمه أوخارج عن شرائعه هنالك كان منبع رسل ذلك الدين الذين انتشروا فى الاصقاع كما تدل عليه قبورهم البيضاء التى نشاهدها الآن فى افريقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا فى انتشار القرآن على قارة افريقيا وانما نذكر على سبيل العرض أن له فى الصين عشرين مليونا [١] من النفوس وأن للمسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة علية فى المملكة الوسطى قال موسيو (وأزيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام فى تلك النواحى ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياموني) [٢] وان لمسلمى المملكة السماوية اعتقادا جازما بان الاسلام لابد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة البودية وهى مسئلة من أهم المسائل اذ الصين آهلة بثلث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييرا عظيما فى حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر الهادى و يخشى على الدين المسيحى مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامى ذو البأس القوى لخشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها [٣] وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لامحالة على غيره من الأديان التى تتنازع البلاد الصينية [٤] والاسلام قليل فى أوروبا ومع ذلك نراه فى شمال تركيا الى ليطونية وهو أيضا

---

(١) كلا . بل هم ٧٠ مليونا الآن (طنطاوى جوهرى)

(٢) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس فى التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم أوالمتنور ووضع المذهب الذى اتخذته الصين والهندديننا وكان ظهوره فى القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل فى القرن السابع وهو الارجح

(٣) راجع كتاب موسيودابرى المسمى الديانة المحمدية فى الصين وتركستان الشرقية المطبوع فى باريس سنة ١٨٧٨

(٤) راجع مجلة تاريخ الديانات فى شهرى مايو و يونيو سنة ١٨٨٣

فی أمریکا حیث أدخله الزنوج وغیرهم الا أن افریقیا لاتزال بلده المصطفاة فهوفیها کالدیانة المسیحیة فی أوروبا قال موسیو (بولنیاك) یسکن المسلمون جمیع الشواطئ من (سیراالیون) الی موزنبیق البرتغالیة مارا بمراکش وولایات البربر (المغاربة) وقنال السویس وأما فی الوسط فیمتد الاسلام من البحر الاحمر الی المحیط الاتلانتیقی ومنه الی البحر الابیض المتوسط الی الدرجة السادسة من العرض الشمالی وتقدم أنه فی الساحل یمتد الی موزنبیق البرتغالیة أعنی أنه یقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبی وفی (مدغسکر) کثیر من المسلمین حتی ان بعض المستشرقین ذهبوا الی أن اسم الجزیرة (مدغسکر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسیو (مونطیط) وأکثر انتشار الاسلام فی افریقیا فهو یتقدم فیها تقدما سریعا و ینجح نجاحا کاملا لان أزر المسلمین فیها مشدود بمالهم من المکنة فی الجهة الشمالیة وهم آمنون علی سلطتهم الدینیة فی تلك البقاع التی تغیب فی الصحراء حتی تبلغ بلاد السودان الواسعة فلاینازع الدین الاسلامی دین غیره لذلك یکثر عددهم و ینمو الدین علی الدوام

وقد تخطی سیره السودان واشرأب نحو أرجاء خط الاستواء وکان له مقر یقرب من أملاك فرنسا فی بلاد النیجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وان کانت معرفة سطحیة ولکننا لم نقف علی سیره تماما الا عندما استولینا علی الکونغو وشاهدنا القوافل الاسلامیة تهرب أمامنا کمن یرید أن یخفی سرا عن أجنبی والمسلمون الیوم محصورون بین أملاکنا فی شمال أفریقیا ومراکز نافی الکونغو وسنغال حتی کأنهم فی قراصة نشدها أو نفسح فیها حسب ماتقتضیه سیاستنا

ولانتشار الاسلام فی وسط أفریقیا منبعان الاول فی الغرب وهو قدیم امتد أثره الی الشاطیء الاتلانتیقی حیث دخل القرآن واعتقده سکان تلك الجهات ولکنه انثنی أمام تقدم الفرنساویین من ناحیة سنغال الی بلاد النیجر ولم یزل ینثنی آنا فآنا حتی خرج من (تنبکتو) وهی منبعه الاصلی الی (سقطو) ومنها الی (کانو) ثم الی (کوکا) والظاهر أنه استقر فیها وأما المنبع الثانی ففی الشرق وهو حدیث العهد و یصل أثره بین (ودای) ودارفور بمحرکین هما المهدی ورئیس الطائفة السنوسیة و یفصل بین هذین المنبعین أنهار (شاد) و (اشاری) و (لوغونی) الجنوبیة وأهل الشرق أهل حروب متعصبون أمام قوم الغرب فیمیلون الی التجارة والمسالمة وکان الفریقان یتقدمان بالاسلام بین الوثنیین المجاورین لهم علی امتداد اثنی عشر ألف کیلو متر حتی تلاقوا بالفرنسویین قبیل الکونغو نواحی نهر شاد فلم تقر أعینهم لهذه اللقیا لأنهم کانوا هجروا البلاد التی هاجمها الکفار وظنوا أنهم یأمنون لقاءهم فی الجنود فلایجدون غیر الوثنیین ممن لم یعرفوا للاوربیین خبرا و یقال ان الاوربیین الذین التقوا معهم أتوا من أقطار بعیدة فی الجنوب حیث تمت لهم فیها السیادة ولهم فیها مراکب ومدرعات تروح وتغدو فی أنهار واسعة تجری من الشرق الی الغرب

ومن الامور ذات الاهمیة الکبری بالنظر الی انتشار الاسلام توسط الاوروباویین فی أفریقیا وحلولهم فی نهر الکونغو لانهم بذلك قسموا القارة الافریقیة من طرف الی طرف وربما یخشی علی حرکة الاسلام الذی کان یمتد رویدا رویدا مطمئنا من الشمال الی الجنوب کما یخشی علی التجارة التی کانت تروح وتغدو مع القوافل الاسلامیة فینعکس مجراها فتمیل الی الغرب نحو نهر الکونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمین بهذا الامر اشتغالا لامزید علیه حذرا من انقلاب الحال فی تلك البلاد ولقد یفید المتأمل أن یعرف کیف کانت نتائج مقابلة الاوروباویین القادمین من جهة الکونغو مع المسلمین النازلین من السودان لولا أن هذا البحث یبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر علی البحث عن العلة فی حیاة الدین الاسلامی تلك الحیاة القویة وما السبب فی انتشاره هذا الانتشار العجیب

وهنا یجب البحث فیما اذا کان الاسلام دینا عمومیا بطبیعته أوهو دین خاص بامة من الأمم وهو بحث طرق بابه من قبل (موسیو کینان) والجواب علیه صریح لاشك فیه من الجهة العلمیة فالاسلام دین عام بغیر شبهة

لاننا

لأننا نشاهد المسلمين فى كل أمة على اختلاف الأجناس والبلدان فمنهم الشرقى والتترى والفرنى والهندى والزنجى بقى علينا أن نعرف مع (موسيو كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين أو متولدة من أسباب أخرى وهو يرى أن الأمة العربية ليست مهده الطبيعى وانما هو ينتهى اليها وليس فى طبيعة هذا الدين انه دين عمومى وهو قيد ناشئ عن نظر فى الموضوع من احدى جهاته فقط لان الدين الاسلامى الذى منشؤه القرآن والسنة هو الذى تولد عنه ذلك الاسلام الذى يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لامحالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية حصل تدريجا بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والأمم المختلفة التى اعتنقته بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو فى أصله وتأثيره بعد أن صار كما نراه فى هذه الايام فلا يغضبن (موسيو كينان) اذا حذفت تقسيمه الاسلام الى أولى ولاحق وقلت فيه كله كما قال فى كتابه انه دين عمومى على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضا خاصا بالدين المحمدى بل تشترك فيه جميع الاديان

فما يعزى الى حالة الاسلام الحالية انتشار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء و بعض الأموات وكثير من التعبدات الأخرى ، وسببه أن المرء طماع فى الدين باصل الخلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار ارضاء لشهوات تشتد ظهورا كلما تقادم العهد عليها ولم ينتج الاسلام من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه ولكنه أيضا سبب من أسباب تناقضه لان تلك المذاهب تخالف مبدأه ولقد تجد النفوس التى رفعت أعنتها الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس ورغبت فى مشاهدة الحضرة الربانية طريقا مسلوكا فى مذهب التصوف يسهل عليها النسك والتعبد وقلما يلومهم بعض المتشددين من العلماء وان كان التزهد بهذه الصفة أى الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد . ومن الناس من يرى نفسه بعيدا عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو فى بعض الأحيان غريب (كقوله إلهى ارزقنى من الأبناء ذكورا ولاتجعل ماشيتى تلد الا اناثا) ولمثل تلك الافهام وجد فى الاسلام مذهب الواصلين والذين صار بيدهم توزيع كثير من المبرات فى اعتقاد العامة واليهم صار يرحل الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ نضب عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن لرأينا التصديق بالاولياء غير شرعى ولوجدنا أن النبى ﷺ حرم الاعتقاد بهم — والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون — والواقع أن الاسلام فى مبدأ ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الأحد وقد بقى هذا المذهب كما بدا فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهى كل اعتقاد

ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالمحارب يموت شهيدا والعالم يكتفى بتلاوة القرآن والاثنان مقبولان عند الله وللفقير مكان علىّ وللغنى درجة رفيعة

ولقد كان فكر النبى فى الألوهية من أرفع الأفكار وأسماها ولكنه تساهل كثيرا فى تقدير الانسانية لذلك تسامح الناس كثيرا فى رغباتهم وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد و يعبد الله ولكن لايجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الاليم ليقهرها اذ لاينبغى له أن يطلب لنفسه الكمال ولن يصل اليه لان من أراد الكمال فكانه أراد أن يساوى الاله فى جلاله وهو أسوأ الأعمال وأخبث الرغبات وكان رسول الله يميل الى بعض مايميل الناس اليه من المشهيات فكان يقول على أسلوب بسيط (حببّ الى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة) ولقد يعسر الجمع بين هذا التفضيل و بين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى فى الأمر تهكما ولكن هذه الجملة لاتحتوى فى الحقيقة على معنى خفى بل ما يفهم من لفظها هو الذى قصد منها ومن وعاها فقد عرف الاسلام كما ينبغى وقد ورث المسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فللصلاة فى قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها عندهم خاصا بالنساء والأطفال كما هو عند المسيحيين بل هى مزية من

مزايا الرجال واحدى جهات تفضلهم على النساء ولايواظب عليها الصبي أوالمرأة الانادرا لاعتبارها عندالمسلمين من أعظم الأمور التى تلزم فيها صفات الرجل التام (١)

ومع ذلك فمن الشهوات مانهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون فى العمل بهذا النهي فكان من وراء ذلك أن نجت الأمم الاسلامية من مرض المسكرات وهى الداهية التى تفجع اليوم أمما كثيرة من المسيحيين وكانت احدى الاسباب فى اضطراب المجتمع الانسانى وظهور مذهب الفوضويين مما تجهله الأمم الاسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات فى كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئا مما يشتهون وأعظم عامل فى انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود فى القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهمج كثيرا الذين لم يعرفوا دينا من قبل ذلك. دينا لااسرار فيه وكلمته أى كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلما وجد الرجل الجاهلى أمامه دينين متحدين فى حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى تراه يختار الدين الذى لايزيد شيئا عن تينك الحقيقتين ويعتنق الاسلام بلا محالة وهى قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية فى الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ فى كتاب القس (ماراشى) الذى سماه (الرد على القرآن) «ولايغيبن عن ذهن القارئ ان تلك الطائفة الشريرة أوالخرفة أوماتشاء من الاسماء لاتزال حافظة لكل مافى الدين المسيحى من الامور الظاهرة الوضوح القريبة التصديق مضافا اليه مايوافق نظام الكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجى الانجيل التى تخالها فى أول الامر غير صحيحة لاتدركها العقول كما أنه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشتد بها الخناق على البشر مما جاء فى ذلك الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بأنهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب فى أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم فى أيامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية»

بقى علينا أن نستقصى الاسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضا نجد سببا عظيما من أسباب انتشار القرآن فرافعوا راية الاسلام هم فى العادة تجار بلد واحد تضافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالمبشر الاسلامى (وليلاحظ أن هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين اذ ليس لدينهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالمسيحيين) لايوجب عندالامم الجاهلية خوفا منه ولافرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو (مونتيل) يعتنقون دينه لأنه لم يعرضه عليهم فما أشبه الأمم بالاطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعا عليها أما الطرق المستعملة فى انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبحث فيه عنها جهات افريقيا بجانب الأملاك الفرنساوية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الابيض فى السودان وله الاولوية على غيره. وهو أعرق فى الاسلام واليهم أشرنا عندما قلنا بان أحد منبعى الاسلام أقاليم نهر شادى وقد شاهدهم المكتشفون الفرنساويون فى (شارى) و (لوغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع نطاق سلطتهم فلهم خطط سياسية فى الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجلها فى أفريقيا قال موسيو (مستران) أن الذى ألفت ذهننا كثيرا لما قدمنا الى جهات شارى هو النظام السياسى الذى تمكنت ملوك الاسلام فى أواسط أفريقيا من ايجاده بين الأمم التى دانت لسكلميهم) وللفولبوسيين مساعد كبير من عشائر

(١) كلا. فالصلاة واجبة على كل بالغ رجلا وامرأة

يقال

يقال لها الخواصة وهم من الجنس الابيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فنسبتهم اليهم كنسبة اليهودى للعربى ولقد شبهنا باليهودى لانه تشبيه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروباويين فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودى يحب المال ويتمكن من طرق اكتسابه ولا يخاطر بمتجره فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمكن والخواصة هم أهل المعارف والعلوم فى السودان حتى كانهم احتكروها الا أن علمهم قاصر على شئ يسير كالقراءة والكتابة فى اللغة العربية وهو كاف لنفوذهم فى الوثنيين لأن هؤلاء يعظمون الكاتب والقارئ الى درجة العبادة تقريبا ومع ذلك فلا يزال الخواص وضيع الدرجة فى عين متبوعه الفولبوس ، فالفولبوسيون هم أنصار الاسلام فى الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ والفقهاء ، ويعزى امتداد سطوة الفولبوس دينيا وسياسيا الى تدخلهم فى الخصومات التى تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فما تخاصم الأهالى إلا وتدخل الفولبوسيون ، أما الجهات التى اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم بدينهم وسياستهم إلا بالعناء ويتوصلون الى غرضهم فى الغالب عند ماترتكب جريمة قتل أوسلب حيث يوجد قوم من المسلمين لأنهم يرسلون اليهم الكتائب لتقتص منهم وبذلك ينتشر دينهم وتعلو كلمتهم ، ومهما تنوّعت أسباب تدخلهم فان طريقة سياستهم تدل على حذق واقتدار فيها ومرجعها الى مبدأ الحماية الذى توصلوا الى وضعه بين الأمم الهمج كما رواه موسيو (مستر) فمن احتمى بهم فقد أمن ومن خرج عن طاعتهم أصبح مهددا ، ومتى احتمت بهم قبيلة ذهب رؤساؤها الى ملوك الاسلام فى السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردّونهم الى أوطانهم يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم ، فان كانت القبيلة أوالقرية عظيمة أرسل السلطان اليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوى كلمة ونفوذ ومعارفهم وماتعلموه من الأحكام بالقرآن تؤهلهم الى القضاء لمنفعة اللاجئين اليهم وهم كالعلم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان ، وقد يتفق أن بعض القبائل الوثنية لاتخضع من أوّل ظهور الفولبوسيين بينهم هنالك تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ أبناء الرؤساء فتبعث بهم الى السودان حيث يتربون على مبادئهم ومبادئ الخواصة ، وبعد زمن يرجعونهم الى بلادهم فيقومون فيها كنوّاب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروباوية فى مستعمراتها ، وفى تلك الأثناء ينتشر الاسلام بمجرّد الاختلاط والمعاشرة وحب التقليد بدون أدنى اكراه ولا نهيين رسل أومبشرين إذ بمجرد أن يشترى الوثنى خرقة القطن من أحد الخواصة ويستر بها عورته يأخذ فى تقليد البائع فى الصلاة كالقردة ويتعسر بيان اللحظة التى يصير فيها مسلما حقيقيا لأن اسلامه يأتيه تدريجا ، ومتى كثر عدد المسلمين فى بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لايتدخلون فى نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك للخواصة أوللأهالى أنفسهم

ونذكر من الوسائل الناجحة فى يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوّجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولاتمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب على انتشار الدين الاسلامى ، وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك فى بعض كتبه حيث يقول « من الصعب أن يصم المرء أذنه اذا تقدّمت اليه النساء والأطفال ومدّ كل يديه اليه وطلب منه أن اعتقد بما نعتقد »

على أن الزواج هو السبب فى وجود أنصار الاسلام الأوّلين ، وكثيرا ماتزوّج النبى ﷺ لخدمة دينه لا لشهوة فى نفسه ، فقد صرّح بأن الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافا لما فرضه لجميع المسلمين وهو اختصاص تدرك غايته لمن تأمّل فى الامور لأنه كان معصوما عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوّج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الأوّل وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت

تلده ولم يمل الى ما أباحته العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تعـدد الزوجات ولم يتسر ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ م وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة تزوّج فى خلالها بعشر نساء ليس بينهن إلا اثنتين كانتا بكرا والباقيات مطلقات أومترملات ، قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت لتزيد فى نشر أوهامه وهو قول يقصد به قائله القدح ولكنه حجة على أن النبي ﷺ لم يكن فى تعدّد الزوجات شهو يا

هذه هى أهم الأسباب فى انتشار الاسلام ولست أدرى أ كانت تكفى لادراك سرّ هذا الدين فى انتشاره أوانه يجب البحث معها عن أسباب سماوية ، غير أن الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى فى الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق ، وقد بارك الله فى أبناء الخادمة كما بارك فى أبناء السيدة ، ونحن نعلم أن يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيرا وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له فى ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمّة كبرى لكونه من أولادك ، وأعاد يهوذا هـذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذى نجا فى الصحراء حيث رمى ليموت عطشا ، وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظمأ ولهف الأم على ولدها من ألطف ما يقال (نضب الماء فى الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلا ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابنى يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجاها الملك من قبل الله : مالك ياهاجر لاتخافى فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذى وضعتيه فيه فقومى وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمّة كبرى)

ولقد ارتعشت يدى عند مامددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدّس كى أنقل الآيات التى سطرتها ولولا ما قاله الأب بروغلى من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت مابشر به أبوالمؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولاذهبت الى أن فى انتشارهذا الدين سرا من الأسرار الربانية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(فى قوله تعالى ــ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ــ الى قوله تعالى ــ وأعدّ لهم أجرا كريما ــ ﴾

(فى هذه اللطيفة أربعة فصول)

(١) فى الذكر الكثير

(٢) والتسبيح

(٣) وصلاة الله وملائكته على المؤمنين

(٤) وفى التحية والسلام

﴿ الفصل الأوّل فى قوله تعالى ــ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ــ ﴾

إنى لأعجب كيف أقرأ نفس هذا المعنى فى كتاب ﴿راجايوقا﴾ ومعناه الحكمة التامة المترجم سنة ١٨٩٦ فى أمريكا وقد ألقاه المترجم عدّة محاضرات فى تلك الأقطار بعد أن ترجمه من اللغة الهندية القديمة وقد أشرت الى هـذا الكتاب فيما مضى من التفسير مرارا ونقلت عنـه مايناسب الآيات ، إن فى الكتاب مسألة الذكر الكثير وقد أوضحها الهنود فيه ايضاحا عجيبا ، يقولون منذ آلاف من السنين قبل النبوّة المحمدية ماملخصه « إن الانسان لايعيش إلا بالتنفس ، والدورة التنفسية لها الحكم على الدورة الدموية ، وعلى مقدار الآثار فى الدورة التنفسية تكون الآثار فى الدورة الدموية والدورة الدموية تؤثر فى الأعصاب والأعصاب توصل الآثار الى العقل ، ولوأن امرأ حكم أمر تنفسه فأخذ يدخل الهواء ويخرجه بالتدريج شيأ فشيأ ثم يحفظه فى الرئة

قليلا

قليلا قليلا بقدر إمكانه ، ثم يخرجه بالتدريج عدّة مرات ويكرر ذلك فى اليوم والليلة عدّة دفعات بشروط خاصة فان ذلك يعطيه قوّة فى العزيمة والارادة ، ومعنى ذلك أن زمام العقل والتفكير والارادة فى يد أعصابنا وأعصابنا فى يد الدم والدم فى يد التنفس ، فاذا أحكمنا التنفس وذللناه لنا ذل ما بعده وخضع لنا ، وهنالك تكون الارادة والعزيمة طوع تفكيرنا »

ولست أقول لك إن هذا القول يمكن العمل به بمجرّد هذا البيان ، ولكنى أقول يمكنك أن تتنفس كل يوم عدّة مرات فى الخلاء بحيث تدخل النفس بالتدريج وتحبسه وقتا مّا على قدر طاقتك ثم تخرجه وتقفل الفم بقدر طاقتك ثم تتنفس مرة أخرى ، فهذا نافع جدا فى الصحة والقوّة الجسمية ، وهذا يمنع الزكام وكثيرا من الأمراض ، وليس هذا مقام الافاضة فى هذا التنفس فان علم التنفس نقله الفرنجة عن علماء الهند وقد قصدوا به التداوى ونجحوا واستغنوا به عن كثير من الأدوية ، وانما هذا المقام مقام ذكر الله كثيرا وذكر الله كثيرا انما يكون بالكلام والكلام بالتنفس والتنفس يصل حكمه الى الأعصاب الواصلات الى النخاع الشوكى الآتى بيانه فى ﴿ سورة فاطر ﴾ عند قوله تعالى ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ـ الخ والأعصاب هناك ﴿قسمان﴾ أعصاب حس وأعصاب حركة خارجات كلها من الحبل الشوكى المتصل بالمخ ، والحبل الشوكى والمخ هما المركز الأصلى للاحساس وللحركة ، وقد وزعت أعصاب الحس وأعصاب الحركة على جانبى الفقرات توزيعا عادلا وهى (٣١) زوجا والزوج عصبان عصب للحس وعصب للحركة ، وهذه الأعصاب تتجه الى أطراف الجسم كاليدين والرجلين وظواهر الجلد ، ومتى أحست تلك الأعصاب بطارئ مّا وصلت خبره الى النخاع الشوكى والنخاع الشوكى يطير خبره الى المخ والمخ حالا يأمر الآمر فيه أعصاب الحركة بالعمل لما يناسب ذلك الطارئ جلبا أو دفعا ، أما المخ ففيه (١٢) زوجا من الأعصاب كلها موصلات للحواس التى فى الرأس كالعينين والأذنين والمنخرين ، وكل هذا ستراه فى ﴿ سورة فاطر ﴾ كما قلته لك الآن مرسوما مشروحا وهو الذى أجله علماء الهند فى ذلك الكتاب الذى قرأته بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية لشرح ذكر الله كثيرا . قالوا ان الأعصاب المذكورة هى الموصلات للأخبار الدوافع للحركات ، وليس لهذا الانسان ولا للحيوان إلا أمران حس وحركة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ علم وعمل وهذان النوعان قد تجليا فى أعصابنا وأعصابنا خارجات من النخاع الشوكى والنخاع الشوكى متصل بالمخ وهو مقر الملك وهو العقل المدبر فالمرجع كله لهذا الرئيس المدبر المستوى على عرش مملكتنا ، ولكن هذا الرئيس يتأثر بهذه الأعصاب سلبا وإيجابا ، فاذا أكثرنا من ذكر الله وكررناه مرارا فان الكلام حركات فى النفس والنفس يؤثر فى السورة فيصل الأثر الى هذه الأعصاب وينقل بحكم المجاورة الى الأعصاب فيحصل الحب ويكون الوصول لله . إذن الذكر الكثير لله يقرّب اليه

هـذا ما أوضحه القوم فى ذلك الكتاب ولكنهم يقولون ﴿ إن حب الله ربما يفيد الانسان ، ولكن مادام محبا للدنيا فانه يكون ناقص النفس فليس كل من أحبّ الله ووصل اليه وصولا مّا يكون كاملا ، فحب هذه الحياة نقص عظيم ﴾

أنا لست الآن أقول ان هذا القول كله حق ، ولكنى أقول : العجب ان العرب فى جزيرتهم لا يعرفون ماهو ذكر الله والقرآن جاء فيه ـ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ـ والعقل ليس عنده براهين تدل على أن الانسان اذا ذكر الله مرارا يكون له الفلاح وهـذا انما جاء بالوحى ، وظهور أمم قبلنا كانت عندها هذه المباحث وعللوها وفكروا فيها أمر عجيب ، وهذا معنى قوله تعالى ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ . فهؤلاء القوم سبقونا وقد تقدّم أن كتاب الفيدا الهندى الذى سبق الاسلام بعشرات آلاف السنين بل جاء فى آثار الهند كتاب لعالم منهم ألف منذ نحو (٦٠) ألف سنة يقول : ان كتاب الفيدا لا يعلم متى وجد

فهو مجهول التاريخ والمبدإ . إذن هـذه معجزة لدين الاسلام ، وكم فى الاسلام من معجزات ، وهنا فى هذا المقام معجزة ثانية ، ذلك انهم يقولون « ان فى الفقرات أمرين النخاع الشوكى (الحبل الشوكى) الموصل للحس والحركة وفراغ لامادة فيه وذلك الفراغ ممتد من العصعص الملتحم الذى لافراغ فيه الى المخ . قالوا وهذا الفراغ المستطيل الواصل بين هاتين النهايتين ملغى لاعمل له عند أكثر الناس ولكن هناك أناس قد قويت عزائمهم وعظمت مواهبهم بالأعمال العظيمة وممارسة الذكر والفكر أوالتنفس المتقدّم أوذكر الله فهؤلاء بهذه الأعمال المقوّيات لعزائمهم تجعل جميع قوى العقل تحت ارادتهم ويقولون ان كل عمل من أعمال الناس أتموه يفتح لهم فتحا جديدا فى تلك العظمات الثلاثة التى فى آخر تلك العظمات وتسمى (اللوتس) وهذه يقولون إن فيها سرالانسان وعلمه وحكمته وللانسان (فى نظرهم) حالان الحال المعتادة وهى مانحن عليه من وصول الآثار من الخارج الى نفوسنا بطريق هـذه الأعصاب كما هوحاصل للحيوان فلنا وله حس وحركة بهذه الأعصاب الواصلات للنخاع الشوكى الموصل للدماغ . والحال الخارقة للعادة بأن يفتح ذلك المثلث وهو (اللوتس) الذى فيه عجب الذنب . ومتى فتح اتصلت العلوم المخزونة فيه بالمخ والموصل بينهما الفراغ الذى فى فقرات الظهر . وهناك يعرف الانسان علم كل شئ فلايحتاج الى تلك الأعصاب حتى يعرف العلوم القليلة . فكيف هذا وقد أصبح محيطا بالعلوم التى يقدرعليها الانسان بحسب روحه هولابحسب ماتوصله اليه الحواس كما فى الحيوان

هذا ملخص ماقرأته فى ذلك الكتاب أوضحته ايضاحا تاما ولم أدع منه شيأ . فهذا هوالمشار اليه بعجب الذنب فى الشريعة الاسلامية فان فى الآثار والأخبار مايدل أن الروح باقية وعجب الذنب باق فما معنى هذا ولماذا يجيء ذلك فى الأخبار ؟ ولماذا ينزل الله ذلك على لسان رسولنا ﷺ ونفس هذا المعنى جاء فى كتب الهنود بطريق آخر وهوان هذا هوسرالانسان وعلمه . فاذا ورد أن عجب الذنب باق كبقاء الروح ووجدنا أن علماء الهند قبل عشرات الالوف من السنين يقولون « إن عجب الذنب متى اتصل بالمخ من طريق هذا الفراغ فان العلوم المخزونة هناك يعرفها العقل فمعناه أن ذلك المكان فى نظرهم مستودع العلوم

ومستودع العلم مدّ العقل فكأنه غدة العلم كما ان البنكرياس غدة المادّة الهاضمة والغدد الست فى الفم جعلت لهضم الموادّ النشوية والصفراء وغدد المعدة والامعاء كلها لهضم المواد الكربونية والدهنية وهكذا وكالغدة المسماة بالنخامية والمسماة الصنوبرية فى الدماغ فان لهما تأثيرا على نظام الأعضاء الجسمية ، وسيأتى أيضا فى ﴿سورة فاطر﴾

ولست أقول ان ماقاله الهنود مبرهن عليه فى هـذا أيضا ولكنى أقول العجب أن يتكلم الهنود فى عجب الذنب وانه غدة العلم فيما كان وما يكون ويجيء فى ديننا أمثال قول علماء التوحيد

عجب الذنب كالروح لكن حققوا ✲ وصوله الى البلى ودققوا

فالعلماء ﴿قولان﴾ قول انه باق كالروح ، وقول انه فان كما يفنى الجسد وليس هذا هوالمقصود ، انما المقصود أن يردهذا فى ديننا ويوازن بالروح تارة وبالجسد تارة أخرى فبالأوّل يحكم ببقائه وبالثانى يحكم بفنائه ، وعلماؤنا رحمهم الله معذورون فى هذا وهم الحق أن يرجحوا فناءه لانه من نوع الأجسام ولكن كلام أهل الهند أرجعه الى العلم المخزون ، وهذه أمورفوق عقولنا لابرهان عليها ولكن المهم ان هذا معجزة ثانية والله يقول ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ فهذه علوم عند أمم خلت وربما كانت لها أسرار لانعقلها الآن ووردت فى الاسلام ليعقلها قوم بعدنا ويشرحوها ـ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ـ وبهذا تم الكلام على الفصل الأوّل فى قوله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ـ

(الفصل

﴿ الفصل الثانی فی قوله تعالی ــ وسبحوه بکرة وأصیلا ــ ﴾

اعلم أن الانسان اذا ذکر الله کثیرا فتحت بصیرته ، وقد علمت أن أهل الهند سبقوا الاسلام بذلك فی الفصل الأوّل وهذا هو معنی قوله تعالی ــ شرع لکم من الدین ماوصی به نوحا والذی أوحینا الیك وماوصینا به ابراهیم وموسی وعیسی ــ الآیة وقوله تعالی ــ ولقد وصینا الذین أوتوا الکتاب من قبلکم وایاکم أن اتقوا الله ــ وقد تبین لك أن هذا معجزة اسلامیة من حیث تلاؤم الدیانات فی الاصول وان کانت مهجورة بعیدة المدی ، ومن اطلع علی طرق الصوفیة فی العالم الاسلامی وجد بینها و بین طرق أهل الهند ملاءمة ترجع کلها الی ذکر الله تعالی ولکن بصبغة الاسلام لا بصبغة کتاب (الفیدا) الهندی

ولقد حقق علماء الاسلام أن هؤلاء الذاکرین لربهم لایصل الی المعرفة التی یقول بها علماء الصوفیة إلا النادر جدا بل کثیر منهم یمسهم الجنون فلاتنتفع بهم الأمة وهذه إحدی نکبات الأمم الاسلامیة . کثرت فیهم طرق الصوفیة وعاشوا عیشة روحیة کأهل الهند ولکنهم فی الوقت نفسه لم یصل جمیعهم الی العلوم التی بشرهم بها أشیاخهم ، بل ران علی قلوبهم التقلید ، وهنالك یحصل لهم شکوك وأوهام فیقول الأذکیاء فیهم « کیف یکون الله أرحم الراحمین وهو یمرضنا و یمیتنا وأهل الشرق والغرب فی نضال وقتال مستمرین وأصحاب الأسلحة الناریة من أوروبا یهجمون علی الشرق فیذلون الأمم ، ثم ماهذه النظم الأرضیة . وماهذه الحرارة والبرودة والمتناقضات فی الأرض . وکیف یکون زید الصالح فقیرا وعمرو الطالح غنیا ، إن هذا لشیء عجاب ! » فیقال لهم فی القرآن ــ وسبحوه بکرة وأصیلا ــ والتسبیح تنزیه عما یظن فیه سبحانه من أنه ترك العوالم تتخبط کأنه لم یعن هو بصغیرها وکبیرها بل هی دائرة بلا نظام ، ولوکان صانع العالم مطلعا علی جلائل الامور ودقائقها لم نجد ناسکا أحرق ثوبه وعجوزا هدم البیت علیها وطفلا ولد مشوّها وامرأة مات طفلها فاحترق فؤادها ولاطغت أمة علی أمة ولاطغی طوفان الأنهار وحریق النار علی فریق من الناس فأهلك الحرث والنسل وهکذا مما لاحصر له . فذکر التسبیح فی الآیة بعد ذکر الله کثیرا لیکون فی الأمم الاسلامیة ﴿ فریقان ﴾ الفریق الأوّل ﴾ فریق العباد (بتشدید الباء) الذین یسبحون الله بکرة وأصیلا إذ یسمعون قوله تعالی ــ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء اللیل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضی ــ وقوله تعالی أیضا ــ الذین یحملون العرش ومن حوله یسبحون بحمد ربهم و یؤمنون به و یستغفرون للذین آمنوا ــ وقوله ــ سبح لله مافی السموات والأرض وهوالعزیز الحکیم ــ و یسمعون ــ وسبح بحمد ربك حین تقوم ومن اللیل فسبحه وأدبار النجوم ــ وقوله ــ وتسبحوه بکرة وأصیلا ــ وقوله ــ سبح اسم ربك الأعلی ــ وقوله ــ فسبح باسم ربك العظیم ــ

فهذا الفریق المسبح یکون تکرار التسبیح منها لما یعلق بنفسه من تلك الشبهات ، فکما أن الذکر یفرحه بربه و یقرّبه له ، فان التسبیح بتکراره بکرة وأصیلا یمرّن النفس علی أن تتباعد عن تلك الشبهات وتوطن الضمیر علی أن یعتقد أن الله منزّه عن الشرور أوالغفلة ، وأن مانشاهده من تلك المصائب فی هذا العالم هو یعلم نتائجها وله فیها حکم عجزنا عنها ، فالتسبیح إذن أشبه بالحارس الذی یحرس العقل من التعرّض لهذه الشبه ، فههنا ﴿ أمران عجیبان ﴾ الذکر بقوله ــ اذکروا الله ذکرا کثیرا ــ وذلك لاستحضار المذکور وتکون النتیجة حبه ، ولکن الحبیب الذی یفسد الواشی حبه معرّض حبه للذهاب فتکون القطیعة فجأة بعد ذکر التسبیح و بتکراره یحصل مایشبه التنویم المغناطیسی فتذهب تلك الوساوس فیبقی الحب علی حاله حتی اذا فارق الانسان هذا العالم فهناك یدخل فی عوالم یفهم فیها ماجهله هنا . فالذکر تحلیة والتسبیح تخلیة ولذلك نسمع الله یقول ــ الذین یحملون العرش ومن حوله یسبحون بحمد ربهم ــ فالحمد نوع من الذکر والتسبیح تخلیة عن تلك الشبهات . و یقول ــ دعواهم فیها سبحانك اللهم ــ فجعل التسبیح

مع الجد ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ التخلية مع التحلية . هذا هو الفريق الأوّل وهم العباد (بتشديد الباء)

﴿ الفريق الثانى فى الأمم الاسلامية ﴾

الفريق الثانى فى الأمم الاسلامية هم الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا كالفريق الأوّل ولكنهم لهم عقول راجحة فلا يقفون عند الشبهات التي ترد عليهم بتكرار التسبيح لأن العابد درجته محدودة ولكن العارف بالله أرقى من العابد . فيقول هـذا الفريق : نحن قرأنا فى ﴿ سورة آل عمران ﴾ ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ فيقولون ههنا سمعنا ذكر النار وعـذاب النار بعـد الذكر والفكر . وههنا يقولون الذكر للعباد ولكن العارفون بالله لا يقفون عند الذكر فهذه مرتبة ضعيفة بل يفكرون فى جمال ربهم وصنعته

وهذا معنى قوله ـ و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ـ . نعم نحن نسبح فى الركوع والسجود و بعـد الصلوات . ففي الأوّلين (١١) مرّة وفى الثالث (٣٣) وعنـد النوم كما فى الحـديث (٣٣) أيضا ونسبح بكرة وأصيلا . ولكننا لا نقف مكتوفى اليدين أمام عظمة ربنا وجلاله . وهذه الطائفة هى التى ستظهر بعد انتشار هذا التفسير . وسيكون فى الأمم الاسلامية فطاحل الحكماء الذين لم يخلق فى أمة مثلهم وهؤلاء هم عماد هذه الأمة بل هم عماد الأمم . فهؤلاء يعيشون محبين لربهم وخلقه و يجعلون حياتهم كلها فى درس نظام الطبيعة وجمالها ولامعنى لهذا كله عنـدهم إلا انهم أحبوا وعشقوا مبدع الكائنات وأحبوه لما نقش وزوّق وأبدع وأحكم ونوّع وصنف . وهذا الفريق فقط هو الذى يفهم لم كان المرض والموت والفقر والطوفان والحرب واحتلال الأقوياء أرض الضعفاء فى هذه الأرض . ومستحيل أن ينال هذا الانسان فى الأرض إلا بدراسة مجمل العلوم الرياضية والطبيعية لأنها آثار الصانع الحكيم فان لم ندرس آثاره واكتفينا بقراءة كلامه كنا أشبه بمن قرأ كتاب الملك الذى نشره فى رعيته ولم يعمل به . وغاية الأمر انه يكرر الكلمات التى أرسلها فى ذلك الكتاب المنشور . وهذه وان كانت سخافة وقلة عقل وجهل فى كتب المخلوقين فهى ليست كذلك فى كتاب الخالق لأن كتاب الخالق عزّ وجـل له مزية خاصة . فانظر رعاك الله الى أجسامنا وأجسام حيواننا والى نباتنا فانك ترى أكثر نوع الانسان يعيش و يموت وهو لم يدرس هـذا الجسم ولا عقل من عجائبه شيأ . وهكذا يأكل من الحب والفاكهة وهو لم يدرس ولم يعرف عجائب النبات كما لم يعرف عجائب جسمه ومع ذلك ينتفع بالفاكهة وبالحب و بجسمه المجهولات عنده جهلا تاما . أكثر هـذا الانسان هكذا حاله ، فجسمه المملوء من الجمال فى نظام ، وكل ماحوله من مطعوم ومشروب مجهول جماله عنده ، وهذا الجهل لم يمنعه أن يعيش بجسمه عمرا طويلا ولا أن ينتفع بالنبات والحيوان ، وأقل هذا النوع الانسانى هم الذين أدركوا جمال أجسامهم وجمال طعامهم وشرابهم من حيث النظام والابداع . فاذا صحّ هذا فى أجسامنا وفى كل ما حولنا وكله من حسن الابداع وسعة الرحمة من المبدع الحكيم . فهكذا صحّ فى تسبيحنا . فالمسبح بقوله ﴿ سبحان الله ﴾ وهو من العابدين قد نال أثر ذلك التسبيح فى نفسه فتباعدت عنها تلك الشبهات كما انتفع الانسان بجسمه أمد الحياة و بما حوله من طعام وشراب وهو جاهل بذلك كله . فأجسامنا وتسبيحنا وذكرنا أشبه بما قيل فى كتاب كليله ودمنه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهو للجهال حكايات تفرحهم وهو للخواص حكمة وعلم وسياسة . هكذا أجسامنا وماحولنا للجاهلين حياة فى الدنيا وللحكماء دراسة بهجة جميلة . فهكذا التسبيح هو للجاهل عبادة تشرح الصدر وللحكيم حثّ على العلم والحكمة ﴿ مثال ذلك ﴾ أن ينظر فى جسم الانسان مثل ماتقدّم فى سور كثيرة ، ومثـل ماستراه فى ﴿ سورة فاطر ﴾ كما أنبأتك فى أوّل هذا المقال إذ قلت لك إنى سأفصل عجائب الجسم الداخلية هناك

فسترى هناك الدورة التنفسية مرسومة ، ومثلها الدورة الدموية . ثم أعصاب الحس والحركة . وتجب

جدّ العجب من (غدد) جمع غدة موضوعة فى الفم وهى ست وأخرى فى المعدة وغيرها فى الامعاء وتدهش أيها الذكيّ من هذه الجنود المجندة التى تقف فى طريق الغذاء معدة لاصلاحه مخرجات من خزائنها تلك السوائل الموزّعات على أنواع الطعام ، فمنها ما أعدّ لاذابة الموادّ النشوية والسكرية كالتى فى الفم ، ومنها ما أعدّ لاذابة الموادّ الفحمية أوالموادّ الدهنية أوالمواد الأوزوتية كالتى فى المعدة والامعاء ، وسترى ايضاحه هناك مع هذه المادّة التى يسمونها (الكيموس) أوّلا ثم تصير كيلوسا بعد ذلك وهى مادّة أرقّ وألطف من الأولى ، فتراها تنتقل من حال الى حال ونجد لها هناك نوعين من العروق ، فالنوع الأوّل عروق تأخذ السائل الدموى أى الذى استحال من الحال الأخيرة وهى الكيلوس الى الحال الجديدة وهى الدم ، فترى هذه العروق هناك تحت الغشاء المخاطى فى الامعاء فتجتذب تلك المادّة اللطيفة المستخرجة من الطعام ، وتأتى عروق أخرى فتجتذب السائل المستخلص من الدهن فيكون هناك ﴿دورتان﴾ دورة دموية ، ودورة ليمفاوية ، والثانية تشابه الأولى بعض المشابهة من حيث تفرّع عروقها فى الجسم . ولا أشبه الدورة الليمفاوية إلا بقلاع الجنود وثكنات العساكر ، والمادّة التى فيها ليست حمراء ولافرق بينها و بين الدم إلا ان هذه ليست فيها كرات حمراء بل تخلق فيها الكرات البيضاء التى تدخل مع السائل اللفاوى الى الدورة الدموية ، وهذه الكرات البيضاء هى الجنود التى أعدّت لمساعدة الكرّات الحمراء فى الدم التى لوّنت باللون الأحمر و باجتماعهما معا يحاربان الجيوش الجرّارة الداخلات على جسم الانسان والحيوان من الخارج لاحداث الجدرى والحصباء والطاعون وأنواع الحميات المختلفات ، إذن دهن السمسم وزيت الزيتون وزيت بزر القطن والكتان والقرطم وشحم الحيوان . كل هذه أعدّت لخلق هذه الكرات البيضاء المحاربات لأعدائنا الداخلات فى أجسامنا فاذا كنت منذ أيام قد توجهت الى بلدة (الخانكا) من أعمال مديرية القليوبية وشاهدت الآلة الطاحنة للسمسم وهى آلة بخارية وبها يعصر الزيت وهكذا أمثالها فى غيره . فهذا معناه أن هذه الآلات البخارية الفاصلات بين العجينة المسماة (الكسب) والموادّ الزيتية التى يأكلها الناس مساعدات لنا على حفظ حياتنا من حيث ان هذا الزيت وأمثاله هو المساعد على خلق الكرات البيضاء فى الدم المهلكات للجيوش القاتلات لنا بالأمراض المختلفات . فياسبحان الله . شمس تشرق على الأرض . وحبّ يبذر فيها . وماء ينزل عليها . وذلك الحبّ ينبت فيصير حبا مثل الأوّل وهو السمسم . ثم تتلقاه تلك الآلات العاصرة فيكون زيتا . لم هذا كله ؟ ليكون لنا حافظا إذ تأكله الكرات البيضاء التى جعل لها فى أجسامنا عروق لمفاوية سيأتى شرحها وما هى إلا ثكنات عسكرية . ياسبحان الله : أيكون فى أجسامنا ثكنات كثكنات الجنود التى تحمل البنادق والمدافع والغازات الخانقة لتقتل الأعداء . أهذا الزيت المستخرج من السمسم أمامى معدّ لثكنات العسكر فى جسمى

الله أكبر . هذا معنى ــ وسبحوه بكرة وأصيلا ــ انتهى الكلام على الفصل الثانى والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثالث فى قوله تعالى ــ هوالذى يصلى عليكم وملائكته ــ الى قوله
ــ وكان بالمؤمنين رحيما ــ ﴾

ولاجرم أن هذا الفصل مرتب على ما قبله . إن صلاة الله رحمة . وصلاة الملائكة استغفار . وقد أبان الرحمة بقوله ــ ليخرجكم من الظلمات الى النور ــ وصرّح بها بقوله ــ وكان بالمؤمنين رحيما ــ

ذكر المسلم ربه كثيرا فأحبه بذكره الكثير كما ترى بنى آدم يحيون نظام الجند بتسليم رجالهم على ضباطهم و بتلبيتهم نداءهم واصطفافهم ووقوفا أمامهم وتمرينهم على ذلك وعلى كثرة التعظيم لهم من موجبات انتظام الجيش وحسن تدريبه لما يحصل من الآثار بهذه الأقوال والأفعال فى الأنفس . وترى الملوك يزور بعضهم بعضا فترفع أعلام الدولتين متجاورتين كما اتفق لملك البلجيك أيام طبع هذه السورة فى شهر مارس سنة ١٩٣٠ م فيحدث ذلك فى نفوس الأمّتين مودّة

فهذا ضرب مثل دنيوى لذكر الله عزّ وجل وآثاره فى النفوس . وهذا الذكر كما تقدم له حارس وهو التسبيح لتنزيه المذكور عن خلق العالم عبثا لعدم قدرتنا على ادراك جميع الحقائق . وهذا وذلك لايتمان إلا برحمة الله ولذلك قال ـ هو الذى يصلى عليكم ـ الخ فرحمة الله هنا جلبت لنا منفعة الذكر وصرفت عنا الشكوك والأوهام المهوشات على ذلك . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى التحية والسلام ﴾

وهل بقى بعد ذلك إلا التحية والسلام ؟ و بيانه أن الانسان لاسعادة له حقيقية إلا بأمر واحد كما اتضح سابقا فى مواضع وهو الثقة الحقة بنظام هذه الدنيا و بأن كل مايصنع فى هذا العالم انما هو خير أوآيل للخير وهذا لن يتم و يثق به الانسان يقينا إلا بالاطلاع على العجائب دواما كالتى ذكرنا فى الفصل الثانى من عجائب جسم الانسان ، وهنالك يحس الانسان بالأمان والسلام فى نفسه فى الدنيا والآخرة ، ذلك لأنه اذا عقل ما ذكرناه فى الفصل الثانى وزاد على ذلك أن ينظر فى الدائرة العصبية فانه يرى أمرا عجبا ؟ يرى مثلا أن هناك غدتين فى الدماغ وغدتين بجانبى العينين ، فالأولان لتنظيم أحوال الجسم والآخران لافراز الماء الملح الذى يحفظ العين لئلا تتلف و يرى غدة فى الرقبة وأخرى تسمى (التيموسية) وأخريين فوق الكليتين ، و يرى الأنثيين فى الرجل والمبيضين فى الأنثى ، وهناك يعجب جدا من أن بعض هذه الغدد لوأزيل لم يتميز الذكر من الأنثى فى المظاهر كشعر اللحية فى الرجل وانسجام عظام الصدر فى المرأة وكحفظ اللون ، فان بعض الغدد لوأزيل لصار لونا كلون البرنز أوالنحاس ، و بعض الغدد بازالته تكبر العظام جدا فتصير كالنخلة والعين كالبطيخة ، و بعضها لوأزيل لحصل للانسان تشنج واختلال عقل ، و بعضها لوأزيل لحصل للانسان البول السكرى أوغيره من الأمراض كما سيأتى تفصيله فى ﴿ سورة فاطر ﴾

هذا هو العلم الموجب لليقين الذى يعرّفنا تنزيه الله وتسبيحه ، وهو الذى يعرّفنا تناهيه فى الرحمة والعناية بنا و بغيرنا وهناك نحس بالسلامة فى الدنيا والآخرة . هذا هو قول المسلم ﴿ التحيات لله ﴾ فهو يحيى الله أوّلا ثم يخاطب نبيه ﷺ فيقول له مناديا : يا أيها النبيّ ان الله آمنك فأنت عليم برحمته الواسعة وأيقنت بذلك ، ومن أيقن بالرحمة فلن يصاب بعذاب . ثم يقول السلام علينا و يعمم عباد الله الصالحين فى الأرض وفى السماء . وفى الحقيقة أن الوجود منحصر فى الموجودات المدركة فأما هذه العوالم فهى كلها كما ظهر فى هذا التفسير أضواء متحركات تبدّت لحواسنا على هذا المنهج المشاهد

المسلمون يسلم بعضهم على بعض . و يسلمون فى الصلاة على كل صالح . و يسلمون فى آخر كل صلاة فان كانوا دارسين لعجائب الحكم الالهية كما فى هذا التفسير الذى تكفى دراسته كل عاقل فى الأرض فانهم فعلا يكونون قد أمنوا العذاب من الآن على سبيل الرجاء وان كانوا مؤمنين ليسوا من المطلعين على العجائب أواطلعوا عليها وهم لايعقلون جمالها كبعض علماء التشريح وعلماء الطب اذا كان مماسوهم غافلين عن الابداع فى التركيب مثلا فالسلام لم يعط إلا لمجرّد العبادة وهم عليها ثواب مؤجل

ومن هذا القبيل انك تسمع الناس يقولون عند التعزية « لاأراك الله سوأ » فهذا مستحيل فى الظاهر ولكن فى الحقيقة لاسوء لأن مصائب الناس سبب فى اسعادهم بل هى سلالم ارتقائهم والموت من منازل ارتقائهم . فهم يقولون فى العيد « أبقاك الله لكل عيد » أو « جعل الله جميع أعيادك سعادة » وكل هذه أدعية مطابقة للحقيقة لأن الناس لايفنون بالموت بل هم أحياء . إذن السلام والأمان موجودان وان حجب عنهما الناس . والأوّلون ثوابهم معجل لأنهم شاهدوا جمال الصانع بمجرّد مشاهدة جمال الصنعة وعقلوا حكمة الحكيم فى مظاهر حكمته وذكروه عند مشاهدة بدائعه وصار ذلك سجية لهم . فهؤلاء فى الدنيا سعداء فما بالك بهم بعد الموت ؟ هذه أقصى سعادة لأهل الجنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب صباح

يوم

يوم الأحد (٢٣) مارس سنة ١٩٣٠ م

(اللطيفة الرابعة)

(سر من أسرار التنزيل قد أظهره الله فى أيامنا هذه بالعلوم الطبيعية مع موازنتها بحوادث التاريخ فى تفسير قوله تعالى ـ يا أيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ـ)

جاء فى آية أخرى ـ وجعل الشمس سراجا ـ وهنا يشبهه ﷺ بالسراج . إذن هو شمس وهذا كلام الله عزّ وجل . فاذا سمعنا النابغة يقول للنعمان

كأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

فانا نقول هـذا تشبيه لم يكن له أثر فى الوجود . ولا جرم أن أعذب الشعر أكذبه وهذا مستفيض فان الأدب فى جميع اللغات انما تكون نتائجه الانقباض والانبساط وعلى مقدار تباعد القول عن الحقيقة بالباسه لباس الخيال يكون أوقع فى النفس . إن نفوسنا المحبوسة فى هذه الأجسام تريد أن تنال الحرّية ولو فى خيالها فتفرح بأنواع التشبيه والمجاز والكناية . تفرح أن تسمع قول القائل

فغضّ الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فهذا خفض قوم بعد الرفعة بمجرّد هذا التخييل . وقول القائل فى بنى أنف الناقة

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم * ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا

وتفرح بقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فجرد هذا التخييل من بشار رفعه على امرئ القيس القائل يصف عقابا

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

هذه صورة آثار التشبيه عند العرب . فهل قول الله عزّ وجل ـ وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ـ كقول النابغة * كأنك شمس الخ * نظر فى آثار النعمان فلا نجد له أثرا يشبه آثار الشمس . إن للشمس آثارا نراها وهى معروفة عند أهل الشرق والغرب . فهل هكذا آثار النعمان . كلا . ثم كلا . إن التشبيه والاستعارة والمجاز والكنايات كلها ترجع الى أصل خيالى . وكلما كان الخيال أكذب كان أعذب . هذا هو اصطلاح علماء اللغة العربية ولذلك تجد الشاعر أيام مجد الأمة العربية كالمتنبي وأبى تمام والبحترى وأضرابهم لا يبتدئون القصيدة إلا بالغزل ويصفون فتاة بالجمال والحسن وانهم هاموا صبابة ووجدا وغراما والسامع يعلم أن كل ما يقوله مكذوب ورواة القصائد جميعا يعلمون ذلك . إذن التشبيه وجميع أنواع التخييل التى فصلت فى علم المعانى ليست تراد بها الحقائق وقد جعل هذا فى علم المنطق ركنا من أركان مادّة البرهان الخمسة وجعل هذا الخامس مقصودا لاحداث الاشمئزاز أو المسرّة والقائل والسامع شريكان فى العلم بكذبه . إذن لننظر فى هذه الآية . ما آثارها فى الوجود ؟ وما مناسبة النبوّة لآثار الشمس ؟ لندرس الشمس من علم الطبيعة وآثارها فى الأرض . لنمثل هذا المقام برجل ماهر فى اللعب أراد اظهار براعته فوقف فى مكان متسع وقسمه (١٨٠) قسما وعلم الأقسام بعلامات وذلك فى أرض العباسية بمصر ثم وقف فى وسطها بحيث يكون (٩٠) عن اليمين و (٩٠) عن الشمال وكل (٩٠) قسمها ثلاثة أقسام بحيث يكون القسم الذى يليه من كل منهما يبعد بنحو (٢٥) درجة عن موقفه والقسم الذى عند النهايتين قريب من هذا فى اتساعه فيكون مكان اللعب فى الناحيتين (٦) أقسام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله . فلما رتب هذه الأقسام قال مخاطبا الواقفين « أيها الناس : أنا سألعب لعبة تدهشكم ولا تقدرون أن تأتوا بمثلها فقالوا وما هى قال أرمى بكرتين

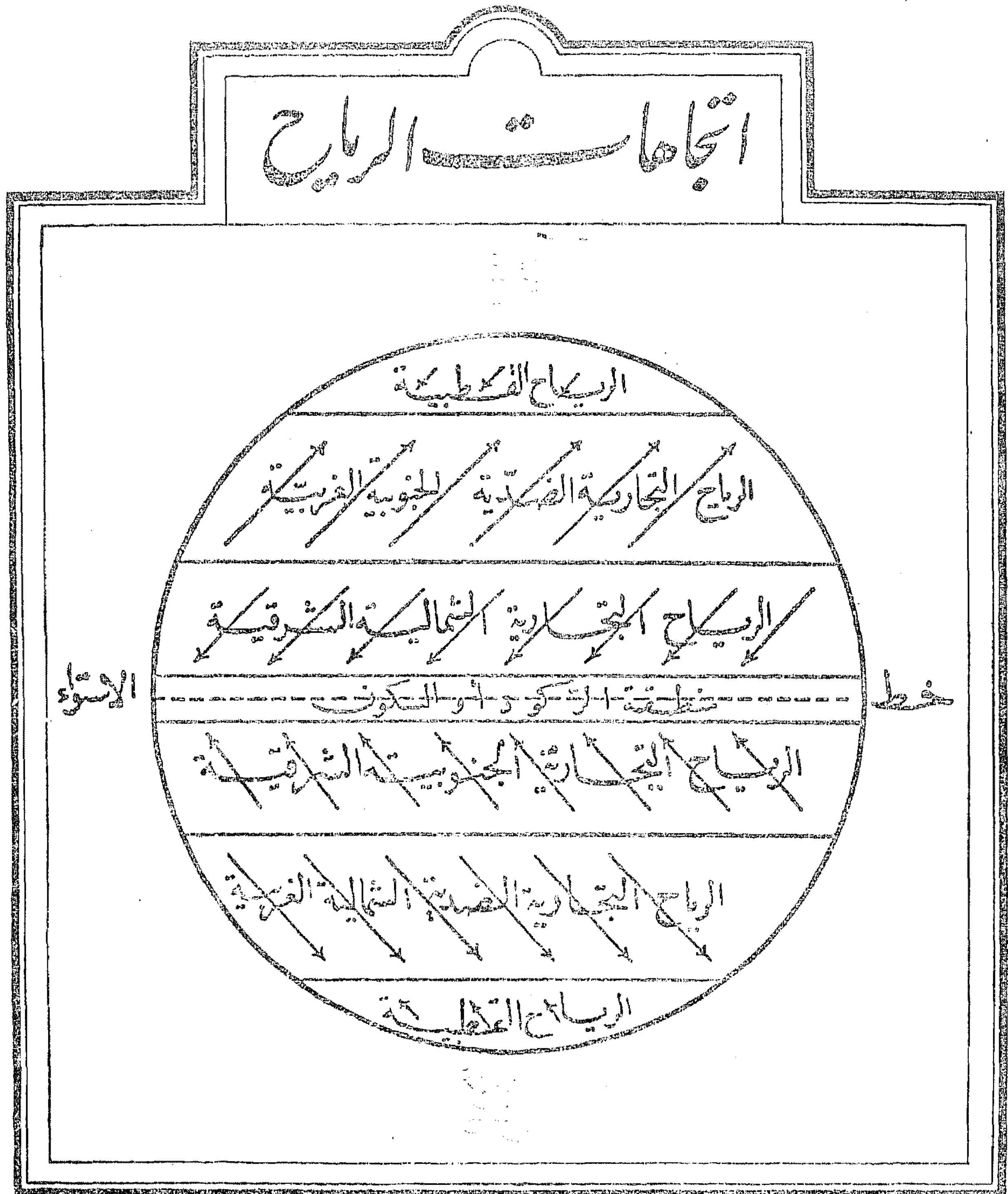
من يدى اليمنى واليسرى ﴿أولا﴾ تذهب إحداهما الى الشمال وثانيتهما الى الجنوب ولا تقفان إلا عند نهاية القسم الأول من كل ناحية بحيث لا يحصل خطأ منى مدة حياتى ﴿ثانيا﴾ متى وصلت الكرتان فى الجهتين تنقسم كل منهما الى قطعتين قطعة ترجع الى من أسفل وقطعة تذهب الى القسم الثالث من الجهتين . ومتى وصلت هاتان القطعتان الى القسم الثالث يرسل رجلان واقفان على آخر الملعب من الجهتين كرتين أخريين فيرميان بهما فيحلان محل هاتين القطعتين المرتفعتين فى القسمين المذكورين وهذه الحركات متصلات منتظمات . فاذا رأينا لاعبا فعل هذا فانه لا محالة يدهشنا لاننا نرى كثيرا من الناس يلعبون لعبة (البلياردو) والمدار فيها على أن الكرة المضروبة بالعصا تصيب كرة أخرى بشروط خاصة ، فهناك يحكم للاعب أو عليه ، أما هذا اللاعب فان حركاته متى صدق فيها تكون من أدهش اللعب الذى لا يأتى الزمان بمثله

هذا المثل الذى ضربته تقريب لما ستراه ، فالملعب المقسم (١٨٠) قسما هو نصف الكرة الذى نحن فيه ووسطه خط الاستواء ، فالشمس مثلنا لها باللاعب وحرارتها مسلطة على خط الاستواء والرياح تخف هناك فترتفع كما يرتفع الهواء فى منازلنا بسبب الحرارة فى تنانيرنا ، ومتى خف هواء منازلنا هبت رياح شديدة من أبواب تلك المنازل داخلة على ساحاتها مع ان الجو فى جميع القرية وما حولها ساكن هادئ ولا رياح إلا هنا لأجل الحرارة

فهذا المثال الصغير هو الذى يحصل بسبب الشمس فهى تجعل الريح عند خط الاستواء يخف فيرتفع فيذهب الى الجنوب والشمال وهو الذى مثلنا له بالكرتين . ومتى وصل هذان التياران الى نحو نيف و ٢٠ درجة من الجانبين قلت الحرارة الرافعة للهواء فأرادا النزول الى الأرض كما تنزل الطيارة اذا قل ما فيها من (البنزين) هناك ينزلان فى تلك المسافة فيقابلان سطح الأرض فتقابلهما حرارتها فيرتفع كل منهما كرة أخرى الى أعلى ثانيا وهو قسمان كما ان الكرة المتقدمة ارتفعت وهى مقسمة قسمين فيرجع قسم منه الى خط الاستواء ليحل محل ما ارتفع هناك من الهواء بخفته وقسم يذهب الى الدائرة القطبية من الجانبين . ومتى وصل هناك وقابل وجه الأرض خف ثانيا بسبب الحرارة فيرتفع وهناك يحل محله رياح تأتى من القطبين وهو الذى عبر عنه باللاعب فى آخر الملعب من الناحيتين والرياح التى من جهة القطبين انما أتت لتحل محل الرياح الصاعدة فى الدائرتين المتقدمتين

هذه حال الشمس والهواء والبرد والحرارة ، اللهم إن الحرارة والبرودة جنديان سائقان لهذه العوالم وكرة الهواء حولنا هى ميدان العمل ، فما هى حياتنا يا ربنا ؟ حياتنا راجعة لتدبير محكم لو كشف لنا لاحترقت قلوبنا من الحب والدهش ، أمور بديعة ، ما هذه الأعاجيب ؟ شمس وحرارة منها سلطت على خط الاستواء فجرت الرياح فقابلت الأرض حوالى دائرتى الجدى والسرطان فقابلتها الحرارة فارتفعت ثانيا ثم وقعت عند الدائرتين القطبيتين وحلت محلها رياح أخرى ، ثم إن هذه الحركات لا مقطوعة ولا ممنوعة . إن الهواء ساعة وسلكها الذى هو (الزمبلك) هى الشمس . وهذه الساعة لا تفتأ تدور ليلا ونهارا والناس غافلون تائهون . الناس جميعا يا ألله يعيشون ودواليب هذه الساعة تجرى فوقهم وتحتهم وهم يعيشون فيها وغاية الأمر انك أنت علمتهم صناعات ليعيشوا بها وما هى إلا ضرب مثل لهذه العجائب المحيطة بهم ومن أجلها حرارة الشمس وتأثيرها فى الهواء الذى لولاه لم تكن هذه الحركات فيه ولم يكن سحاب ولا مطر ولا أنهار ولا حيوان ولا انسان ولا علماء . فلو أن هذا اللاعب فى المثال المتقدم زاد على ما قاله فقال إن هذه الحركات يستنتج منها مخلوقات حية وغير حية لكان هذا من أعجب العجب (أنظر شكل ١ فى الصفحة التالية)

شكل



(شكل ١ ـ نقلا من الاطلس الحديث)

انما رسمت هذا الشكل لك أيها الذكى ليزيد فهمك بهذا الموضوع وماهو ؟ هو المشبه به فى الآية لأنه ﷺ سراج بنفس الآية والسراج يطلق على الشمس ، فنريد أن نبين آثار الشمس العامة ثم نتبعه بآثار الاسلام والقرآن فى الأرض ، ثم نبين آثار أعاظم الفلاسفة فعلا فى أرضنا ، وهناك فقط نفهم أن قول الله هنا ـ وسراجا منيرا ـ ليس كقول شعراء العرب فى الجزيرة وفى البوادى للنعمان بن المنذر

☆ كأنك شمس والملوك كواكب الخ ☆ . إن حرارة الشمس تقع على خط الاستواء فيرتفع الهواء نحو (٢٠) ميل ، ومعلوم أن الحرارة تمدد الأجسام فتخف كما قدمت لك ، ومتى ارتفع الهواء بسبب الخفة تحل محله رياح من الشمال والجنوب ثم هو يتأثر بالحرارة ثانيا ويرتفع وهكذا ، فترى الرياح المرتفعات عند خط الاستواء تجرى الى الجهتين ورياح أخرى تجرى من كلتا من الناحيتين الى خط الاستواء فهى دائرة دائما أبدا . وهذه أشبه شئ بالدولاب يجرى ليلا ونهارا وكالنجوم والشمس والقمر . والتى تهب الى خط الاستواء من الناحيتين تسمى الرياح المنتظمة أوالرياح التجارية والرياح المرتفعة الى الشمال والجنوب تسمى الرياح التجارية الضدية والرياح الآتية من القطبين تسمى بالرياح القطبية . فهنا رياح تجرى من القطبين ورياح تجرى من خط الاستواء ورياح تجرى من بعد مخصوص الى خط الاستواء والى الدائرتين القطبيتين . هذا هوالتدبير والنظام البديع

يقول الله هنا ـ ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ☆ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ☆ وبشرالمؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ـ

هاأنت ذا أيها الذكى عرفت المشبه به وهوالشمس وعرفت آثارها وانها بحرارتها حركت هواءنا فارتفع ثم انخفض ثم ارتفع ثم انخفض ثم ارتفع وهوفى ذلك دولاب يجرى والمحرك للدولاب هى الشمس

الله أكبر . ماذا كانت نتيجة هذه الحركات والدواليب الدائرات نتائجها بديعة وجميلة . نتائجها سحاب يجرى بجرى الرياح والسحاب أتى بآثار الحرارة فى الماء . فالحرارة أثارت الرياح من البحار والحرارة أثارت الهواء . فهذان الأثران يلتقيان ويتعانقان وهما أخوان البخار والهواء الجارى كلاهما بسبب الحرارة . فتراهما يتعانقان ويحمل أحدهما وهوالهواء أخاه وهوالبخار ويجرى به . لماذا يجرى به ؟ ليسقى الأرض فيكون الزرع وكل حى . عجيب جدا ! حرارة تنبعث منها حركتان . حركة لتيار يؤخذ من الهواء . وحركة لبخار من الماء . فيجرى هذان الطائران ويلتقيان ويحمل أقواهما وهوالهواء أخاه وهوالبخار الذى صار سحابا فيمطر على الأرض فتكون الأنهار والزروع والثمار والحيوان . المشبه به جميل جدا بهى حسن . فماذا نقول فى المشبه به وهوالنبى ﷺ

﴿ الكلام على آثار النبوة وهى المشبهة بالشمس ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى فقرأ ما كتبته الآن فقال : إن ما كتبته الآن قد تقدم فى هذا التفسير . أفلا يكون هذا تكرارا ؟ مسألة الرياح القطبية . والرياح التجاريه المنتظمة . والرياح التجارية الضدية . كل هذا قد تقدم فى هذا التفسير وأزيد على ماذكرت هناالرياح الموسمية . ذلك ان الأرض تتأثر بالحرارة أكثر من الماء فيصعد الهواء من فوقها الى الجو والماء طبعا محيط بالقارة فيجىء الهواء الذى فوق البحار ليحل محل الهواء المرتفع فيحمل البخار فيكون المطر على السواحل فتكون إذن حرارة الصيف فى القارة سببا لارتفاع الهواء وحلول هواء البحار محل الهواء المرتفع وقد حمل معه البخار فكانت الحياة فيحصل المطر صيفا على الشواطئ كالذى يحصل فى جنوب آسيا وجنوبها الشرقى وبهذه تعيش أمم وأمم . وهذه هى الرياح الموسمية . أما فى الشتاء فان الهواء يخرج من وسط القارة الى البحار لأنها إذ ذاك تكون أدفأ من الأرض . وهذه الرياح تهب (٦) أشهر الى جهة وتهب بالعكس ستة أشهر أخرى وهى فى ذلك كنسيم البر

والبحر

والبحر فان النسيم عند شواطئ البحار بالليل يهب من البحر الى البر ويسمونه نسيم البر . لماذا ؟ لأن الأرض أسرع برودة من الماء وفى النهار يهب الهواء من البحر الى البر ويسمى نسيم البحر لأن الأرض أسرع حرارة فيرتفع هواؤها ويحل محله الهواء الذى فوق الماء فتتم هناك دائرة كالدوائر الحاصلة من الرياح الموسمية والرياح التجارية ونحوها . ثم قال : هذا القول منك تكرار لما تقدم . فقلت . كلا . بل يجب ايضاحها ﴿لسببين * السبب الأول﴾ إن كثيرا من الأذكياء لم يتصوروا ما كتبته سابقا حتى تصوره لذلك رسمت هذا الرسم حتى يعرفوا الحقيقة العلمية التى نعيش بنظامها ، فاعادة القول هنا ليعقلها من صعبت عليه هناك ، والرسم هنا لم يكن له نظير فيما تقدم ، وأيضا هذا لزيادة التثبيت وتذكير بجمال الله وابداعه وحسن صنعته وجماله وان لم يكن التذكير دوم الغفلة ، ومعلوم أن الله يكرر القصة على أنحاء شتى فى القرآن ليكون ذلك أدعى للاعتبار والحكمة إذ فى كل مرة تظهر حكم ليست فى غيرها ، فهنا لابد من ذلك ﴿السبب الثانى﴾ فى اننا هنا نريد أن نفهم الحكمة فى جعله ﷺ سراجا منيرا ، ولسنا نعرف المشبه إلا بعد ادراك المشبه به فاذا لم نفصل الكلام فيه لم ندرك المشبه بقدر طاقتنا ، فاذا فصلنا الكلام فى المشبه به هنالك ندرك المشبه ، ولاجرم أن هذا من التشبيه المركب وأعظم التشبيه المركب ما قاله بشار وفخر به وهو

* كأن مثار النقع فوق رؤوسنا الخ * فالتشبيه المركب الذى قاله محصله أن غبار الحرب المحيط بالشجعان تتخلله السيوف اللوامع ذاهبات آيبات صرتفعات منخفضات . مشبه هذا كله بليل داج حالك تساقطت فيه الشهب من السماء . تتخلل اكنافه لامعات متقابلات كثيرة الحركات

هذا أعظم تشبيه عند العرب كما يقول علماء البيان . فاولم نعرف المشبه به هنا لم يمكننا ادراك المشبه . فقال حسن هذا ولكن المقام هنا صعب كيف نصل الى أن يكون النبي ﷺ كالشمس فى هذه الحركات . فقلت إن الله شبه القرآن بالصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . فهذا التشبيه المركب أرقى من تشبيه بشار المتقدم . ألا ترى أن القرآن شبه بالمطر وهو الصيب . والوعيد فى القرآن شبه بالرعد . والبرق شبه بالحجج . ومن يعرض عن سماع الوعيد يشبه بمن يضع أصبعه فى أذنه خوفا من الرعد . ومن يسمع الحجج فى القرآن ثم يعرض عنها كمن يمشى فى البرق واذا أظلم وقف ولم يتحرك . فهذا التشبيه المركب أوسع نطاقا من تشبيه بشار . وقد تقدم هذا فى ﴿سورة البقرة﴾

هنالك قال صاحبى : « أسمع جعجعة ولاأرى طحنا » . ماذا أفدتنا بهذا التشبيه ؟ أنا أعترض عليك من ﴿وجهين * الأول﴾ إن الآية هنا انه ﷺ سراج منير . ولكن أنت تذكر أن القرآن مشبه بالمطر ورجعت فى قولك الى ماذكرته أنت فى أول البقرة ﴿الوجه الثانى﴾ ان أول كلامك أفهمنا انك ستظهر لنا سرا مصونا من تاريخ النبوة يشبه ذلك السر المصون الذى ظهر فى الشمس لأنها بحرارتها وحدها كانت منها الرياح الموسمية ونسيم البر والبحر والرياح الاستوائية والرياح التجارية المنتظمة والرياح الضدية والرياح القطبية . وكل هذه حاملات سحبا وسفنا ونعما . فأنت لم تأت لنا ببهجة فى النبوة تناسب المشبه به وغاية الأمر انك رجعت الى علم التشبيه الذى أنت نهيت عن الوقوف عنده لأنه أمر لفظى . والأمم الاسلامية الآن قد عرفت من آثار النبوة مالم يكن فيما مضى فى الزمان الأول . وقد نقلت أنت عن العلامة السيوطى فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » فى ﴿سورة العنكبوت﴾ أن الأنبياء كانت معجزاتهم كلها حسية . أما معجزته ﷺ فهى راجعة الى ماسيظهر فى القرآن للأمم والأجيال من المعانى التى تتجدد بتجدد الأمم والأجيال . وملخص اعتراضى ﴿أمران﴾ انك لم تذكر النبى ﷺ فى التشبيه بل ذكرت القرآن . وانك لم تأت بما كنا نترقبه . فقلت له : أليس عندك اعتراض بعد هذا ؟ فقال لا . فقلت من عجب انك فى هذا الاعتراض أشبه بهؤلاء الذين يقال عنهم انهم يقرؤن الأفكار . إن كل ماقلته هو الذى ستسمعه وغاية الأمر انى أتيت

بهذا التشبيه مقدمة فقط للجواب الشافي . فلو أنك صبرت عليّ لوجدت الجواب على النحو الذي ترضاه . فقال

أنعم بردّ جواب ما أنا سائل ❊ عنـه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت إن النبي ﷺ أرسل في جزيرة العرب ، وهناك أرسل الجيوش هو وأبو بكر وعمر وبقية الخلفاء الى أطراف جزيرة العرب وللفرس ومصر و بلاد المغرب والأندلس والسودان وهكذا في جهة الشرق الى بلاد الهند والصين ، فهذه الجيوش كالرياح والقرآن معها كالسحاب ، فاذا كانت الشمس أرسلت بحرارتها رياحا في الهواء عند خط الاستواء وكانت لها فروع وفروع وكانت الرياح الموسمية ونسيم البرّ ونسيم البحر وهكذا وحملت تلك الرياح السحب فأمطرت الأرض هكذا هذه الجيوش الجرارة المجاهدة والعلماء والفقهاء والحكماء الاسلاميون ، فهؤلاء كلهم هم رياح مختلفة الأشكال يسمون بأسماء مختلفة ، وهؤلاء يحملون السحاب ، فالقرآن منزل عليه ﷺ والجهاد بتعاليمه ، ثم ان الدين انتشر بالدعاية ، فلننظر الى رياح الجهاد الواصلة الى الأندلس لنجعلها مثالا لنا لنستدل على الباقي ، أليس الاسلام بقي في الأندلس (٨٠٠) سنة ؟ أليس هو كالرياح التي وصلت الى أحد المدارين (الجدي والسرطان) وقد قلنا إن الرياح هنالك انقسمت قسمين قسم رجع الى خط الاستواء ، وقسم ذهب الى الدائرة القطبية ، فانظر الشكل السابق ، هكذا السحب الاسلامية التي وصلت مع رياح الجهاد الى الأندلس قابلها القوم أيام (ابن رشد) بحرارة التعصب ضد العلم لأن العلم عند هؤلاء قد اعتقدوا أنه ينافي الدين فارتفع عنهم الى أهل أوروبا وأخذ يرقى القوم وقد نام المسلمون إذ ذاك نوما عميقا ، ولأذكرك بمسألة وهي ان الله رب العالمين لا رب المسلمين وحدهم ، واذا خلق الشمس فلم يخلقها للمسلمين وحدهم بل خلقها لأمم ولكواكب كثيرة ، إذن نبينا ﷺ جاء لايقاظ أهل الأرض مهما كانت نحلهم وأديانهم كما ان الشمس لأهل الأرض جميعا لأن الله رحيم ورسوله رحمة للعالمين

اذا فهمت هذا عرفت السرّ في أن أوروبا لما أخذت علم (ابن رشد) كما عرفته في غير هذا المكان قامت من رقدتها وهنالك حصلت هناك شعبتان شعبة توجهت الى أمريكا في أيام اضطهاد المسلمين للعلم ففتحت أمريكا وشعبة رجعت الى الشرق بالحروب الاوروبية ، فها نحن أولاء نرى أهل أوروبا لما أيقظتهم الحروب الصليبية التي تشبه من كل وجه الرياح التي تأتي من المدارين الى خط الاستواء رجعوا الى بلادهم ووجهوا هممهم الى أمريكا من جهة والى أمم الاسلام والشرق من جهة أخرى . فهم فتحوا أمريكا فارتقت وهم جاؤا بلادنا يحاربوننا ومعهم تلك العلوم التي تصرّفوا فيها ورقوها بعد أن أخذوها من آبائنا . أليس هذا بعينه هو الحاصل من الشمس ؟ شمس تشرق على خط الاستواء فتثير الرياح فتصل الى مداري (الجدي والسرطان) فتكون هناك ﴿ريحان﴾ إحداهما تتجه الى خط الاستواء . والأخرى تتجه الى جهة ضدها. فهنا كذلك اتجه الاسلام الى بلاد الأندلس ولما استقرّ هناك العلم مدة كره المسلمون العلم فحمله اليهود الى أوروبا فدهشت من هذه التعاليم فأخذت ترتقي وتوجه منها قوم الى أمريكا وطردوا المسلمين من بلادهم لأنهم جهلوا العلم والدين . وهاهم أولاء يجرون وراءهم في شمال أفريقيا وفي آسيا . فهذا نفسه هو الذي حصل في الرياح بحرارة الشمس إذ توجه منها تياران مختلفان لما وصلت الرياح الى المدارين . فهكذا هنا تياران مختلفان . فأما أمريكا فقد ارتقت و بقي أمر أمم الاسلام فهذا دورهم ولاعيب علينا في ذلك فان الرياح الجارية من خط الاستواء تحل محلها الرياح الآتية من المدارين . واذا كان هذا طبيعة ملك الله فلنسر على نظامه ولنعلم أن هذا هو وقتنا وأيام رقينا . ومامثل هذه الأمم الاسلامية مع دينها إلا كمثل أرض نزل عليها الغيث فأنبتت نباتا حسنا ولكن تركت بركا ومستنقعات هنا وهناك لعدم المصلحين للأرض وهذه البرك أخذت تكثر وتزداد على مدى الأيام فبعد أن كانت الأرض أخذت زخرفها وازينت أصبحت كلها حشائش ومياها مرة قذرة وأرضا مستوخمة كثرت فيها الأمراض والجدري والحصباء بجهل أصحابها

هذه

هذه حال المسلمين لما نسوا الشمس المحمدية وناموا على كلام شيوخهم المتفرقين وظن كل شيخ طريقة أو عالم مذهب من مذاهب الاسلام أن الدين هو مايعرفه وماعداه لايجب عليه ولا على الناس صار الناس كأنهم فى مستنقعات و برك ، ولذلك ترى المبتدعين والخارجين وأصحاب المذاهب السقيمة كثروا فى الاسلام فهؤلاء كالماء الراكد أضروا بتلاميذهم وحجبوهم عن العلم فذلوا ، وكما أن الشمس تطهر الأرض هكذا النور المحمدى بالرجوع اليه يستيقظ المسلمون

فلما سمع صاحبى ذلك قال هذا حسن ، ولكن من المسلمين من منع عنهم المستعمرون العلم . فقلت ولكن لايمنعون القرآن ولاهذا التفسير ، وهذا التفسير وأمثاله فى أمم الاسلام كثير منه يفهمه كثير من العقلاء وان لم يكونوا متعلمين العلوم الحديثة ، وهل للمسلمين عذر بعد الآن

فاقرأ أيها الذكى مذهبك الذى تعلمته فى الصبا ، فليس يناقض هذا التفسير لأن المذاهب كلها فى أمور عملية جزئية وهذا فى الامور العامة ، ومنه تظهر لك بعض أنوار الشمس المحمدية التى بها تعرف أن وقوف المسلمين فى هذه البرك والمستنقعات المملوءة من الحيوانات الذرية الفكرية الضارة بالمسلمين هلاك لهم وهم أجدر بالسعادة والرقى من جميع أمم الأرض

فقال صاحبى : الآن فهمت، ولكن أين موازنة نبينا ﷺ بأعاظم الفلاسفة . فقلت إن أفلاطون ألف جمهوريته وهى أعظم كتاب ألفه عالم فى الأرض كلها ، وهذا الكتاب علم عرف الأمم كيف تنظم الحكومات والجند والعامة ، وما الذى يرقيها ، وما الذى يخفضها ، وتقدم تلخيصها فى هذا التفسير ومع ذلك لم نجد هذا الفيلسوف دولة بل انه مع شهرة كتابه الآن وانتفاع الأمم به لم يحدث جزأ مما أحدثه هذا النبى العربى الذى استحق بمقتضى التاريخ ونتائج أعماله أن يسمى ﴿ سراجا منيرا ﴾ لأنه حرك الكرة الأرضية كلها حتى ان الحركة وصلت الى اليابان والصين ، فاليابان ماحركها إلا تعاليم أوروبا والصين كذلك ، فحركات الاصلاح تتجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسبب الحركة الاسلامية . إذن هو ﷺ شمس منير حقا وبه ارتقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والمسلمون الحاليون الذين جنى عليهم جهل آبائهم المتأخرين سيأخذون دورهم فى الرقى وتهب رياح سعدهم الى الأمم كرة أخرى تحمل لهم علما غزيرا

فقال صاحبى : إن هذا البيان عجيب وأنا أحمد الله عليه . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٨) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

* * *

﴿ زيادة ايضاح فى بعض أسرار قوله تعالى ـ ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ـ ﴾

لقد تم الكلام على تفسير هذه الآية وايضاحها ولكن لابد من ايفاء المقام حقه من حيث العمل بعد العلم فى بلاد الاسلام . لاجرم أن ضوء الشمس له منافع جمة فى علم الطب . ولقد أكثر الأطباء من تعداد منافع التعرض للهواء والشمس نابذين تعاطى الأدوية من الصيدليات فى أنحاء العالم . ومعنى هذا أن الأطباء فى العالم اليوم رجعوا فعلا الى منافع ضوء الشمس والهواء والتداوى بما هو طبيعى . وهاهم أولاء ينكرون كل الانكار مايزاوله الأطباء غالبا من المداواة بالعقاقير المشهورة و يقولون انها تحدث أمراضا وأمراضا . وهذا القول نقلته فى ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قوله تعالى ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ وهكذا ترى كثيرا منه فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ عند آية ـ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ـ وفى ﴿ سورة الحجر ﴾ فى أوائلها عند الاشارة الى قصة آدم وفى ﴿ سورة طه ﴾ عند قصة آدم أيضا وفى ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند آية ـ واذا مرضت فهو يشفين ـ

فترى فى هذه المواضع مايغنيك فى علم الطب و يرجعك الى المعالجة الطبيعية ومن أهمها ضوء الشمس ٠ هذا فى شمس السماء وهى المشبه بها ، أما المشبه فى الآية وهو رسولنا ﷺ فاننا نريد أن نعرف لماذا كان هذا التشبيه ومافائدته لنا معاشر المسلمين الآن بطريق أجلى بحيث نعرف من هذا التشبيه ماعرفه الأطباء فى علمهم ، فاذا كان الأطباء رجعوا الى ضوء الشمس ونحوه فى طبهم وهم مصيبون فهل أمراض المسلمين الاجتماعية يكون الشفاء منها بنفس هذا التشبيه و بقوله تعالى ــ وسراجا منيرا ــ ٠ هذا ماأريد بحثه اليوم فأقول : اللهم إنى أحمدك حمدا كثيرا على نعمة العلم وبهجة الحكمة ٠ اللهم إنك أنت الذى أعنت ووفقت وشرحت الصدر ودبرت الأمر ووعدت ونصرت وأوفيت العهد فأنا أسألك اللهم أن تجعلنا وافين بعهدك حتى نستحق منك هذا الوفاء وهذا الجيل وهذه النعم العلمية التى نحن نقرّ بها ونحمدك عليها

أيها الذكى : أكتب هذا صبيحة يوم الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ذاكرا ما اتفق لى أمس الأربعاء (١٨) منه ، ذلك انى أحسست بألم من البرد فى كتفى اليسرى ولقد اعتدت أن أتعرض لضوء الشمس متى أحسست بهذا الألم منذ سنين طويلة فيذهب ذلك المرض ، ومن أعجب العجب انى قبل أن أعرف ما لضوء الشمس من الفوائد ولم أقرأه فى كتب الأطباء و بعد ماجرّبته صح عندى

أقول : إذ ذاك قابلت طبيبا مصريا فسألته : لم لم يظهر الأطباء فضل حرارة الشمس مع انى أنا عرفت منفعتها فى شفاء جسمى ، فكان جوابه : لقد وضعوا الأدوية الحارّة وهى من نوع حرارة الشمس ، فسكت ورضيت بهذا الجواب ، ثم بعد ذلك اطلعت على فوائد الضوء الذى تقدّم فى هذا التفسير مشروحا شرحا مستفيضا من أقوال نفس الأطباء فدلّ ذلك على أن ذلك الطبيب الذى سألته قبل ذلك كان مقصرا أشدّ التقصير فى جهله الامور العامّة وحصر فكره فى العقاقير الطبية فمثله كمثل كثير من علماء الاسلام فى القرون المتأخرة الذين حصروا عقولهم وأضاعوا مهجهم ووضعوا نبوغهم فى المسائل الجزئية من الطلاق والبيوع والحيض والنفاس ولم يرفعوا رؤسهم الى الشمس المشرقة المحمدية فيدرسوا نفس القرآن ونفس السيرة المحمدية وسير الصحابة والتابعين ليستخلصوا من ذلك رقى الأمم الاسلامية المسكينة ، إن نسبة هؤلاء فى علومهم المحصورة كنسبة الأطباء فى حصر عملهم فى العقاقير المشهورة ونسبتهم فى رجوعهم الى القرآن وتفسيره بالهيئة الحديثة التى رأيتها كنسبة رجوع الأطباء الى التداوى بالماء و بضوء الشمس و بالهواء النقى

أقول : لما أحسست بذلك البرد توجهت الى الخلوات خارج القاهرة وجلست فى مكان قصى نحو ساعتين متعرّضا للشمس على عاتقى ، و بينما أنا كذلك إذ صاحبى قد تتبع خطواتى فسمعت نبأة خلفى فسلم وحيا وجلس وقال فيم تفكر الآن ٠ فقلت واذا عرفت انى أفكر فلماذا قصدت قطع التفكير ؟ فقال قصدتك بعد مدة كافية لتمام الفكر ٠ فقلت أنا أنظر الى الشمس والى السحاب وأعجب من مهرجان وعرس وأفراح فى هذا الجوّ ٠ أنظر : ألست ترى السحاب يحيط بالآفاق شرقا وغربا ٠ هاأناذا جالس على هذا الرمل وأرفع طرفى فأرى قبة زرقاء تحيط بى مهندسة الشكل بديعة الوضع حواشيها موشاة بالسحب المجللة لآفاقها ٠ وهاهى ذه تتمايل ذات اليمين وذات الشمال وتتقارب وتتباعد ٠ أفلست ترى أن هذه هى عين مايفعله الناس فى أعراسهم وأفراحهم وولائمهم فى عقود زواجهم ٠ الناس شرقا وغربا قديما وحديثا يصنعون الولائم فيضربون الطبول و يطلقون الرصاص من البنادق بل القنابل من مدافعهم ٠ ولهم أغان ينشدونها ومجالس ابتهاج مجموعهم وأنعام يذبحونها وصدقات يوزّعونها وأعلام يرفعونها ٠ لم هذا كله ؟ لاقتران فتى بفتاة أو ولادة ولد ٠ والمظاهر عادة تتبع فى ضعفها وقوتها العسر واليسر والغنى والفقر وكل امرئ بقدره

فاذا كانت هذه طبيعة الانسان فهى مجمع عليها واجماع الانسان على عمل واحد يكون له شأن الفطرة والفطرة صادقة ٠ فلم هذا كله ؟ نظرنا فوجدنا هذا الاقتران نتيجته الولادة والولادة ترجع الى وجود حىّ على

الارض

الأرض . إذن هذا الانسان انما يكون فرحه بالوجود ، فلافرح إلا بموجود ولاحزن إلاعلى مفقود ، ثم تنظر فنرى أن القرية التى فرح بها الانسان ربما تموت وربما يموت الأب قبل كبر الابن ، فدلنا ذلك على أن هذا الفرح فرح جزئى لا كلى لأنه ليس بدائم ، وماليس بدائم لاقيمة له ، إذن عواطف هذا الانسان وهذا الحيوان عواطف جزئية جعلت غرائز لأعمال جزئية لادوام لها ، فلننظر إذن فى العوالم التى منها خلق هذا الانسان فنرى هذه الأفراح والأعراس تقام فى السماء دائما من يوم أن خلقت السموات والأرض . ولن تقام تلك الأعراس إلا ابتهاجا بالوجود العام كما أقامها الانسان للوجود الخاص ، وعظمة أفراح السماء مناسبة لعظمة الموجودات التى أقيمت الأفراح لها

أنظرأيها الذكى : ألست ترى هذه الشمس تختفى تارة وراء هذه السحابة وتارة تظهركأنها تفعل فعل الناس فى أعراسهم يظهرون أفانين اللعب ، و بعد الاختفاء يظهر وجهها كرة أخرى وقد رفعت نقابها تحيينى أنا وتحييك بالسلام وهى بسامة ، ثم إن أفراح السماء عامّة ، فهاهى ذه أمامك فى جميع جوانب السماء لأن هذا الفصل فصل المطر وقد جعل المطر للحياة . فأفراح السماء ترى

(١) السحاب

(٢) والرعد والبرق

(٣) وأصوات الرياح المغنيات بأعواد الأشجار

(٤) والأعشاب والزروع الراقصات على تلك النغمات وفيها الطيور المغرّدات بأنواع النغمات

(٥) وهل فعل الانسان غير ذلك فى أعراسه ؟

مدعوّون كالسحاب كثرة وقلة . واطلاق الرصاص من البنادق والمدافع يحدث صوتا مشاكلة للرعد وضوأ مشاكلة للبرق وضرب الدفوف والطبل مشاكل لأصوات الرياح والرقص والغناء كرقص الأشجار وغنائها وغناء الأطيار

ولكن الفرق بين العرس الذى أقامه الله وأعراس الناس انه عرسه دائم بدوام السموات والأرض يراه الآباء والأبناء وعرسنا ذاهب جزئى مقدّر بمقدار عواطفنا وأحوالنا . ثم انما مثل المسلمين السابقين بعد العصور الأولى الذين هم خير العصور المقتصرين على دراسة القشور من دين الاسلام فى اقتصارهم على كتب خاصة فى المذاهب المعروفة كمثل أهل الأرض فى اقامة الزينات واعداد الولائم فى أعراسهم الجزئية وحال المسلمين الذين يقرؤن اليوم أمثال هذا التفسير و ينظرون فى القرآن و يفهمون هذا الوجود فهما حقا انهم يرون ما أراه أنا وأنت اليوم أيها الذكى فقال وماهو ذلك ؟ فقلت انى أنظر فأرى أن هذه الأعراس والزينات المقامات فى هذه الآفاق مقصودة لدعوتنا أهل الأرض أن نشاهد العرس الأعلى والأوسع نطاقا . فهمة العاقل تتجه الى المثل الأعلى والمثل الأعلى هنا أن نعرف لم دامت هذه الزينة السماوية دائما ؟ فقال لدوام الوجود من حيث الكليات كالكواكب ومن حيث الجزئيات كالمواليد على الأرض . فقلت إذن سيتجه نظر المسلمين بعدنا الى هذه الأعراس العامّة ولا ينحصر نظرهم فى الأعراس الخاصة . قال ان شاء الله فيدرسون الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والهواء . وهنالك يفرحون ويقرؤن ـ قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ـ وهنالك يفهمون لماذا قال الله هنا فى الآية ـ وسراجا منيرا ـ

ومتى برزت الشمس قتل ضوؤها كل المكروبات (الحيوانات الذرية) وأزال العفونات من الأرض . فهكذا متى درس المسلمون أمثال ماكتبته فى هذا التفسير زالت تلك العفونات العلمية والأخلاق الوراثية التى خلفها أناس من قبلنا لم يرفع شيوخهم أعينهم الى معرفة نفس القرآن ونصوصه ولا الى جمال الله وابداع تركيبه . وهنالك سيتجه الجميع وجهة واحدة فيعرفون الجمال الأسمى والحكمة فى هذا الوجود . وهنالك

يفرحون بالوجود الأعلى وهوالوجود الدائم وجود رافع هذه الزينات ومرسل الرياح فى الآفاق ومعلم الطيور أنواع الغناء . ومطلق فى الجوّ أصوات الرعود ولألاء البروق والجبال فبدل أن يفرح الناس بمولود يموت و بزوجات ستفارق و بنعم ستزول . يفرحون بوجود هوالحاضرالدائم الذى لايفارقهم . وهنالك يعلمون أن تلك الأعراس وتلك الزينات الجزئية ماهى إلامدرسة صغرى ومقدّمات لفهم الأعراس الكبرى ومتى عرفوا أن هذه الأعراس والأبناء كلها فانية توجه للعرس الأكبر ولمن أقام زينته ونصب خيمته وهوالموجودالذى لاابتداء له ولاغاية . هنالك يرتقى المسلمون ارتقاء لاحدّ له وتضمحل تلك الخزازات الحقيرة الصغيرة التىولدها قصرالنظر الذى طال أمده إذ يرون دراسة الوجودكله دراسة القرآن وما الخلاف فى الاسلام إلا كاختلاف الأشجار ورقا وطعما وجمالا لاغير

وهذه العقول الاسلامية بعدنا التى يكون فرحها وعلومها كلها متجهة الى نظام هذه الدنيا يسعدون فى الدنيا وفى الآخرة لأنهم يعرفون الرحمة التى تقدّم تفسيرها فى أوّل ﴿سورة الروم﴾ ومابعدها للبسملة و يوقنون بأن من جعل هذه العوالم خادمات لكل انسان ليس يرسل آلاما لمخلوق إلا لفائدة ذلك المخلوق وهولايدرك حكمتها ولأنهم يوقنون بعد دراسة ماتقدّم بذلك كل الايقان . وهنالك فقط يعرفون معنى قوله تعالى — يدبرالأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون — فلا ايقان باللقاء ولافرح بذلك اللقاء إلابعد تفصيل الآيات التى جاء بعضها فى هذا التفسير و بدون ذلك لاايقان بل هواءيمان . فالله أخذ يفصل الآيات اليوم فى الكرة الأرضية . وهانحن أولاء ذكرنا بعضها وسيقوم بباقيها من بعدنا . وهاهى ذه أيام اليقين قد أقبلت و يدرس المسلمون نظام الدنيا و يرفعون شأنها و يرجعون الى ربهم فرحين به مستبشرين

فقال صاحبى : فاذكر لنا كلمتين فيما رأيت اليوم من الأفراح كلمة عامّة وأخرى خاصة حتى يكون ذلك نموذجا لتفكيرك اليوم . فقلت أما الكلمة العامة فانى أقول لك انك يحق لك أن تقول ان هذه القبة السماوية والأرضية وما بينهما . وهذه الأعراس الطبيعية القائمة الآن هى لك أنت . قال وهل الوجود ليس فيه غيرى ؟ قلت انهالك أنت . فقال ماالبرهان ؟ فقلت أنت من الأمة المصرية البالغة (١٤) مليونا وارتقاؤها ينفعك وضعفها يضرّك . قال حقا هذا . إذن كلهم نافعون لك اجمالا . قال هذا حق . فقلت والأمة المصرية بينها و بين الأمم علاقات التجارة والبريد والطرق الجوّية للطيارات والبريد الجوّى والبحرى وهكذا قال حقا . قلت فكل الأمم نافعات لها . قال نعم . قلت ولك . قال ولى . قلت الشمس والهواء والسحاب كلها نافعات لك ولأمّتك وللأمم والحيوان والنبات الخ . إذن هذه الشمس وهذا الهواء مسخرات لك لأنها نفعت الأمم النافعات لأمّتك النافعة لك . إذن العوالم كلها تخدمك ولاينافى هذا انها تخدم غيرك لأن هذا نظام إلهى يحارفيه العقل . فكما خدمت الأمم كلها والعوالم نفسك هكذا أنت تعتبر خادما لأمّتك ولأمم غيرها بطريق غير مباشر . هذه هى الكلمة الكلية العامّة

أما كلمتى الخاصة فانى أقول إن هذا الانسان لن ينال السعادة التامّة إلا بعد معرفة الحقائق معرفة تامة والمعرفة التامة فى هذه الدنيا مستحيلة لأنه محبوس فى جسمه بل هومحبوس فى سجن مظلم ولم ينل من العلم إلاقليلا لأنه محوط بآلام داخلة وأخرى خارجة كالمسجونين فى سجون المجرمين فى عالم الأرض ولكنه وهوهنا قد يتلمس بعض الجمال من خلال نوافذ السجن كما سأوضحه هنا فأقول :

إنى اليوم لما توجهت تلقاء العراء وفسيح الخلاء لم أجد هاديا يهدينى الى الطريق إلا ضوء الشمس . هذا الضوء لولاه لم أعرف الطريق . وهذا الضوء هو نفسه الذى بسببه امتص الورق فى الأشجار موادّ الكربون (الفحم) البالغ جزأ من ألف ألف جزء من الهواء كما ستراه موضحا مشروحا فى ﴿سورة يس﴾ عندقوله تعالى — سبحان الذى خلق الأزواج كلها — الخ . فالضوء به كان هذا الورق فى الأشجار المحيطة بنهرالنيل حولى

وسترى

وسترى هناك فتحات الورقات مصوّرة بالمصوّر الشمسى وقد شرحها العلماء فقالوا إن كل فتحة توصل الى حجرة ذات حوائط شفافة مغطاة بسقف بديع وفى داخلها مادّة سائلة يعوم فيها مادّة خضراء بها تكون خضرة النبات ، وفى الورقة الواحدة قد يكون نحو مائة حجرة أومائتين وقد يكون فيها ألوف بل ألوف الالوف فى نفس الورقة الواحدة وكلها بهذا الصنع المتقن ، فاذا أيقن المسلم بذلك وهولاشك يوقن لأنه سيشاهد بعينه تلك الحجرات ويقرأ شرح العلماء لها

فهذا الايقان الذى منحه الله لقرّاء هذا الكتاب ستتخرج به طبقات ممتازات فى بلاد الاسلام يرفعون أممهم الى أعلى درجة فى الكمال ، وهل يفكر الجاهل فى ضوء الشمس ؟ واه نعمة . كلا . إن أكثر هذا الانسان لايرى نعمة إلا مااختص به أوكان ممنوعا عنه فبذل له كالغنى بعد الفقر

إن من عرف ربه بهذه الرحمة وأيقن أن الآلام والمصائب المحيطة بالانسان لم تخرج عما تفعله الحكومات الأرضية فى الناقصين من بنى آدم اذا سجنوهم ، واستنتج من ذلك أن هذا الحكيم لن يفعل ذلك فينا إلا لنلحق بالعالم الأعلى من هذا العالم الناقص كما تفعل حكوماتنا فى الناقصين منا حتى يصلحوا لأن يعيشوا معنا غير مفسدين لأممنا ، وهنالك تحرّض هذه الطبقات الممتازة أمم الاسلام على الاعتراف من الحكمة والعلم . وهذه الطبقات الممتازة فى بلاد الاسلام المؤمنة بهذه الرحمة الواسعة تكون صفاتهم الممتازة أنهم يحبون أممهم بل كل أهل الأرض ويسعون لرقيهم ويفرحون بلقاء ربهم

فهم إن عاشوا عاشوا سعداء مسعدين وان ماتوا ماتوا فرحين بلقاء ذلك الحبيب الذى أسعدهم بالخيرات وهذبهم بالنقم . فالنعم والنقم سيان عند قرّاء هذا التفسير وأمثاله

واعلم أيدك الله أيها الذكى أن كل ماورد من صفات هذه الأمة وفضلها وانها خير أمة أخرجت للناس قد تمّ بعضه أيام النبوّة وفى عصر الراشدين ومن نحا نحوهم . وسيتم باقيه بعد نشر أمثال هذا التفسير إذ يتبوّأ المسلمون متبوّأ العلم والحكمة وحب الله المبنى على الايقان وادراك الجمال والحسن والبهاء والاشراق واسعاد العالم الانسانى . وسيكون نبراسهم ــ ياأيها النبىّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ــ الى قوله ــ وسراجا منيرا ــ فهذا تفسير هذه الآية وسيظهر أثره للعالم الانسانى والله هوالولىّ الحميد اهـ

﴿ آثار النبوة وانتشارها فى أوروبا ﴾

(وكيف نرى العلماء فيها هم الذين يعتنقون هذا الدين وذلك من آثار كونه ﷺ سراجا منيرا)

ذكرنا فيما تقدّم قريبا رسالة عبد الله كويليام الانجليزى الذى أسلم مع نبذة من ترجمة حياته وهى الرسالة المسماة « الجواب الكافى » وقد ترجمها الى العربية الاستاذ زهدى الخاش . ونزيد على ذلك الآن ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ (١٠) يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المستشرق الفرنسى المسيو ايتان دينيه ﴾

(السيد ناصر الدين دينيه)

(المسلم الفرنسى والمصوّر الشهير)

مات هذا المستشرق النابه وقد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير العدد العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلى الشعوب الشرقية التى أحبها وخدمها وقد وجب علينا وان كنا لم نقف هنا لك فى باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث الى روحه الطيبة تحيات السلام والاعتراف بالجميل

أحب المسيو دينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فاتخذ له بينهم مقاما محمودا فى بلاد الجزائر فى تلك الواحة السعيدة الهادئة الجميلة (بوسعادة) ينتقل اليه يسكنه نصف العام كاملا . يرتاح للعرب وجيرتهم . ويروح عن نفسه بينهم وينعم بما فى حياتهم من جلال تلك المناقب المأثورة عنهم وتلك المكارم المعروفة بهم والتى لا يميل اليها الا عشاق الخيال السامى ولا ينشدها الا أهل الفضائل العالية ، وقد وضع فى حياة العرب كتابا جميلا جليلا ملاه باللوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة فى تصويرها والبيان فى صمتها

والمسيو دينيه يبلغ من العمر سبعين عاما . وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم ، وله فى متحف لوكسمبرج (وهو متحف كبار المصورين المصريين بباريس) عدة صور منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور فى متحف (بو) وكذلك فى متحف (سدنى) باستراليا وغير ذلك كثير

وجميع صوره تدل على القدرة الفنية الكبيرة فى رسم الصحراء وتصوير حياة الصحراء ، كما تدل على دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وهو ذو مركز خاص مشهود به بين اخوانه المصورين وامتاز عنهم بتخصصه فى تصوير الحياة الأسلامية وبالأخص ما كان منها فى بلاد الجزائر

وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه انه المصور الفريد بين اخوانه الذى يستطيع تمثيلها بالريشة والألوان والاصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه انه المصور (العربى)

وقد جاءت ترجمة المسيو (دينيه) وأعماله فى معجم (لاروس) الكبير وفى معلمه (هاشيت) للفنون الجميلة . وله عدة مؤلفات منها كتاب حياة العرب الذى ذكرناه ومنها كتاب السراب ، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب . وكلها تشير الى ما فى طبيعته من الخلق الطيب وما يحمل فى قلبه من الحب والتقدير للشرق والشرقيين

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد ﷺ وهو السيرة النبوية فى مجلد كبير جليل وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة ، من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الاسلامية ومشاهد الدين ومعالمه . وطبعه طبعا غاية فى الاتقان والعناية حتى انه يعد تحفة من تحف الطباعة كل ذلك تقديرا منه لموضوعه . ثم انه قدمه لأرواح الجنود الأسلامية التى استشهدت فى الحرب الكبرى وهى تحارب فى صفوف الفرنسيين . ونشره كذلك باللغة الأنجليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام ، والكتاب فى طبعته قد تحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية فى الدقة والابداع ، وهى اللوحات التى قام بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد محمد راسم الجزائرى أشهر رجال الزخرفة العربية والذى أشار اليه المسيو الازار الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك فى المحاضرة التى ألقاها فى النادى الفرنسى بالقاهرة فى شهر مارس سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية

وما أظن أن العالم العربى قد قرأ للمسيو (دينيه) شيأ بالعربية قبل تلك الرسالة التى عربناها له (أشعة خاصة بنور الاسلام) والتى نشرت بمصر فى هذا العام ، وهى التى جعلها بحثا عصريا فى مبادئ الدين الاسلامى وأراد اظهار هذه المبادئ واضحة جلية وأنها أفضل مبادئ المدنيات الحاضرة . ولعل هذه الرسالة هى آخر ما كتب ، اللهم الا اذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التى كان قد ذكر لنا أنه يشتغل بتدوينها بهمة ونشاط وذلك عقب عودته من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج واذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئا فانه ذكر لنا فى كتابه الينا أنه لاقى من التعب والمشاق الشئ الكثير رغم ما لاقاه من التكريم والعناية الخاصة ورغم نسيانه المشقة فى سبيل الله وهو يدعو الى اصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين

يأتون

يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ...

والمسيو دينيه كاتب رقيق العبارة واسع الاطلاع لذلك هو صحيح الحجة ناهض البرهان ثم هو شديد الهجوم شديد الدفاع ذلك لانه غيور على مبدئه الذي لم يتخذه الا بعد بحث وتفكير . وقد أعلن اسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب ان يدفن في قبره مسلما حنيفيا . وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلدة (بوسعادة) بالجزائر وقد ذكرت الاهرام في تلغرافاتها الخصوصية أمس أنه سينقل اليها من فرنسا وفق وصيته ، ويقول إنه لم يسلم لمطمع أومغنم (والرجل غني موسر الحال) وانما أسلم إرضاء ليقينه وضميره وأنه ناقش الناصرين والطاعنين فخرج من (دينيه) الى (ناصر الدين)

وله في بيان فضائل الشرقيين عامة والدفاع عنهم جولات قلمية ولوحات تصورية تشهد له باخلاصه في حب الشرق وتقوم دليلا على حبه للعدل والانصاف . وقد استفتاه بعضهم عن أمر الشرق والغرب فكتب يقول ان الغرب يخطىء النظر الى الشرق مع ان للشرق على الغرب أفضالا متواصلة في مدنيته متغلغلة في حياته ذلك من أثر الدينيات التي هو مدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التي منشؤها اليهودية الشرقية . ومن أثر الحياة الشريفة والهمة القعساء التي منشؤها أنظمة الفروسية العربية . ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التي ابتدعت أصولها العقول الشرقية

ويقول ان الشرق لم يضمر للغرب الاساءة ، وأن الغرب يخطىء اذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دخائل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له الا السلامة

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب ، وهو المثل الطيب لكل فرنسي يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجيل النبيل . ومع انه قد اعتنق الاسلام وعاش مسلما ومات مسلما فان ذلك لم يمنعه من أن يكون مقيما على العهد والاخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نعشه رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤبنونه أحسن التأبين . ذلك لنبالة قصده ومتانة انسانيته

(راشد رستم)

هـذه هي المقالة التي كتبها الاستاذ المذكور ، وانما كتبنا تاريخ (المسيو ايتان) لأنه توفي أثناء تقديم هذه السورة للطبع فكتبناه هنا تذكيرا لقراء هذا التفسير ، ويحسن بنا أن نذكر شذرات من رسالته المسماة « أشعة خاصة بنور الاسلام » وهي التي ترجمها الاستاذ المذكور . واليك بيانها

(الشذرة الأولى)

مما لا نزاع فيه أن التربة والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعال في نشأة الأمور وحياتها . وأن الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خبيثة تخرج ثمرا أضعف مما تخرج الشجرة الخبيثة التي تنبت في أرض طيبة . كذلك كان الشأن مع المسيحية : فهي وان ظهرت أنها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاليمها دون غيرها ، بل ان مرجع ذلك هو الى ما تستفيده من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء «الغربيون» ومن الغريب أن أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود ، أو من الملاحدة والمعطلين ، أو المشركين . بل ان منهم من حاربتهم المسيحية واضطهدتهم . خذ مثلا (جاليلة) الفلكي الايطالي و (اتين دوليه) الكاتب الناشر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا ضحية التعصب الذميم

وأمر غريب آخر . ألم تجد الأمم الاوربية التي تأصلت فيها المسيحية أن الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على ممالكها ومستعمراتها . انتهت الشذرة الأولى

﴿ الشذرة الثانية . المعجزات ﴾

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في اتمام رسالته على المعجزات : وليست عمدته الكبرى الا بلاغة التنزيل الحكيم . وفي ذلك يقول تعالى — وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون —
وقد نسي رينان أن محمدا ﷺ مع عدم اعتماده على مثل هذه المعجزات التي ينكرها قد جاء بأكبر المعجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها ، جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أنصاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرنا حتى بلغوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون
على أن المعجزات التي تنسب الى محمد ليست من نصوص القرآن ، وانما قد نسبها اليه مؤرخو العصور المتأخرة تقليدا للمعجزات التي تنسب الى المسيح ، فهي ليست من الدين في شئ
وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شئ مما عرف عن رسول الله ذاته ﷺ . فقد جاء في الأثر أنه لما مات ابراهيم حزن عليه محمد حزنا عظيما . وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها المعجزة يا محمد فقد شاركتك الشمس في حزنك على ولدك . ومع أن النبي كان مأخوذا بالحزن الشديد فقد أنب القائل وقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته »
ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم الى يومنا هذا . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة — التسامح والرفق في الدين ﴾

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الأخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين .
جاء الى الرسول أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يارسول الله ان لي ولدين مسيحيين يأبيان الدخول في دين الله واني لمجبرهما على ذلك . فقال له النبي ﷺ — لا اكراه في الدين —
وفي هذا الباب ما جاء في سورة الكافرون : — لكم دينكم ولي دين — كذلك ما جاء في سورة العنكبوت — ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن —
ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية وها نحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة الى دينهم ولا يتبعون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يمجها الذوق السليم
وقد أنصف (القس ميشون) الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والأحسان عند الشعوب والأمم (١)
زد على ذلك أن المسلمين يحملون لعيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يطرون محمدا وابلا من اللعنات والسخطات ، الأمر الذي يدعونا الى الدهشة والغرابة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والاحسان !
بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسامح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أغسطين) الى الحاكم (بونيفاس) وهو يبرر له فيها اضطهاد المخالفين وقتلهم متذرعا لذلك بأن الديانات الأخرى تفعل مثل ذلك قائلا انه لخير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك « لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحدا ، فانما هي لا تقدم على ذلك الا مدفوعة بعاطفة المحبة . » ! فما أعظم محبة الكنيسة ! وما أكرمها لأولئك الملايين الذين راحوا ضحية

---

(١) نقلا عن الكونت دي كاستري في أبحاثه عن الاسلام

القديسة

«القديسة» محاكم التفتيش . وضحية القديس بارتلمي وغيرهامن «القديسين والقديسات» الذين يستبيحون المذابح والمجازر البشرية . انتهت الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة — العلم ﴾

رفع النبي محمد قدر العلم الى أعظم المرتبات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم . وفي ذلك يقول : اطلبوا العلم ولو بالصين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العبادة (١)

وقد نظر المسيو (كاز انوفا) أحد كبار أساتذة كوليج دي فرانس بباريس في هذه الكلمات الغاليات كيف يقولها أحد أصحاب الديانات فعلق على ذلك يقول : «يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون تمثل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك و ينسون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة . فأي رئيس ديني كبير وأي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي الفاصل المتين ! هذا القول الذي هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم إن هذا هو مبدؤنا اليوم ولكن أليس العهد بقريب يوم كانت الكافة عندنا من أهل العقول تنظر الى مثل هذا الشعار كأنه رمز العار وعلامة الشنار . !

كما أنه سوف يقال ان أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كشفت أمثال (لوثير) و (كالفين) وعاد الفضل فيها الى رجل عربي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام » . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة — الخمر ﴾

ذلك هو الداء الفتاك وهو أحد الأمراض الاجتماعية الوبيلة في عصرنا الحاضر . على أن محمدا هو الشخص الوحيد الذي أحس بالأثر السيء الشديد للخمر في النفوس ففاز به حتى حرمه تحريما تاما وقد فاز في ذلك فوزا كبيرا (٢)

— يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون — سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخالف الدين في تحريم الخمر تحريما قاطعا . غير أن الكثيرين من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا وأنابوا وهم لم يفعلوا ذلك الا بتأثير الدين نفسه وبما جاء فيه من النهي عن الخمر والأمر بالتحريم . في حين أننا لم نسمع أن أحدا من المسيحيين الذين يدمنون الخمر قد تركوها أو عادوا عنها ولا يخفى أن الاناجيل المسيحية ذكرت أن المسيح في أفراح (قانا) ملأ من النبيذ ستا من قدر الماء تسع كل واحدة منها مايقرب من سبعين الى تسعين لترا بمكيالنا الحاضر

كما أن الكنيسة قد جعلت (مونيك) الافريقية في عداد القديسات ، مع أنها كانت من مدمنات الخمر كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس (أغسطين) في اعترافاته (٣) . انتهت الشذرة الخامسة

﴿ الشذرة السادسة — الوسيلة ﴾

الوسيلة هي احدى كبريات المسائل التي فاق بها الاسلام جميع الأديان ، اذ ليس بين الله وعبده وسيط وليس في الاسلام قساوسة ولا رهبان

---

(١) الجزء الاول من كتاب الاحياء للغزالي

(٢) وأما تجربة الولايات الولايات المتحدة في أمريكا في تحريم الخمر فلم تظهر نتائجها بعد اذ لم يمض على ذلك الا بضع سنين

(٣) عن الدكتور بينه سنجليه ، في كتابه «جنون يسوع»

ان هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الاديان . وانهم كذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان اخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . المطرد «بائعي الهيكل» ! غيرأن أتباعه لم يفعلوا مثل مافعل . واليوم اذاعاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعي الهيكل !!

كذلك ما أكثر البلايا والمصائب بل ما أكثر المذابح والمجازر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات و بعضها أو بين الشعوب والشعوب ، وهم في ذلك كله يصيحون : باسم مجد الله !!

ثم انهم قد عكسوا الآيات و بدلوا النيات ، وغيروا الأوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيل العالي ولا فهموا معناه الحقيقي حين يقول : «جئت لألقي نارا على الارض . فماذا أريد لو اضطرمت ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الارض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم» (١) .

وقد حرم الاسلام نظام هذه القداسة ومحا الولاية فنفى بذلك تلك الخرافات الضارة والمعتقدات الفاسدة . وأزال آثارها ونتائجها

وليس للمسلم أن يدعو الرسول و يتضرع اليه ، وانما له أن يدعو الله وحده لاشريك له . وقد يكون للمسلم أن يدعو الله للرسول ، ولكن لايدعو الرسول لله ولا لذاته

كذلك يحرم القرآن الشفاعة و ينكر الشفعاء . ويوم القيامة لاتسأل نفس إلا عن نفسها

وأما مانراه من الزوايا وأضرحة الأولياء فان ذلك لم يقم الا بعد الهجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية . على أن ذلك لم يقبله العبيديون كما ألغاه الوهابيون أخيرا من مكة والمدينة وما اليهما . انتهت الشذرة السادسة

﴿ الشذرة السابعة ـــ الاله ﴾

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا ، أوما الى ذلك من الاشكال أما في المسيحية فان لفظ (الله) تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال ــ فمن تجاعيد بالوجه غائرة الى لحية بيضاء مرسلة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء

ونسمع القوم يصيحون (ليحيى الله) فلا نرى للغرابة محلا ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون الى رمز الابدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخا هرما قد بلغ أرذل العمر . فكيف لايخشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لايطلبون له الحياة ؟

كذلك (ياهو) (٢) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرأ مصور أونحات أن تجري به ريشته أو ينحته إزميل . ذلك لان (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد

وقد يقال لنا إن تلك الصورة التي وصفناها والتي يمثل بها المسيحيون الاله عندهم هي مما لايرضى عنه

---

(١) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر ٤٩ ـ ٥٣

(٢) (ياهو) أي الله . وهي الاصل العبري

اهل

أهل التدين السليم منهم . على انالو سلمنا بهذا الاعتراض جدلا فماذا هم قائلون وليس فى الكنيسة كلها الا صلاة واحدة وقصيرة يخصون بها الاله (الأب الازلى الدائم) . وأما الابن والأم وزوج الأم والصلب وقلب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والتماثيل ذات الاحترام والاجلال . وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التى تمثل معبوداتهم . انتهت الشذرة السابعة

﴿ الشذرة الثامنة ــ علو الهمة ﴾

قال رسول الله ﷺ « علو الهمة من الايمان » وذلك أنه لما كانت الشريعة الغراء قد ساوت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم تجعل لأحد منهم فضلا على أحد الا بعلو الهمة فى مكارم الاخلاق وبالنبل وبالذكاء . وفى هذا فليتنافس المتنافسون . وأما ماجاء فى الانجيل من قوله . (من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا .) فذلك ضرب من ضروب الحطة بالنفس والنزول بها والذهاب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمنى لاهل السوء والخباثة فى أن يظهروا ويسودوا . وفكرة التسليم هذه والتساهل فى شأن النفس وعدم الأخذ لها بالشدة ترجع الى أصل هندى . ولذلك تسكن فى طياتها تلك الاسباب المتأصلة التى أخضعت الهند الكبيرة لنير انجلترا الصغيرة ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يعملون بأوامر المسيح فى عظة الجبل من السكون وعدم التعدى . انتهت الشذرة الثامنة

﴿ الشذرة التاسعة ــ المساواة ﴾

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهى النظرية التى لم تأت أخيرا إلا على يد الثورة الفرنسية . وهذا بلال الحبشى أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين فكان العرب ، وهم من الشعوب التى تفخر بالاجداد والأنساب ، تسمع له وتسعى الى الصلاة اذا ما أذن فيهم هذا العبد الحبشى . انتهت الشذرة التاسعة

﴿ الشذرة العاشرة ــ مسايرة الطبيعة ﴾

لا يتمرد الاسلام على الطبيعة ، التى لا تغلب ، وانما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها ، بخلاف ماتفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها فى كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الفرض الذى تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وانما يعيشون أعزاب . على أن الاسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها وانما هو يدخل على قوانينها مايجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا فى اصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهدى) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولانه الدال على أحسن مقاصد الخير والأمثلة العديدة لا تعوزنا ، ولكنا للقصد نأخذ بأشهرها وهو التساهل فى سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذى صادف النقد الواسع والذى جلب للاسلام فى نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة . ومما لا شك فيه أن التوحيد فى الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذى يستحيل تنفيذه . لم يكن للاسلام امام الأمر الواقع ، وهو دين اليسر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكما قاطعا ولا يأمر به أمرا باتا . والذى فعله الاسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعيات ، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحا دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد فى الزوجة فى قوله تعالى ــ وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة ــ وأى رجل فى الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات ! ولذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضعا هو غاية فى الرقة والدقة واللطف مع الحكمة . ثم انظر هل حقيق ان الديانة المسيحية بتقريرها الجبرى لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديدها فى تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهؤلاء مثلا ملوك فرنسا (دع عنك الافراد) الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفى الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ، إن تعدد الزوجات قانون

طبيعى ، وسيبقى ما بقى العالم ، ولذلك فان مافعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذى أرادته ، فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الاغراء بجميع أنواعه ، وكان مثلها فى ذلك مثل الشجرة الملعونة التى حرمت ثمراتها فكان التحريم اغراء ، على أن نظرية التوحيد فى الزوجة وهى النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء . تلك هى الدعارة ، والعوانس من النساء ، والابناء غير الشرعيين ، وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق ، وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية ، ومن الأمثلة القائمة على ذلك ما كان من أمر وادى (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التى بهذا الاسم فى بلاد الجزائر اذ لم تدخلها الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ ، وقد وصل بها الحال اليوم ان أربع بلدان من مجموع كله سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الوبيل ، ومما نرويه من هذا القبيل ماجاء فى كتاب «الاسلام» تأليف (شمتزدوموﻻن) «انه عند ماغادر الدكتور مافروكورداتو ، الاستانة سنة ١٨٢٧ الى برلين لدراسة الطب لم يكن لعاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة ، كما لم يعرف فيها داء الزهرى (وهو السفليس المعروف فى الشرق بالمرض الأفرنكى) فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أى سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال ، وفى ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا فى حسرة موجعة (اننا نرسل أبناءنا الى أوروبا ليتعلموا المدنية الافرنكية) فيعودون الينا مرضى بالداء الافرنكى على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف بعض الشيء من أضرار هذا التعنت فى القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة من السيئات . إذن ، اذن ماذا ؟ اذن أى الأدواء قد خلا تماما من بعض السميات ؟ على أن الكنيسة قد أساءت كذلك فى مسألة الطلاق بمثل ما أساءت فى أمر التوحيد فى الزوجة ، وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة ، انظر هل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا عن بعضهما صبرا ، وقد خاب ظنهما فى الزواج ولم يدركا السعادة التى طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلدا يقضيان بقية أيامهما فى عذاب ونكد وشقاء ؟ كذلك اذا كان أحدهما عاقرا أو كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبنى لنفسه بآخر وأن يقيم له عائلة من جديد ، واننا ونحن فى صدد الطلاق لاتفوتنا حكمة التشريع الاسلامى وهو يرى السوء فى فوضى الطلاق فيسمع النبى الكريم يقول (أبغض الحلال الى الله الطلاق) ، انتهت الشذرة العاشرة

﴿ الشذرة الحادية عشر — بساطة الصلاة والنظافة ﴾

ان الحركات والاشارات فى الصلاة الاسلامية هى ذات بساطة ولطافة ونبالة لم يسبق لها مثيل من نوعها فى صلاة غيرها ، كما أنها لاتدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف ، ولا العيون بالشخوص الى السماء واستنزال الدموع التى تذكرنا بالدموع الجليسرينية التى يصطنعها عشاق السينما فى عصرنا الحاضر . حقا ان الصلاة الاسلامية خالية من تلك الأمور الشائنة التى خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها فى غير جمال ولا اجلال ولا وقار حقا ان الاقوال والحركات التى فى الصلاة الاسلامية هى ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان ، وهى خالية من مبالغات الورع وتكلفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب فى العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما فى الصدور وهو الغنى العزيز ثم ان من الأمور الغريبة تخصيص وجود الاله فى السماء عند دعوته . وهذه الحال تحمل فى طياتها إلحادا ، اذ تجعل السماء . منفاه ، وتنفى بذلك عنه صفة الوجود فى كل مكان وحركات الصلاة الاسلامية ، فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية ، فهى مفروضة الأداء خمس مرات فى اليوم الواحد ، وكم من شيخ كبير وبدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحى فى مثل هذه السن أو فى مثل هذه الحال مالم يكن قد استراض على ذلك من قبل ، انتهت الشذرة الحادية عشر

(الشذرة

﴿ الشذرة الثانية عشر — الأذان ﴾

يمتاز الاسلام فى الدعوة الى الصلاة بأن الانسان هو الذى يدعو إخوانه الى تأدية هذه الفريضة . وأن صوت الانسان صوت طبيعى وهو أدعى الى حمل العاطفة الانسانية الصادرة من قلب المؤمن الى إخوانه المؤمنين للقيام بأهم أركان الاسلام من أى آلة صناعية ومن القلب الى القلب رسول اهـ

هذا ما أردته من رسالة (المسيو ايتان دينيه) المسلم الفرنسى والمصوّر الشهير . ثم انظر الى ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ يوم السبت أوّل فبراير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المؤتمر الدينى الدولى ﴾

(لخدمة السلام فى العالم)

منذ نحو سنتين قام جماعة من رجال الأديان فى (أمريكا) يسعون لانشاء مؤتمر دينى دولى يمثل مختلف الأديان والمذاهب فى العلم بقصد خدمة السلام العام بواسطة الدين وعقدوا اجتماعهم الأوّل فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ م فى جنيف تحت رئاسة الدكتور (شابلرماثيو) رئيس الكلية الدينية فى جامعة (شيكاغو) فى الولايات المتحدة ، وكان الحاضرون ١٩١ مندوبا من بلدان مختلفة وأديان شتى ، وقد قرّر المجتمعون إذ ذاك انتداب لجنة مؤقتة لتنظيم أعمال المؤتمر برئاسة الدكتور (ماثيو) المشار اليه وألفت تلك اللجنة من خمسة وعشرين عضوا وجعل سكرتيرها الدكتور (اتكنسون) من نيويرك ، وكان (١٢) من أعضائها يمثلون المسيحية وعضو واحد يمثل الاسلام ، وعضو يمثل الهندوس ، واثنان يمثلان دين (كونفوشيوس) واثنان لليهودية ، وعضو يمثل البهائية ، وعضو يمثل الشنتوا فى اليابان . وعضو للبوذيين فى سيلان . وعضو للثيوصوفيه بهولاندا . وعضو للمجوس فى الهند

وقد تقرّر إذ ذاك عقد مؤتمر عالى للسلم يبنى عمله ومساعيه على مبادئ الأديان التى ينتمى اليها أعضاؤه بدون أن يجرّ ذلك الى المفاضلة بين مزايا هذا الدين إذ ذاك على أن يكون غرض الجميع واحدا . وأن يبنى هذا الغرض على المبادئ الآتية

(١) أن يذكر كل ممثل لدين من الأديان تعاليم ذلك الدين فيما يتعلق باستقرار السلام ووجوب احلاله محل الخصام فى العالم

(٢) ذكر مجهودات الهيئات الدينية فى سبيل نشر لواء السلام فى العالم

(٣) وضع القواعد التى يمكن السير عليها بصفة عامة لازالة العقبات الحائلة دون استتباب السلام وانتصار الحق وضمان العدل بين الدول وازدياد محبة الخير العام

(٤) انتهاز كل فرصة لاستثارة الشعور الدينى فى كل طائفة ضد روح العدوان والخصام وكل ما يؤدّى الى الشحناء بين الأمم

وقد عقدت بعد الاجتماع المتقدم اجتماعات متعددة فى أنحاء مختلفة ولاسيما فى أمريكا إذ يظهر أن فكرة المؤتمر الدينى العالى نشأت من هناك . وآخر اجتماع للجماعة عقد فى شهر أغسطس الماضى فى مدينة مانكفورت فى ألمانيا تحت رئاسة الدكتور (شابلرفرائيو) حامل لواء المؤتمر . وقد حضره (٦٢) عضوا يمثلون جميع الأديان الحية فى بلدان العالم . وفى هذا الاجتماع ذكر السكرتير الأميركى انه ساح فى بلدان الشرق الأقصى وقابل فيها زعماء الأديان والمذاهب المختلفة وباحثهم فى مسألة اتحاد المؤتمر الدينى العام لمقاومة الخصام واحلال السلام محله بين البلدان فأيدوا المشروع وحبذوه . وقد تقرّر فى اجتماع (فرانكفورت) انتخاب لجنة لتنظيم المؤتمر القادم وعقده على أن يكون له ستة رؤساء وثلاثة عشر وكيلا انتدبت للتنفيذ وأنشئت للمؤتمر سكرتيرية رئيسية مركزها فى (نيويرك) وأنشئت لها ثلاثة فروع فى لندن وباريس وبرلين . وتقرّر تعيين سكرتير فى اليابان

وسكرتير فى الصين وواحد فى الهند وواحد فى الشرق الأدنى وواحد فى البلقان وسكرتير لأوروبا الجنوبية .
ثم أصدرت الهيئة القرار الآتى

« قررت أن يعهد الى اللجنة اتخاذ التدابير اللازمة لعقد المؤتمر الدينى الدولى فى سنة ١٩٣١ فى إحدى بلدان الشرق وأن يدعى لحضوره ممثلو الأديان الحية فى العالم

وقد انتهى الى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون باشا الذى أصبح علما من أعلام الشرق وقطبا من أقطابه كتاب من المستر عبدالله يوسف على الهندى الذى كان وزيرا للمالية فى حكومة نظام حيدر أباد يلتمس فيه من سموه باسم لجنة المؤتمر أن يقبل رئاسة المؤتمر فيكون فى مقدمة الرؤساء الستة الذين تقرر اختيارهم من كبار الرجال لرئاسته ويكون ممثلا للاسلام فى الرئاسة ، وتلقى سموّ الأمير أيضا كتابا من سكرتير المؤتمر الدكتور (نكسون) الأمريكى يبسط فيه لسموه الأغراض النبيلة التى يسعى اليها القائمون بأمر هذا المؤتمر الدينى الجديد ويقول ان البارون (ساكيتانى) اليابانى والدكتور طاغور الشاعر الهندى الشهير سيكونان من الرؤساء الستة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية ستختار عظيما من عظمائها ليكون من الرؤساء ، وأن الاستاذ (اينشتين) الألمانى العالم المشهور سيكون رئيسا ممثلا لليهود ، والمفهوم أن الأمير الجليل لم يقرر حتى الآن شيأ بهذا الشأن . انتهى

☆☆☆

ومما يناسب قوله تعالى أيضا — وسراجا منيرا — ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ حالة العميان فى مصر ﴾

وجهت «جمعية العناية بالعميان» فى سان فرنسيسكو الى وزارة الخارجية المصرية أسئلة طالبة الجواب عليها وانها أحالتها الى الجهات المختصة ، وفيما يلى نص الأسئلة واجابة وزارة المعارف على كل منها

(س) هل يأخذ العميان اعانة ، وما مقدارها ، وما وجه استحقاقها ؟

(ج) تدفع الحكومة الاعانات المختلفة لبعض معاهد العميان حسب درجة تقدم كل منها كما يأتى :
٧٠٠ جنيه لمدرسة العميان بالزيتون و ٢٥٠ جنيها لمدرسة العميان بالاسكندرية التابعة (لكونتس ميث) و ١٥٠ جنيها لمدرسة العميان الأهلية بالعطارين و ١٥٠ جنيها لمدرسة الكفيفات بالزيتون ، ويدفع بعض أعضاء الجالية البريطانية اعانات لسد نفقات ثمانية تلاميذ بمدرسة الزيتون بمعدل ١٢٠ قرشا فى الشهر لكل تلميذ ، وتدفع سيدتان مصريتان إعانات لسد نفقات تلميذين آخرين بهذه المدرسة

(س) كم عدد العميان تحت اشراف الحكومة ؟

(ج) يوجد (٨٠٠) طالب تحت اشراف الحكومة منهم (٢٠٠) بمعهد الأزهر بالقاهرة و ١٠٠ بمعهد أسيوط و ١٠٠ بمعهد الاسكندرية و ١٠٠ بمعهد طنطا و ١٠٠ بمعهدى دسوق والزقازيق و ٥٠ بمدرسة الزيتون للعميان و ٥٠ بالاسكندرية . أما الاناث فيوجد منهن ١١ تلميذة بقسم العميان الكائن بمدرسة تمرين معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف و ٣٣ بمدرسة الكفيفات بالزيتون . أما العميان الذين ليسوا تحت اشراف الحكومة فهم ٢٠٠ طالب بمدرستين فى القاهرة إحداهما ببولاق والأخرى بشارع البيطار بالأزهر تحت اشراف لجنة انكليزية برئاسة (المطران جوين) و ٩ طالبات بكلية البنات الانكليزية ببولاق تحت اشراف اللجنة المذكورة و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان بالزقازيق و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان فى المنصورة و ٤ طالبات بمدرسة الأمريكان بدمنهور و ٩ طالبات بمدرسة الأمريكان بأسيوط و ٨ طالبات بمدرسة الأمريكان بالأقصر وكلهن تحت اشراف كلية الأمريكان ، ويبلغ مجموع العميان بالقطر المصرى ١٥٥٠٠٠ منهم ١٠٥٠٠٠

ذكور

ذكور و ٥٠٠٠ اناث منهم نحو ١٠٠٠ تحت اشراف الحكومة وجماعات مختلفة والباقى يحترف قراءة القرآن فى المنازل والجبانات اذا كانوا مسلمين ومرتلين فى الكنائس اذا كانوا مسيحيين

(س) هل بذلت الحكومة مجهودا لتعليم العميان صناعة ؟ فان كان كذلك فما درجة نجاحهم

(ج) ابتدئ فى تعليم العميان الصناعات سنة ١٨٩٦ ولكن نجاحهم فيها متوسط بالنسبة الى قلة الاعانات

(س) هل توجد مصانع يتقدم فيها العميان على غيرهم ؟

(ج) لاتوجد صنائع مشتركة بين الأعمى والبصير بل توجد مصانع خاصة بالعميان فقط وهذه المصانع هى مصنع للسلال والكراسى بالمدرسة الاكليريكية القبطية بمهمشة ، ومصنع السلال والكراسى والسجاد بمدرسة العميان بالزيتون ، ومصنع للسلال والكراسى والفرش بالاسكندرية تحت رعاية (الكونتس ميش) ومصنع للسلال فقط باسكندرية تابع لجمعية أهلية ، ومصنع للشيلان والجوارب والسلال التى تصنع من الخرز والسلك بكلية البنات الانكليزية ببولاق وهو خاص بالبنات فقط ومصنع للسجاد والكراسى والسلال بقسم العميان بمدرسة معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف

(س) مانوع الأشياء التى ينتجونها

(ج) الأصناف المنتجة هى السلال وهى تصنع من الغاب الهندى والصفصاف والكراسى الخيزران المصنوعة من الغاب الهندى والصفصاف والكراسى التى تصنع من قلب الخيزران وقش الباسم وقش الأرز

(س) أىّ الأصناف من أعمالهم وجدت رواجا فى الأسواق

(ج) الأصناف الرائجة هى السلال بجميع أنواعها والكراسى وأطقم القش والفرش

(س) ماهى الطرق التى تتبع فى عرض منتجات العميان فى السوق

(ج) تعضد الحكومة هذه المصانع بشراء مايلزم لها من السلال وغيرها لمصالحها وتعرض هذه المصنوعات فى المعرض الدائم لمصلحة التجارة والصناعة

(س) أىّ النسبتين أكثر فى العميان نسبة الذكور أم نسبة الاناث ؟

(ج) تزيد نسبة الذكور على نسبة الاناث كما هو مبين فى الاجابة عن السؤال الخاص بعدد العميان

(س) أىّ الجنسين أكثر استعدادا لتحصيل الكسب

(ج) الذكور أكثر استعدادا للكسب بما يبذل من المجهودات لتعليمهم ، وعند الحكومة مشروع لتوسيع نطاق العميان بالقطر المصرى ، وقد أنشأت الوزارة فصلا قسما لتخريج معلمات لهذا النوع بمدرسة المعلمات الأوّلية الراقية ببولاق فى سنة ١٩٢٧ م وأتمّ الدراسة فى هذا القسم (١٣) طالبة سيتخرجن فى نهاية هذا العام وألحقت بهذا القسم فرقة من الضريرات ليكن بمثابة أداة تمرين للطالبات وعلى ذلك أرسلت الحكومة الى انكلترا بعثة للتخصص فى فن تعليم العميان مؤلفة من طالب وطالبة

(س) مامقدار متوسط مايكسبه أحدهما فى الاسبوع أو الشهر

(ج) يبلغ متوسط كسب الذكور فى الشهر أربعة جنيهات والاناث جنيهين

(س) هل تمدّون العميان بالاعانة ؟ وان كان كذلك فما هى الطريقة التى تتبعونها

(ج) توزع الحكومة اعانات حسب مقدار نجاح كل مدرسة من مدارس العميان

(س) هل توجد ملاجئ للعميان وأىّ الجهات تنفق عليها ؟

(ج) لايوجد للعميان سوى ملجأين أنشأتهما الحكومة للأيتام أحدهما بطره ، والآخر بالغربية يقبل فيهما العميان ، وملجأ للعجائز بشبرا تابع للحكومة الايطالية يقبل فيه العميان أيضا وملجأين للاناث تابعين لكلية الأمريكان أحدهما فى فم الخليج والآخر بأسيوط يقبل فيهما العميان

(س) أىّ الصناعات وجدت أكثر فائدة على العميان الذين درّبوا تدريبا راقيا

(ج) صناعة الفرش والسلال والكراسى

هاتان الرسالتان رسالة المؤتمر الدينى ورسالة جمعية العناية بالعميان توجبان دقة النظر والملاحظة ﴿أولا﴾ ان خدمة السلام العام لم نقرأها فى التاريخ قبل النبوّة المحمدية فان الاسلام هوالذى أيقظ الأمم شرقا وغربا و بنشاط حركته حرّك الأمم فى اختراع الآلات والقطارات والطيارات فتقاربت الأمم ، وهذا من أسرار كونه ﷺ سراجا منيرا ، وأيضا يذكرنا هذا بآية — حتى تضع الحرب أوزارها — وأن علماء الاسلام يقولون « إن الحرب سيقضى عليها » ﴿ثانيا﴾ إن ارسال جماعة من أمريكا رسالة للمحافظة على العميان فى مصر المسلمة يدل دلالة واضحة أن اشراق النورالنبوى قد أثر بطريق غير مباشر فى أمم غير مسلمة والأمم المسلمة نائمة وهذا عار فكان الأحرى بهذه الأمم الاسلامية أن تكون هى آباء للأمم كلها لا أن يكونوا أذنابا . وسيكون فى أمم الاسلام بعد الآن نهضة فكرية يرقى بها نوع الانسان . تم الكلام على اللطيفة الرابعة

(اللطيفة الخامسة)

(فى قوله تعالى — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم —)

اعلم أن بين القول والعمل مناسبة وصلة تظهران فى هذه الآية ، إن الانسان يعقل الأشياء وتصدر عنه تلك الأشياء من ﴿منفذين﴾ منفذ اللسان ، ومنفذ الأعمال ، فهما فرعان لأصل واحد ، ونظام أحدهما يؤثر فى الآخر ، فما من قول نقوله إلا وله آثار فى أعمالنا ، وكلما كان القول أحكم كانت الأعمال الى الصواب أقرب ، لأن الدّربة على الفضائل تكون فى النفس ملكة تكون مصدرا لها من بعد ، فكل فضيلة فى اللسان أوفى الأعمال تحدث فى القلب أثرا و بتوالى الآثار تتأسس الملكات ، ومن الملكات الفاضلة تكون الأعمال الشريفة ، وملكة اللسان فى الصدق وفى حسن القول تؤثر فى النفس آثارها فيتعدّى ذلك الأثر الى الأفعال فتنتظم ، إن الأعمال والأقوال فرعان للنفس والقول أسهل ونزعاته أشدّ وجراحاته أنكى وسهامه أنفذ وخطره عظيم ☆ وفى الحديث « وهل يكبّ الناس فى النار على وجوههم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم » انتهت اللطيفة الخامسة

(اللطيفة السادسة)

(فى معنى قوله تعالى — وحملها الانسان —)

جاء فى الفيروزبادى مانصه « وقوله تعالى — فأبين أن يحملنهاوأشفقن منهاوحملها الانسان — أى أن يخنها وخانها الانسان . قال : والانسان هنا هوالكافر والمنافق » اه

وهذا المعنى واضح والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة السادسة

(اللطيفة السابعة)

(هذه اللطيفة عامّة فى السورة كلها وفيما قبلها و بعدها)

ذلك ان الله تعالى يقول فيها — ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود — الخ . ذكر الله المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم فى غزوة الأحزاب ، كماذكر قوم موسى بنجاتهم من فرعون وهذا تذكرجزئى والا فكم لله من نعم . إن الناس يتقلبون فيها صباحا ومساء ، فأجسامهم ملئت حكمة وهم مغمورون فى ضياء الشمس ونورالقمر والكواكب والهواء وعندهم نبات وحيوان ومالايعدّ ولايحصى وانما هذه يعرفها العامة والخاصة لأن أكثرالناس لايشكرون الله إلا على النعم الخاصة كالنصر فى هذه الغزوة والا فالنعم لانهاية لها ولذلك أردف هذه السورة بسورة سبأ المبدوءة بالحمد لله ، وعلل الحمد بأن له مافى السموات ومافى الأرض وانه يحمد فى الآخرة وحده ، ومقتضى هذا أن نعم الدنيا والآخرة له وهو يحمد عليها لأنها كلها واصلة الينا ، فليس الحمد لله خاصا بالنصر فى الأحزاب (انظر هذا المقام فى أوّل السورة الآتية) تمّ تفسير سورة الأحزاب يوم الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٢٥ م و ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة سبأ

(هى مكية)

(إلا قوله تعالى ـ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزّقتم كل ممزّق إنكم لفى خلق جديد ـ الآية)

(آياتها ٥٤ ـ نزلت بعد لقمان)

﴿ هذه السورة قسمان ﴾

﴿ القسم الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة

﴿ القسم الثانى ﴾ فى تفسير السورة كلها

﴿ القسم الأوّل فى تفسير البسملة ﴾

لك الحمد اللهم على ماأوليت من نعمة العلم وأفدت من آثار العرفان ، وهديتنا الى مانحن بصدده من تفسير آيات كتابك ، وألهمتنا أن نذكر أنفسنا والأمم الاسلامية برحمتك الواسعة التى كررتها فى أوّل كل سورة من كتابك تفتح بصائرنا الى عجائب حكمتك وبدائع صنعتك وبواهر خلقتك وجواهر نظامك ، فحمدناك على مافى سمواتك وأرضك ، وعلى مافتحت من بصائر هذه الأمم الاسلامية الحاضرة والمستقبلة بما أنزلت فى هذه السورة من غرائب ماتخرج من أرضك فى زماننا من أنواع المعادن وأصناف الخزائن التى أودعتها أمم قبلنا كأهل سبأ ذوى الجدّ والتشمير وأصحاب الجنتين اللتين عن يمين وشمال وأنهم لما حفظوا نعمتك وحافظوا على هبتك أبقيتهم ولما كسلوا عن ذلك الحفظ وتقاطعوا أرديتهم فى حفرة الهلاك وأذقتهم سوء النكال والذى يدلنا على ذلك تلك الرسوم المصوّرة التى أخرجت من أرض سبأ فى زماننا تذكيرا لملوك اليمن وعلماء اليمن وعظمائه أن فى بلادكم نعما ان استخرجتموها أبقيت بلادى بأيديكم والا فأرضى أعطيها لمن يستخرجون منافعها ويحفظون نعمها ويسعدون بها عبادى ، فليس من العدل أن يكون أتباع خاتم الأنبياء أقلّ شكرا للنعم من أولئك الذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ، كل ذلك الايقاظ والتحذير من رحمتك الواسعة التى صاحبها العلم بكل جليل ودقيق

ومن رحمتك الواسعة المذكورة فى البسملة انك أفدتنا فى قصة داود وسليمان أن شكر نعمتك والقيام بخدمتك ليس قاصرا على العبادة ولوكانت الجبال مؤوّبات مع العابدين ، مرددات لتلك الصلوات ، مرتلات لتلك التسبيحات ، فمن حق الشاكر أن يقوم بما يقدر عليه من الصناعات ويتقنها كاذابة الحديد وصنعة الدروع واستخدام الريح ، ومن أجلّ الرحمات على المسلمين اليوم أن يعلموا أن ماتلقيه الأرواح من الأقوال لأهل الأرض أثناء تحضيرها ليس حجة قاطعة فهم لايعلمون الغيب وليس يدّعيه منهم إلا أرواح صغيرة ضيقة العطن قليلة الفطن ، ومن الرحمة التى ظهرت آثارها فى الأرض بعد النبوّة انك أعلنت فى هذه السورة أن نبينا ﷺ مرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا وان أكثر الناس لايعلمون وانك أنت المختص بعلم ذلك ولقد ظهرت تلك الآثار لنا عيانا وصدق وعد الله . ومن اطلع على مؤلفات الفرنجة فى انتشار الاسلام فى أفريقيا عند خط الاستواء وفى شماله وجنوبه يدهش إذ يسمعهم يبرهنون على ان هذا الدين لاينتشر بالسيف بل بالمحبة والمودّة والاخلاص وأن اتهام قومهم فى أوروبا بأن انتشار الاسلام انما كان بالسيف ضلال مبين ولقد وجدوا فى أفريقيا ملوكا عظاما وأعظمهم قبائل بيض الوجوه لهم السلطان والسيطرة وهم فى احتلالهم أرض غيرهم وحمايتهم لهم سياسة أشبه بسياسة الاوروبيين ، فعلم الأمم الاسلامية بهذه المزايا وبما انطوت عليه آيات السورة فى زماننا من أجلّ النعم التى ستثير العزائم وترفع الأمم الحالية الى أوج العلا ويخرج جيل اسلامى جديد أعزّ

نفوسا وأرقى عزائم وأعلم بما أبدع الله فى أرضه وماخلق فى سمائه هنالك تصلح الأمم الاسلامية لعمارة الأرض ولحب ربهم والهيام به والغرام بعمله ، هنالك يشكرونه فلا يكفرونه ويذكرونه ولا ينسونه ويصبح خاصتهم بما يرون من العجائب فى هذه الطبيعة الأرضية والسموات ناطقين فى قلوبهم بمثل ماذكره (الكونت هنرى دى كاسترى) عن بعض علماء الاسلام ﴿ رب إن الجنة لاترجى إلا لرؤيتك فيها ، ولولا نورذاتك البهية لعفناها ﴾ وما نقله هو أيضا مما يؤثر عن (الشيخ القشيرى) فى القرن الرابع الهجرى ﴿ إلهى إنك تهددنى بفراق يحرمنى على الدوام من تجلياتك البهية ، فيارب اصنع بى ماتشاء ولا تحرمنى من مشاهدتك العلية ، فليس سم أمر مذاقا وأشد قتلا من ألم هذا الفراق ، وماحيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش فى فزع وتبقى فى حيرة واضطراب ، رب إن النفس لترضى بأن تذوق الموت مائة ألف مرة ولا تذوق حرقة فرقتك مرة واحدة ، رب إن مصائب الدهر وجميع الأمراض القتالة لو اجتمعت على لاحتملتها غير متوجع من موقعها ولكن لاطاقة لى على احتمال بعدك عنى ، رب لو احتجبت عنا برهة أظلمت أرضنا وغاضت أنهارنا فماذا يكون حالنا لو دام هذا الاحتجاب ؟ لولاه لما أوقدت نار الجحيم واشتد لهبها ، رب ان فى تجليك حياتنا وكمال سعدنا ونعيمنا ، وفى احتجابك عذابنا وجحيمنا ﴾ انتهى الكلام على تفسير البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثانى فى تفسير السورة ﴾

﴿ مقدمة ﴾

اعلم أن فى مبادئ السور حكما غالية واشارات عالية ورموزا شريفة ، ألم ترالى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ كيف ابتدأها بعد البسملة بالحمد لله على تربيته للعالمين وقد شرحت التربية هناك ونظامها وتناسقها وعمومها فى العوالم كلها ، فهناك تربية العوالم اجمالا ، وأما ﴿ البقرة ﴾ ونحوها فهناك نكتة لطيفة وهو ابتداء السورة بحروف (الم) ولها فضلا عما ذكر بأول آل عمران ﴿ اشارتان بديعتان * الأولى ﴾ إن الحروف الهجائية هى العناصر الأولى لكل كلام نظم أونثر ، ولن يفهم الكلام حق فهمه إلا بالرجوع لحروفه وتحليله وتقطيعه حرفا حرفا ، فلن تكون علوم البلاغة ولا الصرف ولا النحو ولا سائر العلوم العربية إلا بارجاع الكلمات لأصلها وبحثها وتقليبها على جميع وجوهها بالتصريف وغيره . واذا كان ذلك كذلك فى علوم اللغة فأحرى أن يكون فى علوم الكون من الطبيعيات والرياضيات فلا هندسة إلا بتحليل البراهين والرجوع لأصولها . ولاحساب ولاجبر ولا فلك إلا بتحليل الأعداد ومعرفة الأولية وغير الأولية فيقال عدد (٥) أولى و (٤) زوجى و (٧) أولى وهكذا تعرف جميع الأعداد وبمعرفتها يعرف ماتركب منها وهكذا فى الكيمياء والطبيعة فهل تعرف المركبات من الحيوان والنبات إلا بتحليلها ؟ وهل يعرف الناس مركبا صناعيا إلا بارجاعه الى عناصره الأولى

هذا هو الذى يشير له ذكر الحروف فى أول السور كسورة البقرة وآل عمران والرعد والروم والعنكبوت وغيرها وهذه النكتة عامة . وهناك لطائف خاصة كأن يقال فى البقرة مثلا (الم) هذه حروف جاءت فى قوله تعالى ــ ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ــ الخ وقوله ــ ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى ــ وقوله ــ ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه ــ

فانظر كيف أتى بقوله ــ ألم ــ للاستفهام الاقرارى فى مسألة الحرب والدفاع عن البلاد وفى مسألة النظر فى العوالم ونظامها وتحليلها كما حلل ابراهيم الطير وركبه وذلك هو العلوم الطبيعية فكأن (الم) تنبيه على ذلك . فكأن الله يحث المسلمين بهذه الحروف على معرفة الكائنات بحثا وتدقيقا وتفكيرا وتحليلا وتركيبا

هذا ماأذكره لك فى البقرة وفى كل سورة مبدوءة بالحروف المقطعة كما تقدم بعضه فى الروم وماقبلها وما بعدها . فانظر الى الابتداء بالحمد . قد رأيت الابتداء بالحمد لله فى سورة الفاتحة ثم فى سورة الأنعام . ففى الفاتحة يحمد الناس ربهم على التربية الاجمالية لأن السورة افتتاح للقرآن ولكن فى الأنعام الحمد على نعمة السموات والأرض والظلمات والنور ففيها بعض التفصيل واظهار الجمال وبدائع النور البهج البديع المشرق فى العالم كله

واحد

والحمد فى أوّل (الكهف) على نور العلم كما كان فى الأنعام على نور الكواكب واشراقها . وههنا ابتدأ السورة بالحمد على أن لله مافى السموات ومافى الأرض وليس الحمد خاصا على النجاة من الأحزاب الذين تحزّبوا على رسول الله والمؤمنين ونصر الله المسلمين عليهم . يقول الله : إن لى مافى السموات ومافى الأرض وأنا محمود عليهما . إن كل عبد له انتفاع بجميع العوالم . فالنعم المشتركة ينتفع بها الجميع . إن ادراك نعم الله وعمومها أعظم سعادة للمدرك لأنه يرى مالايراه غيره ولذلك يكون سعادة أهل الجنة باطلاعهم على خزائن ابداعه ويدركون الحقائق تامّة وهوقوله ــ وله الحمد فى الآخرة ــ الخ وأما قوله ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها ــ فاعلم أنه كما يشير فى أوّل سورة الروم والعنكبوت والبقرة بالحروف الهجائية الى أمورهامة فى السورة كعجائب التحليل المذكورة فى قصة ابراهيم فى سورة البقرة وكيف بدأ الله الخلق فى سورة العنكبوت ونحوها . هكذا هنا قال الله ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ يشير بذلك الى ماسيذكر فى هذه السورة من الكشف الحديث . يريد الله أن يقول للمسلمين أنا لم ألهم عبادى أيام مجد الأوائل من سبأ وقحطان والتبابعة أن يكتبوا على الأحجار ويطمروها إلا لعلمى انها ستخرج لعبادى فى هذا الزمان . إنى ألهمت الأوائل أن يدخلوا فى الأرض مصنوعاتهم ويكتبوا أخبارهم على أحجارهم لأخرجها لعبادى المتأخرين فيعرف الآخرون ماترك الأوّلون عظة واعتبارا وحكمة

ستقرأ أيها الذكىّ ما كشفه العلماء الألمان والنمساويون والانجليز وغيرهم فى أصقاع (سبأ) والمسلمون لايشعرون . دفن الله ذلك هناك ليرينا آثارهم فقال ــ يعلم مايلج فى الأرض ــ كذلك الآثار التى أولجها فى أرض (سبأ) ــ ومايخرج منها ــ كما تخرج تلك الآثار اليوم كما ستراه فى هذه السورة . فانظر لماذا ابتدأ هنا بذلك . انظر أنه لم يذكر كذلك فى أوّل سورة إلا هذه . انظر كيف بدأ بالحمد على أن له مافى السموات ومافى الأرض ليدلنا على أنه ليس النصر على الأحزاب هو النعمة وحدها . إن النعم كثيرة فاحمدوا الله عليها . ثم ذكر الولوج والخروج فى الأرض ومنها ليدلنا على ماسيأتى ذكره فى السورة من علوم تلك الأمم فى أرض اليمن . وأما قوله ــ وماينزل من السماء ومايعرج فيها ــ فانه يشير به الى نكتة أدقّ وحكمة أشرف ونور أصفى وعلم أعلى وبهاء أجلى وجمال بهيج

ذلك انه قد ذكر فى ﴿سورة النور﴾ أن من الحيوانات مايمشى على رجلين . ومنه مايمشى على أربع وذكر النمل بعد ذلك وهو يمشى على ست وذكر العنكبوت بعد ذلك وهو يمشى على ثمانية أرجل . ولم يذكر العدد ؟ لأن أكثر الناس لايفطنون لذلك ولكن جعل ذلك خزائن مخزونة فى القرآن حتى يأتى هذا الجيل الاسلامى الجديد المقبل فيتغلغل فى الحكمة والعلم ويدرس الوجود ويقول انظر يا أخى . انظر كيف خبأ لنا ربنا العجائب فى القرآن . انظر كيف جعل (٢) و(٤) من أرجل الحيوان فى سورة النور و(٦) فى سورة النمل و(٨) فى سورة العنكبوت بالترتيب ولم يعلن ذلك لعامه جهل الناس وخبأه لنا لنعرفه . ثم انظر كيف جاء فى هذه السورة وقال ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ وقد عرفت رمزه . ثم قال ــ وماينزل من السماء ومايعرج فيها ــ ومما ينزل من السماء ويعرج فيها الملائكة . وسيأتى فى ﴿سورة فاطر﴾ بعد هذه أنهم ذووأجنحة مثنى وثلاث ورباع ثم قال ــ يزيد فى الخلق مايشاء ــ

لم يذكر الله فوق الرباع فى القرآن لأن الناس لم يعرفوا من الأجنحة فوق الأربع ولا من الأرجل فوق الأربع لأنهم لم يدرسوا ولم يفطنوا إلا قليلا فذكر أنه ــ يزيد فى الخلق مايشاء ــ كأنه يقول إن للملائكة أجنحة فوق الأربع لاعدد لها والزيادة فى الخلق لاتختص بأجنحة الملائكة فهكذا فى أرجل الحيوان التى ذكرها أربع يزيد فيها مايشاء . ومعلوم لك أن هناك من الحيوان ماله أربعون رجلا فأكثر فهذا من زيادة الخلق كما يشاء الله . انتهى الكلام على المقدمة

﴿ تفسير السورة ﴾

فلأشرع فى تفسير السورة ولأجعله فصولا ثلاثة ﴿ الفصل الأول ﴾ فى تفسير الألفاظ بطريق الايجاز ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى جعل السورة ستة مقاصد وتفسيرها تفسيرا عاما كنت كتبته منذ عشر سنين فى بعض المجلات العلمية ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى معجزات القرآن التى أظهرها العلم الحديث فى مسألة الجنّ وانهم لا يعلمون الغيب ، ثم كيف كان سدّ العرم لا تزال آثاره باقية للآن وكيف أظهر أسرار تلك البلاد علماء أوروبا والمسلمون نائمون هائمون ، إن ذلك كله معجزات للقرآن ، وكيف ظهرت مسألة الجنّ فى علم الأرواح ولا علم للمسلمين بذلك ، ولعلك تعجب حين ترى خريطة السد المذكور فى القرآن كشفها الاوروبيون (مع أن القرآن كتابهم والبلاد ملكهم) وهم لا يعلمون بذلك ولا يشعرون وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الاول فى تفسير ألفاظ السورة كلها)

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ * وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ * أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ

وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ * لَقَدْ كَانَ
لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي
إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيظٌ * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ
جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا
وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ
دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ *
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * قُلْ
إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ *
قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ
اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ

مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ *

التفسير اللفظى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض) أى ان كل نعمة من الله فهوالحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجلها (وله الحمد فى الآخرة) كما هوله فى الدنيا لأن النعم فى الدارين كلها منه وحمد أهل الآخرة راجع لانكشاف الحقائق لهم فيكون الحمد على مقدارالعلم وهوغريز ويرمز اليه ما ورد ﴿ ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس﴾ (وهوالحكيم) الذى أحكم أمورالدارين فاستحق الحمد لذلك (الخبير) ببواطن الأشياء (يعلم مايلج فى الأرض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والأموات (ومايخرج منها) كالحيوان والنبات والغازات وماء العيون وما استخرجه علماء أوروبا من بلاد ﴿سبأ﴾ الآتى ذكرها ، وذلك ما أشار به العالم الألمانى ميخابلس المتوفى سنة ١٧٩١ على ملك الدانيمارك أن يرسل بعثة الى بلاد اليمن ففعل سنة ١٧٥٦ وأرسلها فعرفت بعض النقوش وقالت إن اليهود والعرب لايقدرون على قراءتها ، وأوّل من فكر فى ذلك الألمان فالانكليز فالفرنساويون ومنهم العلامة ارنوكان فى اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد ومعه ٥٦ نقشا نقلها عن آثارصنعاء والخريبه ومأرب وحرم بلقيس ، وأيضا أحضر خريطة سدّ مأرب وهوأوّل من تمكن من مشاهدة آثارذلك السدّ ، فلهذا ذكر الله هنا مايلج فى الأرض ومايخرج منها لعلمه بما سيحصل فى بلاد الاسلام وأن الأمة الاسلامية سيتولاها الانحطاط وتصبح غبية جاهلة ويأتى الفرنجة يبحثون عن أسرارها وأهلها نائمون عابثون جاهلون جامدون كما حصل فى هذه القرون إذ يكون تفسير هذه السورة ومعجزاتها وسدّ مأرب المذكور فيها والجنتان كل ذلك مطمور مخزون فى الأرض ومن المسلمين من يقرأ القرآن وهو جاهل ــ كالحمار يحمل أسفارا ــ والفرنجة يأتون فيقرؤن ويتعلمون تاريخ أسلافنا ويرون انهم كانت لهم مدينة عظيمة ويرون أبناءهم التابعين لأعظم نبىّ أصبحوا جاهلين بكل شئ ، بتاريخ أسلافهم ، بمعانى كتابهم ، علم الله ذلك كله قبل وقوعه فقال ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ مشيرا الى ماسيأتى فى هذه السورة ، يقول الله انهم ما أولجوا آثارهم فى الأرض إلا بعلمى ولا أخرجها الفرنجة إلا بعلمى لأنى لا أفعل إلا الحكمة ، انظروا الفحم كيف خزّنته فى الأرض قبل أبيكم آدم وأخرجته لكم الآن . هكذا خزنت عجائب سبأ ونقوشهم وأمرت أهل أوروبا فاستخرجوه ووضعت هذه الآية فى أوّل هذه السورة لأنبه المسلمين أن يستيقظوا فيتعلموا علوم الأمم ويبحثوا على ماخبأته فى الأرض ، إنى خبأت فى الأرض عجائب طبيعية وصناعية ، فلئن لم يتفطن لها المسلمون ويستخرجوها فوعزّتى وجلالى لأخرجنهن منها ولأملكنها لغيرهم ، إنى لاأعطى النعمة إلا لمن يستحقها فان نام المسلمون فلأمنعنّ عنهم نسيم الحياة وأسلط عليهم الأمم ، أنا كنزت هذه الكنوز كما كنزت لليتيمين فى المدينة كنزا ولما بلغا أشدّهما أخرجته لهما ، هكذا المسلمون كانوا أيتاما جهالا فاذا بلغوا الرشد فى هذا الزمان سلمتهم الأمانة المخزونة فى الأرض حتى يعرفوا مجد القدماء ويستفيدوا من علومهم ويزيدوا عليها وتكون لهم مدنية أرقى من مدنية أولئك الأقوام والاأسكنت الأرض غيرهم ويكونون خيرا منهم ، إنى عدل رؤف رحيم حكيم عليم ، ماخلقت خلقى عبثا ، أنا الحكم العدل لاأحيد ولاأميل وأعطى النعمة لمن يفهمها وأطردعنها من لايعقلها

يقول مؤلف الكتاب : إن هذا التفسير وأمثاله جعل تنبيها للمسلمين حتى يفطنوا وهو أشبه بتنبيه عام ، فعلى كل ذكى أن يسير على هذا المنوال ويوقظ الأمة فان كل من قرأ هذا القول مسؤل عن أمته فليتواصوا بالحق وليتواصوا بالصبر ، وانى لعلى رجاء عظيم أن يهدى الله بهذا التفسير أمما ويحيى قلوبا ويشرح صدورا ويسعد دولا انه هو الغنى الحميد وقوله تعالى (ومايتزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والمطر والأنوار والصواعق ، وبالجملة أكثر ماجاء فى علم الآثار العلوية من علوم الفلسفة الطبيعية وعددها ثمانية مذكورة فى كتاب الفلسفة الذى جعلته مختصرا للناشئين (ومايعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة والطيارات والمناطيد الجوّية (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين فى شكر نعمه مع كثرتها (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكارا لها واستبطاء واستهزاء (قل بلى) ردّ لكلامهم (وربى لتأتينكم عالم الغيب) لايفوت علمه شئ من الخفيات (لايعزب عنه مثقال ذرّة فى السموات ولافى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) الذّرة أصغر نملة ، والكتاب المبين اللوح المحفوظ ، وقد تقدّم تفصيل الكلام على هذه المعانى فى أوّل ﴿آل عمران﴾ وفى سورة ﴿يونس﴾ وغيرهما فارجع اليها ، وقوله (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلق بقوله ـ لتأتينكم ـ وقوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى لاتعب فيه ولامنّ عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كى يفوتونا (أولئك لهم عذاب من رجز) سيئ العذاب (أليم) مؤلم (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من مسلمى أهل الكتاب (الذى أنزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) بالرفع والنصب (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل ينبئكم) يحدثكم بأعجب الأعاجيب (اذا مزّقتم كل ممزّق إنكم لفى خلق جديد) انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تمزّق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق فى الدنيا (أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أى أعموا فلم ينظروا الى السماء والأرض وانهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطان بهم لايقدرون أن ينفذوا من أقطارهما ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم لآيات الله (إن فى ذلك) النظر الى السماء والأرض والتفكر فيهما ودلائلهما (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مطيع له إذ المنيب هو الذى ينظر لآيات الله ويعرف انه قادر على البعث (ولقد آتينا داود منا فضلا) وقلنا (ياجبال أوّبى معه) من التأويب أى رجعى معه التسبيح إما بخلق صوت مثل صوته واما بأنها تحمله على التسبيح اذا تأمّل عجائبها فهى له مذكرات كما يذكر المسبح مسبحا آخر ، وقوله (والطير) معطوف على محل الجبال وكان الأصل ـ ولقد آتينا داود منا فضلا ـ تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لفخامته (وألنا له الحديد) وجعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء (أن) بمعنى أى (اعمل سابغات) أى دروعا كوامل واسعات تسحب فى الأرض (وقدّر فى السرد) ضيق فى نسج الدروع أواجعل النسج على القصد وقدر الحاجة (واعملوا) ياداود وآل داود (صالحا إنى بما تعملون بصير و) سخرنا (لسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشىّ كذلك (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب اسالة من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع فلذلك سماه عينا (ومن الجنّ من يعمل بين يديه) من يعمل معطوف على الريح ، وقوله ـ من الجنّ ـ حال متقدّمة (باذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم عن أمرنا) ومن يعدل منهم عما أمرناه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له مايشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة ، سميت بذلك لأنه يحارب عنها (وتماثيل) وصورا

او

أو تماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدون على عادتهم ✫ يقال انه كان له أسدان فى أسفل كرسيه ونسران فوقه ، فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، واذا قعد أظله النسران باجنحتهما (وجفان) قصاع (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهذه من الصفات الغالبة كالدابة (وقدور راسيات) ثابتات على أثافيها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد اليها بالسلالم وقلنا (اعملوا) يا (آل داود شكرا) أى اعملوا بطاعة الله شكرا على نعمه والمراد بآل داود إياه وحده أو هو وسليمان وأهل بيته وليس يهمنا تحقيقه (وقليل من عبادى الشكور) أى قليل العامل بطاعتى شكرا لنعمتى (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان (مادلهم على موته) مادل الجن أو آله (إلا دابة الأرض) أى الأرضة أضيفت الى فعلها والأرض بسكون الراء أو فتحها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا ، فالفعل الأول كضرب والثانى كفرح (تأكل منسأته) عصاه ، تقول نسأت البعير اذا طردته وهى يطرد بها (فلما خر) وقع سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (فى العذاب المهين) أى لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعد موته حولا فى تسخيره ✫ روى أن داود أسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات داود قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم ودنا أجله فأعلم به فأراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها ، فبقى كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم بحثوا عنه فوجدوا بحسب مقادير أكل الأرضة انه قد مات منذ سنة وكان عمره ٥٣ سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه

هذا ماجاء فى كتب المفسرين رحمهم الله وسيأتى فى الفصل الثالث مقصود هذه القصة وانها من المعجزات النبوية لأن هذا المقصود هو نفسه الذى شرحته الأرواح فى الوقت الحاضر وهو عجيب وهذا داخل فى قوله تعالى — يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها

ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ من نسل قحطان (فى مسكنهم) أومساكنهم قراءتان أى فى مواضع سكناهم وهى اليمن يقال لها مأرب بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة فراسخ (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار ، والآية المذكورة (جنتان) جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها فى تقاربها وتضايقها كأنها جنة واحدة أولكل رجل بستانان بستان عن يمين مسكنه و بستان عن شماله ، وقد أظهر الكشف الحديث الآتى الرأى الأول فقال لهم الله على ألسنة أنبيائهم هذه البلدة التى فيها رزقكم (بلدة طيبة) وربكم الذى رزقكم (رب غفور) لمن شكره ✫ قال ابن عباس وكانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء ، يقال انها كانت أخصب البلاد ، وأما طيبها فليس بها بعوض ولاذباب ولا برغوث ولاعقرب ولاحية وسترى تحقيق أهم هذه الامور (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى السد وهو جمع عرمة وهى الحجارة المركومة كالخزان فى وادى النيل عند أصوان يحجز الماء وكان ذلك بين زمن عيسى ومحمد ﷺ وهذا السد له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض والمطر يجتمع أمام ذلك السد فيسقون من الباب الأعلى ثم الذى يليه ثم من الأسفل (و بدلناهم بجنتيهم) المذكورتين (جنتين) سميتا جنتين للمشاكلة (ذواتى أكل خمط) الأكل الثمر والخمط كل نبت أخذ طعما من المرارة وشجر الأراك وكل شجر ذى شوك (وأثل) هو الطرفاء وهو أكبر من الطرفاء وأعظم منه (وشئ من سدر قليل) وهو شجر معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق وهما معطوفان على أكل لا على خمط ، ألا ترى أن الطرفاء لا ثمر لها فلا تكون فى حيز المأكول وفى أكل خمط قراءتان الاضافة والتنوين وعلى الثانى يكون بدلا أو عطف بيان (ذلك جزيناهم

بما كفروا) أى بكفرهم (وهل نجازى إلا الكفور) وفى قراءة ـ وهل يجازى ـ (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهى قرى الشأم (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أوراكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل (وقدّرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى فى قرية و يبيت الرائح فى قرية الى أن يبلغ الشام وقيل لهم بلسان الحال (سيروا فيها ليالى وأياما) متى شئتم من ليل أونهار (آمنين) لايختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى انهم بطروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم و بين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم أحاديث) يتحدّث الناس بها تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرّقوا أيادى سبأ أى كما تفرّق أبناء سبأ فى البلاد كما سيأتى تفصيله (ومزّقناهم كل ممزّق) وفرّقناهم غاية التفريق (إن فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم (ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه) بالتشديد أى حقق ظنه أو وجده صادقا و بالتخفيف أى صدق فى ظنه (فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) أى إلا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والاغواء (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) أى ليتميز المؤمن من الشاك (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ رقيب . واعلم أن هذه الآيات من قوله ـ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه ـ جيء بها كما هى عادة القرآن بعد ذكر القصص لاستنتاج العلم من أحوال الأمم لأن المراد تعليم المسلمين لامجرّد القصص وسردها . يقول الله إن ابليس لا سلطان له على قلوب الناس وانى أسلطه عليهم كما أسلط الذباب على العيون القذرة والوباء على البلاد التى تستحقه لتعفن جوّها ، فلست أفعل إلا لحكمة فمن سمع وسوسة الموسوس فهوالمذنب وحده ، فاذا حلّ الوباء بأرض مات من لاقدرة له على الحياة لاستعداده للموت و بقى من له استعداد للحياة هكذا فى الوسوسة يفرق الله بها بين الثابت العقيدة ومتزلزلها وهكذا جميع حوادث الدنيا من اللذات والتمكن منها والحوادث المؤلمة وحاولها ليثبت القادر و يسقط الضعيف وهكذا الأمم الاوروبية جعلها الله محكا لأهل الشرق فمن صادمهم وصبر على مكاوحتهم فاز بالاستقلال ، ومن جزع منهم وخاف وهلع وخضع أصبح أسيرا لهم وأذاقوه سوء النكال . هذا ماتفيده الآية إذ يقول تعالى ـ وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم ـ الخ ثم قال تعالى (قل) يامحمد للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة (من دون الله) ليكشفوا عنكم الضرّ الذى نزل بكم فى سنى الجوع ، ثم أفاد عجز الآلهة فقال (لايملكون مثقال ذرّة فى السموات ولافى الأرض) يعنى من خير وشرّ ونفع وضرّ (ومالهم) أى للآلهة (فيهما) فى السموات والأرض (من شرك) من شركة (وماله لله (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين يعينه على تدبير أمرهما (ولاتنفع الشفاعة عنده) أى لاتنفعهم شفاعتهم أيضا عنده تعالى فلاشفاعة عند الله (إلالمن أذن له) أى إلالمن أذن الله له أن يشفع والله لايأذن أحدا أن يشفع لهؤلاء الكافرين فيخرون صعقين عند الموت (حتى اذا فزع) كشط وجلى (عن قلوبهم) الخوف والفزع (قالوا ماذا قال ربكم) أى قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحق (قالوا الحق) أى قال المشركون الحق فأقرّوا به حين لم ينفعهم الاقرار (وهو العلىّ الكبير) أى ذو العلوّ والكبرياء ، وللآية وجه آخر فى التفسير وهو أن الله تعالى لما قال ـ ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ـ ذكر حالا من أحوال الذين يؤذن لهم بالشفاعة وهم الملائكة لا الأصنام لأن الملائكة وسائط الوحى ، وقد تقدّم فى ﴿ سورة البقرة ﴾ أن التعليم بذر الشفاعة فقال إن الملائكة ينتظرون الاذن خائفين فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم بالاذن قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة ؟ قالوا قال القول الحق وهو الاذن بها لمن ارتضى وهم المستعدون لها ، وهذا المعنى فصله حديث الترمذى « إن الله اذا تكلم بالوحى سمع أهل السموات

صلصلة

صلصلة جر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق فيقولون الحق »

واعلم أن حال العلماء والحكماء فى الأرض فيها بعض الشبه بذلك . ألاترى أن النبى ﷺ عند الوحى كان كأنه مغشى عليه وينتابه العرق ثم يكشف عنه ذلك فينطق بما أوحى به اليه . ألاترى أن الانسان لايعرف علما إلا اذا صرف كل قواه العقلية الى الفكر وحصر كل همه فى الفهم حتى يعقل ماهو بصدده . إن هذا الذى ذكر فى الآية والحديث يشير الى أن العلوم والحكمة من عالم مغاير لعالمنا فلاينال ملك ولا نبى ولا عالم شيأ منه إلا بأن تكون كل قواه محصورة فى العالم الروحى وأقل الناس فى ذلك العلماء وأعظم منهم الحكماء وأرقى منهم الأنبياء والملائكة فاستغراق هاتين الطائفتين أشد والله أعلم

﴿ الكلام فى محاجة الكافرين والمعاندين والمترفين والمرؤسين وماهو من هذا النحو ﴾

لما تقدم قوله تعالى ـ لايملكون مثقال ذرة ـ الخ أتى هنا بتقريره فقال (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) فلاجواب سواه (وانا واياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين) أى مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وذلك على طريق الالزام والانصاف فى الحجاج إذ يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فتكذيبهم من غير تصريح بالتكذيب (قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون) وهذا أدخل فى الانصاف اذ أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل (العليم) بما ينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) لأرى بأى صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة ، استفسر عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة أى ارتدعوا (بل هو العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة ، فأما من ألحقوهم به فلاقبول للعلم عندهم ولاالقدرة (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا ارسالة عامة لهم فهى كفتهم أى منعتهم أن يخرج منها أحد منهم أوالا حال كونك جامعا لهم فى الابلاغ والتاء للمبالغة (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنذر عنه (إن كنتم صادقين) الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون) اذا فاجأكم وهو جواب معطوف على التهديد مطابق لما قصدوه من التعنت والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذى بين يديه) ولابما تقدمه من الكتب ، وذلك ان أهل مكة سألوا أهل الكتاب عنه ﷺ فأخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك (ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم) فى موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الأتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا أنتم لكنا مؤمنين) فأنتم الذين منعتمونا عن الايمان (قال الذين استكبروا) أجاب المتبوعون فى الكفر (للذين استضعفوا أنحن صددناكم) منعناكم (عن الهدى) عن الايمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الايمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا فى الليل والنهار أى لم يكن اجرامنا الذى صدنا بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى غيرتم علينا رأينا (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) وذلك أن القادة يقولون للأتباع ان ديننا الحق وأن محمدا كذاب ساحر فاذن طاعة الكفار بعضهم لبعض تكون سببا لعداوتهم فى الآخرة كما هو مشاهد فى قطاع الطرق والفسقة اذا وقعوا فى أيدى الحكام والقضاة فانهم يتعادون (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم (هل يجزون إلا

ما كانوا يعملون) أي لا يفعل بهم ذلك إلا جزاء على أعمالهم (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها
إنا بما أرسلتم به كافرون) ذلك تسلية لرسول الله ﷺ لأن المتنعمين المنغمسين في الشهوات هم الذين
يحملهم التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا على النفور من الكمال والحكمة والعلم والإيمان لأن الضدين لا يجتمعان
فمن هو منغمس في الشهوات واللذات كيف يخلص عقله للكمال ، ثم أخذوا يربطون الكمال النفسي بالكمال
المادي (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) ولم يكن ذلك إلا لرضاء الله علينا ولو كان ديننا باطلا ما منعنا هذه
النعم فنحن مكرمون (وما نحن بمعذبين * قل) ردا لزعمهم (إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع
ويضيق امتحانا وابتلاء فلا علاقة للكمال الروحي بالكمال الجسمي (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انها
كذلك فيخلطون في أحكامهم ويعلقون أحد الأمرين على الآخر (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى) أي بالتي تقربكم عندنا تقريبا (إلا) لكن (من آمن وعمل صالحا) أي إيمانه وعمله يقربه مني ،
فالأموال والأولاد لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على
الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) أي أن يجازوا الضعف الى عشر الى سبعمائة فأكثر (بما عملوا وهم
في الغرفات آمنون) من المكاره (والذين يسعون في آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لأنبيائنا
أوظانين انهم يفوتونا (أولئك في العذاب محضرون * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له) هذا في الانسان الواحد في وقتين مختلفين وما تقدم في شخصين مختلفين (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه)
عوضا إما عاجلا أو آجلا (وهو خير الرازقين) ولا رزق من غيره إلا أن يكون واسطة في ذلك فالرازق حقيقة
هو الله (ويوم يحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)
تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم من توقع شفاعتهم (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أي الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين إذ كانوا يعبدون غير الله
بوسوستهم أو يعبدونهم هم أنفسهم إذ يفهمونهم أنهم هم الملائكة تضليلا فيستغيثون بهم في قضاء حوائجهم
كما هو مشهور عند أرباب العزائم والسحرة ، فأما نحن فاننا ندعوا الناس الى الخير والفضل ، فجواهر نفوسنا
ونتائجها مخالفات لجواهر الجن ونتائجها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدقون للشياطين إما باستحضارهم
بطرق التحضير ، وإما بالوسوسة (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) بالشفاعة والعذاب أي انهم
عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر لأن الأمر في ذلك اليوم لله الواحد القهار ، لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة
لأحد (ونقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)
في الدنيا (وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي قرئ القرآن عليهم (بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن
يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا) اظهار في
موضع الاضمار للانكار عليهم أي قالوا (للحق) للقرآن أو لأمر النبوة (لما جاءهم) وعجزوا عن الاتيان بمثله
(إن هذا) أي الحق (إلا سحر مبين) أي بين ظاهر فكل عاقل يتأمله يسميه سحرا (وما آتيناهم من كتب
يدرسونها) تدلهم على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الشرك وينذرهم على
تركه فمن أين هذه الشبهة ؟ ثم أخذ يهددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار
ما آتيناهم) أي وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير) أي فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر
هؤلاء مثلهم (قل إنما أعظكم بواحدة) أي أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله (أن
تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) أي هو القيام والانتصاب في الأمر والنهوض بالهمة فتقوموا لوجه الله
خالصا ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ اثنين اثنين أو فرادى ، فأما الاثنان فيعرض كل واحد منهما رأيه على

الآخر

الآخر ، وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضا بعدل ومنصفة هل رأينا فى هذا الرجل جنونا ؟ وهذا قوله تعالى (ما بصاحبكم من جنة) أى فتتفكروا هل بصاحبكم من جنون أوما بصاحبكم من جنون ؟ (إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدّامه لأنه مبعوث قبيل الساعة (قل ماسألتكم من أجر) أى أىّ شئ سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) وهذا وماقبله يرجعان الى أن دعوى النبوّة بلاحقيقة لها إما أن يكون لجنون أولتوقع نفع دنيوى ، فأما الجنون فلينظر فيه بالفكر مثنى وفرادى ، وأما النفع الدنيوى وهو الأجر فهو منتف أيضا (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى (قل إنّ ربى يقذف بالحق) يقول بعد نفى كل من الجنون وتوقع الأجر فى الدنيا قل لهم إن ربى يأتى بالوحى من السماء فيقذفه الى الأنبياء (علام الغيوب) خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (ومايبدئ الباطل ومايعيد) أى ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدى شيأ أوتعيده (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضلّ على نفسى) فوبال ضلالى عليها (وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربى) فان الاهتداء بهدايته (إنه سميع قريب) يدرك قول كل ضالّ ومهتد (ولو ترى إذ فزعوا) عند الحوادث العظام من هلاك فى الدنيا كما حصل فى حرب بدر وغيرها أوعند الموت أو يوم البعث لرأيت أمرا فظيعا (فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الأرض الى بطنها ، أومن الموقف الى النار ، أومن صحراء بدر الى القليب هناك (وقالوا آمنا به) بمحمد حين عاينوا العذاب عند اليأس (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى كيف لهم تناول مابعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم فى الدنيا فضيعوه ، فاذا سألوا الردّ الى الدنيا يقال : وأنى لهم الردّ الى الدنيا (وقد كفروا به) بمحمد ﷺ (من قبل) من قبل ذلك أوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظنّ و يتكلمون بما لم يظهر لهم من الرسول ﷺ (من مكان بعيد) من جانب بعيد عن الصدق والحق والصواب كقولهم هوشاعر وساحر الخ فهذا منهم تكلم بالغيبة والذى لم يشاهدوه فهو من جهة بعيدة عن حاله الشريفة ﷺ (وحيل بينهم و بين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار بعد مافاتت فرصته فى الحياة الدنيا وهم كافرون وقاذفون بالقول بلا روية ولافكر فى أمر النبوّة (كما فعل بأشياعهم من قبل) أى بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة (انهم كانوا فى شكّ مريب) موقع فى الريبة والتهمة وهو وصف للشك وصف به الشك مبالغة . انتهى الفصل الأوّل وهو تفسير ألفاظ السورة كلها

(الفصل الثانى)

نذكر فى هذا الفصل ما كنت كتبته ملخصا لتفسير هذه السورة منذ أكثر من عشر سنين ليجتمع المعنى بسهولة عند الأذكياء

اعلم أن هذه السورة تشتمل على ﴿ ستة مقاصد ☆ الأوّل ﴾ اثبات الوحدانية ﴿ الثانى ﴾ اثبات علم الله ﴿ الثالث ﴾ اثبات يوم البعث بما يشاهد من العجائب ﴿ الرابع ﴾ آراء العلماء فى القرآن وآراء الجهلاء ﴿ الخامس ﴾ ذكر أمّتين عظيمتين غنيتين إحداهما أطغاها الغنى فكفرت وهى سبأ وأخرى شكرت وهم آل داود وسليمان وجوزى كل بما فعل ﴿ السادس ﴾ تعليم الناس الاستقلال فى الرأى ونبذ الأوهام حتى لاتخدعهم صورة ممثلة ولا رئيس ضليل ولا يغرّهم مال ولايطغيهم ترف ولايعبدون ملكا ولاجنا ولكن يكونون أحرارا خالصين مخلصين فينالون السعادة فى الدنيا والآخرة كداود وسليمان عليهما السلام وكالنبىّ ﷺ كما ذكر فى سورة الأحزاب

﴿ المقصد الاول والثانى والثالث ﴾

(من أول السورة الى قوله – من رجز أليم –)

ابتدأ السورة بحمد الله عزوجل و بيان اختصاصه بملك العالم العلوى والسفلى وليس فى الآخرة من نعمة الا من فيض فضله وتمام نعمته فهو المحمود فى الدارين المشكور على النعمتين توطئة لما سيذكر فى السورة من ملك داود وسليمان اذ عرفا لله حق النعمة واعترفا أنهما من الله وشكرا عليها والماعا الى سبأ بكفرهم بالنعمة واعراضهم عن الحمد وتقطيعهم الارحام وتمزيقهم شمل الامة – جزاء وفاقا – بما عملوا ومزقوا كل ممزق لما أعرضوا وايذانا بأن من خدعوا بالاصنام أواغتروا بالرؤساء الذين استكبروا أوعبدوا الملائكة أو قالوا للضعفاء نحن أكثر أموالا وأولادا فأن أولئك غافلون وجزاؤهم المقت والغضب والارتطام فى أوحال الشبهات والغرق فى غمرة الجهل واستعباد الرؤساء لهم وتعذيبهم لما غفلوا عن مسبب النعمة ومسديها . ثم أفاد أنه يعلم أجزاء المادة وان دقت وصغرت وصفاتها من حركة وسكون وولوج وخروج ونزول وصعود و يعلم مافوق ذلك من ملك

كيف لا ونحن نشاهد عجائب الكيمياء فنعجب كيف وزن الذرات وزنا بديعا حتى انك لترى الأكسوجين والأدروجين فى الماء مثلا لا تزيد ذرة منهما أو من أحدهما عما رسم لها فى تركيب الماء وتلك الذرات دقيقة لاترى بالمنظار المعظم . وهكذا العناصر الداخلة فى تركيب الاشجار والزروع فلقد وضح أن تألف منها النبات بمقدار معلوم فترى الجبر مثلا فى القطن وفى القمح وله مقام معلوم فى كليهما لايتعداه . وهذا هو السر المصون العجيب المعبر عنه بقوله – ولا أصغر من ذلك –

فان ذرات الكيمياء أصغر من ذرات الهباء صغرا لاحد له . ولاجرم أن الذى يعلم دقائق الاشياء كما نشاهده لايغفل عن أفعال العباد . فاذا وزن الذرات فى تركيب النبات فما أحراه أن يزن أفعال العباد ليوم الميعاد فذكرنا الله بقوله – وربى لتأتينكم – وهذا قسم للتأكيد على نهج البلاغة ثم اتبعه بالبرهان العلمى والدليل الطبيعى والكيماوى للحكماء على سبيل الارتقاء فقال – ولايعزب عنه مثقال ذرة – .. الخ فتعجب وتأمل وادرس العلم واقرأ الحكمة حتى تفهم السر المصون وذلك قوله تعالى – يعلم مايلج فى الارض الى قوله من رجز أليم –

﴿ المقصد الرابع ﴾

ان عقلاء الامم وعلماء الديانات يرون أن هذا القرآن يوافق ماأوتوا وأنه هدى . وأما الجهال فانهم تائهون فى أودية الضلال لاحجة لهم الا الاستبعاد . ولادليل لهم الا الاستهزاء والايذاء بما يهرفون من جنة يدعونها وكذبة يفترونها . ذلك لقصر نظرهم عما أبدع فى الارض والسماء وماوزن فى المركبات من الذرات مما لايفهمه الاعلماء دارسون لهذا النظام . فما أحرى السماء أن تنزل عليهم كسفا وما أجدر الارض أن تخسف بهم خسفا فانهم يعيشون عليها وهم لايعقلون ويأكلون خيرها وهم لايدرسون قال تعالى – ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد – الى قوله تعالى – ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب –

﴿ المقصد الخامس ﴾

فيه غرضان الاول من أوتى مالا وعلما وحكمة فعرف وشكر وآمن بالبعث وهدى الناس .

والثانى من أوتوا النعمة ففرحوا وأعجبوا واستكبروا وطغوا فهلكوا هما امتان ذكرهما الله عز وجل كانتا فى جزيرة العرب فبنوا اسرائيل بالشام ومنهم داود وسليمان عليهما السلام وسبأ كانوا فى اليمن وما أنسب ذكرها بسورة الاحزاب وما أعجب قصص القرآن . ألم تركيف أنعم على النبى بنعمة النصر والفتح والهدى . وهل أنسب لذلك من أمر داود وسليمان عليهما السلام ولبلاد سبأ ببلاد الشأم علاقة متينة قوية .

الم

ألم تر الى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام أيام شباب الدولة الاسرائيلية فان بنى اسرائيل كان لهم أدوار ثلاثة . ﴿الدور الاول﴾ ذلهم فى مصر نحو أربعمائة سنة وعشرات ﴿الثانى﴾ ملكهم تحت حكم الشيوخ السبعين نحوا من ذلك بالشأم . ﴿الدور الثالث﴾ دور الملك والعظمة وذلك فى زمن داود وسليمان عليهما السلام . وذلك أيام بلقيس . ولذلك الاشارة بقصة طالوت وجالوت وداود فى البقرة وقصة بلقيس فى النمل وأما قصص فرعون معهم فما أوضح ماذكر فى أول الشعراء فى ذلك . ولقد كانت دولة الحميريين والتبابعة قوية ذات مجد وسلطان وعظمة فما اشبهها بدولة بنى اسرائيل فى زمن سليمان وداود . (ولكل من الدولتين قدم راسخة فى صناعة التماثيل وبناء المحاريب والابهة والجلال والعظمة) ولقد أصبح القطران فى حوزة الأمم الاسلامية الآن فاليمن معروفة أخبارها مشهورة آثارها خاوية من الصناعة فارغة من العلم الاقليلا وكذلك ارض الشأم . ملك الله المسلمين القطرين منذ أيام العصر الاول وقص عليهم قصص الامم التى سكنتهما والاجيال التى قطنتهما والملوك التى دبرتهما ليذكر المسلمون وليعتبروا وليعلموا أن التقاطع سفير العذاب ونذير الخراب وأن هذه البلاد سيملكونها فاياكم أن تكونوا كسبأ اذ أغدقنا عليهم النعم وملكناهم اليمن وجعلنا بلادهم من النماء والخصب كأنها جنتان بحيث يراها الذاهب اليها جنتين عن يمينه وشماله أولكل مسكن جنتان هو قائم بينهما على النظام الاوروبى العصرى الذى حرم منه المثرون عندنا وتمتع به صغار العملة هناك وهل كان ذلك النظام البديع الا باتقان علم الزراعة والابداع فى فن الصناعة ودرس علم الصحة وكيف تنظم المساكن وكيف تحاط بالبساتين الا بالهندسة المدروسة وتقويم الصحة وكيف بنى السد المسمى بالعرم أو السكر أو النجف أو المسناة ليحجز الماء الا باتقان فن الهندسة والبناء وعلم الرى ونظام الجسور . وهل تلك الطبقات الثلاث فى المسناة أو العرم التى تنزل الماء بقدر معلوم فالمنفذ الاعلى يليه الاوسط فالاسفل الا بحكمة وعلم . وهل تستطيع الأمم الوحشية ذلك ؟ كلا

ولقد كان العمران متواصلا مارا فى تلك الصحارى المقفرة الآن . والآثار الدارسة حتى يصل بلاد الشأم التى بارك الله لاهلها من بنى اسرائيل وغيرهم . ألا تعجب . كيف دمر ملكهم وهل ينزل البلاء ويستعصى الداء . ويعوز الدواء . الا اذا جهلوا مابه الحياة وانصرفوا عن الحكمة الموروثة وتقاطعوا وتميزوا طرائق ، وتباينوا خرائق ، فجهلوا الهندسة وتركوها ، وأغفلوا الصناعة ونبذوها وضلوا عن الزراعة فلم يتعهدوها ، وأعرضوا عن علوم الرى فلم يدرسوها ، وانصرفوا عن نعم الله فلم يشكروها ، واتبعوا مايقول الجاهلون ، ويبتدعه لهم الدجالون فيقولون (سيفتح العرم فارة فاربطوا هرة تحفظه وترعاه كما فعل المصريون أيام قنبيز اذ أحجموا عن ضرب الفارسيين خوف الهرر أن تصاب) ـ قتل الانسان ما أكفره . فلما أن أهملوا سدهم ، وتركوا ، أرضهم ، سال الوادى بالماء وبدل الجنتان بما لا ينفع الانسان من أثل لا ثمر له وشجر من التمر ونبق قليل ، وتباعدت أسفارهم ، وتناءت ديارهم ، وخربت القرى المتواصلة المنظمة فى طريقهم الى الشأم ، فأصبحوا مثلا فى الغابرين فقيل تفرقوا أيدى سبأ : وأبناء سبأ عشرة تشاءم منهم أربعة ، لخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة : وتيامن ستة : الاسديون والاشعريون ، وحمير ، وكندة ، ومذحج ، وانمار ، ولما تفرقوا لحقت غسان بالشأم والازد الى عمان ، وخزاعة ، الى تهامة ومر الأوس والخزرج الى يثرب . ولحق آل خزيمة بالعراق

﴿موازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان﴾

فوازن رعاك الله هذا الملك العظيم بملك بنى اسرائيل وكيف زال الأول بسيل العرم بعد الأبهة والجلال . والعز والمنعة . والشرف . والفضل العظيم وكيف عظم بنو اسرائيل فبنى داود وسليمان عليهما السلام بيت المقدس اذ رفع على أعمدة بلورية وبنى بالرخام الأصفر والأبيض والأخضر . وسقف بأنواع الجواهر وفضض سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع الفيروز وسخر العمله . فبنوا المحاريب وصنعوا التماثيل لكل صنف من الحيوان الممثل للقوة كالاسد والصقر أمام كرسيه وفوق رأسه . واللطيف الشكل كالغزال وغيره . ألم تر كيف زال هذا الملك

اذ طغوا و بغوا وسلط عليهم بختنصر من أرض بابل فأخذهم وبعضهم بأرض فارس وما والاها كما فى أول سورة الاسراء . ان ذلك لعبرة للمسلمين كما فى قصص هود . وعاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين . فما كن هؤلاء جميعا اسلامية اليوم . وقد أعطاها الله المسلمين فمت وعفوا أيام شباب دينهم فلما أدبروا وأعرضوا أصبحت البلاد عرضة للدمار آيلة للخراب ان لم يقم فيها مصلحون و يسعدها المرشدون وذلك قوله تعالى ــ ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى ــ الى قوله ــ لكل صبار شكور ــ

﴿ المقصد السادس ﴾

(الاستقلال والحرية فى الآراء)

خراب الأمم وذهاب الدول وخراب بلدانها لايدعو اليه الا الجهل ولا يحدثه الا ترك العلم باتباع أخس الآراء وتصديق الترهات كما يحدث فى بلادنا من أكاذيب الجهلاء وأضاليل بعض السفهاء من الملحدين الغاوين وكما حدث فى سبأ من نبذ عاوم اسلافهم واتباعهم أهواءهم وربط الهرر بجانب سدهم كأنهن مهندسات ومنظمات و يتبع الجهل خلة الظلم والتقاطع والتدابر وذلك هو المعبر عنه فى القرآن بالكفران . وشعب الاوهام كثيرة وأوديتها شاسعة وخروق فجاجها واسعة ولكن ترجع الى ثلاثة أصول ضعف فى بصيرة . اغترار برياسة . وضلال ببطر الغنى . فأما ضعف البصيرة فذلك ماذكره الله عقب قصص سبأ من الاصنام المنصوبة والاشباح الخالية من الارواح وكيف صور الوهم للناس عبادتها وكيف يعدونها شفعاء ومن يشفع الا بعض المصطفين الأخيار فيخرجون فزعين و يغشى عليهم صعقين فاذا زال الفزع تساءلوا فيما بينهم ماذا أنزل ربكم قالوا انه قال الحق (وهذه الأصنام لاحياة لها فضلا عن الشفاعة) وليس عباد الملائكة بأحسن حالا من عباد الاصنام فكلهم مخلوق وكلهم مربوب . بل يقف الملائكة يوم القيامة و يتبرؤن ممن يعبدون و يقولون ان عبدوا الا الاوهام ، وما اتبعوا الا الجان لضعف بصائرهم . وذلك قوله تعالى ــ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ــ الى قوله عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ــ

(الاغترار بالرؤساء)

وأما الاغترار بالرؤساء ، والخضوع للكبراء فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى وداهية الشرق . وداعية اتساع الخرق . وغرور الجهال . وضياع الاموال ودمار البلدان . ولقد قطع الله الحجة واعذر . وقرر الذنب على المرؤسين كالرؤساء والمحكومين كالحاكمين . وتأمل كيف يقول الضعفاء للمتكبرين أنتم أضللتمونا فهل تنفعوننا . فقال المتكبرون كلا فانكم مجرمون ولم لاتفكرون أفلا تعقلون . فقال الضعفاء كم من حيلة نصبتموها . ومكيدة دبرتموها باذاعة الاخبار ونشر الآثار بالليل والنهار فقال الله ــ لكل ضعف من العذاب ــ ذلك كما نشاهده اليوم فى الأمم التى ذهب مجدها وغاب سعدها وحضر جهدها اذ يقولون على الرؤساء تبعتها ونحن لامال بأيدينا ولاسلاح ولا جند فقطع الله الحجة وأوضح المحجة وأناط بكل عمله وأوجب عليهم أن ينظروا مفكرين ولا يغتروا بالمتكبرين فكم يسمع المرء جعجعة ولايرى طحنا فالصعلوك كالملك فى الاسلام على كل التفكير ــ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ــ ومصداق ذلك ماتراه الآن فى بلاد الاسلام من قولهم ظلم الحكام فباد الانام ونقول كلنا والله مسؤلون وعلينا أن نفكر للجموع والا حقت كلمة العذاب وذلك قوله تعالى ــ ولو ترى اذ الظالمون موقوفون ــ الى قوله ــ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ــ

(الضلال بالغنى)

وأما الضلال بالغنى والبطر بالمال فما أشبهه الا بعبادة الاصنام ولن يجادل الانبياء و يقاوم الرسل والمصلحين الا الاغنياء لئلا تفوت رياستهم و يعلوهم غيرهم ذلك شان الانسان فى كل زمان الا أن عابد الصنم متبع خياله

وخياله

وخباله والمغتر بالمال أعظم شهوته وخضع للذات كالجماوات وذلك قوله تعالى ـ وما أرسلنا فى قرية من نذير الى قوله آمنون ـ فالمال كالصحة والسلطان والولد وسائر النعم لادلالة لوجودها على الشرف ولالعدمها على الضعة فهى تكون للبار كما تكون للفاجر فليست تقرب بعيدا ، ولا تبعد قريبا . ولاترفع وضيعا ولا تضع رفيعا لذاتها ولكن هذه الاعراض أشبه بالسيف ينفع ان أمسكه العاقل الشجاع و يضر ان تناوله المجنون ، هذه أهم مقاصد السورة الشريفة وماعدا ذلك فتثبيت لحجة أو تأييد لحكمة كقوله تعالى ـ قل من يرزقكم من السموات والارض الى قوله ولاتستقدمون ـ

هذا وقبل أن ندخل فى مباحث الفصل الثالث لابد أن نوضح المقام فى قوله تعالى ـ يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها ـ الى آخره وهو مايأتى

﴿ جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى) فى قوله تعالى ـ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهوالحكيم الخبير ـ

(الثانية) فى قوله تعالى ـ يعلم مايلج فى الأرض ـ الخ

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ـ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ـ الخ ﴾

(كتب فى ليلة الأربعاء ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨ ﻫ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد على انك أسعدتنى بالحكمة وحبوتنى العلم ، إنك أنت الحكيم الخبير ، فهاأناذا الآن أصبحت على يقين أن من عبادك فى أرضنا أناسا أشهدتهم هذه الأرض وهذه السموات فى حياتهم الدنيا فراديس وجنات النعيم ، إن هذه العوالم فى ظواهرها تمثل الشر ، ففيها الموت والحياة والمرض والظلم والقسوة والفجور والفسوق والخسران والحب والغرام والندامة والحروب والمدافع والبارود والديناميت والاهلاك والتدمير ، فهذه تشبه أن تكون ركنا من أركان جهنم ، اللهم إنك أنت حكيم ، هذا قصرك المشيد أرض وسماء ومشاهد بينهما تمثل فيها الفظائع والآلام والأرزاق والحياة والسرور والغرور ولكنك أنت مع هذا كله جعلت نفس هذه المشاهد روضة من رياض الجنة للحكماء والمفكرين ، أفليس من العجب أن تكون مبادئ النار والجحيم هى بعينها فراديس الجنان .كلا. بل هى مشاهد الحق ومظاهر الجلال والجمال ومبادئ مشاهدة الحق تبارك وتعالى ، فى الأرض أقوام معذبون بهذه الحياة وان كانوا لايعلمون أنهم معذبون ، مسخرون وان كانوا لايعلمون ، أشقياء وان كانوا لايفقهون ، وهؤلاء هم أكثر هذا النوع الانسانى ، هم فى داخل أنفسهم فى شقاء آلام الأمراض والعواطف والغم ومواجع الأعداء والحساد والحكام والوحوش والحشرات ورذائل الأصدقاء والأقارب والحزن على مصائبهم الحالة بهم والنكبة المتعدية منهم ، الحق أن الناس جميعا فى الأرض مسوقون بعصا من حديد ، هم مسوقون كما تساق الأنعام ، فتربية الولد وكسب العيش وتناول الطعام كلها ببواعث وزواجر يحس بها الناس وماهى إلاعصى من حديد تسوقهم وهم مرغمون

اللهم إن هذه حال أكثر نوع الانسان ، ولكن النادر منهم ينظرون هذه المشاهد وهم يسمعون كلاما ليس بحرف ولاصوت بل يقرؤنه فى نفس المشاهد و يفقهونه والناس من أمرهم متعجبون هازئون وهم فى أنفسهم للناس راحمون ، العالم يرحم الجاهل والجهال هم أكثر نوع الانسان ، فهذه الجموع تستمد من الحكماء والحكماء هم الراحمون لأن الآباء يشفقون على الأبناء ، فالحكيم أب لأمته لأنه أقرب الى نبيها فاذا استمد منه الناس فهو بهم رحيم ، فاذا يسمع حكماء الامة من خطاب الله الذى ليس بحرف ولاصوت ، يسمعونه يقول

« أى عبادى : أنا رحمن رحيم ، ورحمتى سبقت غضبى ، ألم تسمعوا انى أبتدئ كل سورة باسمى الرحمن الرحيم أنا لم أزل مضادا فى الأرض للإسعادة ونعمة ، وغاية الأمر ان أكثر الناس لا يعلمون ، هذا العالم الأرضى عالم يسير الى الكمال ولا كمال إلا بالعلم ولا يتم علم إلا بمقدمتين مقدمة المحبوب ومقدمة المكروه ، فكما أن المناطقة منكم يقرلون لا نتيجة إلا بمقدمتين هكذا حكمتى قضت أن لا علم لكم إلا بسابقة مقدمتين ولكن المقدمتان عندى هما المحبوب والمكروه ، أنتم يا أهل الأرض عبيدى وأنا أرحم أكثر من رحمة أبويكم آلاف آلاف المرات ، ولن تستطيعوا أن تعقلوا هذه الرحمات إلا بدراسة جميع العلوم ودون ذلك خرط القتاد

فها كم أمثلة مما تشاهدون ﴿الأوّل﴾ حب الصور الجميلة طلبا للنسل ، أنتم جميعا تحبون الحكمة والأشكال الجميلة . فأوّل ما يصادفكم فى حياتكم حب الوجوه الجميلة فيرى الرجل أو المرأة أن سعادة كل منهما فى الاقتران بالآخر والاجتماع به وغير ذلك لأن صورة خاصة مقبولة فى نظره ، ولا معنى لقبولها إلا بأن يكون الخدان والعينان والأنف والفم على مناسبة مقبولة عنده هذا الحب ☆ إن الطيور على أشكالها تقع ☆

فهذا التناسب هو الذى يولع به الذكور والاناث فتكون الذرية . إذن الحكمة والنظام وحسن الابداع هنا جعلت للشهوة البهيمية وبقاء الذرية وكان المقصد فى ذلك كله هو اتقان تلك الصورة فى نظر ذلك العاشق ﴿الثانى﴾ حب الأعمال الصالحة . فاذا جاوز الناس الدرجة الأولى وهى الخضوع للشهوة البهيمية التى تنتج بقاء الذرية اعتلوا الى درجة أرقى وهى مزاولة الحكمة العملية فهناك يكون التعاون فى الأعمال المنزلية والقيام بما يوجبه الدين والعرف والعادة من المحافظة ماديا وأدبيا على اراحة أهل المنزل من الزوجين والصغار ويلى ذلك نظام القرية ونظام سياسة الجمعية الانسانية كلها بالنظام العام ، ولا تمام لذلك إلا بالصناعات والأعمال العظيمة فهذا تمرين لكم أيها الناس على أن تكونوا خلفائى فى أرضى ﴿المثال الثالث﴾ فى الشوق الى فهم الصناعات الانسانية المتقنة وهو أعلى مما قبله ، إن نفوسكم تشرئب للحكمة العلمية لأن الحكمة العملية بالسياسة المنزلية والأخلاق الانسانية والنظم السياسية العامة مقدمات ومدربات لعقولكم حتى تشتاق الى أن ترقى الى فهم حكمتى فى خلقى ولكن حكمتى فوق حكمة المهندسين ومهرة الصناع فى أرضكم ، فأوّل ما يصادف العقول الشريفة من الشوق العلمى أن تهرع الى مشاهدات الصنائع الغريبة المتقنة اتقانا أتم فوق ما تصنعون لغرابتها بالنسبة لما نقص من صناعاتكم ، إن أجسامكم هى الحاملات لأرواحكم وأنواع النبات والحيوان كل هذه متقنات الصنع حولكم ، وهذه الشمس وهذه النجوم كلهن باهرات الصنع ولكن لما كانت نفوسكم أرضية (وقد عجزت عن أن تعقل جمال تركيب النبات وان كانت من علمائه ، وبهجة تركيب أصغر الحشرات وان كانت من دارسيه ودقة صنع أجسامكم وان كانت هى الحاملة له) أخذت تسعى الى صنعة الانسان لأنها اليه أقرب وعقولكم الى حكمة أمثالكم أميل ، ألم تروا كيف أقبل علماء أمريكا وأوروبا — من كل حدب ينسلون — على البلاد المصرية لما فتح الباب المختوم بختم الملك (توت عنخ أمون) يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ وشاع الخبر فى الكرة الأرضية أن الغرفة الثالثة قد وجد فيها صندوق بديع داخله جثة الملك المذكور وجواهره الثمينة وهو مذهب ومزخرف ومرصع بالأحجار الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ، وبعد ذلك وجدت الغرفة الرابعة وهى مملوءة بأثاث من أفخر المفاخر مرتبة ترتيبا حسنا يفوق منظرها فى بهائها وعظمتها ما رأوه فى الغرفتين الخارجيتين ، وحضر لمشاهدة ذلك بعض ملوك أوروبا كملك البلجيك والملكة لمشاهدة صنعة المخلوق لأن صناعها عقولهم أقرب الى عقول أهل الأرض . وأخذت الوفود تترى على مصر وهى عشرات الالوف بل أخذ الناس فى دور الصناعات بأوروبا وأمريكا يقلدون الصناعات التى ظهرت فى القطر المصرى ، ويطلبون نماذج للأزياء المصرية الأثرية كالملابس وأثاث المنازل والأوانى ليصنعوا نظيرها وهم يصرفون الالوف ومئات الالوف من الجنيهات ، وابتدأت النساء الأمريكيات

والاوروبيات

والاوروبيات يلبسن ملابس كالتى ظهرت فى عهد (توت عنخ أمون) فانه فى صباح (٨) مارس سنة ١٩٢٣ ظهرفى شارع (ففث افنيو) وهوأعظم شوارع نيويرك ثلاث سيدات يسرن معا وقد لبسن من قمة الرأس الى أخمص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمات واحتذين أحذية على شكل (الصندل) فكن بثيابهن هذه موضع اعجاب وقلة أنظار الجميع ومثلهن فى انكلترا . وأخذ الناس فى أوروبا وأمريكا يقرؤن تاريخ قدماء المصريين . فلقد هالهم تلك الصناعات العظيمة من

(١) سرير بديع لذلك الملك من الذهب المطروق

(٢) وآنية من المرمر منحوتة من قطعة واحدة للروائح العطرية لذلك الملك

(٣) وآنية أخرى من المرمر أيضا

(٤) ونوع من الحلى الذى يزين الصدورمن الذهب الخالص . هيئته تشبه هيئة السفينة

(٥) وتمثالين داخل الغرفة الخارجية يحرسان باب الغرفة الثالثة المختومة التى بها جثة الملك

(٦) وصندوق للملابسه وعليه صورتان تمثلان شكل (أبى الهول) يطأ أعداء الملك تحت قدميه وعليه نقوش غاية فى الابداع والدقة تفوق سائر مافى المدفن من الاتقان والدقة والجمال

(٧) وكرسى (عرش الملك) وهومصنوع من الأبنوس والعاج ومحلى بنقوش جميلة قوائمه على شكل أسد من الذهب

(٨) ومرآة من الفضة منقوش عليها اسم الملك

(٩) ولوحة قد كتب عليها تاريخ انتصارات القائد (هوس) النائب عن ملك مصر

(١٠) وصورة الملك وهو يتلقى أخبار انتصارات القائد المذكور

(١١) وصور الهدايا والأسرى من بلاد الحبشة

(١٢) وحذاء الملك المصنوع من الذهب وهومزين بشكل زهرة (اللوتس) الجميلة

(١٣) وبرنس من نسيج كتان مصر المتين مع ملابسه ، وقفاز كتانى النسج وهو أوّل قفاز مصرى قديم كشف ، صنع منذ (٣٠٠٠) سنة

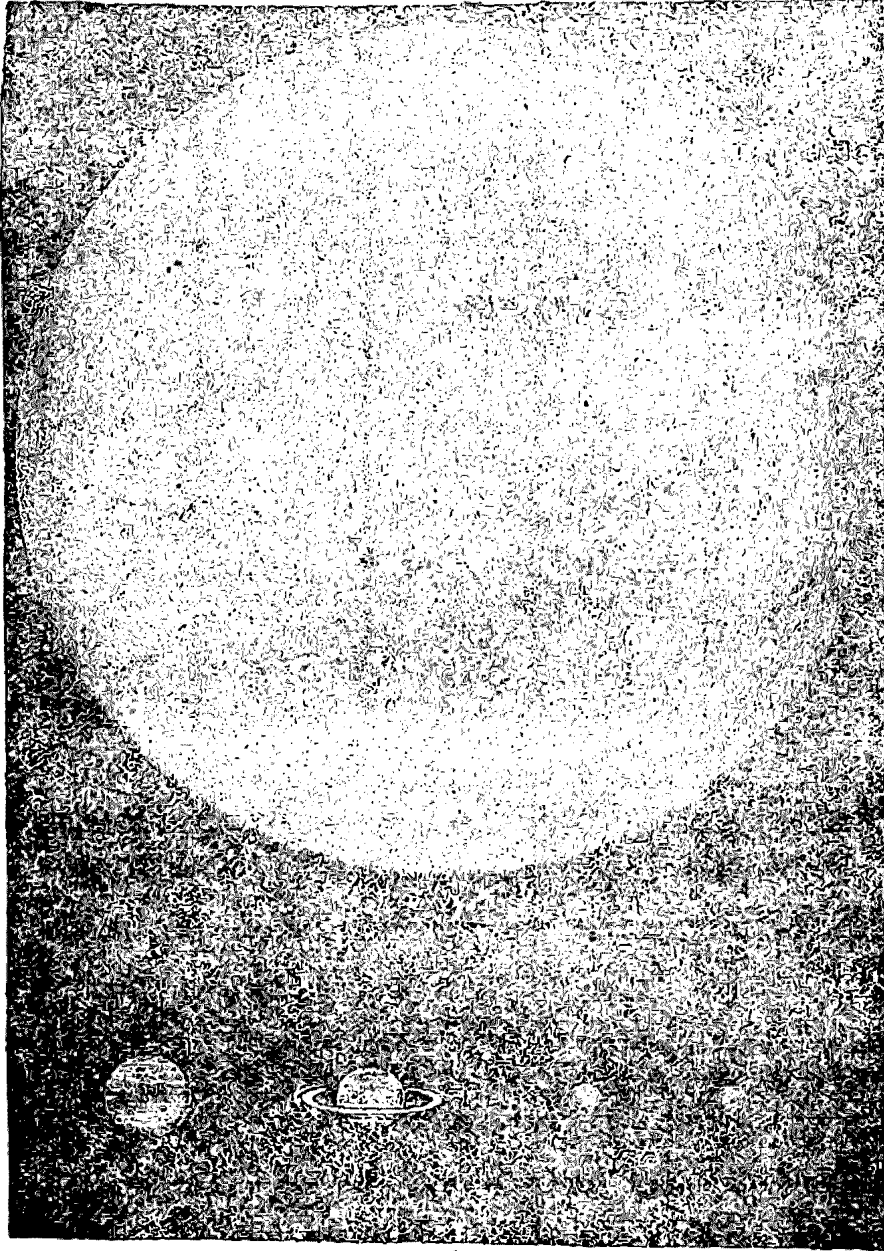
هذا نموذج من مصنوعات العباد وهى التى يفرح بها الناس ويرغمون على السفر وترك الأهل والوطن وصرف الدرهم والدينار ، كل هذا لحب الصنعة والحكمة الانسانية التى هى أقل اتقانا وبهجة من الحكمة فى السموات والأرض . ذلك لأن عقل الانسان الى عقل الانسان أقرب ولفهم صناعته أسرع مع انه هو نفسه فى جسم أبدع صنعا وأتقن وضعا وأبدع حكمة وأبهج نقوشا وأتم نظاما من ملابس وصنادل وعروش وتماثيل (توت عنخ أمون) ـ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ـ إذن هؤلاء العلماء السائحون من أقطار العالم لم يتعجبوا إلا مما يناسب عقول الانسان من صناعاته لامن صناعات الخالق جلّ وعلا فان تمثالا يعقل ويبصر وينطق ويسمع أتمّ وأكمل من تمثال جاهل أعمى أخرس أصمّ ، فهذا التمثال الأتم وهو الانسان لايفرح بجسمه ولابما فيه من النقوش ولابما فى الحشرات والحيوانات والنباتات حوله لأنه متقلب فيها صباحا ومساء فسقط وقعها من قلبه وهرع الى مشاهدة مالم يره من قبل ففرح به لغرابته لأنه مما يناسب عقله من حيث انه منتهى ما يصل اليه الانسان ﴿المثال الرابع﴾ وهو أعلى من سابقه . هنالك أقوام فى هذا النوع الانسانى وهم أعلى ممن تقدّمهم لهم ادراك أتمّ وعقول أكمل ، فهؤلاء يقولون هذه الدرجات الثلاث اثنتان منها انسانية وواحد منها حيوانى انسانى وهو الأوّل ولكننا نحن نريد مثلا أعلى وهومثل الملائكة فليكن نظرنا نظرا أكمل لنوع هذا الانسان فنكون آباء للدرجات الثلاث فهؤلاء يلدون ويعيشون فى المنازل والمدن ويدرسون الصناعات ويدركون الجمال وكل منهم فى أثناء بحثه

يعتريه الحس والسعد والفرح والحزن . ففى المنازل وفى المدن وفى الأسفار لمشاهدة الآثار أفراح وأتراح فقد يعيش العاشقان فى هناء وقد يفترقان فيموت أحدهما كمدا ، وقد يعترى الانسان الدهش من هذه المصنوعات (المباحات فى دين قدماء المصريات المحرّم بعضها على الرجال فى دين الاسلام) فيغرّه جاهلها فيقلدها فيبيع الطارف والتليد من مقتنياته و يصبح خاوى الوفاض بادى الانفاض لايملك شروى نقير ولا يكون فى العير ولا النفير قد مسه الضرّ وملكه الفقر إذن هذه الدرجات الثلاث أبناؤنا فلنبحث نحن عن حكمة هذا الوجود ولن تظهر حكمته إلا فى دراسة السموات والأرضين ، فننظر حولنا فى الحشرات والدّواب والنبات وفوقنا فى السموات والأرضين . هل هذه الآلام ، وهذه اللذات التى تعترينا لها نتائج صادقة ، أم هى مصادفات كالتى رأيناها فى الأمثلة الثلاث ، فهؤلاء يحسون بخطاب نفسى بلاحرف ولاصوت وكأن الله يقول لهم : « أى عبادى ها أناذا أخاطبكم وقد تأهلتم للفهم عنى و بذتم السابقين من بنى آدم أرباب الأمثلة الثلاثة ، انظروا : ألم تعلموا أن اللذات والآلام مقدمات للعلوم فلوكانت اللذات وحدها والآلام وحدها لم تقم للعلم قائمة ، وهل يمشى الانسان على رجل واحدة ؟ أم تخلق له يد واحدة أم عين واحدة وأذن واحدة وطاقة أنف واحدة ؟ فكل واحد من هذين الزوجين مكمل للآخر ، فههنا هنا الآلام واللذات زوجان يكفلان القيام بتعليمكم وارشادكم ولكن ليس كل انسان أهلا لفهم عنى . كلا . وانما الذين يعقلون هم الذين ارتقوا عن الطوائف الثلاث السابقين ، وهذه الطائفة الرابعة لاأجشمها مشاق السفر ولا يعوزها انتعال الحجر ولاتوسد المدر ولا بذل (البدر) وان كان شعارها ﴿لكل مبتدأ خبر﴾ و ﴿لكل نبأ مستقر﴾ بل هؤلاء ينظرون فى منازلهم وفى قراهم فيجدون أنواع الحيوان كالحشرات وهى تطوف عليهم صباحا ومساء فماذا يرون ؟ يرون مثلا ان هذه الحشرات ونحوها ماهى إلا أساتذة ومعلمون يطوفون على الناس ويقولون أيها الناس : نحن فريقان فريق يؤذيكم كالجراد والزنابير ، وفريق يفسدّيكم و يشفيكم و ينفعكم كالنحل ، فأكثر بنى آدم ينظرون للناموس والجراد نظر الخوف من نقص الأنفس والأموال و ينظرون للنحل ودود القز نظر الرجاء أن يشتاروا العسل و ينسجوا الحرير ، وهذه هى المرتبة الدنيا الحيوانية ولكن حكماءكم أيها الناس وهم فى ذروة المراتب يتشبهون بالملائكة فى مباحثهم ، فهؤلاء يقولون عجبا عجبا ، نظام النحل كنظام الزنابير كنظام الجراد كنظام الأرضة التى سترى رسمها قريبا ، فملكة النحل وملكة الأرضة هاهما ذا تراهما مرسومتين أمامك وحولهما جنودهما وخدمهما وحشمهما . وهذا نظام عجيب . واحدى المملكتين مؤذية والأخرى نافعة لنا فاذا لم يعقل الانسان النافع ولم يفكر عند أكل العسل فى حسن نظامه ودقة صنعه ليدرس الوجود فعسى أن يفكر اذا لدغه زنبور فينظر فى قرصه و يفكر فى مدينته ونظامها واذ ذاك يفهم — ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله — فههنا زوجان مؤذ ونافع وأحدهما ضد للآخر كالليل والنهار ولولا الليل لم نعرف قيمة النهار ولولا النهار لم نعرف قيمة الليل فبفهم الضدين يدرك الانسان الفرق بينهما وهناك تكون السوانح العقلية وادراك العجائب الحكمية

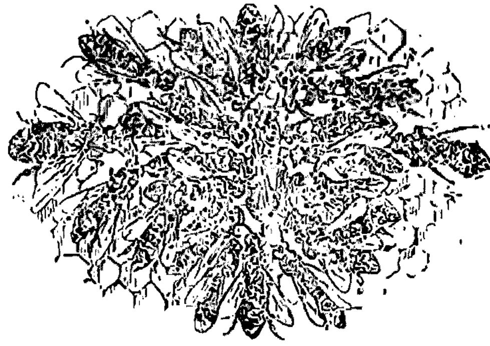
فاذا شاهد أمثال النحل والنمل والأرضة والجراد وعرف نظامها ألفاها كلها على قاعدة واحدة وان اختلفت فروعها واذن يفهم معنى — له مافى السموات ومافى الأرض — لأن هذه الجملة تقتضى الاختصاص بالخالق لأن تقديم الخبر يفيد ذلك ولكن تقديم الخبر يفيد افادة لفظية . أما هنا فان قارئ هذه النظامات يقول إن القاعدة واحدة لافرق بين مايضرّنا وماينفعنا . كلها ممالك مؤسسات على نظام واحد . فملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرضة كلهنّ ذوات أوامر لاترد ومانظامها إلا كنظام أجسامنا وان كنا الى فهم هذه الحشرات أقرب منا الى فهم أجسامنا وكأن البوّابين والضباط والجنود والمراضع فى جنود ملكات النمل أشبه بما فينا من قلب وكبد وطحال ومعدة وامعاء وأعضاء حركة وأعضاء حس الخ كل له عمل يخصه

ولما

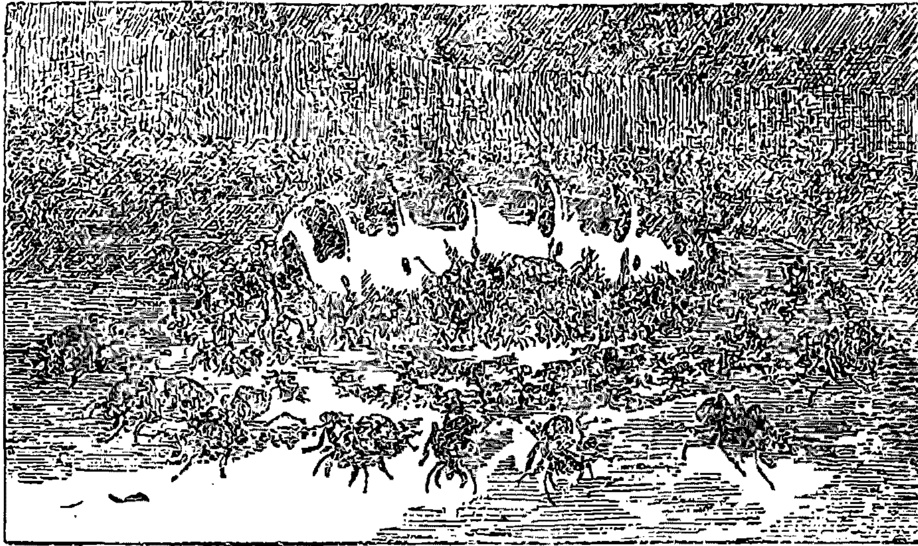
ولما كان هذا المقام يستلزم اعادة رسم أربع صور تقدمت فى هذا التفسير وهى صورة المجموعة الشمسية وصورة مملكة النحل وصورة مملكة الأرضة وصورة جسم الانسان رأينا أن نرسمها هنا اتماما للفائدة (انظر **شكل ٢**) و (شكل ٣) و (شكل ٤) و (شكل ٥)



(شكل ٢ — رسم المجموعة الشمسية)

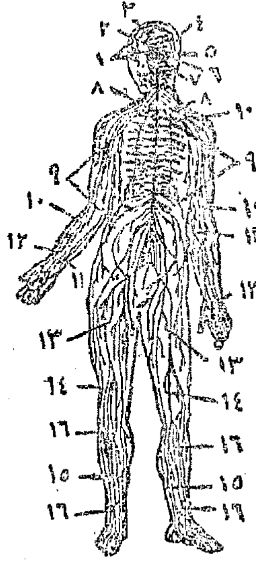


(شكل ٣ ــ ملكة النحل)



(شكل ٤ ــ الأرضة)

(صورة الارضة المالكة وأتباعها . رسمها العلامة الالمانى أزر يك كالحها . الكتلة البيضاء الضخمة هى الملكة والى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلونها ويلحسونها فالقائمون بتغذيتها يتألبون عند فمها ويبقى فى الطرف الآخر من وكل اليهم التقاط البيض . وبين العمال جند من البوليس صغير الحجم وفى الصف الاول فى شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدو مفاجىء)



(شكل ٥ ــ جسم الانسان)

ثم يرفع هؤلاء طرفهم الى السماء بعد أن يعرفوا أن العالم السفلى على وتيرة واحدة فماذا يرون ؟ يرون شمسا يحيط بها نبتون وأورانوس وزحل والمشترى والمريخ والأرض والزهرة وعطارد وأكثر هذه حولها أقمار . كل هذه دائرات حول الشمس فيدهش هذا الفريق إذ يرى أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرضة كلهن سواء فى النظام وهن متشابهات تمام المشابهة للشمس مع سياراتها وأقمارها وهكذا مع (النيازك) التى لا حصر لعدها و بعضها صغير جدا كالبلاطة فى منازلنا و بعضها أكبر وأكبر وهى التى نراها فى الليالى المظلمات تنزل كسهام مضيئة نسميها (شهب) جمع شهاب وهكذا ذوات الأذناب كلهن دائرات حول الشمس كما تدور الشهب (النيازك) وكما تدور السيارات . وهنالك يرون أن الشهب والسيارات إن هى إلا كأعضاء الجسم الانسانى أوكأفراد من ممالك النحل وممالك النمل . لنا نحن بنى أوامر نلقيها على أعضائنا وأعضاؤنا تمتثل تلك الأوامر . والموصل لتلك الأوامر من عقولنا الى أعضائنا هى الأعصاب فهن قائمات مقام البريد البرقى (التلغراف) وسرعة الفكر فى العصب ميل فى الثانية و بعض العلماء يقول « إن القوة الحاكمة تشعر باللمس على الوجه وتجيب عليه بتحريك اليد فى سبع ثانية من الزمان . وتشعر بالمسموعات وتجيب عليها فى سدس ثانية . و بالمرئيات وتجيب عليها فى خمس ثانية » فبالامتحان ظهر أن الملموسات أسرع حركة من المسموعات وهذه أسرع من المرئيات . ولقد حار الناس فلم يعرفوا كم من الزمن يمر حتى تصدر القوة الحاكمة حكمها . وقد عرف هذا أحد العلماء بآلات دقيقة جدا فقال « إن حركة الفكر تستغرق فى الاحساس والحكم ثم الاجابة خمسا وسبعين جزأ من (١٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة وتستغرق الارادة فى اصدار حكمها (٤٠) جزأ من ذلك ولقد جربوا ذلك فى رجل كهل والشاب أسرع فى ذلك من الكهول »

إذن فى الانسان قوة حاكمة . وأوامر تلقى . وأعضاء تأتمر . وهذه الأعضاء كثيرة جدا كأنها دولة أو كأنها مملكة النحل أومملكة النمل أومملكة الجراد أوالأرضة . فهناك تشابه وتماثل بين أعضائنا مع نفوسنا و بين ممالك النحل والنمل والشمس مع سياراتها وتوابع سياراتها . أفليس هناك اتصال مّا بين الشمس وما

حولها من السيارات والنيازك وذوات الأذناب كالاتصال المتقدم بين النفس وأعضائها وبين مملكة النحل مثلا وأفراد مملكتها إذ هناك صلة وثيقة بين المملكة والأفراد لاعلم لنا بها . ولنا الحق أن نتصور الصلة بين الشمس وسياراتها الخ كالصلة التى بين نفوسنا وأعضائنا ويكون عالم الأثير قائما مقام أعصابنا . ذلك العالم الذى يقرب من العالم الخيالى أوالروحى الذى قد ثبت انه وان يكن غير مادى فيه ثقل لايحسب بجانبه الحديد ولا الذهب شيأ مذكورا فهو أمتن من كل مادة ولولا هذا لم يتحمل قوة الجاذبية التى تقوم به بين الكواكب

تبين بهذا أن مافى السموات ومافى الأرض من الممالك على وتيرة واحدة . فاذا رأينا ممالك الحشرات لها نظام سياسى عجيب . مملكة آمرة ورعية مطيعة . واذا رأينا أعضاءنا هكذا مع نفوسنا . واذا رأينا السيارات وامامها هكذا مع الشمس . فلنفهم إذن الآية هنا فان اختصاص الملك بالله المفهوم من تقدم الخبر يعرفه العقلاء بالبحث . فانك ترى الخبير بفن الشعر أوالموسيقى أوالنقش أوالتصوير أوعلم النبات أوصناعة النجارة أوالحدادة . اذا رأى نموذجا منها عرف أن هذه من صنع فلان . فترى من يسمع شعر شاعر أونثر ناثر وهو من علماء أدب اللغة يحكم حالا حكما لاشك فيه أن هذا من شعر العصر الأول أوالخامس وهو من قول فلان كما أخبرنى مرة الاستاذ (ادوارد براون) العالم الانجليزى المستشرق المدرس فى (كلية كمبردج) إذ قال ﴿ لما أرسلت الحكومة الانجليزية ثياب رؤساء العشائر المقتولين أيام حرب السودان وكانوا نحو ثمانين أسيرا أخذت أقرأ خطوطهم ونماذج انشائهم فوجدت منهم من نزحوا الى السودان فى العصر الأموى ومنهم من نزحوا فى العصر العباسى ، واستدللت على ذلك بمشابهة الخطوط للخطوط والانشاء للانشاء ﴾

هذا ما قاله وهكذا كل أصحاب صناعة يدركون لأول وهلة متى رأوا أى نموذج فى أى عصر هو ولأى أمة وهكذا ، إن من ينظر الى نظام الدجاجة وأفراخها والمرأة وأولادها والحكومة وأفراد شعبها ومملكة النحل ونظام أفرادها والشمس وما حولها يجزم بأن الصانع لم يتغير لأن الطراز واحد لم يتغير وأساليب الصنعة هو هو بعينه والا فبالله أى فرق بين هذه الممالك كلها ، فبهذا يعرف الحكماء اختصاص مافى السموات والأرض به ، واذا عرفوا ذلك الاختصاص بهذا البرهان العقلى العملى انشرحت نفوسهم وفرحوا بالصانع بعد فهم صنعته واشتاقوا اليه وأحبوه إذ لاحب إلا بعد المعرفة كما ان أهل أمريكا وأوروبا منذ يوم (١٦) فبراير سنة ١٩٢٣ الى الآن يفدون زرافات ووحدانا على بلادنا المصرية إذ عرفوا قيمة الحكمة التى كشفت فى المصنوعات الأثرية ، فهؤلاء يفارقون الأهل والوطن ويصرفون المال ويتجشمون المشاق غراما بالجمال ولا جمال إلا تبع الحكمة أى النظام المتقن فى الصنعة . إذن هذا النوع الانسانى متى عرف الجمال والنظام والحكمة سارع ليرى ذلك ويشاهد ذلك الحكيم كما يشاهد أولئك الزائرون تلك الصناعات ويشاهدون من عملت فى زمان وهو الملك (توت عنخ أمون) ويكتفون بمشاهدة جثته الهامدة وان لم يروه هو لأنه هو وعلماؤه وصناعه ليسوا هذه الأجسام بل هم أرواح كانت فى هذه الأجسام ، فهؤلاء العلماء اكتفوا بما أمكن لهم وهو مشاهدة الجسم وان خرجت الروح ، فهذا مثال ضربه الله مثلا للناس فى الأرض فهو يقول ﴿ ياأهل الشرق وياأهل الغرب إن نظامى جميل فى الأرض وفى السماء ومتى فهمتموه فهما يؤدى الى شوقكم لى كما اشتاق علماء الأمم عندكم الى مشاهدة آثاركم والذين عملت فى زمانهم فان ذلك يحملكم على حبى والشوق الى مشاهدتى ، فالمعرفة تبعث الشوق والشوق يبعث على السعى للمشاهدة ، وهناك لاتكرهون الموت فى حينه ﴾ وهذا هو معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »

أقول : وليس معنى هذا أن السبيل لحب لقاء الله وعدم كراهة الموت محصور فيما قلناه . كلا . بل هذه إحدى السبل التى نحن بصددها وهذا الحب الذى كانت المعرفة بسببه هو الحامل للحامد على حمده فان متقن الصنعة محبوب والحب يوجب انقياد الأعضاء للعمل وانطلاق اللسان بالثناء . هذا هو السر فى قوله بعد ذلك

وله

ـ وله الحمد فى الآخرة ـ وانما خصّ الحمد لله بالآخرة لأن النفس تكون مجرّدة عن الجسم فيكون ادراكها أتمّ لتعقل الحقائق فتزيد حبا . أما فى الدنيا فهى تحمد الخالق والخلوق وتشاهد أعمال الناس وتحمدهم . ولما كان ذلك كله راجعا للحكمة ختم الآية بقوله ـ وهو الحكيم الخبير ـ فالحكمة بها النظام و بالنظام والاتقان كان الحب و بالحب انطلق اللسان بالحمد . هـذا هو تفسير الآية بالعلوم المعروفة اليوم

فلما اطلع بعض العلماء على ذلك وهو من قرّاء هـذا التفسير قال لى : لقد أحسنت فى شرح نظام هذه الكائنات العلوية والسفلية وفى ترتيب الحمد على معرفتها ثم فى تبيان أن الحكمة هى الأصل الذى بنى عليه هذا النظام ولكن العقل لايكاد يفقه المناسبة بين مملكة النحل مثلا والمجموعة الشمسية فهى عظيمة المقدار جدا حتى ان الشهب وذوات الأذناب الجاريات حولها لا تكاد تحصى . يقول علماء العصر الحاضر انها كعدد السمك فى الماء . ثم ان المجرّة التى منها مجموعتنا الشمسية قد علم ان فيها (٢٢٤) ألف ألف نجم وكل نجمة منها شمس كشمسنا ولها مجموعة شمسية أكبر أو أقلّ من مجموعتنا الشمسية . فهذه كلها تكون مجرّة واحدة وشمسنا منها ، وفوق ذلك هذه المجرات لها أخوات كثيرات كلهنّ مجرات مثلها فيهنّ شموس تعدّ بمئات الملايين ، وفوق ذلك أيضا قد كشف الناس اليوم مجرات أخرى تسمى بالسدم جمع سديم ووجدوها أنواعا فنها السدم اللولبية ، ومنها السدم الحلقية ، ومنها السدم المستديرة ، ومنها التى هى غير منتظمة ، واذا كانت هذه السدم مجرّات كمجراتنا المحتوية على شموس تعدّ بمئات الملايين كشمسنا التى لها مجموعة لاحصر لعددها واذا كان الذى عرف الآن من السدم اللولبية وحدها بالمنظار المعظم (١٢٠) ألف وأوصلها الاستاذ (بيرن) الى خمسمائة ألف ، ومن رأيه انه قديرى منها أكثر من مليون سديم اذا زادت آلات التصوير اتقانا فاذا كان هذا المقدار فى السدم اللولبية وقدّرنا السدم الأخرى بهذا المقدار كانت مجاميع المجرات اللولبية أربعة ملايين مجرّة غير المجرّات المعروفة ، وكل مجرّة من تلك المجرات لها أبعاد ولا يكاد يصدّقها العقل ، مثلا مجرّتنا التى منها شمسنا تمتدّ الى نحو مائتى ألف سنة نورية من جهة ومن جهة أخرى أقل من ذلك فكيف بباقى المجرات وكيف عظمت سعتها فهل بعد ذلك تقاس هذه بمملكة النحل أو بجسم الانسان

فقلت له : إن ما هنالك من هـذه العوالم السماوية يرجع كله الى ما يشبه جسم الانسان . فالمجموعات الشمسية التى تعدّ بآلاف الآلاف فى كل مجرّة من المجرّات التى تعدّ بآلاف الآلاف أيضا أشبه بجسم انسان واحد أو بمملكة من ممالك النحل وكل كوكب سيار فى كل مجموعة شمسية أشبه بعضو من أعضاء الانسان وسكان الكواكب أشبه بما فى جسم الانسان من الحويصلات الحية التى كل حويصلة منها لها حياة مستقلة ومن لطف الله انه جعل النظام واحدا متشابها لتسهل دراسته ومتى درس الانسان جسمه فكأنه درس العوالم كلها وعرف نفسه ومتى عرف نفسه عرف ربه فاشتاق اليه . ومن عاش فى الدنيا وهو غافل لم يعشق الحكيم المدبر للعوالم ومات فانه يسكن فى عوالم على مقدار درجته ولايلاقى ربه إلا من أحبه ولن يحبه إلا العارس لصنعه وغيرهم يسكنون فى عوالم لا تؤهل للقائه إلاقليلا على مقدار ما اكتسبوا من الحبّ . إن الحياة لا سعادة فيها إلا بالحب ولا حبّ إلا بالعلم ولا علم إلا بالبحث فى نظام الأرض والسموات المدبرات بتدبير الحكيم الخبير .

انتهت الجوهرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ جمال هذا الموضوع ﴾

(كتب قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠)

يا ألله : ما أجمل ما صنعت . وما أبدع ما أتقنت . بهرتنا بجلائل أعمالك . وسحرت عقولنا فى دقائق وضعك . وغشيت على هذا الجمال بحجاب من حوادث الأيام ودخان الآلام والمصائب . ولولا ما نصاب به من

فواجع الأيام رحمة منك وفضلا لتفطرت قلوبنا وتمزّقت أجسامنا واحترقت باشراق أنوارك الجليلة . هذه هي الشمس وهذه سياراتها . لقد برزت في الرسم (شكل ٢ المتقدّم) بهيئة تمثل البطة وأفراخها جاثمات حولها محيطات بها . ولكن الفرق أن بنات الشمس منتظمات الأعمال سائرات بقوانين لاخطأ فيها طويلات الأعمار عظيمات الأنوار . أما أفراخ البطة والدجاجة والحمامة وأتباع الأرضة والنحلة والنملة فهنّ صغار الأعمار والأقدار لاقانون لأعمالهنّ نعرفه ولاضابط لسيرهنّ ندرسه والفريقان اتحدا في حسن الاتقان وأبدع التركيب والنظام فهذا عطارد الجاثم حول الشمس تجذبه اليها وتعطف عليه حتى لايتبدّد في أطراف هذا الجوّ الواسع ولايتيه في فسيحات المجاهل . هاهوذا يجرى حولها جريا حثيثا فلايختل نظامه . جريا متواصلا . جذبته اليها جذبا رقيقا بحيث لايلتصق بها لئلا يهلك سكانه من شدّة حرها ولايظلم وجهه من شدّة بعد ضوئها — إنا كل شئ خلقناه بقدر — بحيث كانت سنته مقدّرة بمدّة (٨٧٫٩٦٩) يوما . فهذه الأيام وأجزاؤها هي المقدّرات لمدة الدورة الكاملة حول الشمس منذ خلقت السموات العلا الى الآن والى الأبد . وهذه الزهرة سنتها الكاملة (٢٢٤٫٧٠١) يوما والأرض سنتها الكاملة (٣٦٥٫٢٥٦) يوما والمريخ (٦٨٦٫٩٨٠) والمشترى (٤٣٣٢٫٥٨٥) وزحل (١٠٧٥٩) وأورانوس (٣٠٦٨٦٫٨٢١) ونبتون (٦٠١٢٦٫٧٢٠)

هذه هي المدد التي تسير فيها هذه السيارات حول الشمس وهي لها جاذبة ، انهنّ لمطيعات صادقات في مواعيدهنّ ، وأن أمّهنّ الشمس لحبها لهنّ المفرط ورأفتها تجذبهنّ جذبا لطيفا لئلا يتفرّقن ويتبدّدن في باحات الفراغ الواسع كما تفعل البطة والنملة بأبنائهما — ماترى في خلق الرحمن من تفاوت — والله ان رأفتك يا ألله بهذه المخلوقات وحكمتك لاحدّ لهما . فهذا حساب سير السيارات لواختل ثانية واحدة لأضرضررا بليغا فهذه الأرض الجارية حول الشمس لوانها اختلّ نظام سيرها وقد علق عليه جرى قطاراتنا برا وسفننا بحرا لأورث ذلك خللا في أعمالنا فجرى القطار في غير حينه ، وفتحت الميناء بحرا في غير وقتها فتحطمت السفن بحرا وهشمت وطاحت العربات والركاب برا — تبارك الله رب العالمين —

ويعجبنى ياحكيم يارحيم بابديع دقة صنعك ، وبهجة الجمال ، وعجائب الاتقان ، وبدائع التصوير في النملة والأرضة المرسومتين هنا وفي جسم الانسان ، فهاهوذا النخاع الشوكى هو ومنبعه الرئيسى وهو المخ في الدماغ قد جعلهما أسا لهذا الجسم الحيّ بحيث تكون الأعضاء المفصلة حولهما العاملات بمايصل لهما من أوامرهما جاثمات حولهما جثوم الأرضات والنحلات والنملات والسيارات حول ملكات الأرضات والنحلات والنملات والشمس ، انما مثل السيارات مع شمسها كمثل الأعضاء مع الجسم في الحيوان والانسان ومثل النحل والنمل ونحوها مع ملكاتها ، ألا وان عنايتك بالضعفاء يا ألله لقوية متينة إذ كيف تخلق للنملة في العين الواحدة من عينيها المركبتين الموضوعتين في مقدم الرأس (٢٠٠) عين كما تقدّم في ﴿رسالة عين النملة﴾ في سورة النمل ، وتخلق للذبابة الواحدة (٤٠٠٠) عين بسيطة في عينيها المركبتين

إن حكمتك ورحمتك لانهاية لهما فيكون حبنا لك لانهاية له ، ولكن رحمتك الواسعة واتقانك البديع وحبك لخلقك قد عمت الوجود كله ومنها نوع الانسان ، فسترت عن عقله هذا الجمال بأنواع المصائب والحوادث والأمراض والموت والحياة والفقر والغنى والعزّ والذّل فغشى على عقله فلم يدرك فأخذ يتلمسه من المعلمين ومن الكتب كما نفعل الآن في هذا التفسير ، ولوأن هذه الرحمات ظهرت للناس فوعتها عقولهم لتمزّقت الأحشاء من ادراك ذلك الجمال فتقطعت القلوب ، ولكن الرحمة عامّة والحكمة شاملة باهرة وأكثر الناس لايعلمون ، ومن الغرابة بمكان ما نراه من الاتقان في جماعات الحيوان المجتمعات اللاتى تكون أمة واحدة وجماعات الكواكب اللواتى تكون في مجموعة واحدة ، فان النحل اذا اجتمعن في بيت واحد وجلت الملكة من ذكر من غير مملكتها ألقينا النحل الذى في مملكتها قام قومة واحدة وانقضّ على ذكران

تلك

تلك المملكة فأهلكها لأنها لاعمل لها ، فلاهى تجمع العسل ولاهى تفيد فى أن تكون سببا فى حمل المملكة
هكذا نرى جموع الأرضة الآتى الكلام عليها فى هذه السورة والمتقدّم بعضه فى سورة النحل أيضا فان المملكة
لها جنود يحمونها ، وهؤلاء الجنود لهم عدد مخصوص ، فاذا زاد المقدار رأينا الجماعات اللاتى تقدم لجميع
المملكة الطعام تمتنع عن تقديم الطعام لما زاد عن العدد المحدّد حتى يموت . هذا فى عالم الأرض . أما فى
عالم السماء فانا نرى نفس الاتقان فى تقابل الأرض والشمس والقمر . ذلك انا نرى القمر الذى يدور ٢٧
يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١ ثانية ونصف ثانيـة وذلك فى دورته النجمية أى التى تمضى بين رجوعين
متتاليين للقمر الى نجمة واحدة بحيث انا اذا لاحظناه يوما وقت الغروب فى دقيقة معينة موجودا بجانب نجمة
خاصة من النجوم الثوابت فانا بعد مضى (٢٧) يوما و٧ ساعات و٤٣ دقيقة و١١ ثانية ونصف ثانية نراه
موجودا فى ذلك المكان عينه بجانب تلك النجمة . فهذا القمر المنتظم السير البديع الصنع والنظام اذا قابل
الأرض والشمس فيما يظهر للرائى فى نقطة واحدة فانه يحصل هناك خسوف تارة وكسوف تارة أخرى فان كان
القمر بين الأرض والشمس حصل كسوف وان كانت الأرض بين القمر والشمس حصل خسوف ، والمهم فى
هذا المقام أن نقول ان الخسوف والكسوف فى مدة (١٨) سنة و (١١) يوما يكون مجموع مرات الكسوف
(٤١) ومجموع مرات الخسوف (٢٩) والمجموع (٧٠) مابين كسوف وخسوف ، وهذه المدد لن تتغير ولم
تتغير ، فهذا هو الابداع فى الحساب ، فحساب الحشرات على وجه الأرض لن يعطله حساب الكواكب فى
السماء ، فلم تعطل يا ألله أعمال النحل أى انك لاتمنع إلهامك لها أن تقتل الذكور لأنها لاعمل لها متى
حملت المملكة ولا أعمال الأرضة فلم تمنع إلهامك حاملات الطعام منها أن تقتل ما زاد من الجنود بحرمان
الزائدات طعامهن ، فإلهامك الطائفتين ولغيرهما مستمر منظم كنظام الخسوف والكسوف فى العوالم العلوية
بحيث لاتختل أوقات الخسوف بوقوع الأرض بين القمر والشمس ، ولا أوقات الكسوف بوقوع القمر بين
الأرض والشمس بل النظام هناك لايختلّ ، والنظام فى أصغر الحيوان لايزول ، فأنت تحسب الدورات الفلكية
بالثانية ونصف الثانية ولاتغيره ، وهكذا تفعل فى الحشرات فتحسب لها حسابها وتلهمها

هذا هو الذى نفهم به معنى قولك ــ الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض وله الحمد فى الآخرة
وهو الحكيم الخبير * يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور ــ
فهذه هى الحكمة ، وهذا هو العلم ، وهذه هى الرحمة ، وهذا هو الغفران ، فأىّ حكمة بعد هذه الحكمة
فى الاتقان والخبرة فى الحساب ؟ وأى رحمة ورأفة بهذه المخلوقات أعظم من هـذه ! ثم اذا كان هذا الانسان
يعيش فى الأرض وأكثره جاهل هذا النظام البديع وهو غافل عنه بل أكثره كافر أى غير شاكر لأن الشكر
مبدؤه العلم بالنظام وأكثر الناس لايعلمون هذا النظام البديع فلولا تجاوزه عن عبادته التى هى مقتضى جبلته
الأرضية الطينية لمحاه من الأرض ومنعه الوجود فيها لغباوته ولكنه غفور ستر ذلك الذنب الطبيعى وعفا عنه
وأحيا الانسان فى الأرض لأنه يعلم أن له مستقبلا فى عوالم أخرى وهناك يفهم هذا الجمال من استعدّ له

﴿ تذكرة ﴾

إن هذا الابداع نراه لايزول وهو محيط بنا ونجد أنفسنا فى هذه الأرض مغمورين فى أنواع الحروب الدولية
والمطامع الشخصية والأحقاد القلبية والأمراض الجسمية فنكون مبعدين عن السعادة فى الدنيا ، ولكن متى
لحنا الجمال من خلال تلك السحب القاتمة نسينا مصابنا وأدركنا جمالا فى ضوء الشمس ونور القمر وبهجة
النجوم وهناك ننسى مصائبنا الوقتية ونفرح بهذا النعيم وهو العلم والحكمة والاتقان الذى نراه دائما لايتغير
ونرى قلوبنا به فرحة ، هنالك نسعد فى نفس الحياة الدنيا ونرى أنفسنا أشبه بالمراهقين الذين لم يبلغوا السنّ
وقد فرحوا بأنهم قريبا سيبلغون السنّ القانونية والرشد وتسلم لهم أموالهم . هذا ماخطر لى فى تفسير هذه الآية

والحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية لم تكن فى أول هذه السورة وفى أول سورة الحديد إلا لحكمة ، فهذا كلام الله وهو موزون كما وزن كل نبات وكل حيوان وكل كوكب ، يقول الله ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ وقد علم سبحانه مايلج فى الأرض من الآثار التى تركها الأوّلون كما ستعرف شرحه فى ﴿ قصة سبأ ﴾ وترى مافعله علماء أوروبا فى بلاد اليمن وانهم استخرجوا منها صورا وعرفوا بها علوما ، فهذا بعض ماولج فى الأرض قديما وماخرج منها حديثا ، وهكذا يقول تعالى ــ يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ــ والتماثيل قد تكون من المعادن ، فهذه مما يخرج من الأرض ، وهكذا فى ﴿ سورة الحديد ﴾ ذكر الله الحديد وابتدأ السورة بما يفيد هذا المعنى ، اذا عرفت هذا السر العجيب فاسمع الآن لما فى هذه الدنيا من العجائب المناسبة لهذه الآية

﴿ تفصيل الكلام على الأرض ﴾

لأجمل الكلام فى « مقامين * المقام الأوّل » وصف نفس الأرض « المقام الثانى » ما يقوله علماء الاقتصاد فى مباحث المعادن والفحم وما أشبه ذلك

﴿ المقام الأوّل ، وصف الأرض ﴾

لقد جاء الحمد فى أوّل الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة ، أوليس من العجب أن يكون مقرونا بالتربية للعالمين تارة وبذكر الأنوار والظلمات تارة أخرى و بنزول القرآن آونة و بظهور نتائج الأرض والسموات فى حال أخرى

فقال صاحبى : هذا كلام غامض ! فقلت اعلم أن الحمد متى ذكر فى أوّل سور القرآن تجد ذكر العوالم بعده فالحمد لله رب العالمين فى الفاتحة ، ابتدئ بذكر الله فى البسملة وانه موصوف بالرحمة وأن الرحمة تستوجب الثناء بالجميل وانه مربّ للعالم كله ، فههنا ذكر مبدأ الوجود وصفته وتربيته فكل ماربّاه ، وفى الأنعام ذكر الثلاثة الاول وأبان كيفية التربية بجعل الظلمات والنور ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ دوران الأفلاك ، فدوران الأفلاك سبب فى التربية المذكورة فى أوّل الفاتحة ، فههنا ايضاح للتربية ، وفى الكهف نجد الحمد على العلم الذى رمز له بالقرآن . إذن هنا نور ظاهر لتربية الأجسام ونور باطن لتربية العقول ، الأوّل فى الأنعام والثانى فى الكهف فلم يبق إلا نتائج تلك التربية الجسمية والعقلية للعوالم ، وهذا هو قوله ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وهو الرحيم الغفور ــ ولاشك أن مايلج فى الأرض ومايخرج منها لاتختص بالأجسام ولابالعقول بل هو عام . فنور الكواكب ونور العلم يصلان للأجسام كما فى سورة الانعام وللعقول كما فى سورة الكهف . ومن الأرض يخرج الزرع ونحوه وهو جسمى وترفع الأعمال وهى عقلية . وملخص هذا كله أن هذه السور الأربعة جاء الحمد فيها مرتبا ترتيبا جعلنا نعتقد انه يفتح لنا بابا لدراسة تواريخ العلوم فاذا رأينا الله أوّل مايبدأ يذكر لنا أوائل الموجودات ثم توابعها وهو مرتب لها . فلنقل هذا هو آخر طرز فى نظام التعليم وهو أن العلم الذى يدرس كالفقه والنحو والاصول والتفسير لا يدرس الناس تاريخه اجمالا ولايعرفون سلسلة التأليف فى ذلك العلم يكون طلابه فاقدى القرائح كاسدى الافهام . ألا ترى أن الفلسفة اليونانية المنتشرة فى بلاد الاسلام قديما قد أحدثت آراء وشبها و بدعا وكل ذلك للجهل بتاريخها فلقد ذكرت لك فيما مضى أن الاوروبيين لما ترجموا فلسفة اليونان رأوا طيماوس يحكم وسقراط يجزم بأن العالم حادث كما هو الرأى الحديث فى أوروبا مع ان من قرأ الفلسفة القديمة المنقولة عن اليونان لايجد فيها غير القدم مذهبا وهذا من الجهل بتاريخ الفلسفة ومن عدم الاطلاع على جميع آراء الفلاسفة هناك . وقد قام كتاب ﴿ كشف الظنون ﴾ للكاتب القدير (ملاچلبى) بما ينفع فى هذا الصدد

اذا

اذا صح هذا أفلايجب علىّ أن أقدّم للأذكياء صورة الأرض وما قاله العلماء فيها حتى لاتكون آراؤهم جامدة جمود من قرؤا العلوم ولم يدرسوا تاريخها

لقد أطلعنى أحد الفضلاء على موضوع بديع فى وصف الأرض والأقوال التى قيلت فى هيئتها منذ القدم أدرج فى « مجلة الجديد » فأحببت أن أذكره هنا ليكون ذلك تاريخا لمعرفة هيئة الأرض ولنقف على مايقوله الناس فيها ، فلطالما خطرلى خواطر فكنت أقول : ياليت شعرى . ما فائدة باطن الأرض اذا لم تكن فيه نفوس حية ؟ فوجدت هذه الهواجس والخواطر والظنون هجست لقوم فى أمريكا كما ستراه وهذا هو الموضوع

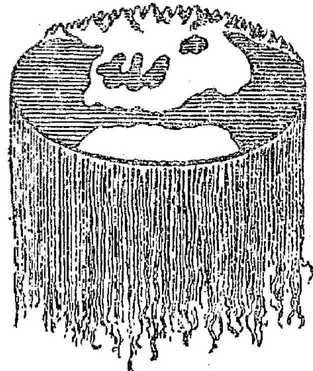
(فى زوايا التاريخ)

(ليست الأرض كروية)

كان أوّل تصوّر للانسان فى شكل الأرض انها بساط عظيم هائل لانهاية لعمقه ، يعتمد عليه قبوالسماء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم فى الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصوّر أن الأرض سابحة فى أوقيانوس من الماء لانهاية له كما فى (شكل ٦) وكان ذلك خطوة لتصوّر أن الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جذور طويلة مثل الشجرة كما فى (شكل ٧)

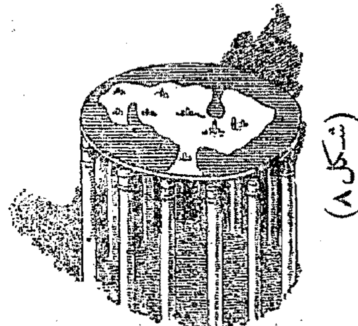


(شكل ٦)



(شكل ٧)

وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثنى عشر عمودا كما فى (شكل ٨) ولكن على أى شئ تقوم هذه العمد ؟ فيجيب قساوسة أوروبا فى القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من أهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض وذهبت هباء فى الفضاء ، وقد كان (أناكسيماندر) الاغريقى فى القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالاسطوانة كما فى (شكل ٩) وأن قطرها يساوى ثلاثة أمثال ارتفاعها ، وانها سابحة فى مركز القبو السماوى . وانه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى . وتوجد أوروبا فى النصف الشمالى وليبيا أوافريقيا وآسيا فى النصف الجنوبى

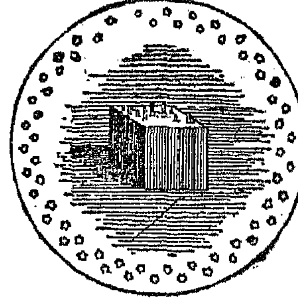


(شكل ٨)

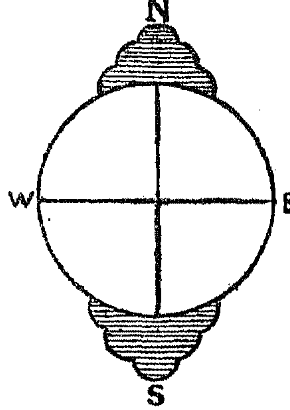


(شكل ٩)

ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال « ان الأرض مكعبة » (انظر شكل ١٠) لأنه كان يعتقد أن المكعب أكمل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطنا لأفضل الكائنات وهو الانسان . وانه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهى شمالا وجنوبا بجبال عظيمة الارتفاع كما فى (شكل ١١) ونرى كذلك فى هذا الشكل ادراكهم لعمود عظيم تعتمد عليه الأرض وهو الذى تطوّر فيما بعد الى مايسمى الآن (المحور)



(شكل ١٠)

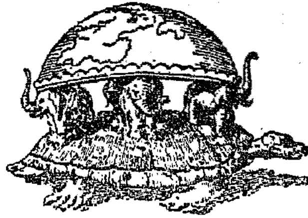


(شكل ١١)

وذهبوا الى أن جبال النصف الشمالى تخرج من أوقيانوس عظيم وترتفع حتى تبلغ مقرّ الآلهة فى السماء بينما تتدلى جبال النصف الجنوبى حتى تبلغ الجحيم ومقرّ الشياطين . ونجد مثل هذه النظرية فى علم الفلك فى الهند مع اختلاف فى المسميات حيث يذكر أن جبل العالم يرتفع فى القطب الشمالى للأرض ليصل ما بينها و بين السماء وهو مثل محور تدور حوله الأجرام السماوية (انظر شكل ١٢) . ووجدت أيضا نظرية فى بلاد (الهند والكلدان تقول : « إن الأرض مثل محارة كبيرة مستديرة (انظر شكل ١٣) تقوم على أربعة أفيال » ويرمزون لذلك بالعناصر الأربعة أوالرياح . وتقوم الفيلة على ظهر سلحفاة كبيرة . ويرمزون بها للقوّة والبقاء والصبر والجلد والخلود



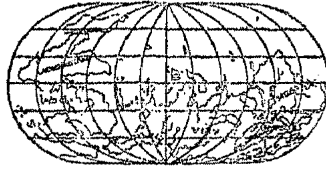
(شكل ١٢)



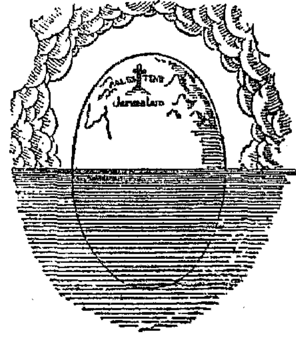
(شكل ١٣)

وانتقل الى الغرب منذ (١٥٠٠) سنة نظرية تقول : « إن الأرض بيضاوية وانها سابحة فى الأثير » (انظر شكل ١٤) وقال الادريسى وهو أحد الجغرافيين من العرب فى القرن الحادى عشر للميلاد ﴿ ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور فى الماء ﴾ وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان (بطليموس) فى القرن الثانى للميلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى أن الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القوطة (انظر شكل ١٥ فى الصفحة التالية)

شكل

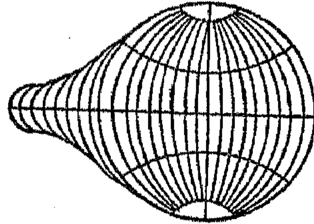


(شكل ١٥)

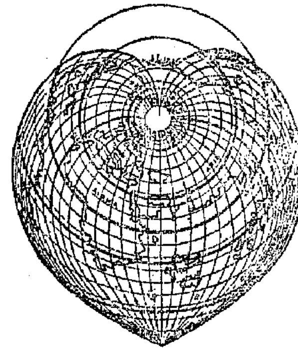


(شكل١٤)

وجاء (أبيانوس) فى سنة (١٥٢٠) ميلادية فقال ﴿انها تشبه القلب﴾ (انظرشكل ١٦) وصادفت نظريته ميلا فى قلوب قساوسة الدين فى أوروبا فأيدوه قائلين ﴿انها قلب الله﴾ وأن هـذه الكرة القلبية تشبه أرض المكتشف العظيم (كولمبوس) حيث تصوّرها مثل الكمثرى ، فالنصف الكروى هوالشرقى والنصف المستطيل هوالغربى ، والتمدّد الذى أوجـده فيه هو (العالم الجديد) الذى اكتشفه ، وأما (دانت) فقد تصوّرها قبل ذلك بقرن فى مثل هذا الشكل جاعلا هذا التمدّد لجحمه الذى صوّره فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة (انظرشكل ١٧) بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) فى الجهة المقابلة ليحفظ التوازن

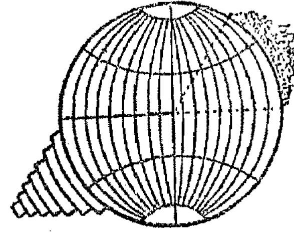


(شكل ١٧)

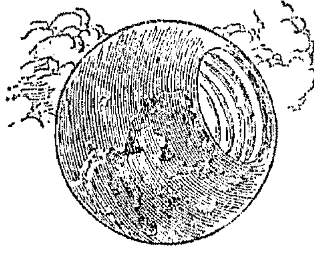


(شكل ١٦)

وظهرفى سنة ١٨١٩ فى (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفزسيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه أو بنظرية الكرات المتداخلة وهى أن الأرض أوأى كوكب يتكوّن من عدة من الكرات المتلابسة والمشتركة فى مركز واحد (كما فى شكل ١٨) و (شكل ١٩) و بين كل كرة والتى تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة فى جميع هذه الكرات . و يرى أن الأرض تتركب من خمس طبقات أو كرات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطرالشمالية أربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل . وأن سطحى كل كرة أوطبقة مسكونان فتوجد سكان فى الأرض على السطوح المحدودبة والسطوح المقعرة . وطلب الى المجلس النيابى بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفينتين ليسافر الى أحد القطبين و يدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل الى سكان السطح المقعرالذى نعيش فوقه



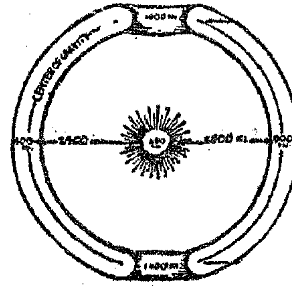
(شكل ١٨)



(شكل ١٩)

وطبع المارشال (جاردنر) فى سنة ١٩١٣ م فى الولايات المتحدة كتابا عنوانه ﴿سياحة الى داخل الأرض﴾ ذهب فيه الى أن الأرض مجوّفة ويبلغ سمك طبقتها التى نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين . ويوجد فى داخلها شمس (انظر شكل ٢٠) ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا وأربعمائة ميل

وقال (موريه) فى كتابه ﴿علم الفلك اليوم﴾ ان الأرض على شكل هرم (انظر شكل ٢١) وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف انصاف أقطارها وتحل كثيرا من النقط المعضلة فى هذا الصدد التى لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى



(شكل ٢٠)



(شكل ٢١)

وهذه النظرية التى نشرها (تيوفيل موريه) العالم الطبيعى الفرنسى إن هى إلا شرح وتأييد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزى التى كانت مثارا لجدال كبير فى سنة ١٨٧٥ م وهو يذهب الى أن الأرض هرمية الشكل وأن البحار تشغل بطون فى سطوحه الأربعة بينما أركان هذا الهرم عبارة عن القارّات الخمس وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها فى ذاك العهد ليحللها العلماء من جديد فى نور ما استكشف من العلم الحديث . والجدال قائم الآن فى كل مكان على قدم وساق . ويقال انها أحسن نظرية فى بيان حقيقة شكل الأرض . وأن مالاشكّ فيه أن نظريات كروية الأرض لايؤيدها أحد اليوم من علماء الجيولوجيا والفلك . انتهى المقام الأوّل فى وصف الأرض

(المقام الثانى)

(فيما يقوله علماء الاقتصاد فى مباحث المعادن والفحم الخ)

اعلم أن علماء الاقتصاد استقصوا مباحث المعادن والفحم وتربة الأرض ، فلأذكر خلاصة مايقولون فى هذا المقام ايقاظا للمسلمين وتعليما للجاهلين

اللهم إنا نحمدك حمدا يوافى نعمك ، أنت الذى علمت وألهمت ، وأنت الذى جعلت الأمم كلها يخدم بعضها بعضا وكل يساعد كلا وان كانوا لايقصدون ، فهانحن أولاء ننتفع بعلم الأمم ، فالعالم كله مرتبط بعضه

ببعض

ببعض بطريق الجاذبية التي بين الكواكب والسيارات ، وهكذا الناس مرتبطون بالمصالح والعلوم شاؤا أم أبوا ـ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها ـ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ـ

﴿ التربة ﴾

إن التربة قد تكون سوداء وهي التي جلبها (الفرين) أي مايسمى في مصر بالطمى وقد تكون نباتية وقد تكون بركانية كأراضي الدلتا . فالسوداء هي التي تجلبها الأنهار كنهر النيل بمصر وهذه لاتحتاج الى سقى كثير والرملية تحتاج الى سقى كثير ويزرع في الأولى أمثال الارز والقصب وفي الثانية الشعير والفول السوداني والبطيخ ، ومن أحسن الأراضي السوداء الهندية في مقاطعة بنجاب فقد زرعت آلاف السنين بغير سماد ، وأما التربة الثانية فهي التي امتزجت تربتها بما تحلل من النباتات قديما فصار ذلك غذاء للمزارع التي تزرع فيها . قالوا ومن أحسن أنواع التربة الخصبة في العالم التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخامدة وتتكون من بعض المصهورات أوالرماد الذي ينبعث من جوف البركان فتحمله الريح وتنشره على مسافات واسعة حول البركان فيكسبها الخصوبة الكثيرة ، ومن أمثلة ذلك الأراضي البركانية القديمة الواسعة في مقاطعات (الولايات المتحدة) و (شنجتون) و (اريغون) انتهى

أقول : فاذا كان أحسن أنواع التربة هي التربة البركانية ، فههنا ظهر بعض معنى قول الله تعالى هنا ـ ومايخرج منها ـ فهوالذي قدّر الزلازل والبراكين ليستخرج لأهل الأرض تربة أصلح وأنفع من التربة التي يعيشون بها . إذن المصائب التي يأتي بها البركان والزلزال أقل جدا من المنافع

هذا من معنى قوله ـ يعلم مايلج ـ الخ وقد آن أن أبين لك الكلام على الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة من كتاب ﴿ الجغرافيا الرشيدة ﴾ لمحمد حمدي بك فقد جاء فيه مايأتي

﴿ الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة ﴾

الاهتزازات في القشرة الارضية كثيرة حتى يكاد يقع منها نحو ٣٠٠٠٠ هزة في السنة ، ولكن هذه الاهتزازات التافهة لايلتفت اليها ، ولايكاد يدونها السيسموغراف الذي يقضي الشهور الطويلة أبيض الصحيفة لايحيد فيها عن الخط المستقيم ، ثم تأتي المفاجأة الهائلة فيهيج القلم ويرتجف على الورقة ارتجاف الطائر الحائر حتى ينقضي المقدور وينتهي المسطور . ويظهر أنه على قدر مدة السكون تكون شدة الزلزال المقبل ، اذ أن أشد الزلازل خطورة كانت تعقب أطول الفترات سكونا ،

(التغيرات المترتبة على الزلازل)

ان حركات القشرة الارضية الهادئة المستمرة أبعد مدى في تغيير معالم وجه الارض من التغييرات الفجائية التي تحدثها الزلازل ، وأهم ماينشأ عن الزلازل ارتفاع أراض كانت واطئة فجأة ، وانخفاض أراض أخرى ، وتغير مجاري المياه تبعا لذلك ، وتحطيم القشرة الارضية وتمزيقها بالشقوق والفتوق الطويلة العريضة في أقرب وقت غير إن الزلازل وان كانت بفجاءتها وأهوالها تلفت النظر اليها والى آثارها هي من الحوادث الصغيرة في تاريخ القشرة الارضية ، وليست شيأ بجانب بنيان الجبال وتغيير صورة وجه الارض بهدوء واستمرار ، وسرعان ماتتسلط عوامل التعرية على ماتخلفه الزلازل من الآثار فتمحوها وتعيرها كأن لم تكن ،

(نشأة البركان)

قد علمت أن جوف الارض مكون من مواد شديدة الحرارة جدا درجة يبوستها محفوظة بضغط القشرة الارضية عليها ، وفي أثناء تقلص الارض والتواء قشرتها يحدث أحيانا أن يخف الضغط فجأة على تلك المواد

فتنصهر لوقتها وتتحول ، ويهيء وجودفتق أوشق بعيد الغور فرصة لخروج المواد المنصهرة الجائشة فينشأ عن ذلك البركان . وهو جبل مخروطي الشكل ، في قلبه قصبة مجوفة ، على رأسها فوهة وعائية الشكل تخرج منها الابخرة والصخور والمنصهرات . ويشيد البركان من الانقاض التي تخرج من فوهته سواء أسالت على جوانبه أم تساقطت من الجو بعد الارتفاع مخروطا بركانيا

(الحمم البركانية)

تسمى الصخور المنصهرة التي تخرج من فوهة البركان حمما : وقد تبرد أحيانا فتكون سدادا يسد القصبة فتخرج الحم من الشقوق النافذة الى أحد جوانب البركان وتعمل لها فوهة صغيرة يشيد حولها مخروط صغير على جانب المخروط البركاني . وتسيل الحمم على جانب البركان في كل ناحية فتشيد فيه وتزيد في بنيانه . وعند ماتبرد الحمم تتشقق كماتتشقق الأرض الشراقي فتتكون منها أشكال منتظمة كما ترى في أعمدة البازلت . ويحدث أن يتحات المخروط البركاني تاركا سدادالقصبة وحشو الفوهة فتبقى صخرة منعزلة

(الثوران البركاني)

يخرج من فوهة البركان سحب من بخار الماء المتولد من المياه التي تتسرب الى جوف الارض وتختلط بالصخور المنصهرة ، فيطرد البخار الصخور المتخلفة في قصبة البركان بعد أن يمزقها كل ممزق ، ثم تخرج سحائب من التراب البركاني الذي يجعل الجو مظلما و ينتشر في الآفاق الى مسافات هائلة ، وتخرج من بعده الحمم والمواد المنصهرة ، فتسيل على الجوانب . ولذلك تجد المخروط البركاني مشيدا من طبقات من الحمم ، وأخرى من الرماد البركاني الذي تنزل به الامطار الموحلة على البركان ، وكلما تكرر ثوران البركان تكرر تكوين الطبقات وتشييد الجبل . ومن أعظم الثورات البركانية ثوران بركان كركتوا في سنة ١٨٨٣ . وجزيرة كركتوا هذه في ارخبيل الملايو بين سومطرى وجاوى ، تكرر فيها حدوث الزلازل ، وفي صباح ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ بدأ الثوران البركاني العظيم: فسمعت أصوات فرقعة الغازات في جنوب استراليا ، وخسف ثلثا الجزيرة فحل محل الجبال العالية بحر عمقه الف قدم ، وهاجت الامواج الهائلة فطغت على سواحل الجزائر القريبة ، وهلك ٣٦٠٠٠ نسمة وخربت نحو ٣٠٠ قرية ، وصار الجو مظلما كالليل في الجهات المجاورة من كثرة التراب البركاني الذي كان يرتفع الى علو ٢٠ ميلا من الفوهة . وقد انتشر هذا التراب في أجواء العالم فجعل للشفق منظرا شديد الاحرار حتى في غرب أوربا . وقد علمت أن في قرار المحيطات طينة حمراء مشتملة على بقايا الحيوانات البحرية ، فهذه الطينة مكونة في الغالب من الرماد البركاني . انتهى ما أردته في هذا المقام من كتاب الجغرافيا الرشيدة

فانظر وتعجب : إن علم الله بما في السموات والأرض لايحتاج الى بيان فكل متدين يعلم ذلك ولكن الله كرّره في القرآن كثيرا في كل مناسبة وهو اذا علم كل شئ فهو يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها الخ ولكن لما قرأنا علوم أهل زماننا وجدنا أن ذلك التخصيص بالنص لحكم ظهر بعضها وسيظهر باقيها . علم الله أن المسلمين سيقرؤن القرآن و ينامون عن العمل و يتركون الأرض لغيرهم فقال لهم « أيها المسلمون : أنا أعلم مايلج في الأرض ومايخرج من الأرض ولولا نفعه لكم ما أخرجته منها . هذه البراكين مهلكة ولكنها نعمة لأن وجه الأرض كلما ضعفت الزراعة فيه فلم تأت بالغرض المطلوب . سلطت عوامل سرّية على تربة قوية فأظهرت المكنون في باطن الأرض فظهر على وجهها بالبركان ثم أمرت الرياح فجرت به وفرشته وفرّقته على الجهات المجاورة . إذن هذا الخروج بعلم وحكمة وتقدير . هكذا الفحم والبترول والحديد ونحوها»

﴿ الفحم ﴾

خزن الله الفحم في الأرض أجيالا وأجيالا . وما الفحم إلامواد نباتية احتجبت في طبقات الأرض عن الهواء دهورا طويلة فجرت عليها سلسلة من التغيرات الكيماوية أدّت الى فقد مقدار عظيم من الايدروجين

والاكسوجين

والاكسوجين و بقاء مقدار من الكربون . والكربون يكون فى الخشب المعتاد بمقدار نصف ما يكون فى الفحم العادى ، ولقد يكون منه فى الفحم بنسبة (٨٥) أو (٨٨) فى المائة

هذا كلام علماء الاقتصاد ، ومعنى هذه العبارة أن الخشب يحتوى على ماء (الاكسوجين والادروجين) المتقدّم ذكره ويحتوى على مادّة فحمية وهى الكربون ، فبقاء الموادّ النباتيــة مئات القرون تحت الأرض يذهب منها أكثر الماء ونحو نصف المادة الكربونية (الفحم الخالص) والباقى من ذلك كثير فى الفحم ، وقالوا من أنواع الفحم

(١) انثراسيت وهو لماع صعب الاشعال لاتتسخ منه اليد ، لهبه قليــل أوعديم اللهب ، شديد الحرارة عند الاشتعال

(٢) الفحم البخارى وهوقليل الدخان كثيرالحرارة يحفظ للأساطيل

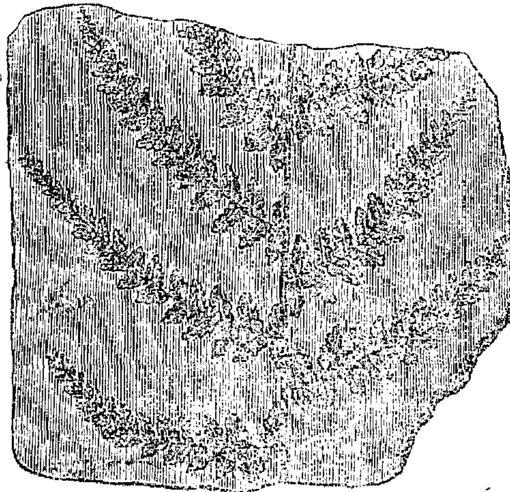
(٣) فحم الغاز

(٤) فحم الكوك ، نافع فى المعامل والسكك الحديدية والبواخر وفى التنانير لاستخلاص المعادن وصهرها ومعامل الغاز

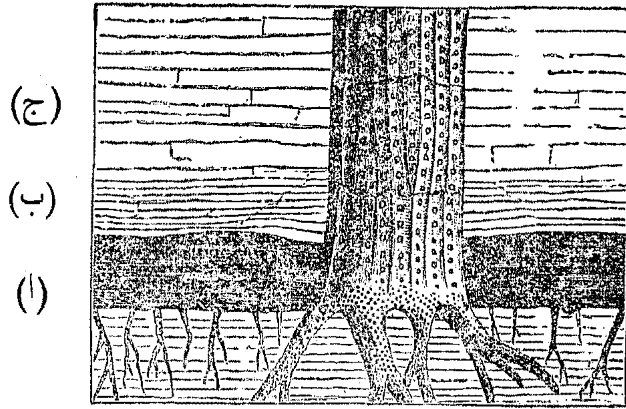
(٥) الفحم على وجه العموم هوالمادّة الأوّلية لمئات من الصناعات مثل الكوك المتقدّم ، ومنه القار الفحمى ، ومنه زيت القار وهو وقود جيد ، و يعمل من الأوّل مستخرجات تستعمل فى الصباغة وعمل النفتالين والتطهير ، ومنه البترول وغازالنشادر ، وتصنع منه الأسمدة ، و يستخرج من الفحم أيضا بعض الكيمياويات الداخلة فى صناعة الطب مثل (السكرين) وهى العطريات والمفرقعات وهلمّ جرا

فاعجب أيها الذكىّ لفحم أسود اللون منبوذ يكون وقودا وسمادا وعطرا وأداة حربية تهدّ الحصون وتخرب البلدان وصباغة للثياب وتطهيرا ودواء ، فلئن داوى المريض فقد نما به الزرع وان صبغ الثوب فقد أهلك المدن ــ إن الله لطيف خبير ــ

فهاك أربع صور للفحم (انظرشكل ٢٢ فى هذه الصحيفة) و (شكل ٢٣ فى الصفحة التالية) و (شكل ٢٤ فى صحيفة ١٣٧) و (شكل ٢٥ فى صحيفة ١٣٨)



(شكل ٢٢ ــ منظر رسم هندسى للفحم منظور من معدنه أثناء العمل)



(شكل ٢٣ — رسم هندسى بديع)

(ا) هذا هو الجزء الذى تحت الطين مع الجذور الممتدة فيه

(ب) فرش الفحم وهو أسفل طبقة

(ج) سقف الفحم مختلطا بالرمل و بنوع من لوح

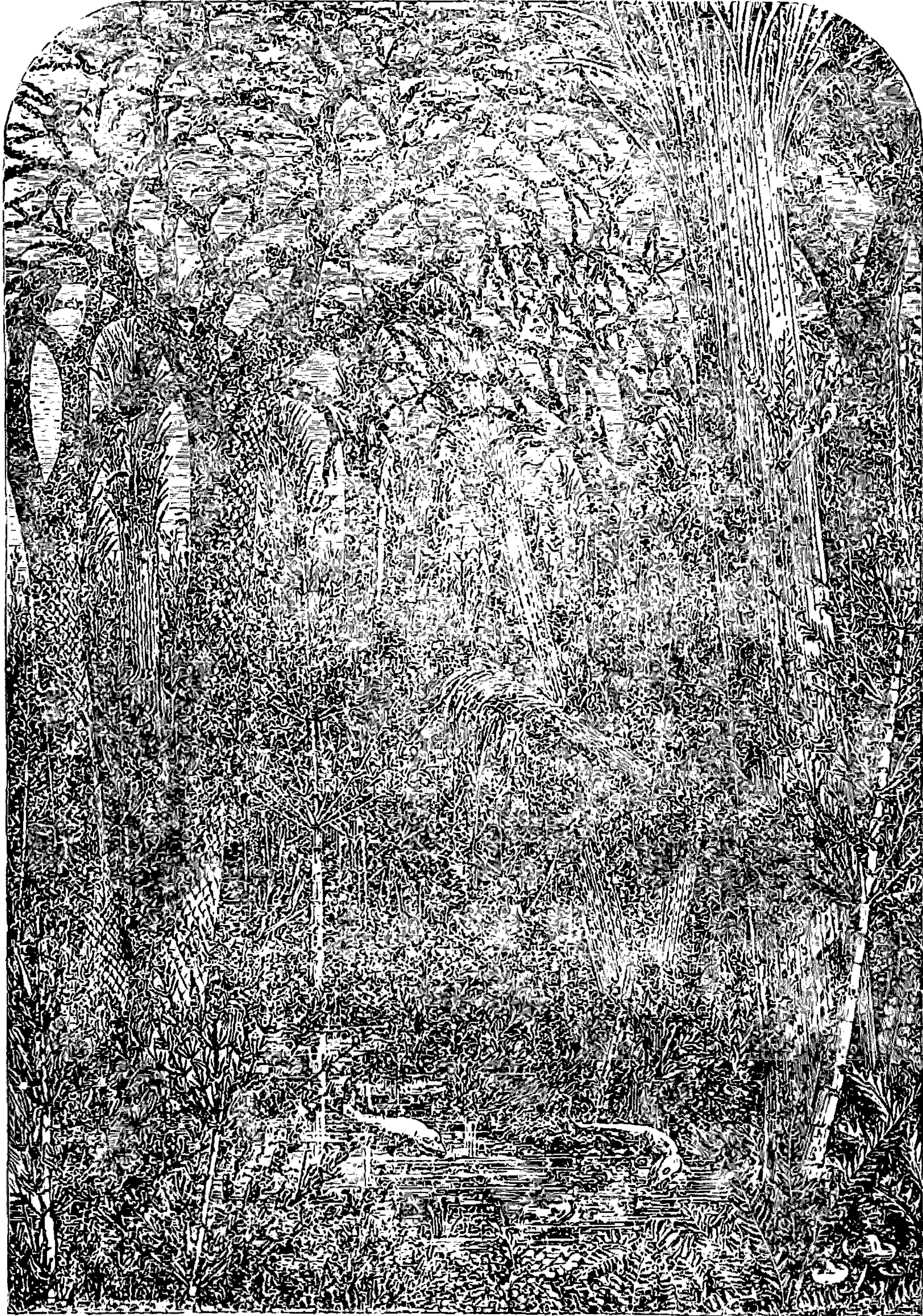
هـذا هو الفحم الذى خزّنه الله فى الأرض وأبقاه مئات الالوف من السـنين ثم أبرزه اليوم للناس بعد ما انضجه وجعله مدار رقى الأمم فى الزراعة والصناعة والعلم والحـكمة ، ألاترى أن العقول تزداد بصيرة بمزاولة هذه العجائب ، أبرزه للناس فعرفوه بعقولهم واستخرجوه من الأرض ، ولماعلم أن المسلمين سينامون طويلا كما نام الذين من قبلهم من الأمم قال سبحانه — يعلم مايلج فى الأرض — (كالأشجار والنباتات فى قديم الزمان) — ومايخرج منها — (فهى قداستخرجت اليوم وانتفع بها الناس) لا المسلمين فهو يقول انها بعلمى دفنت فى الأرض بالزلازل والحوادث الـكثيرة و بعلمى تستخرج الآن ، فعلمى متعلق بها فى الحالين وهى التى خزنت فيها ضوء الشمس الذى أشرق عليها أيام نموّها ثم أنا الآن أظهره لـكم لتجنوا ثمره وتعرفوا خـبره ومثل الفحم البترول

﴿ زيت البترول ﴾

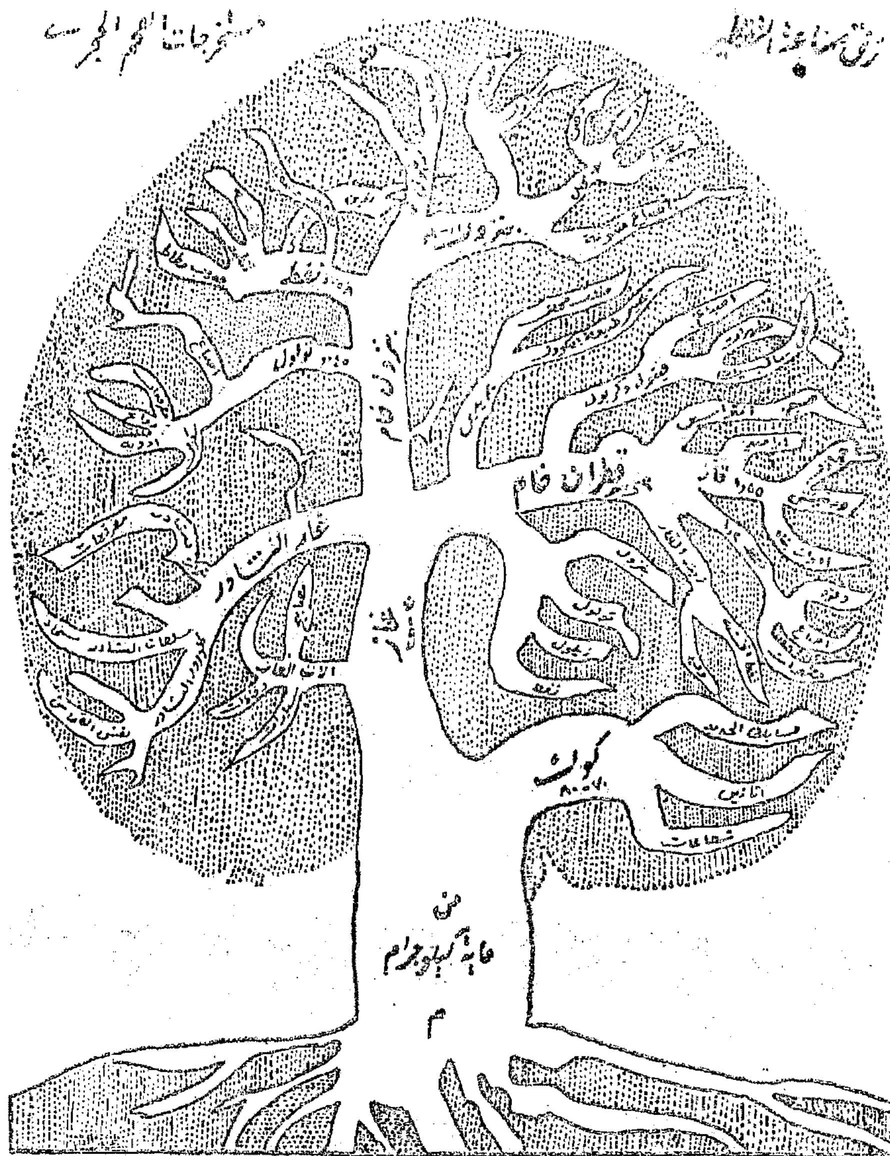
(أنواعه ومستخرجاته ومنافعه — أشهر جهات العالم به — القوقاز . الولايات المتحدة . وغيرهما)
(مصر وزيت البترول فيها)

سبحانك يا ألله : أدهشنا صنعك . وبهرنا وضـعك . جعلت فى الأرض ماء . سلـكته ينابيع فيها . ومنها الينابيع الحارة التى رسمت فى ﴿ سورة الـكهف ﴾ فى أوّلها عنـد قوله تعالى — إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها — فهناك من زينة الأرض قد رسم نوعان من العيون الحارّة المرتفع ماؤها عن الأرض . نوع ينبع وسط الثلج . ونوع ينبع وسط الحجارة الصفراء . وهكذا نراك جعلت فى الأرض أيضا المعادن والفحم المتقدم ذكره . وهكذا نراك أجريت منها سائلا ننتفع به فى أعمالنا . فلم يقتصر عملك على الفحم الذى هو جامد بل خلقت لنا جسما سائلا وخزنته فى الأرض . أليس هـذا من العجب ! تخلق الزيت فى الزيتون وفى السمسم وفى بزرة القطن وفى غيرهما وتجعـله نافعا لنا مضيئا لمنازلنا وهكذا شحم الحيوان . كل ذلك فوق الأرض مشاكلة لما أبدعته من الأنوار التى أرسلتها من علياء سمواتك

شـكل



(شكل ٢٤ ـ رسم الأعشاب فى مدة الفحم الحجرى)



(شكل ٢٥)

يا ألله : سموات مشرقات بكوا كبها . وحيوان فيه دهن يعطينا نورا مشرقا بدهنـه ونبات كـذلك وفحم في باطن الأرض ثم مانحن فيه وهوالبترول ، نعم لاعجب في ذلك ، لماذا ؟ لأنك نور السموات والأرض ، وهكذا أنرت بصائرنا بالعلم و بالحواس و بالعقل ، نورك في كل مكان ، وجمالك في كل مكان . هـذا البترول نراه يفيض على سطح الأرض كما نرى الماء ينبع من بعض العيون . وما هذا البترول النابع الظاهرعلى وجه الأرض . ولا هذا الماء النابع إلا درس لنا . تقول لنا « أيها الناس : إن في الأرض الماء فاطلبوه بجدّكم ولاتتكلوا على ماظهرمنه » وهوهذا النابع

سبحانك اللهم . أنت فعلت هذا وفعلت نظيره ارسال الأنبياء . أرسلت أنبياء وأعطيتهم العلم وحيا وكأنك تخاطبنا قائلا « أيها النوّام : ويحكم . هاهوذا علمي فاض على بعض عبادي كما يفيض الماء من باطن الأرض بلاعمل » ومعنى هذا أن عندي علوما وقد أظهرت بعضها فالتمسوا علومي بجدّكم كما التمستم الماء من باطن الأرض بعملكم وقد رأيتم ماء نابعا منها . وهاهوذا البترول فاض على سطح الأرض أظهرت بعضه

بهذا .

بهذا الفيضان . لماذا ؟ لأريكم أن عندى منه كثيرا فالتمسوه . نعم التمس الناس البترول من باطن الأرض فخرج

(١) زيت طبيعي أسود قاتم ثقيل فأجروا عليه عمليات كثيرة وصفوه بها فخرج منه أنواع وأصناف تختلف وزنا وسيلانا وغيرهما من الخواص و باختلاف الخواص تختلف الأعمال والمنافع والأسماء فمنها

(٢) صنف خفيف يسمى (كيروسين) وهذا مستعمل للاضاءة

(٣) وصنف آخر ثقيل يستعمل للوقود

(٤) وصنف آخر يستعمل للصقل أثقل منهما . وتسمى الزيوت المستخرجة من الولايات المتحدة باسم

(٥) زيوت البرافين

(٦) ومن عجب أن هذا الاسم لايطلق فى انكلترا إلا على نوع الزيوت التى يستخرجونها بالتقطير

و بينما أنا أكتب هذا إذ حضر بعض الأصدقاء فقال : كيف يكون التقطيرهنا ؟ أيقطرمن نبات ؟ قلت : كلا . قال أيقطرمن باطن الأرض . قلت . كلا . قال إذن ممّ يقطر ؟ قلت يقطرمن صخور . قال وكيف ذلك قلت قد كشفه رجل انجليزى يسمى (المسترجس يانج) عثر عليه وهو يبحث عن الزيت الطبيعي المتقدم . ذلك انه رأى ذلك الزيت يسيل من سقف أحد المناجم بمقاطعة (در بشير) بانجلترا فلاحت له فكرة أن يستخرج هذا من الفحم الخالص فاستقطره فنجح وأحرز رخصة بمزاولة هذا العمل سنة ١٨٥٠ فاستخرج زيت البرافين المذكور ثم استخرج مادّة البرافين المشهورة . ثم إن هذه الصخور الفحمية تكون بانجلترا وألمانيا والنمسا والمجر وايطاليا والهند واستراليا وزيتها كما عرفت يشبه البترول و يستعمل مثل استعماله . وليست طريقة استحضاره بالآلات الماصة كما فى الزيت الآخر . كلا . بل الطريقة هنا انهم يصهرون الصخور فى أوعية حتى يتبخر زيتها فيستقبلونه و يكثفونه فيكون زيتا خالصا . ومن العجب أن زيوت البترول والبرافين أصبحت ذات شهرة واسعة بل انها أغنت عن الزيت النباتى والحيوانى . لماذا ؟ لأن الله نور السموات والأرض ولأنه واسع عليم ولأنه لطيف لما يشاء . هو الذى خزن ذلك فى الأرض ووضعه على ﴿ نمطين ﴾ نمط هو سائل وهو البترول . ونمط هو جامد وهو زيت البرافين . فيستنبط الناس الأوّل من الأرض و يستنبطون الثانى من الحجارة والنتيجة واحدة . وقد أصبحت تلك الزيوت المستنبطة من الأرض أومن حجارة الفحم تغنى عن زيت الزيتون الذى كانت تفخر به ايطاليا ومعظم ممالك البحر الأبيض الشهيرة من قديم لكثرة أشجاره فيها فترى الناس يختارون زيت البترول للصقل لأنه يبقى مدة طويلة بلا تجمد أولزوجة كما يحصل للزيوت النباتية والحيوانية فانها بهذا السبب تلتصق بالموادّ التى يراد صقلها ولايتم الانتفاع بها الآن على الوجه الأكمل الأحسن إلااذا مزجت بمقدار من زيت البترول . إذن الله يقول لنا ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ والاخراج قد يكون بالآلات الماصة وقد يكون بالاستقطار من الأحجار فهو يعلم أن مثل هذا النوع المستنبط يساعد فى الأحوال العملية كالصقل المذكور إذ الزيت الذى خلقته على ظهر الأرض فيه نقص فاحتاج الى الكمال فأخرجت لكم زيت البترول من باطن الأرض لأدلكم على ماوراء ذلك وكذلك أنزل قطرات من الفحم الحجرى ليدلكم على مافيه وأنتم لاتستكملون ذلك بعملكم . إذن هذه مخازن الله خزنها فى أرضه وصخوره ودلنا عليها وعلم منفعتها ثم قال للمسلمين استخرجوها كما استخرجتها الأمم قبلكم لأن هذا من فروض الكفايات وفروض الكفايات لها مقام عال فى الاسلام ، وأيضا أنا سخرت لكم مافى السموات والأرض وهذا مما فى الأرض أفلاتشكرون نعمتى أيها المسلمون ، وشكرالنعمة بفهمها أوّلا وقبولها ثانيا ، أما الفهم فهاهوذا وأماالقبول فبالعمل و بالعمل قد استخرج الناس من زيت البترول مايأتى :

(٧) زيت الفازولين : وهوزيت خفيف جدا يتولد منه غاز سريع الاحتراق يسمونه (بترول) فقط وهوالمستعمل فى تسييرالسيارات وما شاكلها

(٨) والبنزين يحتاج اليه كثيرا فى صناعة المطاط (والفوطايرشا) لما فيه من خاصة اذابتهما

(٩) والفازولين ويستعمل دهانا ومنافعه شتى فى الشؤن الطبية

(١٠) والريفولين وهو أكثر زيوت البترول تطايرا، ويستعمل أحيانا فى الطب للتخدير المحلى الذى يحدث فى العضو من البرودة الشديدة التى تعقب تطايره

(١١) والنفتالين (النفط) وغير ذلك من المواد النافعة

ثم ان أشهر جهات العالم فى استخراج زيت البترول انما هى بلاد القوقاز لدى شطوط البحر الأسود وعلى جوانب بلاد القوقاز على حدود فارس عند (مرو) وأشهر مراكزه ﴿موردان * المورد الأول﴾ على جانب القوقاز الجنوبى وميناؤه (باطوم) على البحر الأسود ﴿المورد الثانى﴾ على بحر قزوين وميناؤه (باكو). وآبار هذه الجهة معروفة من قديم الزمان وكان الفرس يزورونها ليعبدوا النار فى غازاتها الملتهبة المندلعة من جوف الأرض، ولقد تقدم فى ﴿سورة طه﴾ عند قوله تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ الكلام على اندلاع النار فى تلك الأقطار فارجع اليه واقرأ صور ذلك هناك واعجب من حكم تجلت فى هذه الدنيا، ثم ان هذا المورد لم ينفع الناس منفعة تامة إلا حين خرج من قبضة الفرس الى الروس فى أوائل القرن التاسع عشر، وليس فى الأرض مكان فيه من كثرة الزيت ما فى هذه الأمكنة إذ يتدفق الزيت هناك على جوانب الآبار من غير حاجة الى استنباطه بالآلات، وتنبط البئر فى اليوم الواحد (مليون غالون) وقد يتدفق الزيت بشدة فينتزع الأجهزة المركبة على فوهات الآبار ويقذف بها فى الجو مسافات

ويلى هذه الجهات فى استخراجه (الولايات المتحدة) وفيها الآن (٢٠٠٠٠) بئر وفيها نحو (٤٠٠٠٠) ميل من الأنابيب لنقل الزيت الى المصافى فى بلاد مركزية. ومن هذه يوزع فى طول البلاد وعرضها أو ينقل الى الموانئ للتصدير، ثم ان صناعة الحديد والصلب والزجاج وغيرها تقوم بجوار تلك الينابيع

هذه أشهر البلاد التى يستخرج منها الزيت، ومن البلاد التى يستخرج منها الزيت المذكور مصر ولكنه قليل، ففيها (شركة زيت انجليزية مصرية) جنوب السويس عند البحر الأحمر وانتظم العمل بها سنة ١٩١١ وتحت امرتها (آبار جمسه) و (آبار هرغاده)

ويستخرجون منه بترول السيارات وبترول الاضاءة وسائل الحريق وزيوت الصقل وغير ذلك اهـ

﴿عبرة﴾

اعلم أيها الذكى أن بلاد المسلمين قد خزن الله فيها للناس خيرات. فهل الله عز وجل يمنع النعم عن خلقه لأن المسلمين يجهلونها ـ إن الله لطيف لما يشاء ـ حكيم الصنع جزيل الاحسان. هذه دولة الروسيا لما ملكت منابع البترول استخرجته، ولما كانت ملك بلاد الفرس كانت محجوبة عن الأمم

أيها المسلمون: اعلموا أن الأرض خلق الله واننا عبيد الله والله عز وجل الذى خلقنا وخلق الأمم حولنا لا يمكن أن يرضى بتعطيل منافع ملكه لأجل جهل بعض عباده، فهل يظن المسلمون أنهم اذا عطلوا نعم الله يرضى هو بذلك. كلا. بل هو ينزع الأرض منهم ويعطيها لغيرهم، وهل خلق الفحم وزيت البترول مثلا وهكذا المعادن؟ هل هذه كلها خلقها الله ليحجبها عن الناس. كلا. فالله خلق المنافع وبثها فى الأرض ومتى خلق من يستحقها لا يمنعها عنه كما لم يمنع الذكور عن زواج الاناث لما فى ذلك من المنافع، فاذا جهل المسلمون منافع أرضهم سلط غيرهم عليها فأخذوها وانتفعوا بها وهو القائل ـ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ـ. لو خلق الله هذه المنافع ثم هو يمنعها الى الأبد لكان ذلك عبثا والله يجل عن العبث وهو الحكيم، هو الذى يقول ـ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ـ أى ويعلم من يمنع منافعها فينله ومن يستخرجها فيساعده لأنه حكيم عليم، والحكيم لا يخلق إلا لحكمة، ولا يعطى النعمة إلا لمن يستحقها،

فليعلم

فليعلم المسلمون مركزهم من الانسانية حتى ينطبق عليهم قوله تعالى ـ خير أمة أخرجت للناس ـ انتهى

☆☆☆

(جمال العلم)

(فى قوله تعالى ـ وما يخرج منها ـ)

جاء فى كتاب « الجغرافيا الرشيدة » تحت العنوان التالى ما نصه

(الينابيع المحجرة)

كثيرا ما يجرى الماء مذابا فيه الجير فيكسو كل ما يصادفه من الاشياء بطبقة قد تغير الآثار الحية فتجعلها متحجرة ، ولا شك فى أن الغابة المتحجرة فى هليو بوليس تكونت بتأثير ينابيع حارة مذاب فيها الرمل .

﴿ الصخور الرسوبية الكيميائية ﴾

فالجبس الذى رأيته فى الاعمدة من الصخور الرسوبية المتكونة بتأثير كيميائى ناتج من ذوبان الصخور الجيرية . ومثله صخور الملح . وفى قكا كزه بالقرب من كراكو فى تشيكوسلوفاكيا أعظم مناجم الملح فى العالم فهناك مدينة بتمامها منحوتة تحت الارض فى صخور الملح

﴿ أنواع الصخور الرسوبية ﴾

فمن أنواع الصخور الرسوبية الطين والحجر الرملى وهما من الرواسب العادية ، والجير والمرجان من البقايا الحيوانية ، والفحم من البقايا النباتية ، والجبس والملح من الصخور التى تكونت بعوامل كيميائية .

﴿ الصخور الرسوبية المتحولة ﴾

وقد يطرأ على بعض صنوف هذه الصخور تحول بسبب الضغط أو الحرارة أو حركات القشرة الارضية ، فيتغير شكل الصخر ومميزاته ويزداد صلابة ولمانا ، فمثلا الاردواز أصله الطين والرخام أصله الطباشير .

﴿ الصخور غير الرسوبية والصخور النارية ﴾

هاك نوعا آخر من الصخور مختلفا عن كل ما وصفنا لك الى الآن . هذا حجر الجرانيت الذى سمعت عنه كثيرا فى الآثار المصرية كالمسلات والتماثيل . خذ قطعة منه وافحصها تجد أنه ليست له حبات مستديرة ، بل يتكون من ثلاثة أنواع من الصخور البلورية المختلفة الشكل : فمنها الفلسبار بلون اللحم الاحمر ، والميكا ذات اللون الاسود اللامع المفضض ، والكوارتز الذى تكونت منه حبات الرمل . وليس لوضع أجزائه أى نظام ، وليس له طبقات ولا فيه حزوز بل هو من صنع الطبيعة ذاتها . وبريق أجزائه يدلك فى الحال على تكونه بالحرارة فهذا الصخر نارى ، من الصخور الأصلية التى تكونت منها قشرة الارض قبل الصخور الرسوبية . والصخور الرسوبية كلها مشتقة فى الاصل من هذه الصخور النارية . وهاك نوعا آخر من الصخور النارية وهو الطفح الذى يخرج من البراكين وترى فيه فقاقيع غازية ويسمى صخرا بركانيا ، تمييزا له عن مثل الجرانيت الذى تكون بهدوء تحت سطح الارض . وهذا جدول يلخص لك تقسيم الصخور على أكمل وجه :

﴿ الصخور ﴾

(ا) متحوّلة (ب) ومائية (ج) ونارية

(ا) الصخور المتحوّلة (١) مائية الأصل كالاردواز من الطين (٢) ونارية الأصل كالنيس من الجرانيت

(ب) الصخور المائية (١) تكون عضوية كالجير والفحم (٢) وكيمائية كالملح والجير (هكذا بالأصل)

(٣) ورسوبية كالطين والحجر الرملى

(ج) الصخور النارية (١) البركانية كالبازلت (٢) والباطنية كالجرانيت اهـ

﴿ نموذج التمارين التي اعتاد المدرسون أن يسألوا التلاميذ فيها ﴾

(١) صف مجموعة من الحفريات التي تجدها في جبال المقطم . ماالذي تستنبطه من وجود هذه الأصداف عالية في الجبال ؟

(٢) أغلب الآثار المصرية مطمورة بالطين الى علو أربعة أمتار ، فاذا كان عمر الآثار أربعة آلاف سنة ، فما سمك طبقة الغرين التي ترسب على أرض مصر سنويا من الفيضان ؟

(٣) من أي أنواع الصخور : البازلت والرخام ؟ علل وجود الرخام في جهة أبي زعبل تحت طبقات البازلت

(٤) في شرق هليو بوليس غابة متحجرة . ماذا تظن السبب في وجودها ؟

(٥) بجوار ساحل البحر الابيض المتوسط في مصر ملاحات عظيمة . وضح كيف يحصلون على الملح منها وبأي كيفية تكونت صخور الملح العظيمة في قكاكزة ؟

(٦) ما الذي تعرفه عن أصل الفحم الحجرى ؟ وماذا في هيئة الفحم يؤيد نظريتك ؟

(٧) ما الادلة على حرارة جوف الارض وماذا تعتقده بشأن أصل هذه الحرارة ؟

(٨) أي أنواع البحار يلائم النمو المرجانى ؟ كيف تعلل وجود الجزائر والحواجز المرجانية في البحار العميقة

(٩) ماسبب تكوين المغارات في الصخور الجيرية ؟ أي نوع من أشكال التضاريس يخلف المغارة الطويلة اذا سقط سقفها على أرضها ؟

(١٠) كيف تكونت عمد الجبس في المغارات الجيرية ؟

(١١) أذكر أمثلة من الصخور النارية الباطنية والبركانية والمتحولة .

﴿ حركات القشرة الارضية ﴾

(الزلازل والبراكين والنافورات)

قد اتضح لك أن الصخور الرسوبية تكونت في قرار الماء ، وأن وجودها فوق ظهر الارض مثير للعجب ومشوق لمعرفة السبب ، وبالاخص لوجود هذه الصخور في أغلب بقاع اليابس . فالسبب لايمكن أن يكون إلا أحد أمرين : فاما أن ماء المحيط كان في العصور الخالية فوق جميع اليابس ، وإما أن قشرة الارض هي التي تتلوى وتنثني في مختلف الاتجاهات . وسنبين لك حالا أن السبب الأخير هو الصحيح .

﴿ السواحل الطالعة والسواحل النازلة ﴾

للمحيط الاطلسي ساحلان : ساحل شرقي وهو المجاور لأوربا وافريقية ، وساحل غربي وهو المجاور لامريكا فاذا زرت الاقاليم الشرقية في الولايات المتحدة تجد السهل المجاور للمحيط الاطلسي مكونا من الصخور الرسوبية الحديثة العهد ، حتى اذا وصلت الى شرق جبال الليجنى وجدتها محززة بحزوز أفقية متوازية تشبه الحزوز التي تعملها الامواج في صخور الشواطئ البحرية في أيامنا هذه ، وتجد في الجبال كهوفا ومغارات لايشبهها إلا الكهوف والمغارات التي تنحتها أمواج البحار . ولايغيب هنلك وجود الحفريات من أشكال القواقع والاصداف والسمك التي تعيش في المحيط الاطلسي حتى الآن . فلايمكن أن يبقى في نفسك أي شك في أن هذا السهل الساحلي قد برز من أعماق البحر . فهل انحسر عنه الماء ؟ اذا كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون الماء قد انحسر أيضا عن شواطىء أوروبا الغربية فتزداد علوا عن سطح الماء ، ويكون انحسار الماء عن السواحل عاما مآله انتهاء الماء من هذه الدنيا . ولكن هذا غير صحيح ، والواقع يكذبه ، لان سواحل أوروبا الغربية آخذة في الهبوط التدريجى تحت سطح الماء : فقد كان للرومان مبان في غرب ايرانده وكانت هذه المباني مشرفة على ساحل المحيط الاطلسي ولم يكن الماء يطغى عليها طبعا ، وقد أصبحت الآن غائرة تحت مستوى ماء المحيط ، فلا تظهر

الا

إلا وقت جزر البحر ، وتغمرها المياه وقت المد . فيتبين لك من ذلك أن البحر لا ينقص ماؤه وأن قشرة الأرض هي التي تلتوي وتنثني ، وليس ذلك في جهات قليلة من وجه الأرض بل هي حركات آثارها ظاهرة في كل موضع على اليابس وتحت الماء .

﴿ الجبال الحديثة والجبال القديمة ﴾

تأمل في خريطة الدنيا تر أعظم سلاسل الجبال الحالية موجودة في اتجاهات معينة : فهي في الغالب على حافة المحيطات الكبرى ، أو عند مجمع القارات (كما هو في الحال في حوض البحر الأبيض المتوسط) . وفي هذا الوضع المنتظم دلالة على العوامل التي أوجدتها : فالقشرة الأرضية تلتوي وتنثني فيظهر أثر هذا الالتواء في أضعف جهاتها ، فأعظم جبال الدنيا مثل روكي وأنديز والألب وهمالية من الجبال الحديثة التي برزت من قرار البحر في أزمنة قريبة ، والأزمنة الجيولوجية لا تقاس بالسنين ولا بالقرون ، ولكنها أحقاب طويلة يكل عن إدراكها الحاسب

﴿ عامل الوجود وعامل الفناء وعملية التوازن ﴾

لا يمكن أن تبرز الجبال والسهول من البحر فتزيد مسطح اليابس وحجمه بلا مقابل فإن من المسلم به في كل معاملة الموازنة بين الوارد والمنصرف وإلا انتهى الأمر بإفلاس أحد الطرفين المتعاملين . فالذي يكسبه البحر عوض ما يخرج منه من الأراضي الجديدة والجبال الحديثة ، إن الذي يستفيده في مقابل ذلك ما تجلبه له الأنهار ، يساعدها في ذلك عوامل الفناء الأخرى المعروفة بعوامل التعرية التي تتسلط على الجبال من وقت ظهورها بمعاول الفناء فتحتها وتجرفها ولا يهدأ لها بال حتى تكشطها من على وجه الأرض وتبعث بأنقاضها مع الماء الجاري الى المحيط ، تدفع بذلك ثمن الأراضي الجديدة التي تبرز منه

﴿ أسباب حركات القشرة الأرضية ﴾

(١) علمت أن الأرض تدور على محورها باستمرار ، وهذا الدوران من شأنه أن يغير شكل الأرض كما تتغير أوضاع حبوب القمح وقت هز الكيلة ، وأن هذا الدوران هو الذي أعطى الأرض شكلها الخاص بها والذي جعل القطر الاستوائي أطول من المحور ، ففي القديم الغابر لما كانت الأرض كلها سائلة أولية كان هذا التغيير سهلا ولكنه قد صعب الآن بعد أن جمدت الأرض وتصلبت قشرتها فلا يتم بدون طي الصخور المرنة وكسر الصخور الشديدة الصلابة

(٢) كانت الأرض قبل أن تفقد شيأ من حرارتها أعظم حجما وكلما نقصت الحرارة يتقلص قلب الأرض فتضطر صخور القشرة أن تنثني وتتكسر لكي تنطبق عليه كما تنثني ملابس الرجل البدين اذا هزل جسمه بسبب المرض ، ويدفعها لذلك ﴿ أمران ﴾ ﴿ الأول ﴾ جذب مركز الأرض لها من تحت ﴿ والثاني ﴾ ضغط الطبقات الهوائية عليها من فوق

(٣) إن متوسط الثقل النوعي لصخور الكرة الأرضية أكثر من خمسة أضعاف الثقل النوعي للماء على حين أن الثقل النوعي لصخور القشرة لا يزيد على الضعفين إلا قليلا ، ومعنى ذلك أن الصخور الخفيفة هي الموجودة على وجه الأرض في حين أن الصخور الثقيلة موجودة في قلبها ، وذلك بديهي إذ أن الخفيف من طبعه أن يطفو فوق الثقيل ، وقد حصل هذا الترتيب أيام كانت الأرض في حالة سائلة والصخور مرتبة على وجه الأرض بشكل يحفظ التوازن بمعنى أن الصخور التي في قرار المحيط ثقيلة النوع وصخور الجبال المجاورة له خفيفة ، وبذلك أمكن قيام الأخيرة محمولة بضغط الأولى ، لكن عوامل التعرية التي أشرنا اليها آنفا دائبة في افناء الجبال والأنهار تحمل الأنقاض الى البحر أولا فأولا فيزيد الضغط في قرار البحر ويخف على جبال اليابس باستمرار ويختل التوازن لولا حركات القشرة الأرضية التي تعيده الى حاله كلما تزعزع

《 نتائج حركات القشرة الأرضية 》

ينتج من حركات القشرة الأرضية بنيان السلاسل الجبلية الحديثة وطغيان البحر التدريجي على جهات بارزة كما ينتج منها كسر الصخور الصلبة وتشققها وانزلاق طبقاتها بعضها على بعض فتنشأ عنها تضاريس جديدة وتتغير اتجاهات المياه الجارية وقد تنشأ كسور متقاربة فيترتب عليها وجود أخاديد غائرة أو هضبات مدفوعة

《 بنيان الجبال 》

قد رأيت أن أهم السلاسل الجبلية في الدنيا واقعة في اتجاهات معلومة فهي من جبال الطي . ومن جبال الطي أيضا سلاسل أصغر منها في القارات . فاذا فحصت طبقات تلك الجبال رأيتها منحنية تدل على التواء . ثم تنشأ ثلاث طبقات من الصخور الرسوبية مرتكزة على طبقة من الصخور النارية في وضعها الطبيعي قبل الالتواء • ومفهوم طبعا أن الصخور العليا هي الحديثة وأن التي تحتها هي القديمة . فالطبقة الثالثة أحدث من الطبقة الثانية وهذه أحدث من الطبقة الأولى والطبقة التي تحت الجميع من الصخور النارية الأصلية . ولكن عوامل التعرية لاتلبث أن تعبث بهذه الجبال فتكشط سطحها وتحتها وتجرف منها

فاذا رغبت في ارتقاء الجبل تصادف أولا الطبقة الثالثة ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الأولى حتى اذا ارتقيت الى أعلى الجبل وصلت الى الصخور القديمة النارية . ومن ذلك تعرف كيف ان الصخور التي كانت بعيدة عن وجه الأرض قد ارتفعت بحركات القشرة الأرضية ثم انكشف عنها غطاؤها بفعل التعرية فأصبحت ظاهرة قريبة للانسان لينتفع بها في أغراضه

《 كسر الصخور الصلبة 》

يصادف المعدنون أحيانا وهم يتعقبون عرقا من فلزات المعادن أو طبقة من طبقات الفحم عيبا في الطبقات أي كسرا إذ ينتهي العرق أو الطبقة فجأة فيوجد بدلها صخور أخرى كان ينبغي وجودها فوق العرق أو تحته

《 الأخاديد الغائرة 》

في الصخور التي تصاب بعيوب متعددة قد يحصل أن تنزلق قطعة من القشرة الأرضية فتهبط الى عمق كبير وينشأ عن ذلك اخدود غائر ، وفي شمال افريقيا اخدودان غائران يقع البحر الأحمر بأكمله ضمن واحد منهما

《 الهضبات المرفوعة 》

وقد يحدث أن تغور الأرض من جوانب جزء من القشرة الأرضية وتنزلق عليه نازلة على حين انها تدفعه صاعدا فيظل قائما بنفسه على شكل هضبة مدفوعة ، وهضبة (مزيته) المتكون منها أرض اسبانيا والبرتغال من هذا الطراز

《 الجبال المختلفة 》

والهضبة اذا شققتها الأنهار والوديان يتخلف منها سلاسل جبلية تفصل أحواض الأنهار ، فهذه السلاسل الجبلية متخلفة من صخور الهضبة ، وسلاسل جبال شبه جزيرة ايبريا من هذا الطراز

《 الزلازل 》

قلما يمر العام من غير أن نسمع بوقوع زلزال في جهة من جهات الدنيا ، فمرة نسمع عنه في غرب أمريكا أو جزائر الهند الشرقية . ومرة نسمع عنه في اليابان أو في ايطاليا . ولا يمر خبر الزلزال بهدوء كباقي الأخبار لما يقترن به من الخسائر الفادحة والأهوال الكبار وهلاك الأنفس والأموال . وقد وقع زلزال في ليلة (٢٦) يونيه سنة ١٩٢٦ م شعر به أهل القطر المصري في الساعة التاسعة والدقيقة ٤٨ مساء ومكث نحو (٤) دقائق هلعت له قلوب الأهالي وحدثت بعض اصابات من سقوط المنازل القديمة . ووردت التلغرافات في الأيام التالية منبئة عن مركز الزلزلة الكبرى في (بحر الأرخبيل) وهي التي انتشرت هزاتها الى مصر • وكان

من

من الآثار الهامّة لذلك الزلزال انفجار ينبوع كبريتي جديد فى مدينة حلوان على بعد (٩) أمتار من الينبوع القديم . ومن الزلازل التاريخية العظيمة ما يأتى بيانه

(١) زلزال (سن فرنسسكو) فى سنة ١٩٠٦ م وفيه وقعت من هول الرجفة الأولى العمارات والمنازل فأصبحت بعد النضارة والعمران خرائب وأطلالا . وما زالت روادف هذه الرجفة تهزّ القشرة الأرضية طول ذلك اليوم العصيب حتى بلغت أدوار الارتجاف اثنين وثلاثين دورا . وهاجت أمواج البحر ثم فغرت الأرض فاها لتبلع آثار العمران . واشتعلت النيران فى الحطام وهلكت ألف نفس بشرية وبات مائتا ألف بلا مأوى

(٢) زلزال (لشبونه) فى سنة ١٧٥٥ وفيه نشأت أمواج عالية طغت على الشاطئ من ارتفاع عشرين قدما فطوّحت بالسفن الراسية فى الميناء الى جهات داخلية بعيدة و بعثرتها كما يبذر الزارع الحبّ على الأرض وأهلكت ستين ألف نسمة غرقا

(٣) زلزال (مسينا) فى سنة ١٩٠٨ م وفيه تخرّبت المدينتان (مسينا) و (رجيو) والقرى المجاورة لهما وهلك ثمانون ألف نسمة

(٤) زلزال (اليابان) فى سنة ١٩٢٣ م وفيه تخرّبت المدن الكبرى وقامت الحرائق فى (يوقوهاما) و (طوكيو) فأكلت المؤن والأقوات و بات الناس بلا مأوى ولا طعام وهلك فيه مائتا ألف نسمة . وتبارت الدول العظمى فى مواساة (اليابان) فأرسلت اليها الهدايا من الأقوات والملابس . انتهى ما أردته من الكتاب المذكور والله أعلم

✲ ✲ ✲

﴿ جمال هذا المبحث العام ﴾

(فى قوله تعالى ــ يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ــ الخ)

لأختم هذا المقال بالكلام على الفحم المخزون فى القطب الشمالى ، وعلى الكهرباء المخزون الآن فى شمالى ألمانيا فأقول :

سبحانك اللهم ، أنت أدرت الأرض وجعلت لها قوانين وحكمت على خط الاستواء قديما أن يصير قطبا كما حكمت على القطب أن يصير خط استواء ، إن جميع أهل الأرض الآن يعلمون أن القطبين لا يصلحان لظهور النبات ولكن العلم والكشف أثبت أن القطبين قد خبئ الفحم فى باطنهما ، ولكن كيف خبئ ذلك الفحم ؟ لا وسيلة لظهور الفحم إلا بالشجر ولا ظهور للشجر إلا بحرارة الشمس الكثيرة والقطبان لا حرارة فيهما بل الثلج هو الذى يغطى تلك الأقطار ، فأنّى تحلى خط الاستواء بالأشجار والمزارع النضرة ليتحلى القطبان بالثلج ، تشع حوله الأنوار البديعة المتقدّم ذكرها ورسمها فى أوّل ﴿ سورة الكهف ﴾ فهل أتاك ماشاع وذاع من أن باطن الأرض عند القطبين مملوء فحما ، أفلا تعجب من ذلك وكيف خزنه الله قبل مئات الالوف من السنين ثم هو الآن قد أخذ يدل الناس عليه و يلهمهم إلهاما ، يقول لهم : أيها الناس . إن فى القطبين فحما فهلا ذهبتم الى القطب الشمالى وانتفعتم به ؟ وهلا جعلتم لكم هناك محطة للطيارات والبالونات فى القطب الشمالى تكون ملتقى الخطوط الهوائية بين افريقيا وآسيا وأوروبا ، واذا كنت فى شك من ذلك فاسمع ما كتبه بعضهم ناقلا عن المجلات الافرنجية وهذا نصه

﴿ حلم علمى ﴾

(القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية)

القطب الشمالى هو قمة الأرض ، وكان يجب أن يكون ملتقى المواصلات لولا انه لا يصلح للملاحة أو للسكك

الحديدية لأنه مغمور بالثلج الذى لايذوب طول السنة ، وقد خطر ببال أحد المهندسين أن يجعل القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية بين القارات الثلاث افريقيا وأوروبا وآسيا ، وبذلك تختصر المسافة اختصارا كبيرا ، فالذى يريد الذهاب الى اليابان يحتاج الآن الى أن يقطع نحو نصف الأرض حتى يبلغها ، ولكنه اذا ركب طيارة وصعد الى القطب الشمالى وانحدر منه الى اليابان قصرت مسافة السفر ، وفى القطب الشمالى مناجم كبيرة للفحم يمكن منها استنباط الكهربائية للتدفئة والاضاءة فينار القطب وتبنى فيه العنابر الكبيرة لايواء الطيارات وتزويدها بالبنزين وتشيد الفنادق الكبيرة للمسافرين ، وهناك يلتقى المسافرون فيبدلون طياراتهم ويذهب كل منهم فى طريقه ، فهل يحقق العلم هذا الحلم ؟ ولطالما حقق ماهو أشد منه غرابة . انتهى

هذا بعض سر قوله تعالى ـ يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ـ فهاهوذا الفحم قد أدخله الله فى الأرض ، وهاهوذا يخرجه منها و ينتفع الناس به

ومن عجائب المخزون فى الأرض «الكهرباء . الكهرمان» لقد كنت أيام الصبا أرى الناس يدخنون فى الأعواد بحيث يضعون ورق التبغ فى حق صغير متصل بعود مجوّف ينتهى بفم من (الكهرمان) وهذا الفم هو الذى يمتصون به الدخان المستمد من ذلك التبغ المحترق فى ذلك الحق الصغير فكنت أتأمله فلا أعرف من أين جاء هذا الكهرمان ، وما كنت أدرى أن الله خزّنه فى الأرض قديما كما خزن الفحم فى الأقطاب الشمالية ، أفلا يجب علىّ أن أحمد الله على العلم بذلك ، فهاك مارأيته من المقالات العلمية تحت العنوان التالى :

(الكهرباء . الكهرمان)

الكهرباء هو مايسميه العامة عندنا بالكهرمان وهو ذلك الحجر الأصفر اللامع الذى يصنع منه خرز المسابح ويتزين به النساء ، وقد كان الاغريق يعرفون الكهرباء وكانوا يعرفون منه أيضا (الكهربائية) وهى تلك القوّة الخفية التى نستعملها الآن فى دفع الترام والتلغراف والتلفون ولم يكن الاغريق يعرفون كيف ينتفعون بالكهربائية كما ننتفع ولكنهم كانوا يعرفونها وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأن من خواص حجر الكهرباء اذا حك به شئ أن يجذب اليه الأجسام الصغيرة ، فالقارئ يرى الآن أن هنالك فرقا بين الكهرباء الذى يصنع منه الخرز و بين الكهربائية أو هى القوّة الخفية التى يسير بها الترام ولكن يوجد لسوء الحظ من يخلط اللفظتين

وقد قلنا ان الكهرباء حجر ولكن الحقيقة انه صمغ ، أو نقول بعبارة أدق انه لثى ، واللثى هو ماينزل من الشجر اذا جرحت قشرته كالمادة اللبنية التى تخرج من (شجرة الجميز) عند مانقطع إحدى أوراقها ، ولكن هناك أشجار الآن يستخرج منها الكهرباء وانما الكهرباء يوجد الآن مدفونا فى الرمال تحت طبقات الأرض فقد عاشت منذ آلاف السنين أشجار ثم طمرتها الرمال فصارت فحما ، وهناك أشجار أخرى أيضا كانت تنز الكهرباء فيقع منها طريا ثم يجف و بعضه كانت تطمره الرمال و بعضه لايزال قريبا من سطح الأرض كثيرا ماتكتسحه الأمطار وتخرجه الى السطح ، أما أشجار الكهرباء فقد انقرضت من العالم كما انقرضت من قبلها بآلاف القرون الأشجار التى استحالت الى فحم . ومعظم بل كل مايوجد تقريبا من الكهرباء الآن يرسل من شمال ألمانيا على شواطئ بحر البلطيق . ففى كل عام يصدر من هذه الشواطئ الى أسواق العالم نحو مائتى ألف رطل . وقد كان المصريون والاغريق والفينيقيون يستوردون الكهرباء من شمال ألمانيا وكانت طرق الكهرباء معروفة فى أوروبا محروسة من القبائل . وكان القدماء يغالون به حتى قال (بلينى) الكاتب الرومانى الذى عاش فى القرن الأوّل للميلاد ﴿ ان تمثالا صغيرا من الكهرباء يزيد ثمنه على ثمن عبد ضخم قوىّ ﴾ وكان شعراء الاغريق يسترسلون للخيال فى كلامهم عن الكهرباء . ومن أجل ماقاله بعضهم عنه انه الدموع المتجمدة للطيور . وقد بلغ من شغف الأمبراطور الرومانى (نيرون) بالكهرباء انه أرسل بعثة الى شاطئ بحر البلطيق فجلبت معها (١٣٠٠٠) رطل من الكهرباء . انتهى وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى

(الفصل)

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فی مبحثین عظیمین)

﴿الأوّل﴾ مبحث الجنّ وهل یعلمون الغیب

﴿ المبحث الثانی ﴾ فی سیل العرم وسبأ وما جاء فی العلم الحدیث مصداقا لهذا کله

﴿ المبحث الأوّل فی مقامین ﴾

﴿ المقام الأوّل ﴾ فی قوله تعالی ــ مادلهم علی موته إلا دابة الأرض ــ الخ

﴿ المقام الثانی ﴾ فی المبحث الأوّل فی قوله تعالی ــ فلما خرّ تبینت الجنّ أن لوکانوا یعلمون الغیب مالبثوا فی العذاب المهین ــ

﴿ المقام الأوّل فی قوله تعالی ــ مادلهم علی موته إلا دابة الأرض تأکل منسأته ــ ﴾

(الکلام علی الأرضة)

اعلم أن هذه الآیة قد أعطتنا ﴿ ثلاث فوائد * الأولی ﴾ انها أبانت أن الجنّ لایعلمون الغیب ﴿ الفائدة الثانیة ﴾ ان أهل الأرض خاضعون للنوامیس سواء أکانوا أنبیاء أم غیرهم ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ إن من أصغر الحشرات ماله سلطان فی هذه الأرض عظیم . یقول الله تعالی ــ وتقولوا سبحان الذی سخرلنا هذا وماکنا له مقرنین ــ فنحن لولاتدبیر الله لانطیق أن نرکب الدواب بل لانطیق هذه الحشرات التی أکلت عصا نبیّ عظیم من الأنبیاء ، فاذا کانت هذه الحشرة هذا شأنها فذلک فتح باب لمعرفتها لنحترس منها . اللهم إن القصص فی القرآن لم یکن إلا لتعلیمنا لاغیر والا فماذا یفهم الناس فی قصة بلقیس إذ تقول لقومها ــ ماکنت قاطعة أمرا حتی تشهدون ــ وفی قصة فرعون إذ یقول له الملأ من قومه فی موسی وأخیه هرون حین استشارهم فی أمرهما ــ أرجه وأخاه وأرسل فی المدائن حاشرین ــ

أقول : فهل یفهم الناس من ذلک إلا الاشارة الی الحکومة الشوریة وأن الأمّة لها القول الفصل ، وما الملوک اذا کانوا فیها إلا منفذین کما یقول ــ وأمرهم شوری بینهم ــ فهکذا هنا یقول ــ ما دلهم علی موته إلا دابة الأرض تأکل منسأته فلما خرّ تبینت الجنّ ــ الخ وتقول أیضا فلما خرّ تبینا أیضا أن للأرضة سرا عجیبا فلابد من البحث عن أمرها واستقصاء خبرها ، فأکل الأرضة لعصا موسی أفهم الجنّ أنهم لایعلمون الغیب فیقللوا من کبریائهم ویرجعوا عن غیهم ویتنزلوا عن عتوّهم ویخلعوا عنهم لباس الکبریاء والعظمة والتباهی والافتخار ، هکذا یعرّفنا أن للأرضة عملا منکرا إن لم نحترس منه خررنا صعقین فی هذه الحیاة الدنیا بتدمیرها واهلاکها ، وأیضا هی من آیات الله تعالی وعجائب صنعه ، فوجب إذن البحث فی أمرها واستقصاء سرّها علی قدر الامکان ، وقد تقدم الکلام علیها فی ﴿ سورة النحل ﴾ ورسمت الملکة من هذه الحشرة والملک بجانبها وحولهما جنود المملکة والضباط والعساکر . وتقدّم أیضا رسمها هنا (وکذا ملکة النحل) شکل ٣ و ٤ وهی مأخوذة من کتاب ﴿مملکة الظلام﴾ أو ﴿حیاة الأرضة﴾ تألیف (مترلنک) تعریب الدکتور (نقولا فیاض) وهاک شذرات من الکتاب لتقف علی سرّ ماأشارله القرآن فی هذه الآیات . قال :

﴿ الارضة أو النمل الأعمی ﴾

الأرضة [١] أو النمل الاعمی . ویقال له الابیض وماهو بالابیض یرجع تاریخه الی مائة ملیون سنة قبل الانسان علی زعم علماء الحشرات والجیولوجیا أی طبقات الارض . غیر انه من الصعب تحقیق هذا الزعم

(١) الأرضة دودة بیضاء تبنی علی نفسها بیتا مستطیلا ولها شفران تنقر بهما الخشب والاجرّ والحجارة جمعها أرض وهی هنا ترجمة کلمة (ترمیت) بالافرنسیة لا کلمة (میت) أی السوسة أو العثة التی تلحس الصوف والثیاب

والاتيان بأدلة ناصعة على صحته . على كل حال هذه الحضارة التى تعد أرقى من حضارة النمل والنحل هى بلا ريب قديمة العهد جدا أى أتى عليها بضعة ملايين من السنين . ولو تقصينا المكتوب عنها لما وجدناه شيئا بالنسبة الى ماقيل وكتب عن النحلة والنملة مع انك لاترى على هذه البسيطة كائنا أقرب الينا وأبعد عنا فى آن واحد من هذه الحشرات التى تتمتع بانظمة سياسية واقتصادية واجتماعية كأنها عالم انسانى يؤاخينا فى آلامنا وشقائنا . وهنا مجال واسع للشعراء الذين يحملون شكلا جديدا للاجتماع البشرى ويسمو بهم الخيال والتصور الى خلق مثال خاص للاجيال الآتية فى نظامها وأحكامها فما عليهم الا أن يقتربوا من هذه المملكة الهائلة فيجدوا من الغرابة مثل مافى أحلامهم وأغرب مما تتصوره فى عطارد والمريخ والزهرة

٭٭٭

يقال انه يوجد على الارض ألف وخمسمائة نوع من الأرض والمشهور منها لا يتجاوز الأربعين وكل نوع يمتاز عن سواه بصفات خاصة به فنه البناء الذى يقيم هضبا فوق الأرض ومنه مايعيش مكشوفا ويجتاز السباسب فى خطوط طويلة بين صفين من الجنود تحتمى بها العمال ومنه ماتسلح الطبيعة جنوده بما يشبه الحقنة ومنه مايفتك بالاشجار الحية وينقبها وجنده كالكواسر أو الضوارى على جانب عظيم من القساوة ومنه ماتشبه مشافره (١) قرون التيس فتتمدد كالزنبرك وتقذف به الى مسافة عشرين سنتيمترا الى آخر ماهنالك

٭٭٭

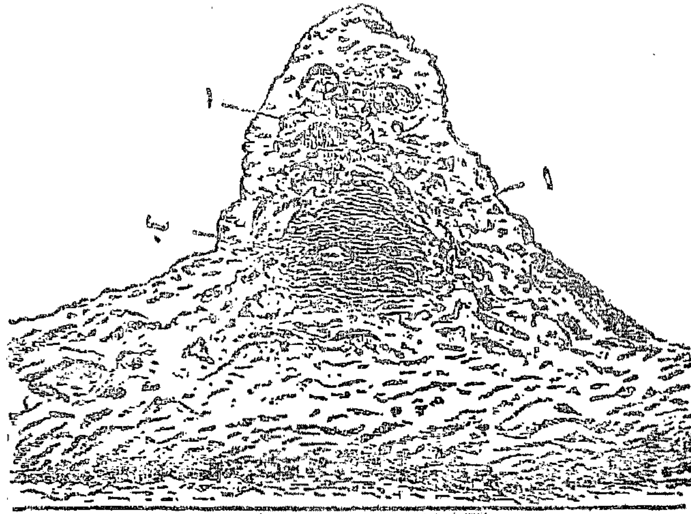
ثم قال بعد كلام طويل ما نصه « بعض هذه الحشرات يعيش فى جذوع الاشجار التى يحتفرها ويمد فيها مسالك وأسرابا تذهب كل مذهب وتخترقها من كل ناحية حتى الجذور وبعضها يبنى عشه فى الاغصان ويوطده حتى يقوى على مقاومة الاعصار وحتى يمتنع على الانسان الاستيلاء عليه فيضطر الى نشره بالمنشار إلا أن الغالب فيه أن يتخذ مسنه تحت الارض وبناء هذا المسكن من أغرب ماعرف وهو يتغير حسب البلدان والسلائل والأحوال الموضعية والادوات التى يتاح للحشرة استعمالها بما ركب فى طبيعة الارضة من التوسع فى الاستنباط والقدرة على ملاءمة الأحوال والاصطباغ بصبغة البيئة التى توجد فيها . وأهم هذه المساكن يعزى الى الأرضة الأوسترالية فيكون تارة شبه نكبة (٢) تعلو عن الارض نحو ٤ أمتار ومحيط قاعدتها ٣٠ قدما كأنها قالب ضخم من السكر وطورا كأكام من الوحل أو صلصال فى حال الغليان هبت عليه ريح الجليد فجمدته فجأة وحينا كرهط من الخلايا التى يخزن فيها النحل الحوشى عسله وقد كبرت مائة ألف مرة . وآونة كطبقات من الفطر أو الاسفنج أو كأكداس من التبن الذى طال عليه سقوط المطر الى ماشاكل ذلك . وأعظم هذه البنى التى لاتراها الا فى اوستراليا تختص به الارضة المغناطيسية وقد سميت كذلك نسبة الى الابرة المغناطيسية فان ماتبنيه يتجه أبدا من الشمال الى الجنوب فيتسع فى أوله ويضيق فى الآخر . وقد تعدد الافتراض فى تعليل هذا الاتجاه دون الوصول الى حل صحيح شاف » (انظر شكل ٢٦ فى الصفحة التالية)

---

(١) المشافر جمع مشفر وهى من البعير كالشفة من الانسان وقد تستعمل للناس فاستعملناها هنا على المجاز وترجمنا بها كلمة (منديبول) ويمكن أن تسمى أيضا الاحناك

(٢) النبكة أكمة محددة الرأس جمعها نباك

شكل



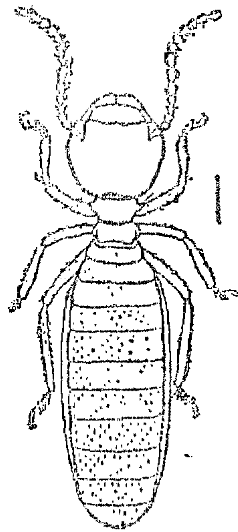
(شكل ٢٦ — قرية الأرض)

(ا) غرفة الفطر (ب) خلية الملكة

« وأعظم ماشوهد من هذه المساكن هو فى أفريقيا الوسطى ولا سيما فى كونغو البلجيك حيث يبلغ العلو من ستة الى ثمانية أمتار . وفى «مونبونو» قبرأقيم على أحد هذه البيوت كأنه على رابية فيشرف على ماحوله من الجهات . وفى أحد الشوارع الكبيرة فى مدينة اليزابت من أعمال « كاتانجا » العليا قرية عالية شطرها الشارع الى شطرين . وقد اضطر عمال سكة حديد سكانيا أن ينسفوا بالديناميت بعضا من هذه الابنية فكانت أنقاضها تجاوز فى ارتفاعها مدخنة القطار . ومن هذه المساكن التى خربت ماصار أشبه بالبيوت ذات الطبقتين ولايتعذر على الانسان أن يقعد فيها . وقد بلغ من متانة هذه البنايات أن سقوط الاشجار الكبيرة وهو أمر كثير الوقوع فى تلك النواحى لايقلقلها ولايضعف من جانبها وان قطيع الغنم يتسلقها ليرعى العشب النامى فوقها دون أن يؤثر فيها . ونمو العشب فوقها راجع الى خصائص الطين الداخل فى تركيبها فهو يخزن الرطوبة فضلا عن انه كثير الخصب زكى المنبت لانه مكون من براز الحشرة وفضلاتها . وقد ينمو مع العشب الشجر . والغريب ان الارضة التى تهدم كل شئ فى طريقها تحترم هذا الشجر كأنه مقدس

و بعض أنواع الارضة يستعمل قسما من الطبقات العليا فى الوكر لزرع واستنبات الفطر الخصوصى الذى يقوم مقام الطفيليات (وسيأتى الكلام عنها فى الفصل التالى) وله وظيفتها من تحويل الخشب القديم أوالعشب اليابس الى كتلة صالحة للهضم والتمثيل . و بعض الانواع الاخرى تقيم مقابر حقيقية فى أعلى العمارة ووجود هذه المقابر يدعوا الى العجب لما نعلمه من ان الارضة يأكل موتاه و يتغذى بها الا اذا افترضنا انه فى أيام الوباء (أوطارىء آخر) قد يقصر عن مجاراة الموت لأكل كل مايسلمه له من الرمم فيجمعها ويكدسها لحين الحاجة على سطح المنزل حتى اذا جففتها الشمس أحالها الى مسحوق وجعلها مؤونة يتغذى بها شباب القرية . ومن هذه الانواع من يذهب الى أبعد من ذلك فيتخذ مؤونة حية . وذلك أن القوة الخفية تدبر أمور هذه المملكة قد ترى لسبب لانعلمه ان عدد الرعية قد جاوز الحد المطلوب فتفرز الزائد منها فى غرف خصوصية بعد أن تقطع قوائمها حتى لاتهزل بالحركة ثم تؤكل بالتدريج تبعا لحاجة المجتمع . وهذا النوع له عناية خاصة بالنظام الصحى فان فضلات الدودة و برازها يجمع فى موضع على حدة و يترك الى أن ينشف ويقسو و يصير ألذ طعما . هذا هو نظام الوكر كما يبدو لعين الباحث على أنه قابل للتغير لانك لاتجد فى الكائنات حيوانا مثل هذا يكره التقليد و يعرف أن يكون كالانسان فى لينه وخضوعه للاحوال ومجاراته لها وسيتاح لنا غير مرة فى عرض هذا الحديث ان نتحقق ذلك »

ثم قال «وهذا النفق العظيم الممتد تحت الارض والمرتفع فوقها يتشعب منه أسراب لانهاية لها تنتهي الى حيث الأشجار والادغال والعشب ومنازل الناس فتجد الدودة ماتحتاج اليه من الخلاوز وهي المادة الحو يسلية الجامدة التي تتركب منها خلايا النبات وأليافها . وعلى هذا الوجه تغزو أحياء باسرها كما ترى في أوستراليا و بعض أنحاء جزيرة سيلان فتمد مسالكها الى كل صوب وتجعل تلك الارض غير صالحة لسكنى الانسان . وقد تملأ البلد من جانب الى جانب كما في الترنسفال وناتال حيث يبلغ عدد القرى نحوا من ١٦ في مسافة لاتزيد على ٦٣٥ مترا وفي كاما شكا العالية تعثر في كل هكتار من الارض على قرية يبلغ علوها ستة أمتار . والأرضة بخلاف النملة التي تعيش على سطح الأرض وهي حرة طليقة لاتغادر ظلمات قبورها الرطبة الحارة ولا تسير إلا في الخفاء فتعيش وتموت دون أن ترى ضوء النهار فهي دودة الظلام الابدي واذا مست الحاجة ان تجتاز للتموين حواجز لاقدرة لها على خرقها فانها تقوم بتعبئة الجنود والمهندسين وهؤلاء يبنون عرامتينا مركبا من بقايا الخشب الممضوغة ومن البراز ويجعلونه على شكل الأنبوبة ولايدعون فرصة تفوت دون الاستفادة منها اقتصادا في الوقت والعمل والنفقات فاذا أصابوا شقوقا فيها فائدة أصلحوها وملسوها وجمعوا بينها . واذا فتحوا ممرهم على جدار جعلوا شكله كنصف أنبوبة بالاستفادة من الجدار أو على زاوية مؤلفة من جدارين اكتفوا بغموها [1] نقفا عليهم ثلثا العمل . وهذا الممر الذي يفتتح فيكون على مقياس الحشرة بالضبط يتسع من حين الى حين ليتسنى لحاملي المؤونة اذا ماتلاقوا ان يفسحوا المجال بعضهم لبعض بدون عائق واذا كانت الحركة شديدة والازدحام عظيما فان الممر يكون أوسع ويجعل منه مذهب للذهاب وآخر للاياب . وليسمح لنا القارىء قبل الخروج من هذا النفق ان نلفت نظره الى خاصة من أغرب وأخفى مافي هذا العالم الكثير الغرائب والاسرار فقد أشرنا فيما سبق الى الرطوبة التي لاتتغير في الوكر على الرغم من جفاف الهواء والارض المحروقة . وعلى الرغم من حرارة الصيف الطويل في تلك الاقاليم التي تغيض فيها الينابيع ويؤكل الزرع وينشف كل ذي حياة حتى جذور الاشجار الكبيرة والحق ان بقاء هذه الرطوبة في الاحوال التي ذكرناها لممايدهش له العقل ويقف دونه المفكر وقد أسقط في يديه حيرة وذهولا حتى ان لوفستون العالم الرحالة تساءل هل هناك طرق مجهولة تتمكن بها الارضة من اخذ اوكسجين الهواء وجمعه الى الهيدروجين الموجود في غذائها النباتي ليتكون بهما الماء الذي تحتاج اليه ؟ ذلك افتراض لم يثبته العلم بعد ولكنه غير بعيد الامكان وسنرى فيما يلي أن للارضة من العلم بالكيمياء والبيولوجيا مكانا نحسدها عليه» (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨)

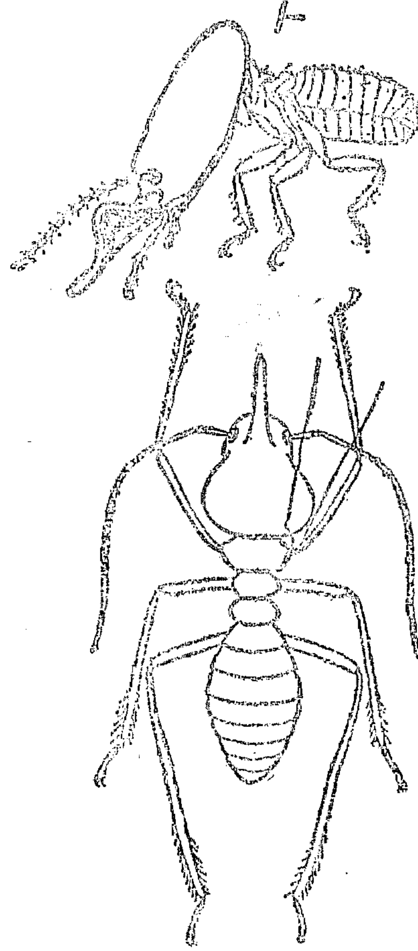


(شكل ٢٧ – رسم أرضة عاملة)

---

(١) غما البيت يغموها غموا . غطاه بالطين والخشب

شكل



(شكل ٢٨ ــ جنديان من الارض)
فوق : جندى يقاتل بفكيه ــ تحت: جندى يقاتل بحقنته

ثم قال «النملة عدو الأرضة الالدّ وهى عداوة قديمة يرجع عهدها الى ثلاثة ملايين سنة ولولاها لكانت الأرضة قد اجتاحت القسم الجنوبى من الكرة الارضية الا اذا صح الرأى القائل ان ما امتازت به من نقب الارض وحفر الانفاق هو ابن الحاجة والضرورة دفاعا عن نفسها وهربا من النملة . ومن الأرض مالا يعرف البناء فيجعل سكنه فى الاشجار وهو من النوع البسيط فى تركيبه وارتقائه ولافرق فى وظائفه أو تمييز بين أعماله فيكتفى بسد الثغرة ببقايا الخشب والطين على ان منه ماخلق لنفسه جندا خاصا وهذا الجند يمتاز برأس كبير يستعمله لسد الفتحة كأنه صمامة من الفلين . وترود النملة قرية الارض دائرة حولها ليل نهار باحثة عن صدع او شق تنسل منه اليها ولهذا كانت الحيطة لها بالغة أقصى المستطاع وكانت مراقبة الشقوق شديدة ولاسيما الشقوق المصنوعة لتجديد الهواء فان هذه المنازل تحتاج الى الهواء المتجدد وقد أقيم لذلك هندسة ونظام ليس من ورائهما لعلماء الصحة اليوم مأخذ لعائب أو معلق لطاعن . واذا أتيح للعدو أن يصيب أحد هذه الشقوق فان أول مايرى هو رأس أحد الجنود المدافعين وقد أخذ يضرب الارض بمشفريه انذارا وتنبيها فيسرع الحرس ثم الفرقة بأسرها وتسد بجماجمها الفتحة وهى تحرك فى الهواء احناكها الهائلة كانها أدغال من الشوك أو تهجم على غير هدى هجوم الكلاب الضارية حتى تصيب العدو فتعض عليه عضا شديدا ولاتتخلى عنه الاحاملة قطعة منه »

وجنود الأرض تبقى بعد تقهقر العدو حينا أمام الثغرة ثم تعود الى قشلاقاتها وترجع العمال الهاربة طبقا لناموس توزيع العمل الذى يضع البطولة فى جانب والخدمة فى جانب شارعة فى ترميم ما تخرب بسرعة هائلة مقدما كل منها كتلة برازه وقد حسب ان ساعة من هذا العمل السريع تكفى لسد ثلمة بحجم الكف فتأمل . وقد روى سافاج انه دمر منزلا للارض فى المساء ولما عاد عند الصباح وجده قد أصلح وتم ترميمه وعلى طبقة جديدة من الطين ولا عجب فان السرعة فى العمل مسأله حياة أو موت وأقل اهمال فى ذلك هو دعوة لاعداء كثار وخاتمة ذلك الاستعمار

ان هناك قوة خفية تخضع لها جمهورية الأرض فاذا زاد عددها مثلا عن الطبيعى وهو خمس عدد سكان القرية فان تلك القوة المحجوبة التى لا تجهل قواعد الحساب على ما يظاهر تتكفل حالا بازالة العدد الزائد وارجاع النسبة الى ما كانت عليه من قبل ولا تحتاج فى ذلك الى مذبحة كما يجرى فى ذكور النحل فان مائة عامل لا تقوى على جندى واحد من هذه الضوارى التى لا تنال الامن القسم الخانى الضعيف ، بل تفعل ماهو أبسط وأسهل وذلك بامتناع العمال من إطعام الجنود فتهلك هذه جوعا . أما الطريقة التى يتم بها تعداد الجنود المحكوم عليها بالموت وفرزها ووضعها فى مكان منفرد فلا تزال غامضة كالكثيرة من امور هذه الاحياء العجيبة . وقبل أن نختم هذا الفصل عن جندية مملكة الظلام نذكر للقارئ بعض حالات لها غريبة من الاستعداد أو الميل للموسيقى فهناك أصوات خاصة تكون تارة انذارا وطورا استنجادا أو تحيا أو غير ذلك وكلها ذات ايقاع موزون تجيب عليه جماعة الأرض بزجل خاص (١) مما حمل بعض العلماء على القول بانها تتخاطب لا بالقرون فقط نظير النمل بل بلغة نطق خاصة

وبديه ان مثل هذا النظام الواسع الدقيق ومافيه من توازن فى القوى وتضامن فى الاعمال لا يمكن أن يكون بغير تفاهم بين أبنائه وحسبنا دليلا على وجود هذا التفاهم انتشار المستعمرة الواحدة فى جذوع كثيرة قد تكون متباعدة بعضها عن بعض ولكنها ملتفة حول عرش واحد أى ليس لها الا زوج ملكى فاذا زالت فى أحد الجذوع فرقة الاحتياطى التى يحفظها الأرض للتعويض من الملكة فى حال الموت أو العجز تسرع سكان الجذع المجاور الى اعداد فرقة جديدة بدلا منها . وسنعود الى الكلام عن هذا الابدال أو التغيير الذى هو من أغرب وأبدع أشكال السياسية الأرضية

وليست هذه الاصوات من غمغمة واحتكاك أو صفير وانذار وايقاع ينم على احساس موسيقى كل ماعند الارضة . فان لها أيضا حركات موزونة يشترك بها الجمهور ماخلا المولود الجديد كأنها صادرة عن جوقة رقص وأنغام مما وقف عنده العلماء موقف الدهش والعجز وهى نوع من الرقص الاختلاجى تثبت فيه القدم و يتهادى الجسم متمايلا من الوراء الى الامام وعلى الجانبين . ويدوم هذا الاختلاج ساعات مع فترات من الراحة قصيرة . وأكثر مايكون قبيل طيران العرس كأنه حفلة صلاة أو تقديس تفتح الباب لأعظم ضحية تقوم بها الأمة . ومن السهل مرأى هذه الحركات اذا خفضت أو أثرت فجأة أنابيب الزجاج التى تحبس فيها الأرض فى المختبرات على ان ذلك شاق صعب لندورة بقائها طويلا فى الانابيب فانها تخرق الصمامة من فلين أو معدن وتصل كاحسن الكيميين الى خرط الزجاج

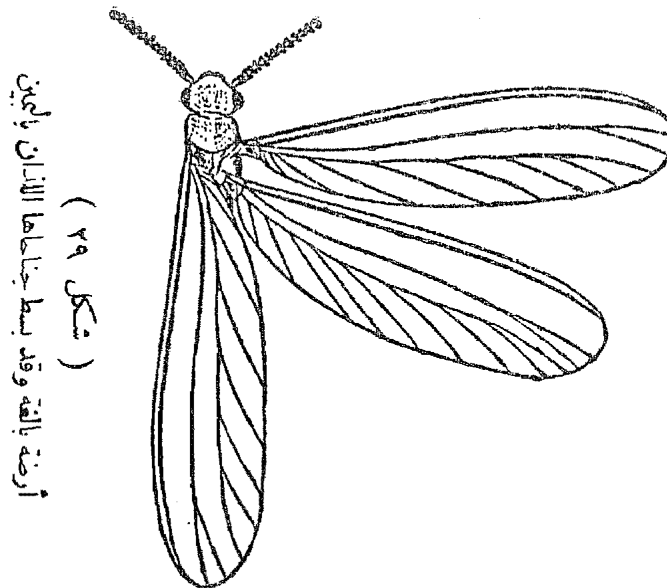
الملك والملكة فى حجرة مستطيلة الشكل ملساء الارض منخفضة السقف منيعة الجوانب يعيش هذا الزوج الحزين الموكول اليه حفظ النوع دون أن يستطيع من موضعه حراكا . أما الملك فهو ملك بالاسم لانه زوج الملكة ، ضعيف حقير صغير جبان خجول لا ينفك مختبئا تحت بطن زوجه . وأما الملكة فهى من أغرب مايرى فى هذا العالم الكثير الغرائب لان لها بطنا ضخما هائلا منتفخا بما فيه من البيض يكاد يتفزر لفرط تمدده وقد

(١) الزجل : اختلاط الاصوات

يبلغ

يبلغ طولها به نحو ١٠٠ مليمتر حالة كون العامل لايتجاوز ٧ مليمترات طولا . وهي عاجزة عن الحركة لانها لاتملك غير قوادم صغيرة في صدر غارق في الدهن ومتوسط ماتضعه من البيض هو واحدة في الثانية أي ٨٦ ألفا في اليوم وثلاثين مليونا في العام . ولاينقطع وضعها ليل نهار مدة الاربع أو الخمس السنوت من حياتها كما دل الاختبار والمشاهدة

﴿فصل﴾ ـ اذا ولى الخريف ودنا موعد المطر دقت ساعة الحرية فاذا بالقلعة الحصينة المحكمة السد والمنفصلة عن العالم الخارجي كل الانفصال والتي لامنافذ لها إلا ما كان تحت الارض أو ماهو لتجديد الهواء قد أصابها نوع من الجنون فانفتحت في جوانبها فجأة تخاريب لاتحصى [1] ومن وراء هذه التخاريب وقفت الجنود تحمى برءوسها الدخول والخروج . هذه التخاريب تتصل بأسراب وأنفاق قد ازدحمت فيها المجنحات وهي تنتظر بفروغ صبر إفلاتها من الاسر . حتى اذا صدرت الاشارة الخفية وأصرت القوة الحاكمة المجهولة انسحبت الجنود من مواقفها فانكشفت الثغور وشق العرائس طريق الفضاء . وحينئذ يبدو للعين مشهد يفوق مشهد النحل روعة وجمالا فان البناية العظيمة نبكة كانت أو هرما أو قلعة تصير كالمرجل الغالى يكاد يتفجر . ومن شقوقها العديدة يرتفع ضباب كثيف مؤلف من ملايين الاجنحة الشفافة المضطربة في الهواء ساعية وراء الحب سفيا يساوره الريب وتصفعه الخيبة . منظر جميل غير أنه قصير العمر كـكل ماهو حلم أو دخان فلا يلبث الضباب أن يهبط بأجمعه الى الارض جاعلا لها غطاء من تلك الاشلاء وهكذا ينتهي العيد وقد نكث الحب بعهوده وحل الموت محله . ولا يكاد يسدل الستار على هذا المشهد حتى تعقبه مأساة أخرى أشد هولا فان الاستعدادات السابقة و إلهام السليقة الذى لايخدع يدعوان كل مشتاق الى تلك المأدبة السنوية التي تقيمها عرائس الارض فتحتشد العصافير والحيات والهررة والكلاب وسائر الحشرات ولاسيما النمل وتهجم على هذه الفرائس المحرومة من الدفاع والتي تغطى أحيانا ألوفا من الامتار وتبتدىء الجزرة الهائلة كل على قدر جشعه وشهوته بل ربما أفرط بعضها في الاكل كالعصافير خرجت من الوليمة وهي لاتستطيع اقفال مناقرها . والانسان نفسه يشترك في اقتسام الغنيمة فيجمع مايصيبه بالجرفة ويأكله بعد التحميص أو يعجنه بالسكر فيصير كاللوز و يبيعه في السوق كما في جزيرة جافا . وبعد الطيران وخروج آخر مجنح من القرية تقفل هذه بأمر القوة المحجوبة المدبرة وتسد التخاريب في وجه الخارجين كأنما حكم عليهم بالنفي المؤبد (انظر شكل ٢٩)



(شكل ٢٩)

أرضة بالغة وقد بسط جناحاها الاثنان الأيمن

[1] جمع تخروب وهو الشق في الحجر أو الثقب في كل شئ

(تخريب الارض)

ان قرى الارض بانتشارها وتعددها وشرعها القاسية البالغة منتهى النظام وبحيويتها وتناسلها الهائل قد تكون خطرا عظيما على البشر وربما غطت وجه البسيطة لولامعاندة الاقدار لها وجعلها سريعة العطب شديدة التأثر من البرد فهى لاتحتمل من الحرارة إلا ما كان تحت درجة ٣٦ سنتغرادو وفوق ٣٠ وهذا ماجعل بقية المناطق فى مأمن منها . على انها حيث أقامت كانت عاملا للهدم والتخريب وما أقلت الارض فى البلاد الحارة حشرة مثلها فى حرب دائمة مع الانسان فتأكل بيوته من أساساتها وتفنى ماعنده من فراش وكساء وورق ومؤونة وخشب ونعال ونبات ولاينجو شئ من موجوداته من هذا التخريب الفظيع الذى يتم فى الخفاء فنعده من خوارق الوجود . وانك لتجد أشجارا كبيرة سليمة فى الظاهر فلاتكاد تمد اليها يدك حتى تنهار لتأكلها من الباطن

تلك هى عادة أعمال الارضة فى التخريب المنزلى وقد يتسع نطاقها فيشمل مدينة باسرها ففى عام ١٨٤٠ أسرت احدى السفن المعدة لتجارة الرقيق فادخلت الى عاصمة سنت إلن (جامستون) نوعا من الارض البرازيلى الصغير ذى الجنود المسلحة بالمحاقن فهدم قسما من المدينة وفعل بها فعل الزلازل . وفى عام ١٨٧٩ نشب الارض بسفينة حربية اسبانية فى ميناء «فرول» فلم يبق ولم يذر . وزعم الجنرال لكرك أن جزر الأنتيل الفرنسوية لم تقو فى سنة ١٨٠٩ على رد الأنجليز لأن الحشرة الهدامة كانت قد خربت المنازل وتركت المدافع والذخيرة فى حالة لاتصلح للعمل . ويطول بنا الشرح لو أردنا ان نعدد الجرائم التى يرتكبها هذا العدو الشديد الحول على ضعفه وقد سبق فقلنا انه غلب الانسان على أمره فى بعض نواحى اوستراليا وجزيرة سيلان فامسك عن الزراعة . وفى جزيرة فورموز أرضة تخرط حتى الهاون وتدك الجدران اذا لم تمسك بالطين امسا كا شديدا

وقال أيضا « لو أعطى للنحل أن يتصور الجحيم لما كان فى نظره أشد هولا من هذا لأنه يجوز لنا أن نعتقد أن النحلة لاتشعر بنفاسة حياتها ولا تعدم لذة الحبور عندما ترتوى من ندى الفجر وتعود ثملة من الزهر فتستقبل باكرام فى قصرها العسلى العاطر . أما الأرضة اللاصقة بالتراب تدب دبيبا فى ظلمة خبائها القذر فمن أين لها الراحة أو السرور واية مكافأة تنتظرها أو ابتسامة تنسيها عملها الشاق وهل عاشت هذه الاحقاب الطوال فقط لتبقى كما هى أو بالاخرى كى لا تموت فتتكاثر بدون لذة وتخلد بلا أمل صورة من أحقر صور الوجود وأشقاها . من يدرى الاسرار الروحانية أو الحيوية أو الاثيرية أو الكهربائيه التى تختبىء فى هذه القرى ولا نصل الى حل طلاسمها ؟ والحق يقال ان الانسان كلما تقدم فى ادراكه ادرك انه من أجهل المخلوقات وأضيقها علما

إن المبادئ التى تديرها هى أسمى وأمتن نظاما من أحسن اجتماع بشرى ولايمكن التلاعب بالألفاظ للقول بأن حركات الأرض ليست حرة وانه لايستطيع الخروج على نظامه الأعمى فان العامل الذى يرفض العمل أو الجندى الذى يهرب من القتال يجازى بالطرد أو على الأظهر يقتل و يؤكل ، أفليست هذه الحرية نظير حريتنا ؟

ثم هل كان الذكاء البشرى القالب الوحيد الذى تفرغ فيه قوى الوجود الروحية والعقلية ، وهل كانت أعظم وأغرب وأعمل وأدق هذه القوى لاتظهر فينا إلا بواسطة الذكاء الذى نعتبره تاج الأرض والعلم ، إن أهم شئ فى حياتنا أى سرها العميق هو غريب عن الذكاء معاد له ، وما الذكاء إلا اسم نعطيه لإحدى القوى الروحانية التى لانفقهها ✫ وفى المعنى

انما نحن فى اختلاف عقول ✫ مثلما نحن فى اختلاف وجوه

فربما كان للذكاء كما للحياة صور متعددة وليس لنا مايدل على أفضلية بعضها على بعض ، وما الانسان الا فقاعة عدم يريد أن يقيس بها العالم . وبعد هذا كله فاننا لاندرك كل ما اخترع الأرض لأنه بقطع النظر عما ذكرنا من عمرانه ونظامه فى الاقتصاد والاجتماع وتوزيع العمل والتموين والكيمياء والصناعة وتوليد

الماء

الماء وتحويل الصور والأشكال فان هناك أشياء لم يحط عنها اللثام . لقد تقدمنا الأرض فى هذا الوجود بملايين من السنين فليس ببعيد أن يكون اعترضه فى طريقه من العقبات ما سيعترضنا يوما فنحتاج مثله الى تذليله كذلك أن تكون تقلبات الجوّ والاقليم فى الأعصار الجيولوجيـة أيام كان يقطن شمال أوروبا كما دلت آثاره المكتشفة فى انجلترا وألمانيا وسويسرا قد اضطرته الى المعيشة تحت الأرض فأفضى به ذلك الى تضاؤل بصره وكفه عند السواد الأعظم منه . من يدرى اذا كانت هذه الرزايا لا تنتظرنا فى المستقبل البعيد عند ما يجبرنا البرد على الالتجاء الى الكهوف والغيران فى بطن الأرض أو اذا كنا نقوى عليها مثله . ثم اننا نجهل طريقة المعاملة عند هذه الحشرات ولا نعرف كم اقتضى لها من الوقت والتجربة قبل الوصول الى هضم السليلوز . أما تحوّلها العجيب الذى نستطيع به أن نخلق هذا الشكل أو ذاك فهو فضلا عن غموضه يعدّ خطوة واسعة فى طريق الابتكار والابداع لم يتسنّ بعد للانسان أن يخطوها . ألا ترى اننا لا نستطيع تحديد الجنس وتكوين الجنين كما نشأ بل نجهل حتى ساعة الولادة أكان ذكرا أو أنثى . فلو كان لنا علم الأرضة لاستطعنا أن نوجد عند الحاجة والضرورة أبطالا وعمالا ومفكرين لا يكون من عندنا اليوم من أهل البطولة والعمل والتفكير بالقياس اليهم شيأ مذكورا . ما الذى يمنعنا من الوصول يوما الى تضخيم الدماغ آلتنا الوحيدة للدفاع فى هذا العالم كما وصل الأرض الى تضخيم مشافر جنوده ومبيض ملكاته ؟ وهل يمثل للخاطر ما يستطاع عمله يومئذ فان رجلا يبلغ من الذكاء أضعاف أضعاف ما بلغه (نيوتن) و (باسكال) مثلا فهو يقطع من مسافة العلم فى ساعات ما نحتاج نحن الى عصور لاجتيازه . ولعله يصل الى كشف الحجاب عن أسرار هذا الكون فنفهم لماذا كل هذا الشقاء الذى يحيط بنا وهذه الآلام اللازمة لبلوغ الموت

هذا الانسان الجديد قد يصل الى اكتشاف حياة أخرى ، تلك الحياة التى يجذبنا سرابها منذ القدم وقد وعدت بها كل الأديان دون أن تؤيد بالبرهان وجودها ، ومهما يكن دماغنا اليوم ضئيلا فانا نشعر أحيانا اننا على ضفة هاوية العلم بعيدة الغور وان دفعة صغيرة قد تكفى لتلقينا فى عبابها ، ولعل هذا التضخم الدماغى يكون خشبة الخلاص فى الأعصار الجليدية التى تهدد البشر ، على انه يحق لنا أن نفترض أن هـذا الانسان وجد فى سالف الأدهار وانه كان أوفر ذكاء من انسان اليوم بما لا يقدر ، غير اننا نبحث عنه فلا نجد له أثرا

لنعد الى الأرضة ، من يجسر على القول أن الخاصة التى نتكلم عنها لم تنلها إياها الطبيعة . فالطبيعة هى الهادى الوحيد لكل مخلوق قال (أرنست كاب) «كل مخترعاتنا وأدواتنا هى تقليد لعمل الطبيعة من غير أن نشعر ، فضخاتنا منقولة عن مضخة القلب ، وآلة التصوير هى غرفة العين المظلمة ، والتلغراف هو جهازنا العصبى ، والأشعة المجهولة رؤية الأجسام من خلال الحجب كقراءة الكتاب دون أن يفضّ عنه الغلاف ، واللاسلكى مناجاة الأرواح بواسطة تموّجات غير منظورة وفى تحريك الأجسام بدون أن تمس (وهذا غير محقق) دلالة على ما يمكن عمله من تغيير شرائع الجاذبية والثقل والانتصار عليها »

ثم قال « يجوز لنا أن ننسب غريزة الحشرات ولاسيما النمل والأرض والنحل الى الروح المشتركة الخالدة فقد قلت فيما مر أن هذه الشعوب هى كذات واحدة أو كائن حى مستقل أعضاؤه مؤلفة من خلايا كثيرة متفرقة فى الظاهر مجتمعة فى الواقع حول الشرعة المركزية . وهذا الخلود المشترك هو السبب الذى من أجله يموت المئات والالوف من الأرض دون أن يؤثر فى الذات أو الجسم الواحد المستقل لأن غيرها يقوم مقامها كما أن اندثار ألوف الخلايا فينا لا يغير حالة ما نعبر عنه بكلمة « انا » ولهذا تظل الأرضة عائشة كما هى منذ القدم دون أن يضيع لها اختبار أو ينفصل لها وجود ولا تتشتت تذكاراتها لان هناك ذاكرة واحدة للجميع . وهذا ما يفسر لك كيف ان ملكات النحل لا تنفك تبيض منذ ملايين من السنين ومن دون أن تزور زهرة أو تجمع لقاحا أو تمتص عسلا تستطيع أن تخرج عاملات تعرف ما جهلته أمهاتها كل هذه العصور وللدقيقة الاولى من طيرانها تفهم كل

أسرار الطريق وجمع العسل وتربية العذارى وكيمياء القفير . تعرف ذلك لأن الجسم الذى هى احدى خلياته يعرف ذلك فتراها منبثة فى الفضاء وهى متفرقة الشمل فى الظاهر ولكنها مربوطة بالوحدة المركزية . فهى كخلايا جسمنا تعوم فى سائل إلا أن هذا السائل أوسع مدى من سائل الجسم البشرى وأكثر ليونة وخفة وروحانية

☆ ☆ ☆

هل يمثل الأرض لنا نموذجا للنظام الاجتماعى الآتى ؟ من يدرى ما يخبئه لنا الغيب مما لا يمر له خيال فى تصوراتنا فقد يكفى أحيانا شئ لا يذكر ليقلب نظام الادب ومقدرات الشعوب . ان غاية ما نصبوا اليه اليوم هو حياة جمال ورخاء وسلام ويمن وقد أتى على الانسان ساعات من الدهر قارب بها هذه الغاية فى أثينا أو الهند أو بعض أدوار المسيحية . فمن يؤكد لنا اليوم اذا كانت الانسانية تمشى حقيقة فى هذه الطريق لا فى الطريق المعاكسة لها

ان ما لا ريب فيه أن السعادة الكاملة الثابتة لا نجدها إلا فى حياة روحية بحتة فهل هذه الحياة ممكنة ؟ نظريا نعم أما عملا فمن المستحيل ذلك لأننا لا نرى من حولنا إلا المادة وبسوى المادة لا نشعر . ودماغنا نفسه مادة فكيف نرجوا أن نفهم به غير المادة . كلما جرب الواحد منا أن يفلت من قيود هذه المادة أصابه الدوار وهبط الى الحضيض . ان المادة عدو الانسان الوحيد وقد اتفقت الأديان على ذلك سواء سمى هذا العدو شرا أم خطيئة ولهذا كانت حالة البشر محزنة على الارض لأنه لا سبيل الى الخلاص من المادة . وكيف الخلاص وكل ما فى العالم هو منها والقوة نفسها والحياة ان هما إلا صورة من صور المادة وشكل من أشكالها بل الجسم الجامد الذى لا حراك به أو المادة الضخمة الميتة فيها حياة أكثر روحانية من أفكارنا . تلك الحياة الهائلة الخالدة ، حياة الكهارب التى لا تتعب متحركة كالسيارات حول نواتها المركزية . كيفما أجلنا الفكر نرى شيئا وهذا الشئ هو غير العدم فاما أن يصير « أنا » عظيما الى حد أن ينسى معه ذلك الحيوان الصغير الذى كان يقال له الانسان أو يبقى حقيرا خاملا على مدى العصور وهى لعنة لا يوازيها أكبر عذاب من جحيم المسيحيين . على كل حال يقول ابكتت الفيلسوف : لا ينبغى أن نحاول تغيير طبيعة الاشياء فليس هذا بمستطاع ولا بمجد . ولكن على قبولنا بها لنتعلم أن نطبق تصرفاتنا على نواميسها » عشرون قرنا مرت على الانسان منذ رنت فى أذنه هذه الكلمات ولم تصل به بعد الى نتيجة ترضيه . انتهى (يقول المؤلف عمل الطبيعة يريد عمل خالق الطبيعة) اهـ

(خطاب للمسلمين)

أيها المسلمون : هذا اخترته من كتاب ﴿مملكة الظلام﴾ أو ﴿حياة الأرضة﴾ الذى عربه الدكتور (نقولا فياض) . نعم أنا أفضت فى الكلام على (الأرضة) ومعيشتها وسياستها ونظامها ، وانما حركنى لذلك قوله تعالى ــ ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ــ . ياسبحان الله : مالنا وللأرضة ، وما لنا ولمنسأة سليمان ، ومالنا ولأكل الأرضة لها ، ومالنا ولكون سليمان لم يعلم اليهود موته إلا بعمل الأرضة ، عجيب والله هذا القرآن ! عجيب والله أن تكون هذه الكلمات باعثة لى على تعقب أحوال الأرضة ، فاذا عرفنا منها ؟ عرفنا أن لله جنودا وجنودا وتلك الجنود لها ملوك ولها سياسات ونظم اجتماعية عجيبة ، وعرفنا أن فى أمم أوروبا من يدرسون هذه الحشرات ليستخرجوا منها علما عسى أن يرتقى به الانسان فى مستقبل الزمان ولقد ظنوا أن هذه الحشرة الحقيرة قدرت أن تستخرج الماء من المواد التى حولها . يا ألله : أنا أتوجه اليك وأسألك أن تبعث فى نفوس قراء هذا التفسير حبا للعمل وحبا للعلم والحكمة حتى يكون للمسلمين نظام مع الأمم حولهم به يعيشون فى حبور وحياة منتظمة ، فأنت الولى الحميد

أيها المسلمون : إن الناس تمنوا الطيران فطاروا ، وهاهم أولاء يتمنون عقولا أرقى من هذه العقول ويسعون لكسبها فسيروا مع الناس بل أنتم أولى فان اشارات القرآن تبعث المسلم على العمل ، أولا ترون

ايها

أيها المسلمون الصادقون كيف كان سليمان فى هـذه السورة هو سليمان فى سورة النمل ، و ياعجبا يا ألله وألف عجب . اللهم انك أنت المعلم ، أنت الملهم . أنت الحكيم ، كيف كان سليمان فى ﴿ سورة النمل ﴾ يتبسم ضاحكا من النملة ، ونفس سليمان فى هذه السورة تدل على مونه دابة الأرض

ياعجبا . كأنّ الله يقول لكم أيها المسلمون إن بين النمل والأرضة علاقة فلتدرسوها ، فعلاقتها فى القرآن قصة سليمان وعلاقتها فى العلم اشتراكهما فى المدنية والسياسة وأن بينهما عداوة ، فالدرس الدرس

الله أكبر : قصة سليمان فى هذه السورة وفى سورة النمل يفهمها العامّة والخاصة ، شارحة للصدور وهى باب لدراسة النمل ولدراسة الأرضة ، فائن عجب العامّة والخاصة من قصة سليمان مع النمل وقصته مع الأرضة فوالله ليكونن عجبهم أكثر وأكثر حين يدرسون العجائب التى أبدعها الله فيهما ـ إنّ ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ـ انتهى المقام الأوّل فى المبحث الأوّل

(المقام الثانى فى المبحث الاول)

(فى قوله تعالى ـ فلما خرّ تبينت الجنّ أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ـ)

اعلم أن طائفة من الناس يقرؤن عزائم ودعوات كفرية أودينية أوغيرها و يزعمون انها تقضى حاجاتهم بها و ينادون أسماء شيطانية و يبتهلون اليها ، وهذا فى الحقيقة نوع من العبادة ، وما الفرق بينها و بين الأصنام فالأصنام شفعاء وهؤلاء شفعاء ، فليحذر المسلمون من هذا ، إن الايمان بالله يعلى الهمم و يرفع النفوس الى المستوى الرفيع الشريف كما كان الصحابة رضوان الله عليهم . فعلوّ الهمة هو الذى يرفع الانسان عن العوالم كلها الى بارئها فينال مايريد اذا كان ذا عزيمة صادقة . ثم ان الذين يحضرون الأرواح فى هذا العصر يعلقون آمالا عليها فى أمورهم الدنيوية أوفى معرفة الغيب وهذا كله خروج عن القضايا الدينية ثم لايفيد فاعله و يكون ذلك أشبه بالعبادة و يحجب الانسان عن ربه . ومن ذلك ماتقدّم فى هـذا التفسير من الأوفاق التى كان يستعملها قدماء المصريين كالمثلث والمربع والمخمس الى المتسع للكواكب السبعة . والمسلمون اليوم هكذا يستعملها بعضهم وهولايدرى انها كالشرك بالله تعالى . ولأورد لك أسئلة من كتاب الأرواح ألقاها العلماء على الأرواح فى أوروبا لما استحضروها . وهاك بيانها

(س) هل من أسئلة تكرهها الأرواح الناقصة

(ج) لاتكره إلا الأسئلة التى تزيح النقاب عن جهلها وخداعها

(س) ما قولك فيمن يتخذون المخابرة الروحانية بابا للهو والهزل أولاستنباء أمورتهم صوالحهم الزمنية

(ج) هؤلاء تسرّ بهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخداعهم

(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل ؟

(ج) كلا : إذ لوعرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر

(س) ماهى أخص دلائل النبوآت الكاذبة ؟

(ج) هى التى لاتأتى بفائدة عامّة أويكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لاتعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أوعدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمر انما زمن وقوعه يكون فى الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولايعلمها إلاالله ، أما الأرواح الطائشة فلايهمها أمر الحقيقة وتحدّد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيتكم الروحى لا العرافة وفتح الفال ، فمن أحبّ هـذا تألفه الأرواح الماكرة

ويصبح ألعوبة بين أيديها . انتهى المقصود من كتاب الأرواح

وهذا يكفيك من ذلك فان الأسئلة توضح الآية هنا ايضاحا كافيا ، إن هذا من أعظم معجزات القرآن كيف لا ونحن نجد أن أوروبا التى لم تسمع أن فى القرآن هذه القصة لعدم إيمانها به تكون نتيجة حديثها مع الأرواح أن الجنّ لاتعرف خبر الغيب ، ولامعنى للجن إلا النفوس الناقصة كما لامعنى للملائكة إلا الأرواح الكاملة وكل منهما درجات ، إن هذا معجزة وأىّ معجزة ، إن المسلم يمرّ على مثل هذا مرا ويكتفى بالايمان أما اليوم فانه يرى اليقين فى العلم ، فان كذبت أيها الفطن الفرنجة فدونك العلم فاستعمل الطرق التى أوضحتها فى كتابى «الأرواح» واجعل نصب عينيك الحقائق لا الامور الدنيوية وهناك تعرف بنفسك لا بأوروبا لكن مع الصبر والجدّ ، وان أردت إلا الزيادة فعليك بكتاب الأرواح ، وان شككت فاستقل بالعلم ، واعلم أن الله جعل هذا الزمن هو الزمان الذى فيه يظهر سر القرآن ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فالمسلمون إن لم يدرسوا فليرحلوا من العالم ويأتى الله بأمم أخرى لهذا الدين أرقى من هذه الأمم النائمة فأما الكسل والتكذيب والاستهزاء فليس يجدى فى زمن العرفان والعلم والحكمة والارتقاء . وبهذا تمّ الكلام على المبحث الأوّل بمقاميه معا

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ فلما خرّ تبينت الجنّ ـ الخ ﴾

(تذكرة فى ليلة الخميس ١٣ يناير سنة ١٩٣٠)

فى هذا اليوم حضر عندى رجل عظيم ذكىّ عالم وقال لى : ألم تطلع على «مجلة الدنيا المصوّرة» فى هذا الاسبوع . فقلت ماذا فيها ؟ فقال إن فيها أمرا عجبا ، وقصّ علىّ مايأتى :

﴿ يد خفية تكتب من وراء المجهول ﴾

(يعمر البرلمان المصرى عاما واحدا ، وتعقد المعاهدة فى خلال ستة أشهر)

بين المنجمين وقرّاء الطوالع الذين هبطوا مصر رجل هندى له طريقة مدهشة فى الاجابة عن المستقبل يحار العقل فى تعليلها ، وهل هى سحر ساحر عليم ؟ أم شعوذة مشعوذ ماهر فى خداع العقول والأبصار ؟ ونحن نسرد فيما يلى بعض أعمال هذا الرجل الخارقة للعادة كما شاهدها مندوبنا ونترك للقارئ تعليلها

فى شقة بسيطة الرياش يقيم رجل هندى لاينبئك مظهره عن خبره ، وكانت زيارتى لهذا الرجل حافلة بالمدهشات ، ولو انى حاولت أن أدرك خفىّ أمره وأستطلع وسيلته التى يتوسل بها لتأدية أعماله فلم أوفق فى محاولتى مع يقينى بأن الأمر مهارة خارقة لاعلاقة لها بالأرواح . لاترى فى شقته مظاهر التأثير والروعة التى تصحب عادة منازل المنجمين وعلماء الروحانيات بل هى ذات فراش بسيط أشبه بمكتب وكيل أعمال أو محام مبتدئ . ورأيته فتى صغير السنّ هادئ النظرات حليق الوجه يتحدّث فى ابتسامة صغيرة وبسيطة . سألنى بالانجليزية : أتريد أن تعرف شيأ عن مستقبلك ؟ أجبته : نعم . ودخلت حجرة مكتبه وليس فيها إلا مكتب واحد عليه أوراق متناثرة وأقلام ودفاتر عادية وقد طليت جدران الحجرة باللون الاسود . ولما رآنى أنظر هذا الطلاء الاسود القاتم مستغربا قال لى فى هدوء : اننى أهيئ الحجرة لاستحضار الأرواح فانها لاتظهر إلا فى الظلام وسألته : وفى أى ثوب تظهر الأرواح . فأجاب : تظهر متشكلة بشكلها الأرضى فتراها كما عهدتها على سطح الأرض فى الجسم نفسه والملابس نفسها ، ثم طلب منى أن أكتب أربعة أسئلة على أربع ورقات صغيرة عما أودّ معرفته من شؤن المستقبل ، وتناولت ورقة صغيرة قطعتها على أربعة أقسام وبينما أنا أقلمها بتأن وبطء استأذن منى ليغيب دقيقتين وترك الحجرة وانصرف ، ومضيت أنظر حولى فلم أجد فى الحجرة مايريب وتناولت قلمى فكتبت على كل ورقة سؤالا ثم طويت الورق وأودعته يدى ، وعاد الرجل بعد قليل وجلس الى مكتبه وسألنى : هل كتبت الأسئلة ؟ فأجبته : نعم . وجلس يسطر جداول ورموزا والورق فى يدى اليسرى مطوى

طيات

طيات عديدة وقد أطبقت كفي عليه ، ثم طلب مني أن أكتب فكتبت بيدى اليمنى على ورق أمامي وأغمض عينيه ثم أملاني السؤال الأوّل فالثاني فالثالث فالرابع كلمة كلمة ومازالت الأوراق مطوية في يدى ، وكان يملي على الكلمات وكأن نظره المغمض يخترق كفي ويخترق الأوراق المطوية ويتلو مافيها ، وكان بين الأسئلة سؤال كتبت فيه كلمة ومحوتها وكتبت كلمة محلها ، فلما أملاني هذا السؤال ذكر الكلمة الأولى ثم طلب مني أن أمحوها بالقلم وأكتب بدلها الكلمة الثانية . كتبت الأسئلة وأنا أبتسم وأغالب دهشتي ، ثم ناولني القلم من يده وطلب مني أن أضعه فوق الورق في كفي فوضعته ثم استعاده مني وقال لي : افتح الورقات فان الأجوبة مكتوبة فيه . ففتحت الورق فرأيت في أسفل كل سؤال الجواب عليه مكتوبا بالقلم الرصاص وكانت الأوراق لم تخرج من كفي وهي مطوية فيه طيا محكما . وكانت حقا مفاجأة لطيفة مدهشة . وقلت له : لنتحدث كما يتحدث الأصدقاء . ماسر هذه المقدرة العجيبة ؟ أجابني بهدوء : سرها بسيط فاني متصل بالأرواح أسخرها لخدمتي وأستطلع أنباءها فهي توحي الى مايخفى أمره على الناس . ولكنني لم أشاركه القول بأن هذا السر أمر بسيط وانما أعدت سؤالي : ومن أين لك هذه المقدرة ؟ وصمت طويلا وكأنما يستعيد ذكريات قديمة ثم قال : سأحدثك بما لم أحدث به أحدا . كنت وأنا في التاسعة عشرة من عمري طالبا في (لاهور) ببلاد البنجاب في الهند وكنت أقيم وحدى في شقة استأجرتها فأقضي نهارى في الجامعة وليلي في منزلي أراجع دروسي . وفي هذه الأيام تعارفت بفتاة هندية حسناء كانت طفلة صغيرة ولكنها جمعت كل معاني الانوثة الفاتنة وأسرار الجمال الآخذ . همت بحبها وطغى غرامها على كل حواسي حتى أصبحت ولاتشغلني إلا فكرة واحدة مستولية على كل مشاعرى ومالئة كل رأسي وهي هذه الفتاة . ولكن الحجاب القاسي كان يحرمني من لقائها ورؤيتها . وكانت تمر بي الأيام دون أن أراها فأذوب وجدا وتضطرب أفكارى وتختل أعصابي . وفي ذات ليلة جلست في منزلي وحيدا وأنا أفكر فيها بكل قواى . أفكر فيها وأرغب في رؤيتها وأحصر كل أفكارى وحواسي في هذه الرغبة القوية وخيل لى أن كل قوى العالم اجتمعت في ذهني ثم تركزت في هذه الرغبة القوية وإذ ذاك خيل الى أن قوة تفكيرى وشدة الرغبة الصادرة من روحي تخترق الحوائط والجدران والحوائل وتصل الى هذه الفتاة في خدرها وتستدعيها وانها تجيء ملبية دعوتي الحارة وانها تقترب من منزلي وانها تسير تحت نوافذى وأطللت من النافذة فرأيتها تسير في الطريق وهي تنظر الى نوافذ حجرتي . وحدث ذلك مرارا فكنت كلما فكرت فيها رأيتها أمامي . ولاريب أن في تلك إحدى معجزات الغرام والرغبة القوية . ولكنى لم أهنأ بحبيبتي فقد اختطفها الموت وهي في زهرة صباها وحزنت عليها حزنا شديدا فهجرت الجامعة والدروس وأهملت نفسي ورحت كالمجنون لاأريد من حياتي إلا أن أراها بعد موتها . وكنت أعلم أن بين جبال الهند وغاباتها يعيش جماعة الفقراء والدراويش الذين يقال عنهم انهم من طائفة قضت أيامها في التنسك والعبادة حتى أزيلت عنها الحجب واتصلت بعوالم الأرواح وتجردت من شوائب المادة الدنيوية فبلغت نفوسها درجة فائقة من القداسة . ودعاني شغفي بحبيبتي الميتة وجنوني ورغبتي في رؤيتها الى الهيام في الغابات والجبال والى غشيان مجامع الدراويش الفقراء في العراء أملا بأن أستطيع أن أرى روح حبيبتي . وأخذت عهدا على بعض شيوخهم وكان لابد لى من قضاء مدة التجربة بينهم . ولاأزال أذكر تلك الليالي الطويلة والمحن التي قاسيتها فيها حيث كنا نجلس حلقة كبيرة في وسط الغابة تحت ضوء النجوم نتلو آيات معينة من القرآن الكريم ونكرر تلاوتها آلافا وآلافا من المرات حتى تتجرد أرواحنا عن أجسادنا ونسبح في عالم كله هدوء وسكينة وكنت أرى بعض وحوش الغابة تتسلل نحونا ، فهذا فهد ضار يقف عن بعد يحملق الينا وكأن عينيه شعلتان تتقدان في ظلام الليل ، وهذا أفعوان ضخم يزحف بين الحشائش ويدور حوالنا ، وكان الفزع يتولاني في أول الأمر ، ولكنني أرى الدراويش في ذكرهم وتلاوتهم لايشعرون بتلك الضوارى ولايقيمون لها وزنا

فأجمع قواى وأشدّ على قلبي وأستمر فى القراءة والذكر . وفى صباح اليوم التالى أسأل أحد رفاقى عن هذه الكواسر فيجيبنى إنها الأرواح متشكلة فى أشكال مخيفة تحاول قطع قراءتنا حتى لا نتسلط عليها وتسعى لايقاع الرعب فى قلوبنا ولهزيمتنا قبل أن نهزمها ، وقضيت أربعين يوما على هذه الحالة وأنا لا أتناول طعاما ولا أرتدى ثيابا ولا أقطع وقتى إلا بالتلاوة والذكر ، وفى ختام اليوم الأربعين شعرت بأنى بلغت مابلغ أساتذتى الدراويش وانى أصبحت سيدا على الأرواح أناديها فتلبى ندائى . وسألته : ومن كانت أوّل روح استحضرتها قال بهدوء : روح حبيبتى طبعا وقد لبت ندائى وحادثتها وحادثتنى

* * *

ومما يذكر عن نبوآت رجل الأسرار واسمه الحقيق (مير عبدالحيد) أن أحد النوّاب الوفديين ذهب اليه ليسأله فى أمور سياسية وكتب الأسئلة وطواها وكان بينها هذان السؤالان

(١) — كم يعمر البرلمان ؟

(٢) — هل تعقد بين مصر وانجلترا معاهدة فى بحرسنة أشهر قادمة ؟

فكان الجواب على السؤال الأوّل « يعمر سنة واحدة » والجواب على السؤال الثانى « نعم » ولم يجد النائب فى هذين الجوابين مايشفى غليله فان حلّ البرلمان لا يمكن أن يحدث اذا أبرمت المعاهدة

وسأل سؤالا ثانيا : « اذا كان البرلمان سوف يعمر عاما واحدا فما هو نظام الحكم الذى يتلوه ؟ » وكان الجواب « يكون الحكم فى يد حزب الأغلبية و يبقى فى يده طويلا » وكأن هذا الجواب يدل على أن الحكومة الوفدية سوف تحل البرلمان بعد سنة واحدة ثم تعود الانتخابات فيخرج حزب الأغلبية وهو الوفد فائزا و يتولى الحكم مدة طويلة والله أعلم اه

فلما قال صاحبى ذلك وقد قرأه فى المجلة بنصه . قلت له : وهل لهذا علاقة بالتفسير . قال نعم : أذكرك بما تقدّم فى ﴿ سورة النور ﴾ ألم تذكر هناك أن الأسئلة التى وجهها الناس الى الشيخ أحمد بن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ فى أمر السحاب والمطر والبرق والجبال التى فى السماء ، ولما رأى الشيخ ابن المبارك أن علماء الاسلام قبله لم يعرفوا أغلب تلك العجائب هرع الى الشيخ الدباغ فأجابه وشرح مسائل لم يظهرها إلا العلم الحديث فكان ذلك معجزة إذ ظهر أن فى الجوّ جبالا من ثلج ينزل منها برد وقد رسمتها أنت هناك ، وأنت قلت ان طبيعة دين الاسلام أن يسأل الناس علماءه عن كل شئ لأن القرآن يذكر أمورا كثيرة ، فاذا قال الله لنا ان الجنّ لايعلمون الغيب فما بالنا نرى رجلا هنديا فى هذه القصة يخبرنا نحن المصريين بأن المعاهدة ستكون بعد ستة أشهر وأن البرلمان يغير ببرلمان آخر بعد سنة ، وكيف قدرت روحه أن تحضر محبوبته الى منزله من وراء الجدران والحيطان ، وكيف يخاطبها بعد الموت . واذا لم يكن تفسير القرآن هو الذى يوضح ذلك فن أين نعرفه ؟ ثم هذا الفتى الهندى يتمتع الآن بهذه المزية . فهل من المصلحة أن نسعى لنظيرها لأن الناس جميعا عندهم استعداد لأمثال هذا وان كانوا فيها مختلفين . فقلت له إن قولك يتضمن مايأتى :

(١) كيف قويت روح الهندى على أن ينظر الفتاة من وراء حجاب

(٢) كيف قدر أن يحادث الأرواح

(٣) كيف يعلم الغيب والله يقول ان الجنّ لايعلمون الغيب وهو يقول إن الأرواح تعلمه ذلك الغيب

(١) أما قوّته على رؤية الفتاة من وراء حجاب فذلك يرجع الى قوّة فى نفوس جميع الناس وهذه القوّة لاتتجلى إلا نادرا جدا لأن قوانا فى الأرض موزعة على أعمالنا ، ألاترى أن أرواحنا موزعة قواها على الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة وعلى مافينا من قوى شهوية وقوى غضبية وعواطف وعادات وأحوال لاحصر لها ، وكل هذه مفرّعات عن النفوس ، فاذا حصر المرء فكره فى أمر مّا نال منه على مقدار ماقسم له

وهذا

وهذا الفتى حصر فكره فى الفتاة وجميع السحرة فى العالم من هذا الباب دخلوا ، فنفوسهم حصروها فى أمور خاصة بطريق خاص بهم تلقوه عن غيرهم وقد قالوا الشهوات فأثر على مقدار عزيمتهم ، وهذا الفتى ماحصر فكره إلا الحب الذى استحوذ على جميع قواه فصار هذا الجسم وحواسه الظاهرة والباطنة كأنها ملغاة لاعمل لها وهذا تقدم تقريره فى مواطن من هذا التفسير

(٢) وأما محادثته للأرواح فهو مفرع على ماقبله وقد تقدم تقريره فى هذا التفسير كثيرا وهو مشروح شرحا تاما فى كتابى ﴿الأرواح﴾ الذى ألفته لذلك . ان النفس متى انصرفت عن أحوال هذا العالم اطلعت على عوالم أخرى

(٣) وأما جواب السؤال الثالث فهو المذكور سابقا وهو أن الأرواح لاتعلم الغيب سواء أكانت فى أجسامها أم كانت مجردة منها بعد الموت ، وهذا الفتى الهندى إما أن يكون إخباره بالغيب فى أمر البرلمان من قوة نفسية فيه ، واما أن يكون باخبار الأرواح وكلاهما ينبغى البحث فيه

نحن الآن لانعلم هل يصدق ذلك التنبؤ أم يكذب . ولم تمض الستة الأشهر ولم تمض السنة حتى نحكم بصدقه أوكذبه ، والذى ثبت فى علم الأرواح انها لاتقدر أن تعرف الأحوال المهمة فى الأرض واذا أخبرت وقع الصدق والكذب فيها إلا اذا كانت أرواحا عالية تسخر بأمر لغرض شريف فهذه يباح لها ذلك الاخبار فأما الأرواح الصغيرة فانها طائشة تخبر بما لاحظ له من الصدق استهزاء بالسائل لأنها تحب الهزء والسخرية

هذا ثم إن منزلة هذا الفتى الهندى فى النوع الانسانى وأمثاله من أولئك المتبتلين ليست هى المنزلة السامية . نحن خلقنا هنا فى الأرض ولنا أعضاء وقوى وعقول فلابد أن نعطيها حقها من العمل وحولنا عوالم أرضية وسماوية فلابد أن نعطيها حقها من الدرس وحولنا نوع الانسان فلابد من أن نكون نافعين له بقدر طاقتنا ، أما تعطيل قوانا واتكالنا على الأرواح فهذا نقص فينا كما هو مفسر فى ﴿كتاب الأرواح﴾ وليس للاخبار بالغيب فى عالمنا مزية شريفة اذا صدق ولذلك قل الصدق فى الاخبار بالغيب لأن الانسان اذا علم المستقبل أهمل الحاضر فنام وكسل وهذه هى سنة العوالم الأرضية ، الأرواح الصغيرة تخبر صدقا وكذبا والأرواح العالية لاتخبر إلا بالامور العالية للمنافع العامة وذلك قليل ونادر ، إن عالمنا يضر به العلم بالمستقبل فالجهل به هو السنة الصالحة فى أرضنا ، وهذا الفتى الهندى هو وأمثاله اليوم لايفيدون الانسانية أمورا عملية . نعم ربما كانت حياتهم مذكرة للناس بعوالم الأرواح ، فهم من هذه الوجهة قد أدوا خدمة وان لم يقصدوها ، ولكن العرافة والاخبار بالغيب أكثرها كذب لايصح التعويل عليه ولوصح ذلك لكان وبالا على الناس إذ يعلمهم الكسل والاتكال على المستقبل ، ومن عجب أن يقول « إن الأرواح تظهر للنساك فى أشكال مخيفة خشية التسلط عليها لهذه العبادات » وهذا دلالة على انها أرواح من عوالم منحطة ليست راقية ، فاذا سخرت لهؤلاء النساك فهى أشبه بالاستعمار فى الأرض . فالأمم التى عندها أسلحة تغزو التى لا أسلحة لها وهؤلاء ضعاف . إذن ظهورهم واخافتهم لهؤلاء النساك وقت القراءة أشبه بمحاربة لاحباط أعمالهم فاذا تغلب النساك على تلك الأرواح استخدموها . إذن هذه الأرواح صغيرة ضعيفة يسخرها كل من قدر عليها وهذه هى الأرواح التى تكذب تارة وتصدق أخرى واخبارها بالغيب مشكوك فيه لأنها محجوبة عن المستقبل إذ العلم بالمستقبل لا يعطى إلا لأرواح عالية الى حد مخصوص ليساعدها فيما تزاوله من اصلاح العوالم الأرضية . هذا ما يعطيه علم الأرواح . فأما هذه الموهبة التى أعطيها الشاب الهندى فليست مزية شريفة فى الانسانية

واذا قرأت ماتقدم فى ﴿سورة الحج﴾ فى (صحيفة ٥٢) وما بعدها من الجزء الحادى عشر واطلعت على كلام الشيخ الدباغ والشيخ الخواص والشيخ الشعرانى وجدت هذا المقام موضحا كل الايضاح وأن أهل الصلاح الذين اطلعوا على الامور الغائبة ليس لهم حظ فى الآخرة لأنها شهوة نفسية وربما يموت الصالح مفلسا لأنه أخذ

حظه فى الدنيا . ولذلك ترى الشيخ الخواص يقول « إياك أن تقبل الفتوح والاطلاع على المغيبات بل استعذ بالله من ذلك ، وترى الشيخ الدباغ فسر لنا آيات وأحاديث بما لم يقله غيره من العلم والحكمة العالية وهو هو نفسه يقول ﴿ إن الذين يعبدون الله ويقصدون بالعبادة هذه الامور يصبحون أخس نوع الانسان ﴾ فاقرأ هذا المقام هناك وفى سورة الكهف عند قوله تعالى ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ وفى موضع آخر قبله فى نفس السورة . واذا كان العباد والصالحون اذا قرؤا القرآن وعبدوا الله لهذه المقاصد مذمومين فما بالك بهذا الفتى الذى قصد من التجرد أن يخاطب محبوبته . ثم ان القرآن لم ينزل لمثل هذا ، كلا ثم كلا . على أن حصر النفس واحضار الأرواح لايتوقف على القرآن ولا على كتاب سماوى بل حصر النفس يحصل بامور كثيرة ومنها اتصاله بذلك الشيخ ومنها تلك العزائم التى تشتمل على ألفاظ لايفهمها قارئ وهو مشغول بقراءتها فليس المقصود من قراءة القرآن أمثال هذا بل هو نزل لتهذيب النفوس واصلاح الأمم لا اخراجنا من الجسمية الى حال الروحية مرة واحدة . هذا ما أعلم فى هذا المقام ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ فقلت الحمد لله رب العالمين كتب نصف الليل يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٠

✲ ✲ ✲

فلما أتممت هذا المقال جاء الىّ أحد الاخوان وقال انظر الى ماجاء فى مجلة « الدنيا المصوّرة » بتاريخ يوم الأحد ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ م وقرأ مانصه

﴿ قوة الارادة تنتج أعمالا خارقة ﴾

(كيف يسلط المشعوذون قوى ارادتهم فيأتون بالغرائب والمدهشات)

لاشك أن فى الانسان من القوى المعنوية المجهولة مالم يستطع العلم بعد الوقوف على سرها أو كشف حقائقها ففى الناس من سمعنا عنهم أن نافورة من المياه المتدفقة تخرج من بين أصابعهم ساعات وأيام بلا انقطاع ، الى أن يبلغ حجمها أضعاف حجم الجسم الذى تخرج منه لو فرضنا أنه استحال كله ماء . ومنهم من يضع نفسه فى صندوق محكم الغلق و يبقى فيه مسدود الانف والمنافس عدة أيام وليال ثم يخرج منه كأن لم يكن فى الأمر شئ . ومنذ آلاف السنين عرفت قوة الادارة واستعملت ولكن فى دوائر محدودة و بين أفراد قلائل جدا ، على النحو الذى يمارسه فقراء الهنود إذ ينامون على المسامير والحراب دون أن يشعروا بألم ، و يمزقون جلودهم بالمدى والأسنة دون توجع أو أنين

﴿ عملية جراحية بدون مخدر ﴾

ويقول علماء هذا العصر ان كل انسان يملك هذه القوة التى نرى أنها خارقة ، وكل مايعوزه هو تنميتها وتدريبها . فقد حدث أخيرا فى أحد المستشفيات أن مريضا رفض أن يتعاطى مخدرا قبل اجراء عملية جراحية خطيرة ، وطلب الى الطبيب أن يقوم بعمله رأسا ، بعد أن تمكن بقوة ارادته من أن ينام نوما لم يشعر فى غضونه بمبضع الجراح . وقد فحص الأطباء بعض ذوى قوّة الارادة فقرروا أنهم استطاعوا أن يزيدوا عدد النبض العادى أو يقللوه كما يريدون ، بل تمكن بعضهم من أن يوقف دقات القلب زمنا مّا

﴿ طهرا بك فى لندن ﴾

لقد كان الناس يعدّون فقراء الهنود الى عهد قريب دجاجلة يغشون و يخدعون ويكذبون فما يظهرونه من الخوارق ، ولكن العلم الحديث يعترف بأنهم ليسوا كذلك ، انما هم قوم ذوو قوة إرادة نافذة وسيطرة عقلية على الجسم جميعه . ولعل القراء يذكرون ماعرضه « طهرا بك » فى مصر من مدة قريبة ، وقد عرض هذا الرجل كثيرا من أعماله الخارقة فى لندن فلم ير الاطباء أن فيها شبهة الكذب والخديعة . ذلك أنه دعا أربعين

طبيبا

طبيبا انجليزيا وأجلسهم معه على المسرح الذى كان يشتغل فيه ، ثم غرز سكينا حادة فى أجزاء من جسمه كان يسيل الدم منها و ينحبس تبعا لارادته . ثم استلقى أمام الاطباء على لوحة من المسامير المدببة وأوقف رجلا ضخما على صدره دون أن يشعر بأى ألم ، ولما نزل الرجل جىء بحجر كبير وضع مكانه ووقف رجلان يقناو بان ضرب هذا الحجر بفأس حتى تكسر على صدر « طهرا بك » الذى قام بعد ذلك سليما معافى . وقد فحص الاطباء ظهره فوجدوا به آثار دخول المسامير فيه ، ولكنهم لم يروا أثرا لقطرة دم مهراقة . وقد ظهر فى برلين فى العام الماضى رجل قام بامثال هذه الاعمال جميعا وزاد عليها أنه كان يظهر للجمهور صليبا داميا على أديم ظهره ثم يخفيه و يعود الى اظهاره حسب إرادته . وقد قال هذا الرجل إنه رسم بموسى حلاقة صليبا على ظهره بحيث لا يمكن أن تراه العين . فحينما كان يريد اظهاره للناس يتسلط بقوة ارادته على الدورة الدموية فتندفع الدم الى خطوط ذلك الصليب ، فيظهر للناس داميا رهيبا ، ثم يأمر الدورة الدموية بقوة ارادته فتمتص الدم من الصليب فتنمحى آثاره

﴿ يشنق نائم ﴾

وقد أمكن تعليل مكان عدم الشعور بالألم باستعمال قوة السيطرة العقلية على الجسم . بما نراه فى التنويم المغناطيسى حيث لا يشعر المنوم بأى ألم تحدثه به أو توجع لما يصاب به أثناء نومه . وأغرب من هذا ما حدث فى مدينة شيكاجو إذ شنق شاب اسمه هارفى شيرش وهو نائم . فقد حوكم هذا الشاب من أجل حادثى قتل فظيعتين ثبتت ادانته فيهما وقضى عليه بالاعدام شنقا . وقد غلب الخوف والفزع ذلك السفاح ، فعمد الى السيطرة على نفسه ببطء الى أن غدا لا يشعر بشئ مطلقا مما حوله ، ولبث نائما فى سبات عميق عدة أيام قبل تنفيذ الحكم وأخفقت كافة المحاولات لايقاظه ، وحمل يوم التنفيذ غائب الوعى الى المشنقة حيث شنق وهو فى غيبوبة وعدم شعور تامين . وهذا مما يعزز صدق الافعال التى يقوم بها فقراء الهنود وغيرهم ، إذ أن السيطرة على الجسم بقوة الارادة ، وتركيز القوى المعنوية الخفية ضد الشعور بالألم ، كل هذا يزعزع اعتقادنا بأن هناك قوة غير طبيعية وخوارق شاذة ليس فى مقدور البشر حل مبهماتها

﴿ تخونه ارادته ﴾

وقد فحصت لجنة طبية فى بومباى « الهند » فقيرا استطاع أن يوقف النبض فى أحد ذراعيه دون الآخر وتمكن من أن يوقف دقات قلبه لمدة ستة ثوان حينما أمر قلبه بذلك . وقد استطاع أيضا أن يوقف حركة التنفس بضع دقائق و بقى بعد ذلك حيا . على أن قوة الارادة التى تمهد لهؤلاء الناس التغلب على هذه الاشياء الخطيرة ، قد تخونهم فى أحرج المواقف فلا يكون نصيبهم منها أقل من الموت ، كما حدث لفقير « بلا كان » . فقد مارس هذا الرجل لعبة المكوث مدفونا تحت الرمل فى أحد المسارح دون تنفس بضع ساعات ، وأجرى هذه اللعبة عشرات ومئات المرات كان يقوم بعدها دون أن يصاب بشئ . ولكن حدث مرة ، وهى الأخيرة أن أخرجوه بعد المدة المقررة . وقد فارق الحياة . فقد خانت الرجل قوة إرادته فى أرهب موقف وأخطر ساعة

﴿ الموت والحياة بالارادة ﴾

ومن الممكن أن تتأثر الحياة والموت بالارادة ، و يعزز هذا القول ما رواه أخيرا الماجور سميث حكمدار بوليس مستعمرة الساحل الذهبى فى افريقيا ، ذلك أن أحد كبار الوطنيين المتعلمين ، تأثر من مشادة وشجار حدثا بينه و بين أحد مواطنيه فأعمل ارادته فى نفسه ومات فى اليوم التالى ، دون أن يكتشف الاطباء أى سبب لوفاته أو أى أثر لمرض فيه . انتهى

فقلت له : انك لم تفعل شيئاً . ماهو إلا تكرار لما كتبناه هنا وهو ملخص ما كتبناه فى نفس هذا الموضوع فى ﴿سورة الاسراء﴾ وشرحنا نفس هذا الشرح فى (طهرا بك) المذكور وفى الرجل الألمانى .

فقال : حقاً أنت قلت نفس هذه المعانى . فقلت : فاحمد الله على العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على الحكمة والعلم وانارة أمم الاسلام فى هذا الزمان

(المبحث الثانى)

(من الفصل الثالث)

(فى سبأ وسيل العرم وعجائب العلم والكشف الحديث)

قد ذكرت لك فى أوّل السورة أن قوله تعالى ــ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ــ واختصاص ذلك بهذه السورة ايذان بما حدث فى هذا العصر من العلم والحكمة وظهور آثار عربية فى البلاد السبئية فبعلمه نزلت فى أرض سبأ وخبئت فى أرضها و بعلمه سبحانه استخرجت من أرضها وأظهرت النقوش فى أحجارها سبحانك ربنا . قد كنت كتبت الفصل الثانى من تفسير هذه السورة منذ سنين وهوموجزالسورة ولم أكن إذ ذاك لأطلع على ماعرفه الاورو بيون عن بلاد سبأ فكان القول اجماليا والعلم استنتاجيا . ثم ان العوائق وقفت فى طريق اتمام التفسير ونشره نحو عشر سنين فاطلعت فى أثنائها على الكشف الحديث المصدّق للقرآن العجيب البيان . فلما أن أذن الله بالتفسير الآن أخذت أكتب مارأيته وألخص ماعلمته

علم الله بخزائن الأقدمين من أممنا العربية وطمرها فى الأرض أجيالا وأجيالا فعاملنا معاملة الأيتام مات عائلهم والجهال غاب سائسهم وكنز اليتيم لايسلم له إلا عند بلوغه . لقد مضى على المسلمين زمن كانوا فيه غير راشدين بعد الخلفاء الراشدين بأجيال فعميت عليهم آثارآبائهم وناموا فى كهفهم لا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا بل ستمائة سنين وازدادوا ثمانية عشر

نام المسلمون واستيقظ الغربيون وأخذوا يحلون الرموز ويكشفون الكنوز وقرؤا التوراة ، قرؤا فيها آثاراليمن فهاموا بالآثار والمسلمون قرؤها فى سبأ فلم يلقوا لها بالا ، فهم كالغلامين فى المدينة والكنز تحت الحائط ، فأمرالخضرعليه السلام أن يظهرالكنز وهومال مخزون وعلم منقوش ، هكذا المسلمون اليوم يتامى وقد خزن فى بقاعهم العلم والمال فلم يسلمه الله لهم ، ولكنه اليوم أراد سبحانه أن يسلم اليهم الأمانة فأرسل أوّلا علماء الفرنجة فجاسوا خلال البلاداليمنية واطلعوا على الخزائن المخفية والنقوش الحجرية والكتابة المسمارية فرجعوا لبلادهم ناشرين واصور أعمال أجدادنا مظهرين وهاهوذا سبحانه أراد ولارادّ لقضاه أن يظهر القرآن بالمظهرالعلمى للعالم الاسلامى و يعلم أبناء المسلمين أن كتابنا الكريم يحضنا على بحث أعمال الأقدمين وان من لم يشكرالنعمة بتقبلها وحفظها يسلبها الله منه ، بل أقول فوق ذلك إن ذكرهذا المقال فى التفسير الآن من علامات اقبال الدهر على أمة الاسلام ، سيقرأ هذا الشبان المسلمون والشيوخ الشرقيون فتحدّثهم نفوسهم أن يرجعوا مجدهم و يحفظوا كنزهم و يدرسوا ماكمن فى أرضهم ، سيكون ذلك فى مصر وفى سوريا وفى العراق وفى اليمن ، وسيتولى الحثّ على هذا علماء الدين ، كيف لا . ألم تسم السورة باسم سبأ . ألم يذكر الله قصتها هنا ، نعم فبعلم الله وضعت الكنوز ورسمت النقوش ، و بعلم الله أخرجت وستخرج وبالوحى على رسول الله أنزل القرآن وفيه هذا السرّ المصون ، و بعلم الله جاء أمثال هذا التفسير ، فليبشر المسلمون باقبال الأيام وظهور الحكمة والعلم فى الاسلام ، فلأشرع فى المقصود فى هذا المقال ولأجعله ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾ ﴿ الأوّل ﴾ فى الكاشفين لآثار سبأ ﴿ الثانى ﴾ فى الكلام على مدينة مأرب ﴿ الثالث ﴾ فى الكلام على سد العرم

(المقصد الأول فى الكاشفين لآثار سبأ)

قد ذكرت لك فى أوّل السورة أن أوّل من خطر له ذلك العالم الألمانى (ميخايلس) وهوعالم بالفلسفة

والللاهوت

واللاهوت ومات سنة ١٧٩١ م وكان يميل الى نبذ التقليد ويحب أهل النظر وهو المقترح على ملك الدنمارك ارسال البعثة الى اليمن سنة ١٧٥٦ ليحقق مافى التوراة من المسائل المتعلقة بجغرافية الشرق وعادات الشرقيين

ياعجبا : انظر كيف ألهم الله الأمم أن تحفظ التوراة التى هى مجموع حوادث وقصص وكم فيها من خلط ، ولكن الله لا يبقى شيأ إلا لحكمة . فانظر كيف كانت التوراة سببا فى حب هذا العالم لكشف آثار اليمن . انظر كيف أحب القوم دينهم ولودخل قصصه التحريف . ومن حب الدين والمطالعة أحب كشف بلاد آبائنا . فماذا يقول المسلم بعد هذا . المسلم الذى يقرأ سورة سبأ والعربى المسلم ربما كان من نسل سبأ . بل العرب فى مصر والشام والعراق وشمال افريقيا والحجاز يمتون بالنسب والجوار واللغة الى سبأ إذ الجميع عرب فهذه الأمم كلها لم تفكر فى آياتها ولا فى بلادها ولا فى آثار دينها . ثم يجىء (ميخايلس) فيقول (لفريدريك الخامس) ملك الدنمارك : ﴿ شكل لجنة وابحث عن آثار سبأ ﴾ فأجابه الملك وأرسل خمسة علماء رئيسهم عالم اسمه (كارستن نيبوهر) . لماذا ؟ لتحقيق مافى التوراة عن اليمن . فماذا تم لهذه اللجنة ؟ سافرت فى سنة ١٧٦١ الى الاستانة ومرت بمصر ووصلت اليمن سنة ١٧٦٢ م . فماذا حصل ؟ ماتوا بالتدريج من المشاق والعطب إلا الرئيس فرجع وألف كتابا ونشر فى أوروبا وقال انه عثر على (مدينة ظفار) و (حداقه) وفيهما نقوش يجهل اليهود والعرب حلها . ثم سافر (زتسن) الألمانى الى اليمن سنة ١٨١٠ فعثر فى ظفار على ثلاثة نقوش وفى (نخلا) على خمسة وهو فى كل ذلك معرض للموت من عرب اليمن . ثم سافر ضابط انجليزى اسمه (ولستد) سنة ١٨٣٨ م فعثر على نقوش حميرية فى قلعة يقال لها (حصن غراب) ووجد هو ومن معه نقوشا من نفس مدينة مأرب التى كان فيها السد المشهور . ثم ذهب العالم (ارنو) الفرنسى سنة ١٨٤٣ وعاد ومعه (٥٦) نقشا كما تقدم من صنعاء والخريبه ومأرب وحرم بلقيس ، وكان (ارنو) هذا صيدليا لامام صنعاء فأشار عليه أحد أصحابه أن يحتال للوقوف على آثار مأرب التى يتحدث الناس عنها فى أوروبا والمسلمون لا يعلمون عنها شيأ مع انهم فى أرضها ، فاحتال بحيلة : وذلك انه أظهر الفقر والمسكنة للبدو واصطحب مع قافلة فقاسى فى تلك الرحلة العذاب والشدائد من الخوف والتعب ، وذلك انه مع غناه وثروته الطائلة قد تواضع لهؤلاء وهم يجهلون أمره فكانوا يكلفونه مالا يطيق من الأعمال والمشاق ، ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش أو يطبعها فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل حتى أصيب برمد فعاد الى صنعاء أعمى فأرسل ما كان نسخه الى صديقه (فرسنل) قنصل فرنسا بجدة الذى أشار عليه بذلك ، وقد نشرت أخبار تلك الرحلة بالمجلة الاسيوية ، وفى بعض الأجزاء خريطة سد مأرب ، وهو أول من تمكن من مشاهدة تلك الآثار وقد حل العلماء نقوش (ارنو) سنة ١٨٤٥

ثم شكلت ﴿ جمعية الآثار السامية ﴾ واهتم بذلك ناظر المعارف بباريس فأرسل المستشرق (هاليفى) سنة ١٨٦٩ مهتديا بمن قبله فرجع ومعه (٦٨٠) نقشا وهو فى ذلك خائف وجل من العرب ، وكان يتظاهر وهو ينقل النقش بأنه راقد أو بأنه يصلى صلاة الاسلام . كل ذلك خوفا أن يقتله العرب . واطلع (هاليفى) على بلاد الجوف مع ان علماء الجغرافيا يجهلونها وأهل صنعاء لا يعرفونها مع قربها منهم . ثم اطلع على بلاد (معين) عاصمة دولة المعينيين ولم يأت ذكرها إلا فى كتب اليونانيين

ثم سافر العالم الألمانى (ادوارد غلازر) ونقل ألف نقش من مأرب وغيرها وفى بعضها تاريخ سد مأرب واصلاحه . ثم سافر الى اليمن غير هؤلاء علماء فاتوا من فرنسا والنمسا . وبالجملة فان فى متاحف أوروبا الآن عددا كبيرا من آثار اليمن منها ماهو منقوش على البرونز والألواح والأحجار تزيد على ألفين قد نشر منها كثير فى المجلات الألمانية والفرنسية والانكليزية

هذه صورة ما كشفه الاوروبيون من آثار اليمن ذكرتها ليفطن المسلمون وليقوم فيهم النخوة والحمية وليكونوا أمة عالية الشان وليغاروا على مجدهم ودينهم . انتهى المقصد الأول

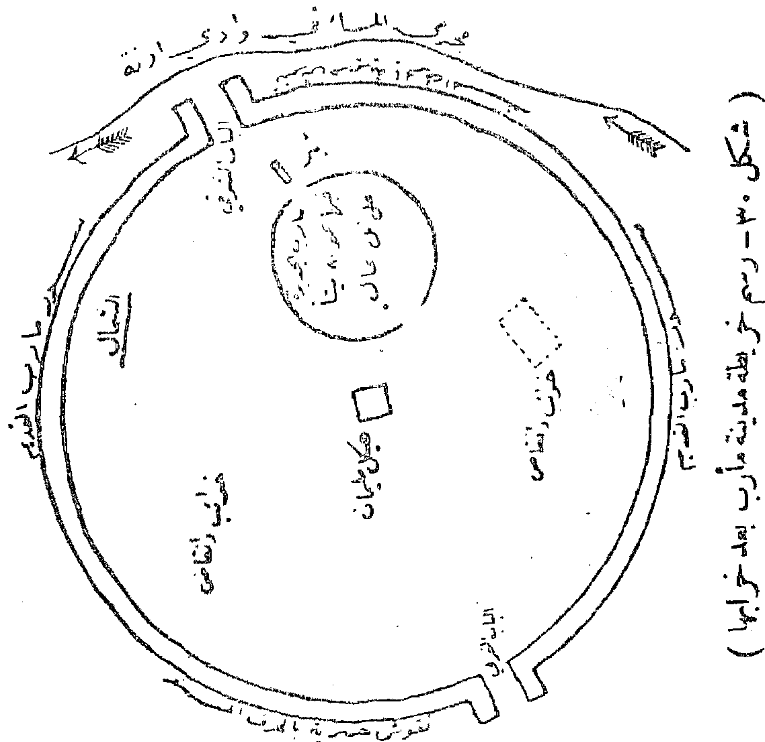
(المقصد الثانى فى الكلام على مدينة مأرب)

اعلم أن اليعقوبى فى القرن الثالث الهجرى ذكر مخاليف اليمن التى كانت فى عصره . وجاء الهمدانى فى كتابه « وصف جزيرة العرب » ففصل تلك المخاليف وقراها وأوديتها وجبالها وهذا الكتاب أوثق مصادر الكتب العربية وأوفاها . ولعلك تريد فهم المخاليف فأقول لك :

إن المخلاف وجمعه مخاليف أشبه بما يقال له (مديرية) بالقطر المصرى كالكورة عند قدمائنا أوالرستاق ويحكمه ملك صغير يسمى (قيل) جمعه أقيال . والمخلاف يشتمل على محافد جمع محفد أشبه بالمركز فى بلادنا المصرية فكل مخلاف مقسم الى تلك المحافد والمحفد الواحد عبارة عن قصور والقصر الواحد كالقلعة أوالحصن و يعرف صاحب المحفد بلفظها (ذو) فيقال ذوغمدان وذويمين وهؤلاء الحكام يسمون الأذواء أوالذوين كاللوردات فى أوروبا وقد يتغلب رجل منهم فيسمى نفسه ملكا عليهم جميعا و يتوارث الملك بنوه والذى عرف الآن ثلاثة الدولة المعينية والسبئية والحميرية وهى الدول الكبرى . أما الدولة المعينية فلاشأن لنا فيها . وأما دولة سبأ فهى الدولة التى نحن بصددها الآن . واعلم أن التاريخ الذى وصل لنا عن تلك الدول غيرموثوق به وهومبعثر وغير منظم . وانما يقال ان قحطان أبواليمن كاها وقدأتى من جهة بابل وتعلم اللغة العربية من العرب البائدة . ولعل القحطانيين لما جاؤا من بلاد مابين النهرين وهم لم تدنسهم المدنية والترف اختلطوا بالعرب البائدة وتعلموا منهم على طول القرون والسنين ثم عدّوا عربا . وقدثبت الآن أن أهل سبأ أنشأوا دولة عظيمة و بلغ عدد ملوكها الذين قرؤهم على آثار مأرب وصرواح وغيرهما بضعة وثلاثين ملكا . وقد حقق بعض العلماء أن دولة سبأ تبتدئ سنة ٨٥ ق . م وتنتهى سنة ١١٥ ق . م ثم ظهرت دولة حمير . أما دولة حمير فقد كانت من سنة ١١٥ ق . م الى سنة ٥٢٥ ب . م وآخرها دونواس وحكمها ٦٤ سنة ثم دخل الحبشة

ودولة سبأ التى كلامنا فيها كانت عاصمتها لما اتسع ملكهم (مأرب) التى كشفت حديثا بعد نقلها من (صرواح) وقد وجد فى نقشها رسم ملك اسمه (يثعمر) وهاك رسم خريطة مدينة مأرب (انظر شكل ٣٠)

﴿ خريطة مدينة مأرب بعد خرابها ﴾



(شكل ٣٠ – رسم خريطة مدينة مأرب بعد خرابها)

هذه

هذه خريطة مدينة مأرب القديمة وتسمى (عاصمة سبأ) وقد عرفت أن لها بابين أحدهما شرقي والثاني غربي
* قال الشاعر

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الأحمر

وهناك أشعار كثيرة قيلت فيها أعرضنا عن ذكرها . وهناك على مسافة نصف ساعة من مأرب نحو الشرق الشمالي أنقاض بناء عظيم يقال له (حرم بلقيس) وهو غير قصر بلقيس

ها أنت ذا رأيت خريطة مدينة مأرب عاصمة سبأ التي ذكرها الله في القرآن ، ثم انظر في كتب التاريخ العربية هل تجد لدولة سبأ ذكرا ؟ هل هناك دولة اسمها سبأ . كلا . انظر كيف يقولون « إن عرب اليمن ينسبون الى يعرب بن قحطان » ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم تعرّبوا أي اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة وهي البائدة ، ويقولون إن بني قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والملك والقحطانيون كانوا لا يعرفون الملك والترف ثم كثروا وزاحموا العرب العاربة فأبادوهم وأنشأوا الدولة القحطانية على أنقاض البائدة ويقولون ان أوّل ملوكهم يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد في اليمن والعمالقة في الحجاز وولى اخوته على جميع أعماله ، فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشحر وحضرموت بن قحطان على جبال الشحر وعمان بن قحطان على عمان (انظر ابن خلدون) وبعده ابنه يشجب بن يعرب ثم عبد شمس وهو سبأ لأنه كان كثير السبي ، وهو الذي بنى السد المشهور في أرض مأرب ، وخلف سبأ المذكور أولادا منهم حمير وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه حمير مؤسس دولة حمير ودولة حمير « طبقتان » الملوك والتبابعة وملوك حمير آخرهم (الحارث الرائش) وهو أوّل التبابعة ، ويقول بعضهم إن بين حمير والحارث الرائش (١٥٠) أبا وفي القصيدة الحميرية عددهم جميعا (١٦) فقط وجعلها أبو الفداء (١١) وابن خلدون (٨) والمسعودي (٥)

وأما التبابعة عند مؤرخي العرب قدمائنا فأوّلهم الحارث الرائش وآخرهم (ذوجدن) وعددهم (٢٦) تبعا حكموا (١٧٠٠) سنة

وهناك خلط وخبط في هذه السنين والأعداد كما قاله نفس المؤرخين . ولذلك تقول مالنا ولهذا التحقيق والتدقيق وما لتفسير القرآن وأمثال هذه الجداول . أقول على رسلك : فكر في أسماء الدول ، هل رأيت هناك دولة تسمى (دولة سبأ) . كلا . وانما هي دولة حمير الذي أبوه سبأ ودولة حمير بعد قرون انقلبت الى التبابعة فالمدة كلها تقرب من أربعة آلاف سنة ما بين حميريين وتبابعة ، والتبع هو الملك الذي تبعه ملوك كالأمبراطور الآن ، وليس هناك في تاريخ أسلافنا دولة سبأ البتة ، انظر كيف ذكر القرآن (سبأ) ولم يذكر حمير ، خالف القرآن قول المؤرخين ، خالفهم كل المخالفة وجاءنا بدولة (سبأ) اظهارا للحقيقة ، ولقد ظهرت الآن وتبين أن دولة سبأ هي التي أغارت على أمة يقال لها (معين) لم تذكر في التاريخ وهذه الدولة عمرت طويلا كما رأيت وانتقلت العاصمة من مأرب الى ريدان وهي ظفار بتغلب الحميريين على الملك . من هنا تبين لك أن القرآن يوافق الكشف الحديث ، وقد كان ذلك مجهولا (١٣) قرنا وظهر الآن فهو من المعجزات للقرآن . انتهى المقصد الثاني

(المقصد الثالث في الكلام على سد العرم)

قد عرفت مدينة مأرب وانها كانت عاصمة دولة عظيمة وهي دولة سبأ ، وترى في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال متشعبة من جبل السراة تمتد مئات الأميال نحو الشرق الشمالي ، وبين هذه الجبال متسع عظيم يتجه الى واد كبير يقال له (الميزاب الشرقي) فاذا أمطرت السماء على تلك الأقطار انتهت أخيرا الى وادي (أذنه) وهو يعلو (١١٠٠) مترا عن سطح البحر فتسير فيه المياه الى مكان قبيل مأرب بثلاث ساعات

وهومضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق ، أحدهما الأيمن والآخر الأيسر كما عبر القرآن وأخذها عنه المرحوم (جورجي زيدان) والمسافة (٦٠٠) خطوة بينهما ، والسيل يجرى بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي في واد هو (وادي أذنه)

ولما كان هذا الماء يجرى من الجنوب الى الشمال بلا فائدة فكر السبئيون في ذلك فبنوا (سد العرم) في المضيق بين جبلى (بلق) وبين المضيق والمدينة (٣٠٠) ميل مربع فأصبحت جنات بسبب هذا السد ، وهذا السد طوله من الشرق الى الغرب ثمانمائة ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعا وعرضه (١٥٠) ذراعا

وثلثه الغربي وهو الأيمن لايزال باقيا للآن معجزة للقرآن (انظره في الخريطة) والثلثان الباقيان فاض الماء منهما وعجزوا عن ترميمهما . وترى النقط في الخريطة لحديهما . وما مثل العرم إلا كمثل الخزانات التي تصنع اليوم في مكوار على النيل الأزرق وجبل الأولياء على النيل الأبيض وخزان (اصوان) فيعلو الماء فيسقى الأرض . واذا ترك ذهب الى البحر الأبيض المتوسط كما يجرى الماء بين الجبلين هناك ويذهب في الشمال والرمال بلافائدة

هذا وقد عثر الباحثون على ﴿ نقشين * أحدهما ﴾ على الصدف الأيمن وهو ﴿ ان يشعمر يبين بن سمههلى ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق و بنى مصرة رحب لتسهيل الرى ﴾ والنقش الثاني على الصدف وهو ﴿ ان سمههلى ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق و بنى رحب لتسهيل الرى ﴾ فأحدهما ابن الآخر وكانا في القرن الثامن قبل الميلاد وهكذا بتوالى ملوك سبأ تم بناؤه . ولما أعياهم حفظ السد تفرقوا في البلاد كما ذكره القرآن

قال الأصفهاني « إن السد تهدم قبل الاسلام بأربعمائة سنة » وقال ياقوت « انه هدم في نحو القرن السادس للميلاد » أي قبيل الاسلام ويؤخذ من كلام ابن خلدون انه تهدم في القرن الخامس للميلاد ولاطائل في هذا النقل إلا معرفة ما قاله المؤرخون

﴿ الهمداني وسد مأرب ﴾

إن وصف الهمداني لسد مأرب مطابق للكشف الحديث وربما كان يقرأ المسند . قد ذكر الآية ـ لقد كان لسبأ ـ الى قوله ـ ورب غفور ـ . قال : ﴿ إن سبأ كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان أي لازرع فيهما . وانما عفتا لما اندسق السد فارتفع عن أيدى السيول . وذكر انه وجد جذع نخلة أسود فقال من معه له انه بقي من مزارع الجنتين . فأما هو فقال لاأظن ذلك . قال ورأيت مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع قائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد الصدفين وهوالذي يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما يكون ولايتغير إلا ان شاء الله . قال وقد بقي من العرم شئ مما يلي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله (١٥) ذراعا ﴾

وقال تبارك وتعالى ـ فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ـ قيل الخمط الاراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف وهو العلب وبها من الاراك ماليس ببلد . ومن الحمام المطوق في الاراك مايجل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن (من عروش وجوانب ردمان وشرعة وذمار وجهران وكومان واسبيل وكثير من مخاليف خولان) والوادى اسمه (اذنة) وفي هذا السد يقول الأعشى:

كفى ذاك للمؤتسى أسوة * ومأرب قفى عليها العرم
رخام بناه له حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم
فأروى الحروث وأعنابهم * على ساعة ماؤهم ينقسم

فعاشوا

فعاشوا بذلك فى غبطة ✫ فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيالها ✫ بيهماء فيها سراب يطم

وكان العرم مسندا الى حائط ما بين عضاد بالمذخر بعاذيب من الصخر عظام ملحمة ملس الأساس بالقطر »
انتهى كلام الهمدانى

وظل الناس مع ذلك فى شك من أمر هذا السد حتى تمكن المستشرق الفرنساوى أرنو من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣ وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت فى المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٧٤ وزار مأرب بعده هالبفى وغلازر ووافقاه فى قوله وصادقا على وصفه وهو يطابق ماقاله الهمدانى من أكثر الوجوه . وعثروا فى أثناء ذلك على نقوش كتابية فى خرائب السد وغيره تحققوا بها خبره وأكثرهم اشتغالا فى هذا السبيل غلازر وبين الاساطير التى وقف عليها اثنتان جاء فيهما خبر ترميم السد فى زمن الأحباش بالقرن السادس للميلاد فيدل ذلك على أنه ظل قائما الى قرب ظهور الاسلام . ولعل السبب فى نسبة بنائه وتهدمه الى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه فكانوا يعدون كل تصدع تهدما وكل ترميم بناء

و بعد ماقدمناه من أقوال المؤرخين والنقابين بشأنه يحسن بنا الاتيان على أصل وضعه وماهو عليه الآن ويوضح ذلك (شكل ٣١ و (شكل ٣٢) الآتيان قريبا

﴿ أصل وضع سد مأرب ﴾

فى الجنوب الغربى من مأرب سلسلة جبال هى شعاب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالى . و بين هذه الجبال أودية تصب فى واد كبير يعبر عنه العرب بالميزاب الشرقى وهو أعظم أودية الشرق تمييزاله عن ميزاب مور أعظم أودية الغرب المتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقى كثيرة تتجه فى مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالى . وأشهر جبالها ومواضعها فى ناحية رداع العرش وردمان وقرن والجبال المشرفة على سويق وفى ناحية ذمار بلد عنس جميعا وهو مخلاف واسع و به بينون وهكر وفيها المحافد العنسية و بلد كومان و بلد الحدا وجبل أسبيل وورجة وجبال بنى وابش من مراد وغيرها ومخلاف ذى جرة وجهران وهران ومساقط بلد خولان من جنو بية وماتيامن من القحف (١)

فشعاب هذه المواضع وأوديتها اذا أمطرت السماء تجمعت فيها السيول وانحدرت حتى تنتهى أخيرا الى وادى اذنة وهو يعلو نحو ١١٠٠ متر عن سطح البحر فتسير فيه المياه نحو الشرق الشمالى حتى تنتهى الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن أحدهما بالأيمن وعن الآخر بالايسر والمسافة بينهما ستمائة خطوة (أو ذراع) و يسميهما الهمدانى مأزمى مارب يجرى السيل الاكبر بينهما من الغرب الجنوبى الى الشرقى الشمالى فى واد هو وادى أذنة

واليمن مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقى أهلها من السيول التى تجتمع من مياه المطر . فاذا أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعا فى الرمال . فاذا انقضى فصل المطر ظمىء القوم وجفت أغراسهم فكانوا إما فى غريق أو فى حريق قلما ينتفعون حتى فى أيام السيل من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فينالهم من أذاه أكثرمما ينالون من نفعه . فساقتهم الحاجة الى استنباط الحيلة فى اختزان الماء ورفعه الى سفوح الجبال وتوزيعه على قدر الحاجة . فاختار السبأيون المضيق بين جبلى بلق و بنوا فى عرضه سوراعظيما عرف بسد مأرب أوسد العرم الذى نحن فى صدده لرى ماتجاور مدينتهم (مأرب) من السهول أو سفوح الجبال

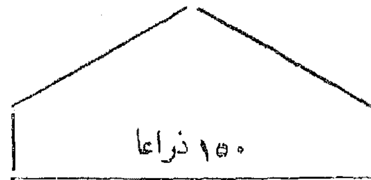
والجبلان المذكوران بعد أن يتقاربا عند بلق ينفرجان و يتسع الوادى بينهما . وعلى ثلاث ساعات منهما نحو

(١) الهمدانى ٨٠

الشمال الشرقي مدينة (مأرب أوسبا) في الجانب الغربي أو الايسر من وادي اذنة . فاذا جرى السيل حاذى بابها الشرقي (راجع الخريطة شكل ٣٠) و بين المضيق والمدينة متسع من الارض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء قاحلة فاصبحت بعد تدبير المياه بالسد غياضا و بساتين على سفحي الجبلين وهي المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنة اليمني والجنة اليسرى

﴿ رسمه وكيف ينصرف الماء منه ﴾

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخم أقاموه في عرض الوادي على نحو ١٥٠ ذراعا (أوخطوة) نحو الشمال الشرقي من المضيق وسموه «العرم» وهو سد أعم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلوه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال نحو ثلثه الغربي أو الأيمن باقيا الى الآن كما ترى في الخريطة شكل ٣٢ (ج د ف ه) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منهما وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول انقاضهما . وقد نقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان في أصله بعرض الوادي و يظهر مما شاهدوه في جزئه الباقي انه مبني بالتراب والحجارة ينتهي أعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ولو قطعت ذلك الحائط أو السور قطعا عرضيا لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة



فالعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض و يصده عن الجرى فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها في خزان أصوان باعالي النيل . و ينتهي العرم في طرفيه بمصارف للماء يختلف شكلها وأسلوبها عن مصارف خزان أصوان . وذلك أن الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنية من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ ينصرف منها الماء الى احدى الجنتين اليمني أو اليسرى

فانشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرقي الجنوبي) وهو جبل بلق الايمن بنائين بشكل المخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين أحدهما (١) قائم على الجبل نفسه والآخر (٢) الى يساره و بينهما فرجة عرضها خمس أقدام . وقاعدة الايمن منهما تعلو قاعدة الايسر ثلاث أقدام (انظر رسمهما في طرف الخريطة الى اليسار) والايسر مبني من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤٠ ذراعا ينتهي في العرم نفسه و يندغم فيه . وعلو الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم

وفي جانب كل من الصدفين المذكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا في الصدف الآخر . والميزابان مدرجان أي في قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الأخرى . ونظرا لشكل الصدفين المخروطي ولما يقتضيه شكل الميزاب السلمي أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أقصر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب في الخارطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

و يظهر من وضع المخروطين أو الصدفين على هذه الصورة ان أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الى سفح جبل بلق الأيمن فيسقي الجنة اليمني . وانهم كانوا يقفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل في الميزابين عرضا كل عارضة في درجة فتكون العارضة السفلى أقصرها جميعا

(١) هذا من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ناقلا عما رمزله بحروف (أ م أ) صفحة ١٢٧

فوقها

فوقها عارضة أطول منها فاطول الى العليا وهى أطولها جميعا . والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تتراكب فيه أو تتداخل حتى يتألف منها باب متين يسدّ المصرف سدّا محكما يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء فى علوه الى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجرى الماء على ذلك العلو الى سفح الجبل فى أقنية معدة لذلك وتقر أو أحواض لخزن الماء أو توزيعها فى سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه الى مساواة العارضة الثانية فيقف فتى أرادوا ريا آخر نزعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة

وفى الطرف الايسر من العرم وهو الغربى الذى ينتهى بالجنة اليسرى بناء كالحائط (س ط م) دعوناه السد الايسر عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعا وطوله نحو ٢٠٠ ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان ايمنان (٣ و ٤) أحدهما (٣) متصل بالعرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لصرف الماء الى الجنة اليسرى . وينتهى العرم من حده الغربى بحائط منحلى الشكل (د ف) مبنى بحجارة منحوتة صلبة لعله الذى يسميه الهمدانى « العضاد »

فكان السيل اذا جرى فى وادى اذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلى بلق صده العرم عن الجرى فيتعالى ويتحول جانب منه نحو اليسار الى السد الأيسر . فاذا أرادوا رى الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة واذا أرادوا رى الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجرى الماء فى أقنية وأحواض فى سفح الجبل الأيسر حتى يأتى مأرب لانها واقعة الى اليسار كما تقدم

وسترى فى (صحيفة ١٧٢) وهى الصفحة التالية رسم (خريطة بلاد العرب) فى أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى السادس بعده . وسترى أيضا فى (صحيفة ١٧٣) رسم خريطة سدّ مأرب أو سيل العرم (انظر شكل ٣١) و (شكل ٣٢)



﴿ خريطة بلاد العرب ﴾

(شكل ٣١)

(رسم خريطة بلاد العرب فى أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى السادس بعده)

شكل

﴿ خريطة سد مأرب أو سيل العرم ﴾

(شكل ٣٢)

(رسم خريطة سدّ مأرب أو سيل العرم)

هاأنت ذا أيها الذكيّ اطلعت على سد مأرب وهو سدّ العرم وعرفت مدينة مأرب وعرفت أن دولة سبأ لم تكن معروفة فى تاريخ أسلافنا ، فانظر كيف جاء الكشف الحديث كما فى القرآن ، وانظر فى كتب التفسير التى وصلت الينا كالزمخشرى والرازى والبيضاوى وأمثالها التى ألفها الفحول من العلماء ، كيف مروا عليها رحمهم الله ولم يذكروا غير تفسير يرجع أكثره الى لفظ القرآن

أفلاترى انا جئنا فى عصر نسميه بحق عصر القرآن ، هذا العصر الذى يظهر فيه بأجلى بيان هذا السدّ كما رأيت . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وانظر كيف يقول علماء التاريخ ﴿ إن اليونان لم يعرفوا اسم حمير قبل السنة العشرين قبل الميلاد ولم يكونوا يعرفون إلا سبأ لشهرتهم ﴾ وانظر كيف كان أسلافنا لايعرفون إلا الحميريين والتبابعة وجاء القرآن بما هو حق فى التاريخ

(عجائب القرآن فى العصر العشرين)

يقصّ الله علينا قصص طوفان نوح . ويقص علينا قصص سدّ العرم . ويقول إن سبأ أعرضوا وتارة يقول كفروا . فماذا جازاهم ؟ جازاهم بخراب الديار . لماذا هذا الجزاء ؟ لتفريطهم فى السدّ

سبحانك اللهم أنت الربّ المحمود فماذا هذا فى دين الاسلام ؟ هذا هو المسمى فرض كفاية وماهو فرض الكفاية ؟ هو أن يقوم فى الأمة أناس لكل عمل من أعمال الحياة فيحسنونه والا عوقب الجميع . ويقول امام الحرمين ﴿ فرض الكفاية أفضل من فرض العين ﴾ وأىّ منفعة للأمم أكثر من الماء والأنهار

فانظر ماذا كتبت بعض مجلات مصر لما طغى النيل سنة طبع هذه السورة إذ ذكرت أن نهر المسيسيبى كاد يهلك الأمة فاجتمعوا لدرء خطره . أليس هذا هو الذى أنذره نوح قومه . وهذا هو الذى أهلك سبأ ! إذن القرآن يجعل اهمال أعمال الدولة تارة كفرا وتارة اعراضا ويجازى بالهلاك . والمراد بالكفر كفر النعمة وجزاؤه فى الدنيا الهلاك وفى الآخرة العذاب . إذن فى القرآن أسرار تظهر اليوم بالعلم . فانظر المقال التالى وهاك نصه :

(عبرة لمصر والمصريين)

(كارثة فيضان نهر المسيسبى — بمناسبة ارتفاع مياه النيل فى نحو سنة ١٩٢٨)

مضت أسابيع والأنباء تترى بارتفاع مياه النيل ارتفاعا لم تألفه مصر من قبل وقدبات يهدّد المدائن والقرى والارواح والأملاك . ولقد اتخذت الحكومة لهذا الأمر الخطير أهبته بقدر ماتستطيع حكومة أن تفعل وانا لنسر إذ نراها تعمد الى بعث قانون (العونة) لحراسة الجسور والى انشاء خط دفاع ثان يقى البلاد غوائل الفيضان ولكنا الى جانب ذلك نحزن إذ نرى الأهالى يتبرّمون بهذين الاحتياطين ويرون فى الأوّل تسخيرا للناس فيما لايليق بكرامتهم أن يسخروا فيه ويرون فى الثانى تبديدا لأموال طائلة فى سبيل اتقاء خطر غير موهوم . ولاشك أن أولئك المتبرّمين لايدركون ماقد يصيبهم من الرزايا فى أموالهم وأرواحهم لوفاض النيل وتقطعت جسوره وتدفقت مياهه تغمر الأرض وتكتسح الزرع والضرع ولاتبقى ولاتذر ويجهلون أن جسور النيل الرخوة قد تكون أوهى جسور الأنهر الكبيرة فى العالم وان أراضى مصر سهل اذا جرى فيه الفيض لايجد جبلا يصدّه أوتلا يحمى وراءه قرية أومدينة . والواقع انه أصبح من أوجب الامور على الحكومة أن تنظم من الآن طرق وقاية البلاد بتدعيم الجسور تدعيما يضمن دفع ذلك الخطر كما أصبح من أوجب الامور على سكان وادى النيل أن يلبوا دعوة الحكومة متى دعتهم ليعاونوها بكافة ما يستطيعون لتقوية الشاطئين . ولكى يدرك الناس أهمية ماتدعو الحكومة وتدعوهم اليه نصف لهم كيف حلت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عامين تلك الكارثة الهائلة التى ترتبت على فيضان نهر المسيسيبى حتى اذا ما أدركوا مدى الأخطار التى تنجم من اهمال الجسور

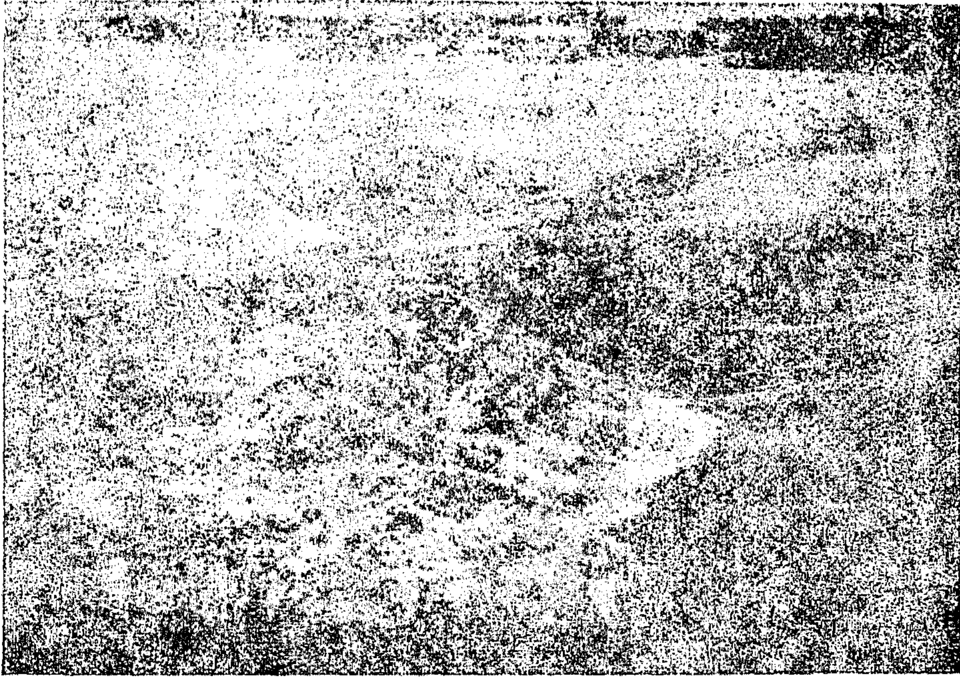
هرعوا

هرعوا الى القيام بما تمليه عليهم تلك الأخطار من الاحتياطات

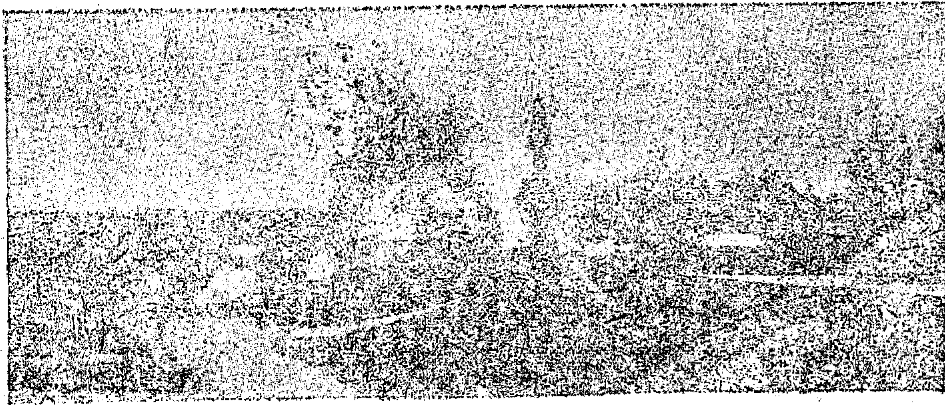
نهر المسيسيبي أكبر أنهار الدنيا طولا وعرضا . يبلغ طوله خمسة آلاف كيلومتر . ويبلغ عرضه من ألف الى ألف وخمسمائة متر ولكنه يتسع فى بعض الأماكن حتى يبلغ خمسة وثلاثين كيلومترا . وتسير مياهه سيرا وئيدا من الشمال الى الجنوب فتشطر الولايات المتحدة شطرين متساويين وتقطع الموجة المسافة بين المنبع والمصب فى ستة أسابيع وتتجمع هذه الكميات الهائلة من المياه عند المصب الضيق الذى لا يتجاوز عرضه سبعمائة وخمسين مترا ثم تنصب فى خليج المكسيك بمعدل ثمانين ألف متر مكعب فى الثانية الواحدة . أما الخطر الذى يهدد الولايات المتحدة كل عام فناشئ عن غزارة مياه النهر واتساع مساحة حوضه مع ضيق مصبه ضيقا يجعل تلك الكميات العظيمة من الماء تتجمع بوفرة مخيفة عند هذا المصب فتصد ماوراءها فترتفع المياه وتفيض على الجانبين أحيانا وأحيانا لا تقوى الجسور على تحمل ضغطها فتتقطع وعندئذ تتدفق المياه بقوة تجرف كل ما تصادفه فى طريقها ، ولقد حدث فى عام ١٩١٣ أن فاض المسيسيبي فبلغت الخسائر فى (مقاطعة الاوهيو) وحدها أربعة وعشرين مليونا من الجنيهات وهلك من الأنفس البشرية خمسمائة ، وهذه الكارثة مع فداحتها لا تعد شيأ يذكر اذا قيست الى الكارثة التى حلت بأمريكا عام ١٩٢٧ م والتى نحن بصددها فى هذا المقال

لاحظ السكان فى ربيع سنة ١٩٢٧ م أن الأمطار تهطل بغزارة لم يروا مثلها من قبل وأن الثلوج تنهار من أعالى الجبال وتذوب بسرعة غير مألوفة ثم تهوى الى نهر المسيسيبي فتزيد مياهه ارتفاعا ، ولاحظوا أيضا أن فروع النهر قد علت مياهها بنسبة لم يعهدوا لها مثيلا ولكنهم ظلوا رغم هذه العلامات الخطرة آمنين مطمئنين معتمدين على متانة الجسور وقوتها . والحقيقة أن جسور المسيسيبي من أقوى وأضخم المشروعات التى حققتها يد الانسان فى العصور الحديثة ، فهى تمتد على طول النهر وترتفع الى عشرة أمتار فوق سطح الماء فى الأوقات العادية وتتسع حتى يبلغ عرضها خمسين مترا . ويسهر على رعايتها ومراقبتها بضعة آلاف من العمال ، وقد نصبت بين كل مسافة وأخرى آلات التلغراف والتليفون وأقيمت محطة رئيسية تتصل بجميع المحطات الأخرى فى وقت واحد لتنبهها الى الخطر فى الوقت المناسب ، ولا يمر أسبوع إلا ويطوف المهندسون يرتادون الجسور لفحصها ، وقد خصصت الحكومة عدة ملايين من الجنيهات تقتطعها كل عام من ميزانيتها لحساب تلك الجسور

ظل السكان آمنين مدة أربعة وعشرين عاما حتى كانت سنة ١٩٢٧ فخاب اعتمادهم على قوة منشآتهم وأيقنوا أن قوة الطبيعة أكبر من أن تغالبها قوة الانسان ، ففى السادس عشر من شهر ابريل نقل البرق الى واشنطون أن النهر قد خرج من مجراه فظن أولوا الأمر أن الخطب يسير وأملوا أن يتداركوه ، ولكن الفيضان كان يزداد من ساعة الى أخرى حتى أضحت الوسائل المقامة لصيانة الجسور عديمة الجدوى لا تفيد ، وتحول الفيضان الى كارثة لم يسمع بمثلها بنو الانسان ، لم يمض يومان حتى غمرت المياه سبع ولايات وحتى بانت مساحات كبيرة من الميسورى والاركنساس وكنتوكى وتنيسى ولويزيانا وتكساس تحت الماء ، ثم انحدرت مياه النهر على الأراضى الزراعية فغطتها وكونت فوقها طبقة مائية ذات ارتفاع يبلغ ثمانية أمتار ، وقد انجلى السكان عن ثلاثين مدينة وتركوا مئات من القرى نهبا للماء الذى ظل يرتفع ويغذى فروع النهر حتى انهارت جسورها هى الأخرى وعند ذلك جل الخطب وعظم المصاب (انظر شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ فى الصفحة التالية)



(شكل ٣٣ ــ مياه نهر المسيسبي ترتفع على الجانبين بالقرب من (نيو أورليانز) وقد ارتفعت على المنازل وأغرقت القرى)



(شكل ٣٤ ــ نسف أحد جوانب المسيسبي حتى تتدفق المياه من الفتحة التي يحدثها النسف الى سهل مجاور للنهر فيخف الضغط عن (نيو أورليانز) وتنجو من الغرق)

وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تتعاون فى التخريب والتدمير فقامت زوابع وهبت عواصف قطعت أسلاك التليفون والتلغراف وعطلت وسائل المواصلات بين الولايات المنكوبة وجاراتها وقضت على كل محاولة للانقاذ ، أفرغت الحكومة قصارى جهدها لحصر الكارثة وتخفيف آثارها فسيرت القطارات السريعة تحمل فيالق كاملة من الجيش تحفظ النظام بين المنكوبين وتعاون السكان والعمال فيما يحتاجون الى المعاونة فيه . وسيرت أسراب الطيارات تحمل الأطباء والعقاقير والمؤن لاسعاف الضحايا والمصابين . ولكن الحالة تفاقمت باطراد ارتفاع الماء حتى أبلغ المهندسون حكومتهم « أنها اذا لم تبذل أكبر الجهود وأضخم النفقات لتحاصر الفيضان فستبلغ الخسائر فى الأرواح والأموال مبلغا لاتحصيه الأرقام »

وقد

وقد كان ماخاف المهندسون أن يكون و بلغ الفيضان أشدّه وتدفقت سيول النهر تكتسح فى طريقها المدائن والقرى والكبارى والعمائر والجسور حتى بات أكثر من مائتى ألف نفس من سكان مناطق المسيسيبى بلامأوى ولاما كل وطفت الجثث البشرية تغطى سطح الماء

رأت الحكومة الأمريكية نفسها عندئذ عاجزة عن مقاومة هذه الكارثة اذا هى اقتصرت على مالديها من الوسائل فأصدر الرئيس (كوليدج) نداء ناشد فيه الشعب الأمريكى أن يهبّ بأسره ليشترك فى عملية الانقاذ فتقاطر المهندسون والبناؤن والعمال والأطباء والممرّضون من كل صوب وأقبلوا جميعا يلبون نداء الحكومة و يسعفون اخوانهم المنكوبين وأشرف رئيس الجمهورية ووزراؤها على اجرآت المقاومة والاعانة وظنّ الناس أن هذا الجهد العظيم لامحالة منتج خيرالنتائج ، ولكن ما الذى تستطيعه حيل الانسان اذا تألبت عليه عناصر الطبيعة العمياء ؟

أخذت الأمطار تهطل طوفانا فى المناطق الشمالية فتزيد مياه النهر ارتفاعا ، والريح الصرصر العاتية تهبّ بعنف فتهدم كل وسائل المواصلات بين المناطق المنكوبة وسائر بلاد الدولة فاشتدّت وطأة الفيضان على الأرض ، واشتدّت أيضا وطأة المجاعة على الناس وارتدّت أسراب الطيارات على أعقابها بما حملت من أقوات وملابس وعقاقير وهى لاتقوى على مقاومة العواصف والأعاصير الهوجاء ، وهكذا بقيت مئات الالوف من الناس لايجدون كهفا يلجؤن اليه ولالقمة يتبلغون بها ، وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تمعن فى التنكيل بهم فأرسلت عليهم موجة من البرد أودت بحياة الكثيرين ، ولقد كان السكان يفرّون أمام الماء والماء يتعقبهم حتى التجأ ستة آلاف شخص الى لسان من الأرض ظنوه يعصمهم من الطوفان الذى يطالبهم ولكن سرعان ما أحاط بهم الماء وكاد يبتلعهم لولا أن تداركتهم همة الحكومة بفيلقين من الجيش أنقذاهم من بين براثن الموت ، ولكى يدرك القارىٔ ضخامة الوسائل التى عمد اليها الشعب لمعاونة الحكومة نقول : إن جمعية الصليب الأحمر وحدها استخدمت أربعين ألف سيارة وخمسين ألف سفينة مابين تجارية وذات شراع ، وان الأهالى قدموا للحكومة كل ما يملكون من سيارات وعربات وخيول وزوارق وسفن حتى أصحاب اليخوت الجليلة لم يضنوا بها ووضعوها تحت تصرّف المنقذين ، ولقد كان المنقذون يخاطرون بأرواحهم كلما زجوا بأنفسهم فى المناطق المغمورة بالمياه حتى ان سفينة كبيرة غرقت بربانها و بحارتها وهى تحاول انزال كمية من الأسمنت لمحاصرة الفيضان ، والى هنا قدّرت الخسارة المادّية بمائتى مليون من الجنيهات ، ولو وقف الخطب عند هذا الحدّ لهان ، ولكن ماوافى اليوم السابع والعشرون من شهر ابريل حتى بدأ الفيضان يهدّد المدن الكبرى فانتقل رئيس الجمهورية ووزراؤه الى مكان الفاجعة وهناك ألفوا مدينة اركنساس غارقة لايبدو منها غير سطوح المنازل والقباب وألفوا المياه تنذر مدينة (نيوأورليانس) بنفس هذا المصير ، عندئذ استولى الذعر على النفوس ووجدت الحكومة نفسها بين «أمرين» إما أن تترك المدينة العظيمة فريسة لطغيان النهر ، واما أن تحوّل جريان السيل الى الأراضى الزراعية فتضحى بثروة لاتحصى و بمحاصيل اذا ضاعت آذنت البلاد بنقص فى الأقوات لايقدّر ، وكان الفيضان يقترب والآزفة تأزف ، وقد عجز مائة وخمسون ألف عامل عن تحويل مجرى الماء وبدأت المنازل تتهدّم مئات مئات ، وارتفع الماء فوق سطح الأرض خمسة أمتار ، ورفرف الموت بجناحيه على (نيوأورليانس) الزاهرة الغنية بما تحويه من الثروات وكنوز الفنون ، عندئذ لم تتردّد الحكومة فى اختيار أخفّ المصيبتين وأصدرت الأوامر لنسف الجسور بالديناميت حتى تتدفق منها المياه الى المزارع والحقول ولكن الحكومة إذ أصدرت تلك الأوامر لم تفكر فيما ستلقاه من مقاومة أصحاب هذه المزارع والحقول . فما اتصل بالزارعين والملاك نبأ اعتزام الحكومة نسف الجسور فى سبيل المحافظة على مدينة لازرع لهم فيها ولا ضرع حتى هبوا صفوفا مسلحة ينذرون حكومتهم بالحرب اذا هى لم تعدل عن عزمها الخطير . ولكن الحكومة

بادرت فاتخذت لهذا الطارئ الجديد عدّته فأرسلت اليهم الجنرال (باركر) على رأس جيش كبير . وأعلنت الأحكام العرفية ونصبت قائد جيشها حاكما بأمره يحكم بما يقتضيه الموقف من الحزم والصرامة وصرحت انها ستحل النظام محل الفوضى مهما كلفها الأمر وأمهلت الثوّار نصف يوم ليلقوا السلاح . ولكن ذهبت كل هذه الاجراآت سدى وهبّ المزارعون يدافعون عن أموالهم فنشبت بين الفريقين معارك حامية استعمل فيها الفلاحون القنابل والمتراليوزات وانتهى الأمر بانتصار جيش الحكومة ونسفت الجسور فى ثمانية وأربعين مكانا وعلى طول بضعة كيلومترات وقد استخدم فى هذه العملية وحدها عشرة آلاف من العمال ، وهكذا استطاع أولو الأمر أن ينقذوا مدينة (نيوأورليانس) بتضحية مائة وخمسة وسبعين ألف كيلومتر مربع من الأرض ملآى بالمحاصيل والخيرات وبحرمان خمسمائة ألف نسمة من الأقوات والأرزاق وبمحو عشرات من المدن ومئات من القرى من فوق سطح المعمورة وبتحويل هذه المساحات الشاسعة العامرة الآهلة الى بحر ما كان نوح ليجرأ أن يجرى عليه بسفينته ، وهاقد مرّت على الفاجعة سنتان وقد أقلعت السماء وبلعت الأرض ماءها وعادالناس يستوون على هذه الأرض التى كانت بالأمس عمرا فغدت قفرا يحاولون أن يصلحوا ما أفسد الدهر ولكن كم يمضى من السنين حتى تسترد هذه الخرائب عزّها البائد وزهوها الزائل وكم تنفق أمريكا من المال لتحيي بيدالانسان ما أودت به عناصرالطبيعة العمياء انتهى ماجاء فى المجلةالمذكورة والله أعلم

✲ ✲ ✲

فلما اطلع على ذلك صاحبى الذى اعتاد أن يسألنى فى هذا التفسير . قال : لقد جعلت طوفان أمريكا كطوفان سدّ العرم ، وأبنت أن أهل أمريكا قوم ذووجدّ ونشاط وأن الحكومة قوية ومتينة وأن حكومة سبأ كانت ضعيفة جاهلة فتهدّم سدّها ، وانى والله لفى عجب أن تكون الحكومات الاسلامية فى بلاد اليمن وغير اليمن لم تفكر كما فكر أهل سبأ فضلا عن أن تكون كأهل أمريكا . فهل لك أن تفيض القول فى أمر سدّ العرم فتبين لى ﴿ أمرين ✲ الأوّل ﴾ هل هناك أسداد غير سدّ العرم ببلاد اليمن ﴿ الثانى ﴾ من هذا الذى بنى سدّ العرم ؟ بطريق أوضح مما تقدّم

اذا ذكرت لى ذلك فانك تكون خدمت أمم العرب المسلمين إذ يعلمون أن الكافرين قبلهم كانوا أعمر لبلاد الله منهم فيفكرون إذن ويجتهدون فى ذلك . فقلت : أما الأسداد فاسمع ما قاله مؤلف كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » وهاك نصه

﴿ الأسداد ﴾

ومن أدلة العمارة فى (بلاد اليمن) الأسداد وهى جدران ضخمة كانوا يقيمونها فى عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى الأراضى المرتفعة كما يفعل أهل التمدّن الحديث فى بناء الخزانات ، وانما عمد العرب الى بناء الأسداد لقلة المياه فى بلادهم مع رغبتهم فى إحياء زراعتها فلم يدعوا واديا يمكن استثمار جانبيه بالماء إلا حجزوا سيله بسدّ ، فتكاثرت الأسداد بتكاثر الأودية حتى تجاوزت المئات ، وذكر الهمدانى فى يحصب العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سدا والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالبقعة الخضراء من أرض يحصب ✲ ثمانون سدّا تقذف الماء سائلا

وكانوا يسمون كل سدّ باسم خاص به أو بالاضافة الى بلده ، فمن كبار هذه الأسداد قصعان وربوان وهو سدّ قتاب وشحران وطمحان وسدّ عباد وسد لحج (وهوسد عرايس) وسد سحر وسد ذى شهال وسد ذى رعين وسد نقاطة عند قرية ذى ربيع وسد نضار وهران وسدّ الشعبانى وسد الملكى وسد النواسى وسد المهباد وباقيها لطاف

وأشهرأسداد اليمن (العرم) وهوسد مأرب الشهير الذى تقدم الكلام عليه ، وسدّ الخانق بصعدة بناه

نوال

نوال بن عتيك مولى سيف بن ذى يزن فى القرن السادس للميلاد ومظهره فى الخنفرين من رحبان . وقد أخربه ابراهيم بن موسى العلوى بعد هدم صعدة . وسد ريعان لابن ذى مأذن وسد سيان . وأسداد بلاد عنس منها سد خيرة وسد بيت كلاب فى ظاهر همدان وآخر فى ظاهر دعان وسد شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها ولم يقتصر بناء العرب للاسداد على ما بنوه فى جزيرة العرب ففى مكران و بلوتشستان فى عدوة خليج فارس الشرقية آثار اسداد كثيرة لا يعرف عنها أهل تلك الناحية شيئا فلعل بعض العرب نزحوا الى تلك البقاع قديما وابتنوا فيها تلك الاسداد

وأما الذى بنى سد العرم بطريق أوضح مما تقدم فاسمع ما جاء فى الكتاب المذكور وهاك نصه : « وقد عثر النقابون فى أنقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه أهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن الملاصق للجنة اليمنى تفسيره « ان يثعمر بيين بن سمهعلى ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق و بنى مصرف رحب لتسهيل الرى » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « ان سمهعلى ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق و بنى رحب لتسهيل الرى » وسمهعلى هذا هو والد يثعمر المذكور وكل منهما بنى صدفا أو حائطا وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه ولم يتمكنا من اتمامه فأتمه خلفاؤهما و بنى كل منهم جزءا نقش اسمه عليه . فعلى المخروط أو الصدف فى اليسار نقش قرأوا منه « كرب أيل بيين بن يثعمر مكرب سبأ بنى » وعلى جزء آخر من السد اسم « ذمر على ذرح ملك سبأ » وفى محل آخر اسم « يدع ايل وتار » وعلى السد الأيسر مما يلى الجنة اليسرى عدة نقوش بمثل هذا المعنى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد تلك هى العادة فى تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان

اما تهدمه فالعرب يقولون انه حدث فجأة فتفرقت قبائل الأزد وغيرها فى جزيرة العرب بسبب ذلك . و يؤخذ من مجمل أقوالهم أن ذلك وقع حوالى تاريخ الميلاد أى نحو ظهور دولة حمير (ملوك سبأ وريدان) وانتقال عاصمة السبائيين الى ظفار . فالظاهر أن السد تصدع حينئذ للمرة الأولى فرمموه وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى تعمير ظفار وقل تمسكهم بالبقاء فى مأرب فصاروا ينزحون بطونا وأفخاذا لأسباب مختلفة ومنها القحط وغيره وأخذت مأرب بالتقهقر وكلما انفتق العرم من ناحية رمموه الى قبيل الاسلام فتهدم وأهملوه

ووفق غلازر فى أثناء زيارته أنقاض ذلك السد الى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد بعد دخول اليمن فى حوزة الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الدولة لما فيهما من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلائق السياسية أحدهما كتبه أبرهة الحبشى وهذه خلاصة : « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان أبرهة عزيز الأحباش الاكسوميين ملك أراحيس زبيمان ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم فى نجد وتهامة قد نقش هذا الأثر تذكارا لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذى كان قد ولاه كندة ودىء وعينه قائدا ومعه اقيال سبا الصحاريين وهم مرة وثمامة وحنش ومرثد وصنف ذو خليل واليزنيون اقيال معدى كرب بن السميفع وهفان واخوته ابناء الاسلم فانفذ الملك اليه الجراح ذا زنبور فقتله يزيد وهدم قصر كدار وحشد من اطاعه من كندة وحريب وحضرموت وفر هجان الذمارى الى عبران . و بلغ الملك الاستصراخ فنهض بجنده الأحباش والحميريين ألوفا فى شهر ذو القياظ ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أودية سبأ . فجاء يزيد و بايع وخضع للملك بين يدى القواد . وهم فى ذلك جاءهم النبأ بتهدم السد والحائط والحوض والمصرف فى شهر ذو المدرح سنة ٦٥٧ فامر بالعفو . و بعث الى القبائل بانفاذ الحجارة للاساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب . لترميم السد فى مأرب فتوجه أولا الى مأرب صلى فى كنيستها ثم عمد الى الترميم فنبشوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر و بنوا عليه وعلم وهو فى ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ورأى اعدامهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم وحميريهم

وأذن بانصرافهم . ورجع الملك الى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقيال الآتى ذكرهم : اكرب ذو مأهر ابن الملك ومرجزف ذوذرناح وعادل ذو فائش واذواه شولمان وشعبان ورعين وهمدان والكلاع . الخ وجاء اليه وفد النجاشي ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جبلة وآخرون جاؤا بمون الرحمن يخطبون مودته . فى أواخر شهر داوان و بعثوا اليه من غلة أراضيهم لترميم ما انصدع من البناء فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والأطعمة للعملة والحيوانات للعمل) واستغرق العمل فى ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا وكان الفراغ منه فى شهرذومعان سنة ٦٥٨ »

وهذه السنة فى حساب الحميريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد لانهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد ولغلازر كلام فى هذا الشأن سنأتى عليه فى الكلام عن التوقيت عند العرب ونكتفى هنا بالاشارة الى تاريخ الفتح من نقش حصن غراب فقد رأيت أنه سنة ٦٤٠ حميرية أو حبشية والمعول عليه أنه كان سنة ٥٢٥ ميلادية والفرق بينهما ١١٥ سنة . انتهى من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

﴿ تذكرة ﴾

أما آن للمسلمين أن يستيقظوا . ايه يا أمة الاسلام . ايه يا أمة الاسلام . أهكذا يكون المسلمون . ها أنتم أولاء رأيتم أعمال الأمم الغابرة والدول الفائتة وشاهدتم سد العرم صنع الجاهلية الأولى ، صنع أهل سبأ قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون ، هل بهذا أمر القرآن ؟ أيجمل فى دين المروءة والنجدة والشرف أن يكون الجاهليون يعمرون أرض الله أكثر من المسلمين ، هل لهذا جاء نبينا ﷺ ؟ ألم يجيء نبينا رحمة للعالمين وكيف يحفظ الجاهلية الماء بين البلقين و يسقون به الأرض والجنتان هناك عن يمين وشمال قائمتان ثم يجيء الاسلام فلا يساوى أهله فى العمران الجاهلية مع انهم كانوا الأولى بحفظ نعم الله ، هم الأولى بشكر النعمة ، وشكرها بحفظها والقيام بها لا لا ، إن أمة الاسلام ستأخذ دورها عن قريب ، أمة الاسلام النائمة قد انقضى دورها . وستأتى أمة الاسلام اليقظة التى تحفظ نعمة الله فلا تضيع الماء يذهب فى الرمال

أيها المسلمون : إن سيدنا محمدا ﷺ لم تقف رسالته عند هذا الحدّ . كلا . إن لرسالته شأنا بعد أيامنا هذه ، ومن دلائلها ماترونه فى هذا التفسير من عجائب القرآن وانه يعلم المسلم شكر النعم وحفظها

ياليت شعرى : لم ذكرت سورة سبأ ؟ ألقصة تذكر . كلا . والله ذكرت لنا الآن ، ذكرت لمن يتعظون دفن الله المال والعلم فى الصخور والألواح وعلى الجدران ، ثم أخرج ذلك الآن كأنه يقول للمسلمين : هاكم اقرؤا كتابيه ، انظروا فى علوم آبائكم ، هل تقومون بالأمر ؟ هل تحفظون النعمة ؟ هل تقومون بالشكر هل تبحثون عن نعمى فوق الأرض وفى باطنها ، إن لم تفعلوا بعد هذا كله فهاهم أولاء الفرنجة أحاطوا بكم من كل جانب فان لم تقوموا من غفلتكم وتمموا التعليم لآخذنّ منكم أرضكم وأسلمها لهم كما فعلت مع بنى اسرائيل إذ سلطت عليهم بختنصر فأخذهم الى فارس ودولة الرومان فأسروهم فى بلاد الروم

أتظنون يا أهل اليمن انى سلمت لكم الارض لتمنعوا نعمى فيها عن عبادى ، انظروا حولكم فى شمسى وقمرى وكواكبى وهوائى ومائى ، ألم أجعل العوالم كلها متجاذبة بحيث تجرى الأرض حول الشمس وهكذا كواكب أخرى وهكذا العوالم تتجاذب ، فهكذا فليكن نوع الانسان ، لتكن كل أمة مستخرجة من أرضها كنوزها وزراعة أرضها ليعيشوا بذلك وليرسلوا مافضل بالتجارة لغيرهم وهكذا غيرهم يفعلون ، فان غفلت أمة عما لديها أوعزت الى غيرهم فسلطتهم عليهم لأنى عدل ولأنى رحيم ومن رحمتى أن الناس يخدم بعضهم بعضا ، وهذا المطر النازل فى بلادكم اذا لم تحفظوه فقد ضيعتم نعمتى فأعاقبكم على ذلك الضياع

هذا وان آية سدّ العرم تدل على أن الأمة كلها معذبة اذا فرطت فيما لديها من النعم . والآية الآتية وهى ـ ولوترى إذ الظالمون ـ الخ مثلها فى أن الرؤساء لاينفعون المرؤسين اذا تركوا مواهبهم لافى الدنيا ولافى الآخرة

فقصة

فقصة سبأ وآيات التقليد متقاربتان من حيث أن كلامنهما منذر بالوبال والهلاك لمن تواكلوا
هـذا ما أفهمه من ذكر هذه السورة التي ظهر أثرها في هذا الزمان والحمد لله على نعمة العلم والحكمة والدين والحمد لله رب العالمين

(جوهرة يتيمة)

(في آية ــ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ــ الخ)

(بيان خطر التقليد والاغترار به)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة وأسألك جبر الخلل واجتناب الزلل وإجادة الدليل وفهم التأويل وصدق القول وحسن العمل

اللهـم إني أرى اليوم في بلاد الاسلام حالا أحسن ، ورجالا أكمل ، وعقولا أبهى وأبهر ، نام المسلمون قرونا وقرونا بعد الصدر الأوّل والقرون الثلاثة الأولى خير القرون ، ثم جاء هذا الزمان الذي اشتدت فيه الاحن وكثرت المحن وظهر الخطر والخطل وزالت الخلافة اللفظية من البلاد التركية وقد أنامت الأمم العربية نحو أربعة قرون فلم تقم لهم فيها قائمة ولاسمعت لهم فيها كلمة ، ولكن هاأنا ذا الآن في هذا اليوم ١٠ نوفبر سنة ١٩٢٩ أسمع أن بلاد العراق رفعت الصوت جهارا نهارا الى الأمم العربيـة قائلة : « أيتها الأمم : اسمعي . إياكم أن تهينوا اخواني في فلسطين وتقدّموا عليهم اليهود الذين وعدتموهم بالوطن القومي ، وهاهم سكان شرقي الأردن وبلاد سوريا وجميع المسلمين في الشرق والغرب يطلبون بلسان واحـد ازاحة الكابوس والظلم عن أهـل فلسطين . سبحانك اللهم وبحمدك . أنت الذي أخذت تغيير حال المسلمين من ضعف الى قوّة ومن ذلة الى عزّ ومن جهـل الى علم . أليس هذا مصـداق قولك في التنزيل ــ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ــ وقولك ــ ليظهره على الدين كله ــ إن هذا زمانه وهذه أيامه وكما تجلت أنوارك في قلوب الأمم الاسلامية برباطة الجأش وقوّة البأس وعزّة النجدة وعلوّ الشمم ورقي الهـمم هكذا أخذت التآليف تتغير أساليبها وتتجدّد أصولها وتختط خططا جديدة وأحوالا سديدة وأقوالا مفيدة وانتشرت الصحافة وقامت الخطابة وظهرت بوادر جيـل جديد وقد تقدمه أمثال هـذا التفسير ليكون فيه لمطة عجلان ويقظة وسنان وبهجة ندمان وحديث خلان ومجالسة علماء وأنس حكماء وسمر فضـلاء وهدى وبشرى للمؤمنين . ولقد بسطت لي فيه القول وشرحت لي الصدر ويسرت لي الأمر لأن الأمم الاسلامية اليوم أجدر بالفهم وأقبل للعلم وأحقّ بالاقبال فأسألك اللهم أن أكون لك من الشاكرين

أما بعد : فاني أريد افاضـة القول في التقليد ، ذلك الذي خيم على عقول كثير من الأمم الاسلامية في الأحقاب الغابرة والأيام الخالية وأضلّ سعيهم وأحبط كثيرا من أعمالهم

كانت الأمم الاسلامية في القرون الأولى طفلا ترعرع وتغذى بألبان النبوّة المحمدية إذ القرن في حياة الأمم سنة واحدة في حياة الفرد . وعلى هذا الحساب صارت هذه الأمّة الآن في سنّ الرابعة عشرة كما أشرت اليه في السور السابقة فهي كانسان مراهق شارف البلوغ . ومتى بلغ بالسنّ أو بالقوّة أخذ يظهر على الأمم الأخرى

كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يتغذون بلبن النبوّة فرضعوا أفاويق أيام الصحابة والتابعين فنفعوا عباد الله من بلاد الصين الى جنوب بلاد فرنسا فدانت لهم أمم من آسيا وأوروبا وافريقيا . ذلك انهم كانوا مجدّدين . ثم لما كان الفطام بعد الحولين (هما قرنان) تحوّلت الحال شيأ فشيأ وخمدت جذوة الحماسة وأخذوا يفكرون بأنفسهم فعل الصبي بعد سني الرضاع يلتمس الطعام بنفسه . هنالك يحضر له المؤدّبون والمعلمون

والمربون وفى هذه الأجيال التى اعتبرناها سنين لم تكن هذه الأمم إلا عالة على الملوك والعلماء ورجال الدين وشيوخ الطرق . فهم كانوا كأيتام إن أحسن الوصى القيام عليهم استقاموا وان أساء التصرف ولم يقم بالأمانة ناموا . فقامت دول فارسية وأخرى تركية وثالثة امارات عربية . ولازالوا يتدهورون المرة بعد المرة . ولقد مضى فى هذا التفسير نبأ من بعض أماراتهم وممالكهم وكيف اختلت الحكومات وبارت النظم وضاعت الأمم . لماذا هذا ؟ لأنهم كانوا بعد سنى الفطام قبل سنى المراهقة والبلوغ . ولاجرم أن الطفل فى تلك الأيام يعلله المربون بالآمال ويوارون عنه الحقائق ويخيلون له مستقبلا سعيدا وعمرا مديدا ويطعمونه الحلاوى والمضرب والسكرة ويقولون له أقوالا لذيذة ويغرونه بكل ما لذ وطاب فيستقيم لأقوال المربين وتستهويه أكاذيب المواعيد وتخدعه خرافات الأسانيد وهذه السن خليقة بذلك . لذلك كثرت الفرق وتباينت الطرق وظهرت الخوارج وادعى المهدوية كل من أحس من نفسه بقوة اللسن وسعة العقل ورجاحة الفطن . ومن قرأ كتاب ﴿الفرق بين الفرق﴾ عرف تلك الأضاليل أوقرأ ماتقدم فى ﴿ سورة الشعراء ﴾ من أكاذيب الدجالين فى الاسلام واستوائهم على عرش الامارة عرف كيف تخدع كواذب الأقاويل واحتيال الختالين . ذلك كله لأن الأمة كانت لاهى فى سن الرضاعة من أفاويق النبوة المحمدية . ولاهى بلغت السن التى تؤهلها لتسلم زمام أمرها والقيام بشؤنها فلامحيص لها من التقليد . ولامفر لها من اتباع من تتوسم فيه مخايل النجابة فتسلم زمامها أقوام منهم الصادقون ومنهم الخادعون وكل يعاملهم معاملة ذلك الطفل الصغير . لذلك كثرت فيها الخرافات وشاعت الضلالات واتكلوا على الشيوخ فعطلت العقول وسادت النقول فجاء جيلنا الذى نحن فيه فماذا أقول ؟ أقول : أحدثكم أيها المسلمون بحديث أحد المهديين فى الاسلام أجعله مثلا من أمثال أسلافنا السابقين أريد بذلك استثارة الشبيبة الاسلامية ومتى عرفت الشر أقلعت عنه أو الخير اجتلبته فأقول :

لقد كان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد استوثق له الأمر فى الأندلس بعد القبض على أبى القاسم ابن عباد المعتمد على الله بعد أن تولى الملك ٢٠ سنة وذلك سنة (٤٨٤) هجرية . ولقد قام بالأمر خير قيام إذ آثر الجهاد والغزو وقمع ملوك الروم والحرص على المصلحة فى جزيرة الأندلس الى أن توفى سنة ٤٩٣ وقام بالأمر بعده ابنه على بن يوسف بن تاشفين وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمى أصحابه المرابطين فجرى على سنن أبيه فى ايثار الجهاد واخافة العدو وحماية البلاد . وكان حسن السيرة . جيد الطوية . نزيه النفس . بعيدا عن الظلم حتى كان الى الزهاد والمتبتلين أقرب منه الى أن يعد فى الملوك المتغلبين . وأخذ يكرم الفقهاء والعلماء ولايفعل أمرا إلا بمشاورتهم ولكنه تمادى فى الغفلة واختلت حال أمير المسلمين بعد الخمسمائة اختلالا شديدا فظهرت فى بلاده مناكير كثيرة . وأخذ أكابر المرابطين يدعى كل منهم صريحا انه أحق بالأمارة منه . واستولى النساء على الأحوال وصارت كل امرأة من أكابر (لمتونه) تحمى شريرا وقاطع طريق وصاحب خمر وماخور وأمير المؤمنين يزداد غفلة واكتفى بامرة المسلمين وبصيام النهار وقيام الليل . فماذا فعل الله للمسلمين إذ ذاك ؟ قوم لاقوام لأمرهم إلا بالأمراء فان صلحوا صلحت الأمة وان فسدوا فسدت . فهم على حسب من يديرهم . ألم أقل لك أيها الذكى انهم فطموا من الرضاعة أولا فهم الآن فى السنة الخامسة وهى سن الطفولة وهذه سن الغفلة واليتم ولم يصلوا لسن الرشد : لما طغى أمراء الأندلس وشربوا الخمر وأولعوا باللهو والزهو أرسل الله لهم (يوسف بن تاشفين) فأدخل ملكهم تحت إمرته ولما قام ابنه أضاع الأمة من طريق الاشتغال بالعبادة كما أضاعها أولئك من طريق الفسوق والجور والجهالة . هنالك قيض الله لهم رجلا آخر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فبينما عمال الأمير على بن يوسف بن تاشفين يعثون فى الأرض فسادا ويهتكون أعراض الرعية علنا بلا احتشام جهارا بعد الخمسمائة إذ ألهم الله رجلا يقال له (محمد بن تومرت) ينتسب الى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب من أهل (سوس) من قبيلة تسمى (هرغه) من أقوام شرفاء هناك أحب العلم

فرحل

فرحل الى المشرق سنة ٥٠١ هـ أى فى السنة التى ابتدأ فيها فساد الدولة وانتهى الى بغداد أى كما ينتهى المسلمون اليوم الى أوروبا ولقى أبا بكر الشاشى فدرس عليه الفقه والاصول وسمع الحديث على أكابر الشيوخ ، ويقال انه لقى أبا حامد الغزالى بالشام أيام تزهده وذكر له مافعله أمير المسلمين بكتبه التى وصلت الى المغرب من احراقها وافسادها وابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالى ﴿ ليذهبنّ عن قريب ملكه ﴾ وأشار الى أن ذلك يتم على يد حاضر بالمجلس أى ابن تومرت ، وهذه الحكاية سواء صحت أم لم تصح لاحرج فى روايتها ، ويقال إن هذه الاشارة قوّت طمعه فى ذلك فرجع الى الاسكندرية ثم الى بلاد المغرب . وبينما محمد بن تومرت كذلك اذا رجل آخر هنالك يسمى عبد المؤمن يعلم الصبيان فى موضع اسمه (فنزاره) من بلاد (متيجه) واتفق انه رأى فى النوم كأنه يأكل مع أمير المسلمين (على بن يوسف بن تاشفين) فى صحفة واحدة ثم زاد أكله على أكل أمير المؤمنين ثم زاد فيه الشره فاختطف الصحفة وانفرد بها وحده وفسرها له المفسر بأن هذه تكون لرجل غيرك يكون أهلا لأن يشاركك فى الملك ثم ينفرد به ، فهذه الأحاديث والرؤى قد أعدّت الرجلين لعمل عظيم فتلاقيا فيقال إن محمد بن تومرت عرف عبد المؤمن بعلامات رسمها فى نفسه وعرفها من كتب المتقدمين . وقد كان عبد المؤمن عند المقابلة متوجها الى المشرق فى طلب العلم فاستصحبه محمد بن تومرت للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأقاما بمدينة (ملالة) أشهرا ورحلا ورحل معهما رجل آخر اسمه عبد الواحد . وقد كان محمد بن تومرت شديد الصمت كثير الانقباض لاينطق إلا فى مجلس العلم ، وحلّ مع صاحبيه فى (تلمسان) وقضى بها مدة ثم توجه الى (فاس) فأظهر عقيدة الأشعرية فى التوحيد وأخذ يعظ الناس فاجتمع الفقهاء عليه فوجدوه رجلا قوىّ العارضة فأشاروا على الوالى باخراجه لئلا يفسد عقائد العوام فأخرجه . وانما فعلوا ذلك لأنهم كانوا جميعا صائمين عن جميع العلوم ماعدا الفقه فتوجه الى مراكش وكتب الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . ولما دخل عليه أحضر له الفقهاء فناظروه فغلبهم ومنهم رجل يقال له (مالك بن وهيب) له معرفة بعلوم كثيرة حتى الفلسفة فأشار على الملك بقتله لأنه فصيح حسن العبارة وهو مفسد لاتؤمن غائلته فلم يقتله الملك خوفا من الله فقال له اسجنه حتى يموت فقال الملك لاذنب له ، هنالك نفاه عن مراكش وهناك كانت الطامّة الكبرى فتوجه الى (سوس) فشرع فى تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأخذ يذكر المهدى ويشوّق اليه (كما فعل المهدى السودانى محمد أحمد فى زماننا سواء بسواء) فكلاهما ابتدأ أمره بالتشويق للمهدى من غير أن يذكر نفسه وجعل له أنصارا يستميلون له رؤساء القبائل ، هنالك تقرّر فى نفوسهم فضل المهدى ونسبه ونعته . فلما تم ذلك قال أنا محمد ابن عبد الله ورفع نسبه الى رسول الله ﷺ وصرّح بأنه معصوم وانه المهدى المنتظر ، فلما استقرّ لهم ذلك بايعوه على انه المهدى وألف لهم كتبا فى العلم وعلمهم فكان يبطن التشيع ، وأوّل درجة من أصحابه كانوا عشرة وهم المهاجرون الأوّلون سماهم الجماعة وهم أوّل من صدّقوه والطبقة الثانية سماهم الخمسين ، ثم قال لهم : ماعلى وجه الأرض من يؤمن إيمانكم وأنتم العصابة المعنيون بقوله ﷺ ﴿ لاتزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لايضرّهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ﴾ وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ويقتل الدجال ومنكم الأمير الذى يصلى بعيسى ابن مريم . ولايزال الأمر فيكم الى قيام الساعة ، ويقال انه كان يخبر ببعض الحوادث فتقع ، وكان يقول ﴿ لوشئت لعددت خلفاءكم خليفة خليفة ﴾ ولقد جاء هذا القول فى نظر رجل من أهل الجزائر من مدينة من أعمال (بجايه) وقد وفد على أمير المؤمنين أبى يعقوب وهو (بقينملل) فقام على قبر محمد بن تومرت بمحضر من أتباعه الموحدين وأنشد قصيدة بليغة وهاك نصها :

سلام على قبر الامام الممجد ☆ سلالة خير العالمين محمد
ومشبهه فى خلقه ثم فى اسمه ☆ وفى اسم أبيه والقضاء المسدد

ويحيي علوم الدين بعد مماتها ☆ ويظهر أسرار الكتاب المسدد
أتتنا به البشرى بأن علا الدنا ☆ بقسط وعدل في الانام مخلد
ويفتتح الامصار شرقا ومغربا ☆ ويملك عربا من مغير ومنجد
فمن وصفه أقني وأجلى وأنه ☆ علاماته خمس تبين لمهتدى
زمان واسم المكان ونسبة ☆ وفعل له في عصمة وتأيد
ويلبث سبعا أو تسعا يعيشها ☆ كذا جاء في نص من النقل مسند
فقد عاش تسعا مثل قول نبينا ☆ فذلكم المهدى بالله يهتدى
وتدبعه للنصر طائفة الهدى ☆ فأكرم بهم اخوان ذى الصدق أحمد
هى الثلة المذكور في الذكر أمرها ☆ وطائفة المهدى بالحق تهتدى
ويقدمها المنصور والناصر الذى ☆ له النصر حزب اذ يروح ويغتدى
هو المنتقى من قيس عيلان مفخرا ☆ ومن مرة أهل الجلال الموطد
خليفة مهدى الاله وسيفه ☆ ومن قد غدا بالعلم والحلم مرتدى
بهم يقمع الله الجبابرة الاولى ☆ يصدون عن حكم من الحق مرشد
ويقطع أيام الجبابرة التى ☆ أبادت من الاسلام كل مشيد
فيغزون اعراب الجزيرة عنوة ☆ ويعرون منها فارسا وكأن قد
ويفتتحون الروم فتح غنيمة ☆ ويقتسمون المال بالترس عن يد
ويغدون للدجال يغزونه ضحى ☆ يذيقونه حد الحسام المهند
ويقتله في باب لد وتنجلى ☆ شكوك أمالت قلب من لم يوحد
وينزل عيسى فيهم وأميرهم ☆ امام فيدعوهم لمحراب مسجد
يصلى بهم ذاك الامير صلاتهم ☆ بتقديم عيسى المصطفى عن تعمد
فيمسح بالكفين منه وجوههم ☆ ويخبرهم حقا بعز مجدد
وما أن يزال الامر فيه وفيهم ☆ الى آخر الدهر الطويل المسرمد
فابلغ أمير المؤمنين تحية ☆ على النأى منى والوداد المؤكد
عليه سلام الله مادر شارق ☆ وماصدر الوراد عن ورد مورد

فهذه حال (محمد بن تومرت) الذى هو المهدى المنتظر وأصبح القوم مفتونين به حتى لوقال لرجل اقتل أباك أو أخاك لقتله . وكان اظهاره المهدوية سنة ٥١٥ هـ وفى سنة ٥١٧ هـ جهز جيشا عظيما من المصامدة جلهم من أهل (تينملل) ومعهم قوم من أهل (سوس) وأمرهم بحرب المرابطين وأن يدعوهم الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واتباع المهدى المعصوم ، فان أجابوا فهم اخوانكم والا فقاتلوهم وأمّر عليهم عبد المؤمن وقال أنتم المؤمنون وهذا أميركم ، وقاتلوا المرابطين قريبا من مراكش بموضع يسمى (البحيرة) وأمير المرابطين الزبير بن على بن يوسف بن تاشفين ، فدعا الموحدون المرابطين لما التقى الجيشان الى ما أمروا به فردّوا عليهم أسوأ ردّ ، وهكذا كتب عبد المؤمن الى على بن يوسف بما عهد اليه محمد بن تومرت فردّ عليه ردّا يحذره فيه من سفك الدماء ، ولما التقى الجمعان قتل من المصامدة خلق كثير وانهزم الجيش ولكن نجا عبد المؤمن . ولما رجعوا الى ابن تومرت هوّن عليهم أمر الهزيمة و بشرهم بالشهادة والجنة ، ومن ذلك الوقت أخذ المصامدة يشنون الغارات على نواحى مراكش وهو يزداد تقى وصلاحا وتشدّدا فى دينه واقامة للحدود كما هى حتى مات سنة ٥٣٤ هـ وقام بالأمر بعده عبد المؤمن فبايعه المصامدة ، وله بضيعة من بلاد تلمسان

وقد

وقد ولد سنة ٤٨٧ وتوفى سنة ٥٥٨ وقد ملك بلاد المغرب وأكثر بلاد الأندلس ، وقد خلفه فى الملك ابنه أبو يعقوب يوسف ومات سنة ٥٨٠ ھ وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتوفى سنة ٥٩٥ ھ الذى أهان الفيلسوف ابن رشد وحبسه ثم عفا عنه ، ولم تقم للحكمة بعد ذلك قائمة فى الاسلام و بعده ابنه محمد بن أبى يوسف أمير المؤمنين وتوفى سنة ٦١٠ وتولى بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد

هذا ملخص كتاب تاريخ الأندلس المسمى ﴿ بالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب ﴾ تأليف الشيخ محيى الدين عبد الواحد بن على التميمى المراكشى

أقول : إن هذا العالم كان فى زمان تلك الدولة فلم تطل مدّته الى انقضائها حتى يعرف ما آل اليه أمر هذه الدولة ، وأيضا انه كان تحت حكم ملوكها فلم تكن له الحرّية التامّة فى إبانة الحقائق الناصعة عن المهدى (ابن تومرت) ووظيفة هذا التفسير امتحان الحوادث العامّة وعرض نتائج الامتحان على أمم الاسلام بعدنا أما مجرد سرد التاريخ فقيمته زهيدة ضئيلة ونحن الآن فى تفسير آيات قرآنية تنبذ التقليد وهذا التاريخ الذى سردته هنا مسوق لتبيان أن الوقوف على التقليد بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هو الشؤم الأكبر والخطب الجلل والموت الزؤام

فلأذكر إذن فى هذا الصدد ماعثرت عليه فى الكتب الأخرى وما ذكره أيضا العالم الفرنسى (سديو) ليحق الحق و يبطل الباطل ، واذن يفرح المؤمنون والعلماء المخلصون والأمم المحمديون بنصر الله بالهداية العلمية والله هو الولىّ الحميد

جاء فى كتاب ﴿ خلاصة تاريخ العرب ﴾ للعلامة سديو ماملخصه : « إن العرب باسبانيا انشقوا على المرابطين أيام على بن يوسف الذى ظهر عجزه كما تقدم القول عنه وانه كان مشغولا بالصلاة والصيام وا كلا أمر الرعية للنساء مع اكرامه للعلماء ، وقد كان هؤلاء العرب لايفكرون إلا فى محاربة أمرائهم المرابطين ولم يعرفوا كيف يتحدون و يتخذون لهم مركزا عاما حربيا لصدّ النصارى المحيطين بهم من سائر الجهات وغاية الأمر أن الفرص قد سنحت لأناس منهم استقلوا بالامارة من سنة ١١٤٤ فى مرسية وبالنسية وغرناطة واشبيلية وقرطبة وغيرها فادّعى كل هذا المنصب بلاحق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من اسبانيا سنة ١١٤٦ وغاية الأمر أن عبد الله بن غانية بقى تحت يده جيش ضعيف وقد اضطر الى مساعدة النصارى له فساعدوه حتى أخذ قرطبة وأشبيلية حتى اذا ما جاء جيش عبد المؤمن فقتل ابن غانية وذهب أمر المرابطين ، ثم ان الأميرين يوسف و يعقوب المتقدم ذكرهما أبلوا بلاء حسنا فى منع غارات النصارى عن مدن الاسلام ثم بعد ذلك أغاروا على من جاورهم من النصارى ، وهنالك تجدّد الرونق والعزّ فى بلاد الأندلس ، وقد زاد ذلّ النصارى وعزّ المسلمين بما فعله الأمير يعقوب حتى مات وخلفه ابن محمد الناصر سنة ١١٩٩ م

هذا وقد هزمه النصارى فى واقعة (طولوسه) سنة ١٢١٦ م وهنالك ضعف أمر الموحدين فانقطعوا عن محاربة النصارى ، ولما مات الأمير محمد خلفه أبو يعقوب وقد عصته الأقاليم بالمغرب واسبانيا لأنه غير كفء

ثم ان أرباب المشورتين الذين أنشأهم المهدى كما تقدم (وهم العشرة الذين سماهم المهاجرين الأوّلين والخمسين الذين سماهم الجماعة) كانوا متشوّقين الى الاختصاص بالحكم لماراوا فساد الأمر فى البلاد فهدّدهم المأمون ، وقد قام بشدّ أزره حزب ذوقوّة و بطش وجعلوه أميرا عليهم ، فنصب أرباب المشورة المذكورون يحيى بن ناصر فتغلب عليه وعليهم المأمون وعلق رؤس هؤلاء الشيوخ على أسوار مراكش وألغى المشورتين ونسخ سياسة المهدى ومنع ذكره فى الخطب وعامل أهل المغرب بقسوة لم يقدروا بعدها على العصيان سنة ١٢٢٨ ثم إن محمد بن هود من ذرّية قدماء ملوك سرقسطه أوقع البغضاء بين مغاربة اسبانيا ومغاربة افريقيا وأخذ منهم جيشا جرارا هزم به المأمون سنة ١٢٢٩ قرب (مدينة طاريغه) وألزم المأمون الاقامة بمراكش

هنالك اضمحلت دولة الموحدين شيأ فشيأ ، فانهم لما انتزعت منهم الأندلس أخذت بلاد المغرب تنسلخ منهم شيأ فشيأ فقد عصى الموحدين فى أيام خلفاء المأمون والى تونس سنة ١٢٤٢ م وعائلته هم بنو حفص وفى سنة ١٢٤٨ أسس بنو زيان فى تلمسان والجزائر سلطتهم الممتدة الى نواحى فاس ، وكذلك بنو مرين فى جهات كثيرة — ولله الأمر من قبل ومن بعد —

هذا ملخص ما جاء فى كتاب سديو ، وأزيد عليه ماقرأته سابقا فى المطوّلات من أخبار ابن تومرت ثم أتبعه بالنتائج العلمية التى هى المقصودة بالذات فى تفسير هذه الآيات فأقول :

إن محمد بن تومرت كما قلت جعله الله لهذه الأمم أشبه بمربى الأطفال ، ولقد جاء فى كلام علماء الفقه أن الـكذب جائز فى سياسة الأطفال ، وقد قلنا إن الأمم الاسلامية فى القرون الأولى كانت فى أيام الرضاعة فـكل قرن سنة واحدة فى عمر الأمة ولما كان الفطام أخذ الناس ينظرون شؤنهم بأنفسهم ولـكنهم لقلة العلم سخر الله لهم أناسا يفعلون معهم فعل المربى مع الطفل . فماذا فعل محمد بن تومرت ؟ لزم الخلوة كما تقدم وانى أقول أنا معتقد فى الرجل حسن مقصده وانه يريد للمسلمين فى تلك الأصقاع خيرا ، ولقد رأى أن يسوسهم بالدعوة المشهورة وهى المهدوية . فماذا يفعل ؟ نصب له دعاة وأعلن العصمة كما أعلنها غيره من الفاطميين بمصر وأعلنها أيضا (أغا خان) بالهند فى زماننا وغيره ، ولقد كان من أمر (محمد بن تومرت) أن بث الأرصاد والعيون والجواسيس ليستطلعوا أسرار القلوب ومن المصدّق للمهدى ومن المـكذب وأخذ يوازن بين الشهادات الواردة اليه عن عظماء أتباعه ، فمن ذكائه وفطنته لم يحكم على أحد بالـكفر بمهدويته إلا اذا توافرت الشهادات المختلفات بذلك من بطانته الذين جعلهم عيونا عليهم . أما الذى اختلف فيه الشهود . ومعلوم أن أحدهم لا يعلم مايقوله الآخر فانه لايحكم بكفره به . فهنالك اجتمع له من أسماء أتباعه جدول حفظه عنده لوقت الحاجة

و بينما هو يبثّ الأرصاد والعيون والجواسيس لمعرفة أسرار أتباعه كان قد أسرّ لرجل من أتباعه يدعى على ما أذكر (الونشريشى) فهذا الرجل كان عالما فأظهر الجذب وأخذ يهيم على وجهه و يمرّ فى المجالس فلا يأبه له أحد لأنه مجذوب لايعى . وكان اذا مرّ على (محمد بن تومرت) يقول إن فى هذا الرجل لسرا . و بقى الأمر هكذا الى أن كان ذات يوم محمد بن تومرت يصلى الفجر نظر فرأى رجلا وراءه يصلى وعليه ثياب بيض بهيئة جميلة فاظهر الدهش واذ سأله من أنت ؟ فقال أنا الونشريشى . انى فى هذه الليلة أتانى النبى ﷺ يقظة وعلمنى كذا وكذا وعرّفنى العواقب وأهل الجنة وأهل النار . ولاجرم أن هـذه هى الحيلة التى تـكررت كما تقدم فى هذا التفسير إذ ذكرت نظيرها فى ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية السحر فليتفطن المسلمون وليستيقظوا فقال ابن تومرت له بدهشة ولهفة : سبحان الله . أخبرنا بأمرنا من أنا ؟ فقال أنت المهدى ومن كذب بك فى النار (ولاجرم أن الجدول الذى فيه الأسماء قد سلم اليه سرا حتى عرف جميع الـكفار بأشخاصهم) فهنالك قال له المهدى : أخبرنا بأهل النار وأهل الجنة . فأمر المهدى فاجتمع القوم وصفهم الونشريشى صفين صفا أمام صف فنظر الى صف اليمين فقال هؤلاء أهل الجنة وصف جهة اليسار فقال هؤلاء أهل النار . ثم قال ليقتل أهل الجنة أهل النار فضرب صف اليمين صف اليسار حالا بالسيوف واستولوا على مايملـكون ، ولـكن هؤلاء المقتولون وان كان أمر قتلهم سماويا على حسب الاعتقاد بقى له أثر سيىء فى النفوس فشغلهم المهدى بالحروب المتقدم ذكرها ضد المرابطين أيام (على بن تاشفين) كما عرفت وصار يعدهم و يمنيهم بملك فارس والروم وانهم هم الذين يبقون حتى أيام نزول المسيح الى آخر ماتقدم . هذا هو الذى وعته الذاكرة مما قرأته من الـكتب والله أعلم

﴿ امتحان هذه السير والأحوال ﴾

سبحانك اللهم و بحمدك . أنت ناظم الأمم والجماعات ومعط كل ذى حقّ حقه . أنت الذى علمت أن هؤلاء قوم جهال مشتتون فهيأت لهم محمد بن تومرت ليمنع الظلم عنهم فقام وادّعى المهدوية . اللهم إن المهدوية

قد

قد تقدم الكلام عليها فى أول ﴿ سورة الحج ﴾ وقد ذكرنا هناك أمر المهدى وأن الأحاديث كلها مطعون فيها .
سبحانك اللهم وبحمدك . إن أحاديث المهدى قد سرت الى نفوس أكابر الأمة وأن محيى الدين بن عربى قد وقع فيما وقع فيه غيره وسرت عقيدة المهدى فى الأمم الاسلامية وقلت هناك انها لاتزال باقية لم ينقص منها شئ حتى ظهور المهدى السودانى ، فما نتيجة ذلك كله ؟ نتيجته ضعف العقول والاتكال على الشيوخ ونوم القوى العاقلة ، نام المسلمون آمادا وآمادا ، تركوا مواهبهم ، تركوا عقولهم ، كما تركت الحيوانات المنزلية تدبير أنفسها للانسان بخلاف الحيوانات البرية الوحشية كالغزلان ، إذن المسلمون المتكلون على المهديين أوعلى الشيوخ والذين استناموا لمن ملكوا قيادهم من الظالمين مسلمين وغير مسلمين أصبحوا كالعنز والبقرة اللتين ضعفتا عن تدبير أنفسهما وفاقتهما الغزالة والبقرة الوحشية ، فصارت الأمة ذليلة والعضو الذى لا عمل له يضمر و يضعف ، وليس الأمر قاصرا على محمد بن تومرت فهو رجل نفع القوم بأساوبه ومنهجه واستعان بالكتمان والصبر و بعلوم السيمياء و بايهامهم أنهم خير أمة أخرجت للناس وانهم هم الذين يبقون الى نزول عيسى عليه السلام وقد فعل ذلك معهم ولكنه فى الوقت نفسه علمهم الصدق والاخلاص والشجاعة والعلم على حسب زمانه ، الرجل مزج الحق بالباطل وقد أفاد القوم . ولا يزال بعض شيوخ الطرق الآن فى أمم الاسلام يرفعون نفوسهم الى مقام العظمة و يجعلون أنفسهم وسائط بين الله و بين خلقه . وقد أنام كثيرمنهم المسلمين إذ أفهموهم أنهم بتعاليمهم مع جهلهم الفاضح ينجون من العذاب يوم القيامة . تعليم ابن تومرت وغير ابن تومرت نافع وضار . النفع مؤقت على مقدار همته . انظر الفرق بين هؤلاء الصالحين و بين الأنبياء انظر الى الأنبياء كيف دامت دياناتهم آمادا وآمادا . كثر المهديون فى الاسلام ولكل مهدى أيام تنقضى ولكن الاسلام باق لم ينقص منه شئ ومايفعله هؤلاء الشيوخ تمحوه كرور الأيام لأنه لاثبات له وهل لغير العلم ثبات ؟ الأمم الاسلامية يجب تعليمها وترقية عقولها ونشر التعليم والثقافة العامّة فيها . ليكن التعليم اجباريا فى جميع الأقاليم ليتعلم الرجال والنساء

هذا هو الهدى . فأما إنى أؤمن بفلان انه المهدى ومتى ذهب ذهب ذلك الايمان (كما فعل المأمون فأبطل اسم المهدى ونسخ تعاليمه وقتل الشيوخ) فان الدولة تضمحل وتذهب كما رأيت فى دولة الموحدين لا لا أيها المسلمون : ــ وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ــ قال موسى ماجئتم به السحر إنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين ــ

تذكر أيها الذكىّ ماجاء فى ﴿ سورة طه ﴾ وأن بنى اسرائيل لما رأوا العصا قلبت حية آمنوا وهم فى مصر ثم لما خرجوا منها ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ــ قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ــ ولما رأوا عجل السامرى المصنوع من الذهب ــ قالوا هذا إلهكم وإله موسى ــ فهذا الايمان المشؤم الذى لايرجع الى تمام العلم يكون عرضة للتقلب فان من رأى عصا انقلبت حية لحرىّ أن يكفر اذا رأى عجلا له خوار مصنوعا من ذهب فانه أجل وأبهى وأعظم هيئة من الحية

وهل وردت تلك القصص فى القرآن إلا لهذه النتائج . ألم يقل الله تعالى ــ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ــ وهو القائل ــ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالآيات إلا تخويفا ــ والآيات المذكورة هى خوارق العادات . إذن القرآن فى ناحية وجهور المسلمين فى ناحية . القرآن يدعو الى التعقل والعلم وتعليم الناس . واذا كنت قد خلقت فى الرمم الميتة دودا وسلطت على الأحياء منها الاسود والنمور الخ رحمة منى وعدلا وحكمة أفلا أخلق فى رمم الأحياء بالهند و ببلاد الاسلام مايشبه هذا الدود و يشبه الاسود والفهود والنمور من رجال الدين ومن الأمم المستعمرين أولاترون أنى أخلق العنكبوت تنصب الخيام لاصطياد الذباب . أفلاأفعل كذلك فى الانسان الذى أشبه الذباب

فأسلطا عليه عنكبوت الشيوخ والبراهمة والدجالين . هذا فعلى وأنا الحكم العدل . أنتم أيها الناس جميعا اليوم في حال تشبه حال الأطفال من حيث مجموعكم والأطفال لايستعدون غالبا لما يعقله البالغون . ملأت أرضكم بالأصنام و بالخرافات لأنكم لاتعقلون سواها . ثم أرسلت رسلا وآخرهم خاتم الأنبياء ﷺ فسرت دعوته في الأرض ووصلت الهند وفيها نحوخمسين مليونا من المسلمين وهم أرقى الجميع . وهذا العدد لم يسلم إلا بعد حروب دامت قرونا وقرونا . ثم مضت فترة ولم يقدرالمسلمون على ازالة الأذى عن عبادالبقر والأصنام هناك فأرسلت دول أوروبا فأخذوا يمنعون بعض تلك العادات تتمما لما فعل المسلمون قبلهم . وكل ذلك اليوم تمهيد للزمان المقبل القريب إذ يظهر الجيل الجديد من المسلمين لاسيما قراء هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يرون أن الناس جميعا اخوانهم وانهم خلفاء الله في أرضه . فهؤلاء هم الذين يرقون الانسانية كلها بعلمهم وحكمتهم وامتزاجهم بالأمم وهنالك يزيلون الخرافات أولا من بلاد الاسلام وثانيا من بلاد غير المسلمين من أهل الهند وغيرهم . هنالك يفهم المسلمون معنى قولى في القرآن ــ كنتم خيرأمة أخرجت للناس ــ وقولى ــ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ــ وقولى ــ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ

هنالك يفهم الناس لماذا ذم الله التقليد في هذه الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها وما فوائد الهدى والعلم والاستبصار

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : والله لقد شفيت ما في نفسي . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم الأربعاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

* * *

(جمال العلم وبهجة الحكمة)

(في ذم التقليد)

أيها المسلمون : انى بينما أنا أكتب هذا الموضوع يوم الاثنين (١١) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وقد اختمرت هذه الفكرة في نفسي طلع «الاهرام» وفي صدره هذه المقالة الآتية من بلاد الهند فأدهشني صدور هذا القول اليوم وفكرت في أمر الاسلام وأمة الاسلام وقلت إن هذه من المصادفات العجيبة . كيف يظهر اليوم هذا المقال وقد ظهرت فيه أحوال الهند المقسمين الى أربع طبقات وأن البراهمة أوهموهم أنهم نواب الله في الأرض وعاشوا عالة على الشعب وأن هذا هو أكبر سبب في خضوع الهند التي تعد بمئات الملايين الى عشرة آلاف من الانجليز . اللهم إن هذه المقالة سيتجلى بها هذا المقام حقا وصدقا ، كيف لا والبراهمة قد نبغوا في احتقار الشعب وادخال الغفلة عليه و بعض النصارى والمسلمين قد قلدوهم في ذلك الاحتقار ، فياللعار ، و ياللشنار

أيليق بخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلىّ وأتباع النبيّ العربيّ ﷺ (ذلك الذى قال « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » والذى أمر بلالا أن يؤذن على الكعبة بمحضرمن قريش والذى نزل عليه ــ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ــ ذلك النبيّ الذى منع الاستئثار ونبذ كل خوارق العادات وحكم عليها بأنها كهانة ، وجاء بالانصاف والعدل ، وأتى بمدنية تحتقر بجانبها مدنية بعض الاوروبيين ، أولئك الذين يحقرون أن يكونوا مع السودانيين في مكان واحد كمطعم أوملعب ، ذلك هو الذى سمعناه اليوم عن بلاد الانجليز) أن يكونوا كالبراهمة فيفسدوا عقول الشعوب الاسلامية بهدويتهم أو بمشيختهم . كلا . والله لايليق

فهذا هو المقال الذى به نعرف معنى قوله تعالى ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ ووصفه ﷺ بأنه سراج منير وانه خاتم الأنبياء ، فقد ضرب المدنيات القديمة ضربة زلزلت الأرض ولكن لاتزال الأمم في حاجة

الى

الى ارشاد المسلمين الذين سيظهرون بعد ظهور أمثال هذا التفسير ، فالاسلام لا تزال أمامه مشاق وأعمال ملقاة على عاتق الأجيال المقبلة قرّاء أمثال هذا التفسير

إن أكثر المسلمين يهوش على عقولهم قوم بظواهر أحوال أو باخبار بالغيب صدقا أو كذبا أو بالتقشف والزهد ، كل ذلك أمره قد مضى فى حال طفولية الأمم الاسلامية ، ولقد قلت لك أيها الذكى ان الأمم الاسلامية اليوم فى القرن الرابع عشر قد أزف زمان بلوغها بالسن وقد صارت كمن بلغ بالحلم ولعلها ترى الحقائق فى زماننا هذا وتخرج من حضانة أولئك الذين لا يرون لها سياسة إلا بالايهام وحجبهم عن الحقائق وابعادهم عن سواء السبيل

أيها المسلمون : لا عطر بعد عروس . ولا مخبأ بعد بوس . هذا كتاب التفسير «الجواهر» هاهوذا بين أيديكم فتفكروا فيه وقلبوا صحائفه وسيظهر جيل جديد سائر على منواله . فويل لمن تركوا مواهبهم وعقولهم واتكلوا على شيخ من غير تعليم . وويل ثم ويل لمن نسوا نعم الله عليهم بالعقل والحواس والنعم الجليلة ثم انتظروا مجىء المهدى ليهدى أبناء أبنائهم وهم لا يهتدون كأن الله عزّ وجل ليس هاديا للناس الآن مع ان من أسمائه تعالى (الهادى) وكأن النبىّ ﷺ ليس من أسمائه الهادى . الله جعل الهدى فى الأرض فى كل زمان ومكان ولا يحجبه إلا التقليد الذى ذمّه الله فى هذه الآيات إذ يقف المستضعفون أمام المستكبرين ويقولون لهم أنتم سبب جهلنا فيقول المستكبرون . كلا . بل أنتم قوم مجرمون أى لأنكم لو كانت لكم عقول ما أطعتمونا وكيف تركتم مواهبكم وعقولكم

اللهم إنا نحمدك على ظهور حقائق القرآن فى التاريخ الذى جعل نبراسا ونورا لمن بعدنا . فانظر أيها الذكىّ الى أهل الأندلس كيف قصرت أنظارهم أيام على بن يوسف بن تاشفين إذ انهم بعد أن عصوا عمال المرابطين لم يتفطنوا أن الفرنجة من خلفهم بل استقل كل بمملكته . لماذا هذا ؟ لأن العقول خدت بسبب الجهل . ثم انظر اليهم بعد أن طردوا الموحدين من بلادهم كما تقدم فانهم تفرّقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وذلك من نقص العلم والغفلة إما بالفسوق والاكتفاء بالشعر كما تقدم فى ﴿ سورة الشعراء ﴾ . واما بجمود القرائح بتعليم شيوخ يجعلونهم بالأمانى قانعين وعلى الرؤساء متكلين والله لا يهدى القوم الظالمين

إن الله قد أذن فى هذا الزمان بظهور الحقائق ونشر المجلات والصحف فسهلت على مؤلف هذا التفسير الأمر واستبانت حقائق كثيرة كانت مطوية التفصيل عن أنظار الجمهور . فهذا المقال الذى سأذكره هنا عن الهنود يريكم أيها المسلمون مضار التقليد بأوضح سبيل وهذا عار على أمم الاسلام الذين بعدنا الدارسين العارفين . أما أكثر الأمم الاسلامية المتأخرة فان شيوخهم فعلوا معهم بعض فعل البراهمة مع الهنود وكان من حقهم أن يكونوا مرشدى جميع الأمم لأنهم هم يتبعون الشهوات كأولئك البراهمة القدماء والحاليين . فهاك نص المقال المذكور

﴿ حديث الهند ﴾

(من عرف العلة فى جسم غيره دفع شرها عن جسمه)

مصر مع العالم تنظر الى الهند وتصغى باسماعها لشكواها ، ومصر دون العالم تهتم بأمر الهند لان شأن تلك البلاد شانها ولأنها تشاركنا بآلامنا كما نشاركها بآلامها . وتمنى خلاصها كما هى تمنى خلاصنا واذا قلنا الهند فقد أردنا الهند المفكرة العاملة الناهضة ، ولكن ماهى الهند ؟ أهى كمصر أمة واحدة بلغة واحدة وعنصر واحد بجوّ واحد وتقاليد واحدة وآداب واحدة ؟ وهل هى تحيا حياة ديموقراطية كمصر لا يفضل فيها المصرى المصرى الا بعمله و بما يقدمه لوطنه ؟ لا ، انها ليست مثلنا ولا نحن مثلها فما هى الهند اذن ؟ وماهى أدواؤها لندفع شر

تلك الأدواء عن أنفسنا اذا نحن أحسسنا بها. ان أصدق الجواب على هذا السؤال لهو بالارقام . فالهند التي أسماها
الاغريق باسم أحد آلهتها ليندرا كعادتهم في التسمية اذا كانت شطرا من القارة الاسيوية فهى تكاد تكون
بيسا منفصلا عن العالم بالماء من جهات البحار و بالجبال الشامخة جدا حتى لا تجاز من جهات البر . مساحتها
٤٩٢٤٥٥٩ كيلو مترا مربعا يسكنها ٣١٩ مليونا منهم ٢٤٧ مليونا هم المستعمرة الانكليزية والآخرون ١٢
امارة خاضعة للانكليز وهذا المجموع من الأهالى مؤلف من ٢٠ عنصرا وهم يتكلمون ب ٢٢٢ لغة أو لهجة وليس
لهذا المجموع لغة عامة ولغاتهم ٥٠ نوعا من الكتابة ولكل كتابة من ٤٠٠ حرف الى ٢٥٠ حرفا كذلك تعدد
أديانها . وجو بلادهم يختلف باختلاف المناطق فعلى مقربة من السواحل يهبط مستوى الأرض الى ٢٠٠ متر
فوق سطح البحر فيكون الجو محرقا بدرجة ٤٧ بميزان سنتغراد وفى أعلى القمم على ارتفاع ٨٨٩٠ مترا يجمد
البرد الدم بالعروق . جميع الفاتحين الكبار غزوا تلك البلاد وملكوها من سيزوستريس الفرعون المصرى
الى الاسكندر المقدونى الى غزاة التبت الاريين الذين ملكوا ناحية تلك البلاد وأسموا أهلها بالبار بين
النجسين ثم تفرقوا بعد ذلك قبائل وصلت الى أوروبا وملكتها والى العرب الى الهولنديين والبرتغاليين
الذين فتح قائدهم البحرى فاسكودى غاما طريقها سنة ١٤٩٨ الى الفرنساويين الى الانكليز الذين تملكوا
ناصيتها من الفرنساويين واتخذوها مزرعة لشركة من شركاتهم الى أن ابتاعها حكومتهم من تلك الشركة فى سنة
١٨٣٣ وأخذت بتوسيع حدودها . وظلت حتى الآن لتلك الدول التى تقدمت انكلترا أملاك وجزر فى جوانبها
والانكليز يستعمرونها للرزق والتجارة لان مبادلاتها التجارية من الصادر والوارد لا تقل فى السنة عن
٥٠٠ مليون جنيه وكل استعمار للرزق ولرخاء العيش . وأقدر الدول على الاستعمار من قلّ رزقها فى وطنها
ولا يتعب الانكليز كثيرا فى حكمها وجيشهم باحصاء ١٩٢٦ لا يزيد فيها على ستين ألفا . وكبار الموظفين على
٣٤٣٣ موظفا ورجال البوليس منهم على أربعة آلاف كما أن عدد الأوروبيين وأكثرهم من الانكليز لا يزيد
على ٢٠٠ ألف فهل من المعقول أن يحكم هذا العدد القليل مثل ذلك العالم الضخم ؟ ان الجواب على ذلك يجده
الباحث فى حياتهم الاجتماعية والادبية . فالمسلمون وهم أرقى العناصر كانوا عضد الدولة الحاكمة وهم خمسون
مليونا لان حكم التفريق كان سائدا بينهم ثم الجهل الذى ترك فيه الأهالى ولا يزيد الآن عدد الذين يعرفون
القراءة على ٨ بالمئة . ولانهم يقسمون الأمة الى طبقات بحكم شرائعهم القديمة . فالطبقة العليا هى طبقة البراهمة
نوّاب «الاله الارضى» فى خلقه . وهم فوق الجميع . ثم طبقة الكشاترياس أى المجاهدين والمقاتلة ثم طبقة
الغاشياس أى الفلاحين والزراع . ثم الطبقة الاخيرة الحقيرة النجسة وهى السودرا التى خلقها الله لخدمة
الآخرين . وعند البراهمة نص فى شريعة «باها كافالا» بان من قتل برهمانا حوله الله الى حشرة من حشرات
الاقذار الى أن يولد ثانية بعد موته فيأتى من عنصر باريا أى السودرا و يظل أعمى عدد شعر البقرة من السنين
ولا يغفر له ذنبه الا اذا أطعم ٤٠٠ ألف برهمانى أما اذا قتل أحد البراهمة واحدا من السودرا فيكفى للغفران ان
يرتل الفويالى وهى من أناشيدهم المقدسة ليطهر . فانظر الى قيمة هذا وذاك فى شريعتهم المقدسة ثم اسأل
أين المساواة ؟ البرهمة من آفة الهنود منذ عهد بعيد لا يقل عن ستة آلاف سنة . كان العلم محصورا بهم دون
سواهم قبل دخول الغزاة بلادهم لذلك زادوا على الكتب المقدسة ما يعزز نفوذهم و بوصفهم وكلاء «اله
الارض» وجد البغاء المقدس فى الهيا كل لاجلهم . وحكم على الناس أن يقدموا لهم جميع حاجاتهم دون أن
يقوموا بعمل فاذا ولد الطفل الهندى أعطوا الجمل واذا بلغ اليوم السادس عشر من عمره اعطوا الاتاوة
ليطهروه من رجس الولادة واذا بلغ الشهر الثالث أعطوا الاجر لقص شعره . واذا بلغ الطفل الشهر السادس
أعطى البرهمانا الأجر عن فطامه . كذلك اذا أتم السنة . ومن السنة الواحدة الى السنة السادسة عشر وهى
سن الزواج يعقد البرهمانا الزواج مقابل الأجر وكذلك فى حالة الموت واحتراق الجثة ووضع الرماد بالحق وفى كل

شهر

شهر من السنة الاولى بعد الوفاة يقدم للبرهمانة كل ماهوعزيز على الميت على اعتقاد أنه يتمتع به فى آخرته وفى كل حفلة من هذه الحفلات يغسلون أقدام البرهمانة و يشربون ماء الغسل . تلك طبقة ليست عاطلة فقط بل كالعلق تمتص دم الأمة وتقتل همها ونفوسها لما ابتدعته من الاحكام والشرائع . كذلك تقديس البقر حتى انه لايموت منهم ميت الا اذا هو أمسك بذيل بقرة من تلك الأبقار المقدسة . وهم فى الصحة والمرض يلتقطون روثها و بولها و يمزجونه بلبنها و يضعونه فى أحقاق ليؤكل و يشرب فيشفى من كل داء و يدخل الآكل والشارب الى الجنة وقد بلغ عدد البقر فى سنة ١٩٢٠ مليونا و ١٤٦ ألف بقرة و بلغت النفقة عليها ١١٧٦٠٠٠٠ جنيه أى أربعة أضعاف غلة الارض ومن هذه الابقار ٧٠ ألف بقرة لايجوز الانتفاع بلحمها وعظمها وجلدها . وفى كل سنة تقوم المعارك بين المسلمين والهندوسيين من أجل ذبح البقر والذين يزورون الهند قد يشاهدون تلك الابقار المحترمة المقدسة والناس يتراكضون لالتقاط بولها بأوعيتهم . يلى ذلك فى زعزعة رقى تلك الامة مايؤخذ أيضا من احصاء ١٩٢٠ أن عدد الشحاذين والدجالين خمسة ملايين و ٨٠٠ ألف وعدد الدراويش والاولياء ٥٢١٧٤٤ شخصا فأى جسم يتحمل مثل هذا العلق و يظل قويا ؟ الهنود يقدسون الزواج والاطفال يصلحون له عندهم من سن الواحدة فصاعدا فاذا أتم الطفلان فعل الزواج قبل البلوغ قدمت الهدايا لوكلاء «الاله الأرضى» أى البرهمانا . و إلههم سيفا يصورونه فى كل مكان بصورة أحد أعضاء التناسل والههم فيشنو بصورة فعل الزواج . فلما قرر مؤتمر جنيف فى سنة ١٩٢٣ أن تحرم الدول نشر الصور المغايرة للآداب وأن تنص قوانينها بالعقاب الشديد قابل مسلمو الهند هذا القرار بالارتياح بل بالفرح والسرور وقابله الهنود بالسخط والغضب فنص فى القانون الذى يحرم نشر الصور القذرة على اشتراط مخالفة الدين وسن قانون الزواج بعد ذلك على أن يكون سن الشابين بين العاشرة والثانية عشرة ونادى غاندى بهذا الاصلاح ولم يكتف به وأعان تاغور شاعرهم حربا على هذا القانون الذى عده فوزا للمادة على الروح وأصر على تزويج الانثى قبل أن تصير بالغة بحجة أن الانثى فى هذه الحالة لاتعرف أنها أنثى الا وهى متزوجة . أما حجة غاندى فكثرة الوفيات وضعف النسل وشيخوخة الرجال وهم فى الخامسة والعشرين ووهن النساء فى سن الشباب وكانت حرب شعواء وانتهت بان اقترح مجلسهم فى سنة ٢٥ رفع سن الزواج الى ١٤ سنة ودل الاحصاء على أن البنات اللاتى يمتن فى سن الطفولة بسبب الزواج يبلغ متوسط عددهن فى السنة ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف وقد عرف الناس أنهم رفعوا السن فى تشريع هذا العام الى ١٦ سنة أما الارامل وعددهن فى الهند ثلاثون مليونا فلا يمكن أن يتصور الانسان على ماوصف داس وغاندى والمس مايو الأميركية حالا أسوأ من حالهن مرضا وسقما وضعفا . فالمرأة اذا مات زوجها كانت تحرق نفسها على قبره أوهم يحرقونها الى أن أبطل الانجليز ذلك بعد جهد جهيد . أما اليوم فانها تحلق شعر رأسها ولاتطعم الا العيش اليابس مرة فى اليوم ولاتخاطب الا بعبارات التحقير والازدراء ولاتقابل أحدا وقد نادى غاندى بالهنديات الراقيات لينشرن الدعوة لزواج الأرمل ولاكرامهن وكانت فكرة هذه الجمعية موجودة منذ سنة ١٨٩١ ولكنهم لم يفلحوا حتى الآن كما انهم لم يفلحوا بابطال البغاء المقدس وهو أن يقدم الرجل بنته وهى طفلة للاله فيقوم وكيل الاله الارضى مقامه وهكذا تصير الفتاة بغيا مقدسة لمن يدخلون الهيكل . وفى معبد كالى ألهة الدم المسماة كالكونا باسمها . ألوف منهن . ومن أسباب انحطاط الهند طبقة السودرا اى الطبقة النجسة وعددها ٦٠ مليونا فهم فى نظر الطبقات الاخرى الثلاث دون الناس فلا يجوز لهم دخول المدارس ولا دخول الهيا كل ولا المحاكم ولا المخازن ولا المستشفيات حتى انه لايجوز لهم امتيار المياه من الآبار العمومية وفى بعض الجهات لايجوز لهم السير بالطرقات العمومية واذا وقع ظل واحد منهم على شئ أو على انسان نجسه واذا وقع على مأكل أو مشرب حرم أكله وشربه . واذا رأى أحدهم برهمانا مقبلا وجب عليه الابتعاد عن طريقه نحو مئتى متر على الاقل . كما انه يجب عليه الابتعاد عن الطبقات الأخرى نحو ٣٠ مترا ولم يتعرض الانكليز

لهذه الحالة احتراما لامر ملكتهم فى ٣ ديسمبر ١٨٥٨ بالا يتعرض أى الانكليز لاحكام الدين والعقائد وهؤلاء التعساء يعتقدون أن ذلك حكم الله عليهم . ولكن غاندى هب للدفاع عنهم بحجة أن الدين لم يحرم رفع هذه الطبقة الى مصاف الطبقات الأخرى فمن الواجب أن ترفع اليها فعقدوا فى بمباى مؤتمرا ضخما لمحاربة هذا المبدإ ولما صدر القرار فى مارس بان يكون تعليم الهنود جميعا اجباريا خصصوا ٦٩ مكاتب لاولاد هؤلاء النجسين وعينوا ٨١٥٧ مكتبا للاخرين وفى سنة ١٩٢٦ أصدر مجلس الشورى ببومباى قرارا بقبول أطفالهم بالمدارس وبالسماح لهم بتناول الماء من الآبار العمومية ولما أوفدت انكلترا المستر مونتاغو الى الهند فى سنة ٩١٧ ليسأل الهنود عما يريدون لبلادهم جاءه أناس من هذه الطبقة وقد تنورت أذهانهم من الاحتكاك بالاجانب وقالوا انهم يرفضون الحكم الذاتى لانه لا يكون الا أداة لتسليم الضفدع للثعبان ولما نزل ولى عهد انجلترا فى بومباى سنة ١٩٢١ وأذاع غاندى رسالة قال فيها ان هذه الزيارة اهانة للهنود واحتقار أضرب الناس عن مقابلة الأمير وسادت الاضطرابات فى شوارع تلك المدينة مدة أربعة أيام فقتل ٥٠ وجرح ٤٠٠ . ولكن لما أراد الامير السفر من بومباى الى دلهى ركب من القصر الى المحطة وهى تبعد ثلاثة كيلو مترات فاجتمع ألوف الألوف على طريقه يحيونه وسبقه ألوف الى دلهى للغرض ذاته وكان هؤلاء جميعا من طبقة السودرا لانهم يحبون رجلا قويا وكل قوى إله وهكذا حملهم جماعة منهم على تحية ذلك الأمير فهل رأى التاريخ ماهى الأمراض الاجتماعية التى تجعل ٣١٩ مليون انسان خاضعين خائفين لستين ألفا وهم هم الذين كان من أبنائهم ٩٨٥ ألفا فى ميادين القتال للدفاع عن الامبراطورية فظهروا فى ذلك الدفاع أبطالا أشداء تلك أمراضهم ومن عرف مرض سواد وقى نفسه واذا أردنا وصفا للهند جامعا وجدنا هذا الوصف الجامع بين شق قلم غوستاف ليبون القائل : ان الهند حلقات أولها مع أول عهد الانسانية وآخرها مع آخر مرحلة وصلت اليها المدنية . فهى سجل صادق لتاريخ الانسانية وأديانها . وتقاليدها وأطوارها وضعفها وقوتها وتدنيها ورقيها اهـ

هذه صورة أهل الهند قد وضحت الآن فى هذه المقالة وظهرت حقائق يتوق لمعرفتها العقلاء فى الاسلام . ولقد تقدّم فى هذا التفسير مافعله (ابن الصباح) فى قلعة الموت وكيف تعلم تلاميذه شرب الحشيش فصاروا حشاشين وخيل لهم أن الجنة تحت أقدام رؤسائهم . وهكذا ما فعله كثير من رؤساء الصوفية . وكيف كان التدليس فى أمم الاسلام . ألا انما مثل هذه الأمم كمثل نوع من الطير يعيش فى بعض الفصول فى بحيرات مصر بالوجه البحرى وسياسته هكذا : ينام الطير ليلا ويحرسه أربعة طيور من الجهات الأربعة والمقدّم هو الرئيس وهذه الطيور النائمة لا تطير إلا بأمر ذلك الرئيس اذا صرخ عليهنّ . وقد اعتاد الصيادون أن يقتلوا ذلك الرئيس بطريقة وهى أن يلبسَ الرجل على رأسه مايشبه وجه هذا الطائر ومنقاره وهو مختف وراء تلك الصورة وتعوم هذه الصورة على وجه الماء فيظن الطير أن هذا من جنسه حتى اذا وصل الى ذلك الرئيس جرّه من رجليه تحت الماء فقتله . فاذا أحسّ بذلك أحد القوّاد فى اليمين واليسار والخلف من الحرّاس الأربعة أسرع وصار رئيسا بدله ، وعليه يأتى الصيادون أربعة رجال فيقتلون هؤلاء الأربعة مرة واحدة وتبقى تلك الطيور بلاقائد ، ثم يأتون الى أرجل تلك الطيور النائمة فيكسرونها تحت الماء حتى لا تطير

هذا فعل الصيادين فى بحيراتنا كبحيرة المنزلة مع ذلك الطائر ، وهذا العمل عينه هو الذى حصل فى تلك الأمم الاسلامية المحكومة برجال أناموا عيونهم وأقفلوا قلوبهم

ألم تر الى مافعله المرابطون إذ أحرقوا كتب الغزالى واقتصّ له محمد بن تومرت . ألم تر الى الموحدين فى آخر دولتهم لما حرموا الفلسفة وأهانوا ابن رشد كما تقدّم فى غضون هذا التفسير وبعد ذلك لم تقم للعلم قائمة حتى أوائل هذا الزمان

ولقد أذن الله عزّ وجل بالاقبال والعز والنصر المبين ، لقد نصر الله أمم الاسلام ، والدليل على ذلك نشر

هذا

هذا التفسير ، فانا والحمد لله نكتب فيه آراء الأمم قديما وحديثا ولم ندع حكمة قلت أوجلت مما تفتخر به الأمم قديما وحديثا إلا أدرجناه فيه ومع ذلك قبله المسلمون جميعا فى أقطار الأرض إلا طوائف ضئيلة لا يعتد بهم ، وانى أقول بأعلى صوتى : إن المسلمين فى هـذا القرن الرابع عشر قد صاروا أشبه بغلام بلغ بالحلم . ذلك لأن الحروب والحوادث المريعة فى الشرق والغرب أيقظتهم وان لم يبلغوا القرن الخامس عشر الذى اعتبرناه السنة الخامسة عشرة فجدير بأن تسمى هـذه الأمة قد بلغت الحلم والله أذن لها بالارتقاء والسعادة والحمد لله رب العالمين . كتب مساء يوم الثلاثاء ١٢ نوفبر سنة ١٩٢٩

﴿ نور على نور ﴾

﴿ الكلام على البراهمة ﴾

تفسيرا لقوله تعالى ــ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ــ الخ

التى تحض على التفكير ونبذ التقليد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرصاحبى اليوم (الأربعاء) بعد الظهر (١٣) نوفبر سنة ١٩٢٩ واطلع على ماكتبته وأخذ يقرأ طوائف البراهمة والظلم والحيف والخرافات . فقال : إن هذا التفسير قد عوّدنا أن يبحث فى الشبه التى تعرض لنا فى أثناء المباحث العلمية ، وهاهى ذه الشبه تترى عند قراءة مقال البراهمة ، ذلك المقال الممتع فأقول :

إن قراءتى لأكثر هذا التفسير قد جعلتنى لا أرى طائرا ولا حشرة ولا غزالة ولا كوكبا ولا شمسا ولا قمرا إلا تمثل أمامى كأنه حكمة مجسمة وقبسة نورية وبهجة للأبصار ينظر الانسان فيرى الحشرات الطائرات مملوءة حكمة مزدانة بالاتقان . أليس من أعجب العجب أن يمرّ فى هذا التفسير نقلا عن علماء الأمم فى الأرض بلا نكير أن للذبابة أربعة آلاف عين كل عين منها مستقلة . ألم يتقدّم فى ﴿ سورة النمل ﴾ أن للنملة خمسة أعين منها عينان مركبتان كل عين منهما مركبة من نحو مائتى عين . فياليت شعرى ماهى النملة ؟ وماهى عينها ؟ وما هى الذبابة ؟ وماهى عينها ؟ وماهذه الحكم البديعة الجليلة الكثيرة التى لاحصر لها فى مخلوقات منبوذات قذرات محقورات ، وما هـذه العناية بها حتى سمعنا الله فى القرآن يقول ــ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا مّا بعوضة فما فوقها ــ ثم أعقب ذلك بما يفيد أن الناس ﴿قسمان﴾ قسم يعلم أن هذا حق ، وقسم جاهل مستهزئ . وأيضا سمعناه سبحانه وتعالى يسمى سورا بأسماء الحشرات من نمل ونحل وعنكبوت

هذه عناية الحكمة الإلهية بأقذر المخلوقات وأحقر الحشرات فكيف عمت رحمته هذه المخلوقات كلها ثم هو نفسه سبحانه يدع أمما من نوع الانسان فى الضلال والوبال والخسار والجهالة العمياء . واذا منح الذبابة أربعة آلاف عين باصرة قد ثبتت فعلا ورؤيت بالمنظار المعظم بشهادة جميع العلماء فى الأرض ، أفليس من رحمته أن يمنح أمثال هؤلاء الهنود قوى عقلية ترفعهم عن هذه الجهالة والذّل والحرمان وضلال العقول الذى أورثهم ذلّ الأبد وضياع البلد والخزى المبين

فقلت : حياك الله . لقدأجدت فى ايراد هذا السؤال وحسن منك انك أوردته لأنك فتحت لى بابا واسعا من الحكمة لولا سؤالك لم يخطر بنفسى معناه ، إن الله فعل مع هؤلاء الهنود من الرحمة أكثر مامنح تلك الحشرات وأعطى كل ذى فضل فضله . فقال أريد الايضاح . فقلت : إن الله بهذه الأحوال الهندية كأنه يخاطب الناس قاطبة يقول : « أى عبادى ، أنا حكم عدل فى الدنيا والآخرة ، فهل أخرت الشمس ثانية واحدة عن موعدها ؟ أم سيرت القمر فى غير طريقه ؟ أم أخللت بأىّ جسم من الأجسام السماوية ؟ هل نسيت حقيرا لحقارته ، أم حابيت عظيما فى نظركم لعظمته ، أما ماتظنون مما يشبه الجور منى فى هـذه الأمم

الانسانية فذلك ليس جورا مني وانما هي الحجب أسدلت على عقول أكثركم فلم تفهموها ، وظلمات الذنوب غشت على أفئدة أكثركم فلم تعقلوا مالحق بأهل الهند وبغيرهم مالفون

« أيها الناس : أنا لاأعطي ولاأمنع إلا بحق فلست أعطي الأطفال علم العلماء ولاأمنع مستحق الحكمة علم الحكماء ، والناس في الأرض ليسوا على شاكلة واحدة بل هم طوائف وفرق وأصناف لكل طائفة شأن يغنيها وحال تواتيها ، إن هذه المادّة قدقبلت الصلابة والسيولة والحال الغازية كالحديد والماء والهواء فلم أبخل عليها بجميع هذه الأحوال هكذا الحيوان اختلفت أجناسه وأنواعه وأصنافه ، فمنه بقة ومنه فيل ومنه حيوان ذرّي لاترونه بأعينكم ومنه جمل كبير ، أنا واسع ، أنا حكيم ، وكل طائفة من هذه الحيوانات سعيدة بحالها فرحة بحياتها شاكرة لخالقها فتكون المخلوقات كلها خوادم لي ، فهل من العدل أن أوسع نطاق الحيوان والمعادن والنبات والجوامد ثم أعمد الى أرقى حيوان وهوالانسان فأجعله في دوائرضيقة . كلا ، أنا واسع ، أنا حكيم . تتعجبون أيها الناس من قوم عبدوا البقر وهذا البقر يطوف عليهم آناء الليل وأطراف النهار ، تتعجبون انهم تركوها في سبلهم وحقولهم ترتع وتأكل ماتريد ، تتعجبون من ذلك كله وتقولون أيضا إن البراهمة استحوذوا على عقول القوم وغشوا على أبصارهم واستعبدوا (٦٠) مليونا وحقروهم وعدّوهم في الأذلين وهم الفريق الرابع . كلا ، لاظلم اليوم ولاظلم في المخلوقات كلها من حيث النظام العام ، هؤلاء أناس استعدادهم بيئاتهم وأخلاقهم وتركيب عقولهم لايسع أكثر من هذا . نظرت الى تركيب عقولهم والى نظام أمورهم فوجدتهم لم يتجاوزوا المحسوسات وهذا لاعيب فيه ولاظلم ، ألم أخلق في البراري والقفار مالايحصى من الحيوان . ألم أخلق في الغابات في خط الاستواء طوائف من الحيوانات والطيور ولكل منها مكان خاص إما في أسفل الشجرات واما في أواسطها واما في أعلاها ، وكل سعيد في مكانه ، مقيم في بيته ، راض عن ربه ، فهكذا من نوع الانسان طوائف ارتقوا عن الحيوان ولكنهم لم يصلوا منتهى الكمال وأحبوا القرب مني ، ولكني أنا لست كمخلوقاتي . واذا كنتم أنتم لاترون الهواء ولاالكهرباء فكيف تروني ! فمن رحمتي إذن أن أقيض لهم أناسا يضربون لهم الأمثال المجسمة إما بالأصنام واما بالحيوان ومنه هذا البقر . فاذا رأيتم البقر يطوف عليهم ليلا ونهارا وهم يعظمونه فما هذه إلا أصنام متحركة ، بمنظرها يخضعون لما يتوهمون فيها من القوّة القدسية فيعيشون معا بسلام وأمان لأنهم يتذكرون الحلال والحرام في نظركم بالأصنام في المدن وبالبقر في الحقول والسبل . أصنام متحركة اخترعوها وعجول سائبة عظموها . فهؤلاء ليس في طاقتهم ولا في امكانهم أن يفكروا في جمال شمسي وقمري وكواكبي ولافي تركيب نفوسهم تفكيرا جديا ويعرفوا بذلك مقدار عظمتي فأعطاهم رؤساؤهم تلك الصور والأشكال لتكون تذكرة لهم كما قلت لكم في القرآن حاكيا عن الكفار — مانعبدهم إلا ليقرّبونا الى الله زلفى — واذا كنت أنا قد سلطت الذباب على قذرى العيون ومتسخي الأجسام وأرسلت طوائف المكروبات (الحيوانات الذرّية) على ضعيفي الأجسام ليفارقوا الحياة في هذه الأرض رحمة بهم ، وخلقت الدود وسلطته على أجسام الناس في قبورهم فذلك لأني حكيم أضع الأشياء مواضعها ولاأعطل موجودا ، وكيف أعطل الأجسام الميتة وهي جديرة أن تكون قوتا لأمة من أمم الحيوان ، وتعطيل المنافع اخلال بحكمة الوجود ، فهكذا اذا ضلت أمة من أمم الانسان على مقتضى سنن الكون وأخذت تقترب من أخلاق الحيوان فأنا أعطيها مايشبه العلم رحمة بها ويكون ذلك أشبه بالهواء الفاسد يعيش فيه الناس والحيوان اذا لم يكن سواه وهواء فاسد خير من الاختناق والموت السريع بعدم الهواء وبعض الشر أهون من بعض وليس في طاقة أرضكم وعوالمها بحسب النظام أن تكون على غير هذا النظام ، ألم تروا يامعشر المسلمين انكم في حال جهالتكم (كان ذلك منذ خمسين سنة وأنا مجاور بالجامع الأزهر وحصل في قريتنا كفر عوض الله حجازي شرقية وشاهدته بنفسي) اذا قلّ العلم وكثر الجهل تفعلون فعل الهنود مع انكم مسلمون وأنتم بذلك

فرعون

فرعون ، ألم تعبدوا عجولا من البقر ومن الجاموس وتطلقوها فى الحقول والغيطان باسم ولىّ من أوليائى عندكم (ذلك كان فعلا فى بلادنا فيقولون هذا العجل للسيد البدوى وهذا للتربى) وهكذا فما كان الناس ليقدروا على طرد تلك الدواب من حقولهم خوفا من السيد ومن التربى بل اللصوص كذلك لايجسرون على سرقة ذلك العجول لاخوفا منى بل خوفا من عبادى الميتين (وقد تنوّرت بلادنا اليوم بالعلم وانتفت تلك الأحوال)

« تقولون أيها المسلمون إن البراهمة غشوا على عقول الهند ، أولستم ترون شيوخ الطرق والمتشبهين بهم يغدون ويروحون فى طول بلاد الاسلام وعرضها لشدّة جهالة المسلمين وقلة العلم عندهم ، وهؤلاء الشيوخ أنتم تغدقون النعم عليهم وتطلبون منهم الدعاء كأنى أنا أطلب منكم وسطاء بينى و بينكم مع ان النمل والنحل والذباب أنعمت عليها بلاواسطة بينى و بينهنّ ، ألم تروا بأعينكم فى جميع أقطار الاسلام فى جهالتها (ذلك رأيته بنفسى فى قريتنا أيضا منذ خمسين سنة) شيوخا معممين يطوفون على منازلكم و ينصبون حلقات الذكر و يغنى مغنيهم وأنتم تعطونهم (العادة) من أموالكم (وهذا اليوم قد ألغى إذ تنوّر أهل بلادى الآن) وانما طاف عليكم هؤلاء لأنكم لما حرمتم من العلم سخرت لكم قوما يعطونكم ما يشبه العلم من القصص الخرافية وجعلت هيئاتهم تدل على الصلاح لتعيشوا فى بلادكم بسلام على قدر الامكان ، فاذا كان جهلة الشيوخ عندكم أيها المسلمون يأكلون من أموالكم ولاعمل لهم إلا هذا ، واذا كان البراهمة يحقرون الشعب و ينيمون عقوله وليس لهم عمل إلا هذا و يعيشون من أموال مريديهم فذلك ان هؤلاء الشيوخ وهؤلاء البراهمة أشبه بالحكام الظالمين الذين أسلطهم على الأمم المجرمة فيكون نفعهم أكثر من ضررهم فى الحياة الدنيا لئلا يقتل بعضهم بعضا اذا لم يكن لهم حاكمون ، قوم جهلاء لم يستعدّوا للعلم فلتكن لهم صورة الصلاح يرونها بأعينهم وليأخذ أولئك الشيوخ من أموالهم ليرزؤهم عسى أن يفكر مفكر فيخرجهم من الجهالة الى مرتبة العلماء ، هذا هو نظامى فى الدنيا أيها الناس

« أما نظام الأرواح ومراتبها بعد الموت فأمره عنكم مستور ، ولكنى أقول أيها الناس : إن الأعمى هنا أعمى هناك ، إنى خلقت (حشرة الأرضة) ذات المملكة الواسعة وهى عمياء ، أفلا أخلق انسانا أرقى منها بما لاحدّ له وأضعه فى مرتبة بعد الموت لايستحق سواها ، فان كان أعمى البصيرة هنا أعميتها له هناك ، وان كان مفكرا هنا جعلته مفكرا هناك . إذن لاظلم اليوم . أنا خلقت النمل وخلقت الأرضة وما قالت إحداهما لماذا لم تخلقنى كالأخرى بل كل يعمل على شاكلته . هكذا أهل الهند الذين ضلوا ببقرهم وأصنامهم وجهال المسلمين الذين اتكلوا على شيوخهم وأتباع (أغا خان) فى الهند من الاسماعيلية الذين قدّسوا رئيسهم . وكذلك رجال البهائية اليوم الذين انتشروا فى الفرس وفى غيرها وأمريكا وأوروبا . وكذلك أتباع (غلام أحمد) بالهند وغيرها . فهؤلاء وأمثالهم يقولون ان رئيس مذهبهم هو المسيح . وعزّتى وجلالى لئن لم ينته المسلمون عن التوانى والكسل لأسلطن عليهم أقلّ الرؤساء الحاكمين عدلا وأجهل الوعاظ علما وهذا فى الحقيقة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون . أهل الهند معذبون بشيوخهم . معذبون ببقرهم وهم لايعلمون انهم معذبون . والمسلمون معذّبون بجهالة شيوخهم و بأساطيرهم وهم لايعلمون انهم معذبون »

فلما سمع صاحبى ذلك قال : لقد وفيت المقام حقه وأزاح الله عزّوجل بقولك خرافات أسدلت على العقول عجبا ولكن أرجو أن تبين هذا المقام ﴿أوّلا﴾ أن تفيض القول فى أمر الهنود الذين خضعوا للبراهمة فتضرب مثلا لما أضرّهم من التقاليد ﴿ثانيا﴾ أن تبين لى نموذجا من كتب أكابر المسلمين تدعو الى مايشبه بعض الشبه مافعله البراهمة حتى يظهر لنا بامتحانها انها لاتصلح لهذا الزمان ، ومتى فعلت ذلك انصرف المسلمون عن هذه الأحوال ﴿وثالثا﴾ أرجو أن تضرب مثلا لما تفعله بعض الأمم التى لم يقتلها التقليد فى زماننا حتى يوازن

المسلمون بين من قتلهم التقليد الجاهل و بين من أحياهم العلم . فقلت : إذن ذلك ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴾ في بيان الضرر الفعلي في بلاد الهند من سوء التقليد ﴿ الفصل الثاني ﴾ في نموذج من كتب منسوبة لبعض علماء الاسلام تدل على الطريقة التي كانت متوارثة فيما بين الملوك ورجال الدين ﴿ الفصل الثالث ﴾ في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا . وهاك بيانها

(الفصل الاول)

(في بيان المضار الحاصلة في بلاد الهند في هذه الأيام بسبب سوء التقليد تفسيرا لهذه الآيات)

جاء في جريدة «الاهرام» بعنوان ﴿ رسالة الهند بالبريد الجوي ﴾ من مدراس بتاريخ (۱۷) اكتوبر سنة ۱۹۲۹ م ما نصه :

كانت الجمعية الهندية التشريعية في خلال الأسبوع منهمكة بمشروع اصلاح اجتماعي نال الشئ الكثير من اهتمام أعضاء الحكومة والزعماء الوطنيين وهذا المشروع هو من اقتراح رأى (هر بيلاس سردا) أحد الاعضاء الخصوصيين وهو عبارة عن مشروع قانون عقوبات على زواج الذكور قبل سن الثامنة عشرة والاناث قبل الرابعة عشرة وقد اجتاز هذا المشروع المصاعب الأولية بفوز ونجاح . وذهبت جميع مساعي المدافعين عن تقاليد المذهب الهندي و بعض المسلمين أدراج الرياح وتقرر النظر في المشروع مادة مادة . ولا ريب أن مالقيه هذا الموضوع من التأكد العظيم سيقنع العالم الخارجي أن الرأى العام في الهند قد بدأ يثور على العادات القديمة وهذه علامة تبعث على الرجاء . ان الزواج في الهند يكون عاما للنساء والرجال . فالهندوكيون يبكرون في الزواج أما عنصر البارسي فلا يتزوجون الا كبارا وهناك شيعة من الهندوكيين تجيز تعدد الزوجات وطائفة الكولين من مذهب البراهمة يتزوجون أكثر من زوجة واحدة واحدة والمسلمون وان كانت ديانتهم تبيح زواج أربع نساء فانهم لا يتزوجون عادة أكثر من زوجة واحدة . ولا تزال عادة الزواج بالأسير شائعة في طائفة الخول في أواسط الهند . والهندوكيون يعتبرون الزواج سرا مقدسا والزوجة الهندوكية تعتبر شريكة مساوية لزوجها . ولا تزال سيتا زوجة راما بطل لامايانا لدى الهندوكيين المثل الأعلى للزوجة وحسبنا أن نقتبس هنا ما وصف به جنكا والدسيتا ذلك الملك الحكيم ابنته عند مازفها الى عروسها البطل (السر راما) فجاء وصفه مطابقا لما يعده الهندوكيون المثل الأعلى للزوجة في كل عصر وقد قال مخاطبا (السر راما) شعرا مؤداه : «هذه هي سيتا ابنة جنكا التي هي أعز عليه من الحياة . وستكون من الآن فصاعدا شريكة فضيلتك أيها الأمير وزوجك الأمين . وستشاركك في السراء والضراء في كل بلاد . فأكرم مثواها وتلطف بها في البهجة وفي الاحزان وضع يدك في يدها . ان الزوجة الامينة يجب أن تكون كالظل لزوجها لا تفارقه . و بنتي سيتا خير النساء ستتبعك في الموت والحياة»

ان مراسيم الزواج في الهند بديعة يعقبها الشئ من الأفراح والمسرات . والطلاق نادر عند الهندوكيين ولكنه شرعي جائز عند المسلمين . أما البارسيون سواء من المسيحيين أو البوذيين فنسبة المتزوجين منهم الى غير المتزوجين هي ٤٣٨ في الألف من الذكور و ٤٦٧ في الألف من الاناث . وتكاد تكون هذه النسبة ذاتها في الطوائف الأخرى . والزواج المبكر شائع لدى بعض طوائف الهندوكيين والاقتران قبل سن العاشرة أكثر شيوعا في باهار واور يساو بمباى وأواسط الهند وحيدراباد وهو نادر جدا في عسام و بورما وولايات الحدود الشمالية الغربية والسند ولكنه على كل حال قاصر على الطبقات الدنيا غير المثقفة . فكثيرا ما يتفق أن يقترن شيخ فان بفتاة في ربيع العمر وهذا بنوع خاص عند الهندوكيين . فالوالد الذي يهب بنته لقاء قبضة من الذهب لشيخ بقية أيام حياته معدودة يكون بعبارة أخرى قد ابتاع لها الترمل الأبدي وهو نوع من قتل الاطفال ولسوء الحظ لا ينهى عنه القانون الا في ولاية ميسور الراقية حيث لا يجوز قانونا أن يقترن رجل في الخمسين من العمر بفتاة دون الرابعة عشرة من عمرها وفي بارودا قانون يمنع زواج البنت دون الثانية عشرة من العمر والغلام دون

السادسة

السادسة عشرة . وهذه الأعمار ليست طبعا آخر مايقال ولكن بقية الولايات الهندية حتى الهند البريطانية لم تقتد بهاتين الولايتين الراقيتين اللتين يحكمهما أمراء متنورون احرار المبادئ من الهندوكيين ولم ينسج على منوالها لعدة أسباب ، والذى زاد هـذا النظام ضررا هو مايتبعه الهندوكيون فى مسألة الأرامل لان مذهبهم لايجيز زواج الأرملة وان كانت فى زهرة صباها حتى ولو كان الزواج لم يعـد عقـد الخطبة . ويبلغ عدد النساء الأرامل فى الهند ثلاثين مليونا ومعنى ذلك أن بين كل مئة امرأة ١٩ أرملة مع ان نسبة الارامل فى أوربا لاتزيد على ٩ فى المئة ولكن بينما لايوجد بين أرامل أوربا سوى ٧ فى المئة دون سن الأربعين من العمر يوجد بين أرامل الهند ٢٨ فى المئة دون هذه السن ومما يدهش قراء كم أن هناك ١٦٠٠٠ أرملة فى الهند لاتتجاوز سنهن خمس سنوات وهناك نحو ألف أرملة لايزيد سنهن على سنة واحدة . فالقضاء على هذه المخلوقات البريئة أن تقضى العمر فى الترمل مع مافيه من الحرمان عند الهندوكيين سخافة جنائية

وقد اهتمت الطبقة المتعلمة أخيرا و بذلت كل مافى وسعها لالغاء هذا النظام المتعلق بالأرامل . وتبذل الآن مساع عظيمة من عدة مصادر لتشجيع مشروع زواج الارامل الذى أبيح قبل الآن بفضل جهود المصلحين ومن مجموع أرامل الهند عشرون مليون أرملة من الهندوكيين فهذه المسألة وغيرها من المسائل الاجتماعية كزواج الاطفال والامومة المبكرة قد انتقدت أشد انتقاد ولاسيما من الكتاب الغربيين وأخص بالذكر منهم (المس مايو) الكاتبة الامريكية الشهيرة التى صورت هذه المسائل تصويرا مجسما وأفاضت فى وصف هولها وشناعتها وقد ذكرت فى رسائلى الماضية الجهود التى يبذلها زعماء الهند لتحسين حالة المرأة الهندية . والحقيقة ترغمنى على القول انه حتى نهار أمس كانت حكومة الهند أكبر حليف للرجعيين الذين يأبون اصـلاح النظام الاجتماعى من جميع الطوائف . وبالرغم من هذا كله فان الحوادث سائرة سيرا سريعا شطر الاصلاح وشعرت الحكومة بانها مرغمة لان تعين لجنة تمثل الهندوكيين والمسلمين للنظر فى مشروع تحديد سن الزواج . وقد كان العضوان المسلمان فى هذه اللجنة كلاهما من معارضى المشروع ولكن أحدهما وهو منان شاو أخان رأى نفسه أخيرا مرغما بالأدلة الساطعة التى قدمت الى اللجنة على أن يغير اعتقاده فاعترف فى الساعة الاخيرة إن زواج الاطفال المتبع حتى الآن يجب أن يحرم وتفرض على مرتكبيه العقوبات وإن معارضة المتمسكين بحرفية أصول المذاهب يجب أن لايأبه بهاباتا . وكانت سيدة هندية ضمن أعضاء هذه اللجنة . وقد أصدرت هذه اللجنة قرارها قبل انعقاد جلسة الجمعية التشريعية الحالية . ومما استوقف الانظار فى أثناء التحقيق الذى كانت تقوم به اللجنة هو ازدياد الرأى العام الذى يؤيد فكرة وجوب تغيير مشروع قانون عقوبات زواج الاطفال واعتبار البغاء الخارج عن دائرة الزواج جريمة خطيرة قبل سن الثامنة عشرة وهى السن التى يمكن اعتبار المرأة فيها راشدة وان ماترتكبه يكون برضائها . وفوق ذلك فان البعض طلبوا بالحاف أن يعتبر البغاء جناية بصرف النظر عن سن المرأة . وقد أوصت اللجنة بوضع قانون يحدد النهاية الصغرى لسن زواج البنات ١٤ سنة وأوصت بأن يكون سن الرضا بدخول الزوج على عروسه ١٥ سنة . وأن يكون سن الرضا لصيانة البنت من اغواء شخص غير زوجها الشرعى ١٨ سنة وأن يعتبر دخول الزوج على عروسه قبلما تبلغ سن الخامسة عشرة جريمة تدعى سوء استعمال حقوق الزواج . وانه لما كان كل شئ يتوقف على سن البنت أوصت اللجنة بوجوب اتخاذ تدابير فعالة لتسجيل المواليد وتسجيل عقود الاقتران واصدار شهادات بالولادة والزواج . فى جو مثل هذا عقدت الجمعية التشريعية جلستها أمس للنظر فى مشروع قانون زواج الاطفال المعروف بمشروع سردا . انتهى الفصل الاول

(الفصل الثانى)

(فى ذكر نموذج من نماذج الكتب الاسلامية التى تدعو الى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة فى الهند)

هاهو ذا أمامى كتاب «سر العالمين» لأستاذى وأستاذ المسلمين جميعا (الامام الغزالى) وهذا الكتاب يخالجنى فى نسبته اليه شكوك بل جحود لأن فيه ما يخالف طريقته ، ولكن الكتاب فيه آراء هى هى التى ظهرت فى كل زمان ومكان بأمثال الموسويين كابن تومرت المتقدم ذكره وشيوخ الطرق ، الكتاب صفحة واضحة بها يتجلى للشبان بعدنا كيف كان رجال الصوفية ، وكيف كان الملوك يرهبون الشعب ويخضعونه و يفعلون بعض ما يفعله البراهمة أيام أن كان آباؤنا فى أزمان طفولية الأمم الاسلامية فحجبوا عن العلم ، الكتاب كله يرجع الى جملة واحدة ذكرها العلامة (ابن المقفع) فى كتاب «كليلة ودمنة» الذى ترجمه من الفارسية الى العربية وهى يجب أن تكون أحد رجلين ملكا عظيما أو ناسكا عابدا ، وهذه الآراء بانتشارها فى الاسلام أضلت الأمة ، فكل متعلم يتعالى على الشعب إما بالعظمة العلمية واما بالعظمة الروحية والزهد . وهذه العظمة يأباها الاسلام . فالأمة كلها متعاونة وعلى كل أن يكون له عمل يوافى قدرته فتكون الأمة كجسم واحد . هذا ولأسمعك شذرات من الكتاب تبين مقاصده . وهاك نصها

«قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدّس الله روحه ونوّر ضريحه لما رأيت أهل الزمان هممهم قاصرة على نيل المقاصد الباطنة والظاهرة وسألنى جماعة من ملوك الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك وما يعينهم على ذلك استخرت الله فوضعت لهم كتابا ، وسميته بكتاب (سرّ العالمين . وكشف ما فى الدارين) و بوّبته أبوابا . ومقالات وأحزابا . وذكرت فيه مراتب صوابا . وجعلته دالا على طلب المملكة وحاثا عليها . وواضعا لتحصيلها أساسا جامعا لمعانيها . وذكرت كيفية ترتيبها وتدبيرها فهو يصلح للعالم الزاهد . وللعالم المالك بتطييب قلوب الجند وجذبهم اليه بالمواعظ . فأول من استحسنه وقرأه علىّ بالمدرسة النظامية سرا من الناس فى النوبة الثانية بعد رجوعى من السفر رجل من أرض المغرب ، يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية ، وتوسمت منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لان تحته أسرارا تفتقر الى كشف إذ طباع العالم نافرة عنها وتحته علوم عزيزة و إشارات كثيرة دالة على غوامض أسرار لا يعرفها إلا فحول الحكماء ، فالله يوفقك للعمل به فانه دال على كل ما تريد ان شاء الله تعالى»

وقال أيضا «فاركب بسر علوّ الهمة وحصل الاتها ليتم لك كيماؤها وصير عندك نديما كاتما مطلعا على كتبها ، أعنى بها كتب سرّ العالمين ، ثم حصل أرباب صناعة التقليب الذين هم علماء تقلب الكيمان قادرين على صبغ الأحمر والأبيض . فان كنت قليل الرجال ضعيف العضد وقليل المال فكن كثير الفضل والعلم واتخذ لنفسك زاوية على طريق التزهد واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ طريق الكرامات لينصبوا اليك واستهو الكبار واسلك طريق الصلاح وزنها لنفسك واختل . فاذا هبّ نسيم سعادتك فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور وارتكاب مالا يجوز من كل أمر منكر وأمر أصحابك تستهوى وتجذب كل طائفة منهم قوما آخرين»

وقال أيضا «وقد شاهدت محمد بن الصباح إذ تزهد تحت حصن الموت . وكان أهل الحصون يشتهون أن يطلع اليهم فلم يفعل وهو يحصل المريدين ويعلم طريق الارادة والتلمذة وشيأ من الجدل . ثم جعل يهذر بكلام على قدر عقولهم . ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين ، أما ترون الناس قد تركوا الشريعة . فلما كبر الأمر خرج اليهم بطريق ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ فصبا اليه خلق كثير . وخرج صاحب

القاهرة الى الصعيد والتلامذة أكثرهم أهل القاهرة فتحوا الحسن ودخله وقتل الملك فى الصعيد وفشا أمره ومذهبه حتى صنفت فى الرد عليهم كتابا وسميته (قواصم الباطنية) ومنتظرهم فلا بدّ فى آخر الزمان أن يهجروا الشرائع ويبيحوا المحرمات »

وقال أيضا « ولما مات هارون استخلف الأمين وفر المأمون الى مدينة أصفهان ومعه الحسن بن سهل وكان المأمون ذا فنون وعلوم وآداب فقعد المأمون فى المسجد الجامع وقد فرشه باللبد زهدا والناس يهرعون اليه لتعلم العلوم وابن سهل يوحى الى الطوائف ويقول لهم أليس هذا هو الخليفة حقا فبايعوه ويقول لهم سنة هذا سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدرج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفا وكانت الأعاجم تسمع بطريق الأمين الفاسد ففروا وطلبوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون . فكم من هذه السير المقولة وإنما نسمعك بعضها تقوية واعانة لهمتك »

هاهو ذا بعض ما فى الكتاب . وقد ذكر اظهار الكرامات وذكر حسن بن الصباح . وأنت اذا قرأت الجزء الأول من الكتاب أيقنت أن مافيه هو ما فعله محمد بن تومرت . وأذكرك بما مرّ فى ﴿سورة الشعراء﴾ من أن كثيرا من الأمراء كانوا مشعوذين والأمم تتبعهم بالتقليد . وانظر نبذة مما جاء فى الجزء الثانى من كتاب ﴿سر العالمين﴾ المذكور وهاك نصها :

﴿واعلم ان الزمان حبيب أهله وطائفة تخترع لها مذهبا فى الناموس بطريق الزهد كالسبح والمرقعات وجلود الغنم والبرانس وأذان الليل والانقطاع فى الكهفان وكبر الامور بحيث أن يقول لصاحبه اذهب ففى الموضع الفلانى كذا وكذا . وطائفة تظهر النور وأخرى تقعد بين القبور واظهار الخزعبلات والنيرنجيات بعرض الكرامات ودهن الاقدام والخوض فى النار واظهار الخرق من سمندل الصين التى يذهب وسخها النار ومدّ الشعبذة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ووقوف السجادة فى الهواء وشعلة القناديل واشعال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لاعدد لها . والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام الشئ واظهاره للناس كالقرآن المجيد فهو المعجز الأكبر والناموس الأعظم﴾ اه

إن هذا الكتاب أكثره أوكله مدخول على الامام الغزالى . وقد قلت لك انه صفحة من تاريخ المهدويين وكثير من الأمراء والرؤساء الروحانيين وغيرهم

فقال صاحبى : ياسبحان الله . انك إذن تنكر كرامات الأولياء ﴿وبعبارة أخرى﴾ إن كتابك هذا انكار لأعزّ شئ عند المسلمين وهى الولاية . فقلت حاشا لله أن أنكر الولاية والله سبحانه وتعالى يقول — ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة — . فقال نعم ولكنك وازنتهم بالبراهمة وقلت إن هؤلاء الأكابر يسيطرون على الشعوب بأحوالهم وبأعمالهم . فقلت : أنا أقول لك إن هذه الحياة غير ثابتة ونحن على الأرض أياما معدودات ولابد لنا من السفر منها وتوديع أهلها والحياة بدون حب حياة محاولة والمحبة للجمال وللمال وللولد وللملك وللصيت وللذكر الحسن لاتدوم لأن الجمال ومابعده فى الأرض كلها زائلات سريعات العطب ، والعلماء لما فكروا لم يجدوا محبوبا أجلّ من كل محبوب إلا من هو منبع الجمال وللمال وللملك وللصيت وليس يعطى الجمال ولا الملك إلا من يملكه ، فلولا أن صانع العالم أجل من كل جميل ، وأحكم من كل حكيم ، وأعظم من كل عظيم ماخلق الجمال ولا الحكمة الخ لأن فاقد الشئ لايعطيه . هنالك جعلوا حياتهم كلها وقفا على ﴿أمرين﴾ العلم بذلك الجميل المحبوب بدرس مصنوعاته والعمل لاسعاد أشرف من على الأرض وهو نوع الانسان ، فالولىّ هو الذى اتصف بهاتين الصفتين وهما العلم بهذه العوالم حتى يحب الصانع والسعى فى اسعاد الأمم ، إن ذلك الولىّ يرى أن محبوبه الذى عرّفه بمصنوعاته له عناية تامة بكل مخلوق على الأرض ، فهو إذن يحب ما أحبه ويسعى

فى اسعاد عباده وأقربهم اليه بنوآدم ، فالله عليم وحكيم فى صنعه ، فهذا أيضا يعلو وتكون له أعمال صالحة متقنة اتقانا تاما بنظام بديع . وكل صانع متقن صنعته سواء أكانت الصنعة تأليفا أوآلة نافعة للناس كان قربه على مقدار اتقان صنعته بمقتضى درجته

فقال صاحبى : هذا حسن . ولكن ماتقول فى الكرامات . فقلت : هـذا هو بيت القصيد . لقد تقدم فى هذا التفسير ما نقلتـه عن الشيخ الخواص والشعرانى والدباغ من كبار الأولياء فى الاسلام إذ أجمعوا أن الكرامات ليست مقصودة لذاتها . وأن الصالح اذا ظهرت على يده خوارق العادات إن فرح بها واطمأن كانت سببا فى حرمانه وإذلاله وطرده لأنه لافرق بين المال و بين تلك الكرامات حتى قال الشيخ الدباغ : « إن من كشف له عن العوالم العلوية يكون فى خطرشديد ، وهذا الفتوح أكثره عذاب واستدراج و بعد عن الله فالحجاب خير من هذا لأن هذا الفتوح يغرّ النفس فتقف عن الرقى فيكون استدراجا قال الله تعالى ـ سنستدرجهم من حيث لايعلمون ـ » فهذا القول اجماع من القوم

فقال صاحبى : ولكن النفوس الانسانية يدهشها أن ترى اخبارا بالغيب أوأمورا خارقة للعادة فمن حقها أن تتبع أولئك الذين ظهرت على أيديهم تلك الخوارق . فقلت : هذا هوالذى جاء الرسل لمنعه وانكاره . إن خوارق العادات المنقولة عن الشيوخ أكثرها كاذب والذى صدق منها ليس يدل على الفضيلة لأن الفضيلة كما قدّمت فى العلم والعمل وأما هذه الخوارق فليست من خواص دين الاسلام بل هى أمر عام عن المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان . فكم فى البراهمة من مخبرين بالغيب . وكم فى الأمم الوثنية من لهم أعمال خارقة للعادة . وهؤلاء وهؤلاء يموتون ولافضل لهم إلا ان الناس يهدونهم الهدايا و يقدّمون لهم القرابين . فجزاؤهم قد أخذوه فى الدنيا . وقد قدّمت لك قول الشيخ الخوّاص للشعرانى « ان الولىّ يجب عليه أن لا يأخذ من الناس شيأ . وانه اذا أقبل الناس عليه كان هذا الاقبال جزاء معجلا فى الدنيا فيموت مفلسا لا له ولاعليه ، وربما مات مدينا ولاثواب له بعد الموت »

وانما ذكرت لك كلامهم (وأيضا أحيلك على كتبهم) لأنى أعلم أن الأمم الاسلامية توقن اليوم ايقانا تاما بما يقوله نفس هؤلاء الأولياء رحمهم الله ولن يقدرأحد أن يقول . كلا . وأعظم الكرامات العلم واحساس النفس بحب صانع العالم ثم الشوق الى لقائه . ومن لم ينل هذه المرتبة وهى الشوق الى لقاء ربه وحبه والغرام به وانتظارالموت للقائه فهذا ليس وليا . ومن قعدت به همته عنداعظام الناس له بسبب كراماته فهذا رجل جاهل مسكين أحبّ الدنيا وانقطع لها بقلبه والناس من غفلتهم يقبلون يده . فقال : ومادليلك . فقلت قوله تعالى ـ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولايتمنونه أبدا بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ـ

فقال صاحبى : إن هذا القول منك حسن وأنا نظرت ما نقلته أنت فى هذا التفسير عن هؤلاء الأولياء ولكن لماذا لم يقل القرآن ولا النبىّ ﷺ هذا ؟ القرآن مملوء بخوارق العادات فحسبنا ذلك فيها وفيمن ظهرت على أيديهم . فقلت القرآن هوالذى نزل لاقفال هذا الباب ، ألم تر الى عجل السامرى إذ عبده بنواسرائيل إذ رأوه أفضل من عصا قلبت حية والى سحرة فرعون كيف آمنوا لأنهم علماء ، إذن المدار على العلم لاعلى هذه الخوارق والله يقول ـ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الخ وأذكرك بحديث الدّجال ذلك الذى تظهرعلى يديه خوارق العادات ، فانظر حديثه الذى رواه البخارى بسنده عن المغيرة بن شعبة أن المغيرة قال له يارسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهرماء قال هوأهون على الله من ذلك ، و يقول الشيخ محيي الدين النووى عن القاضى عياض « انه شخص ابتلى الله به عباده فأقدره على أشياء من المقدورات

من

من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له ﴾ الى آخر ماقاله انظره فيما نقله الخازن فى تفسير آية ــ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون ــ فى تفسير ﴿سورة المؤمن﴾ وهى سورة غافر

وأنا أقول انما جاءت مسألة عجل السامرى فى القرآن وجاء أمر الدجال فى الحديث وحذر النبى ﷺ المسلمين منه وأفادهم أن الأنبياء حذروا قومهم منه . أقول انما جاء ذلك كله ليعرف قراء هذا التفسير وأمثاله اننا نحن الآن قد خدعنا الدجالون فى داخل الاسلام وفى خارجه . وقد يكون الرجل دجالا ولاعلم له بحاله . وكل من صد الناس عن الحكمة والعلم وأرجعهم الى طريقته وحده فهو دجال علم أولم يعلم . فماذا يصنع الله للمسلمين بعد هذا . ذكرهم فى القرآن أن المدار على التعقل والفهم . ان عجل السامرى عبده الجهال وأما العلماء فلا . وأخبرهم ﷺ أن الدجال تكون على يديه خوارق العادات وأن جنته يجب الاحتراس منها وأن ناره تصير بردا وسلاما على داخلها

وأنا أقول كما قلت فى مواضع كثيرة من هذا التفسير ﴿ العلم والعمل صعبان على الناس والجهل والخلوة والذكر مع اهمال أعمال الحياة سهلة على الناس ﴾ فليزج المسلم بنفسه فى العلم والعمل وان كانا شاقين عليه فهما سعادة له فى الدنيا والآخرة . أما الكسل فانه معطل للمواهب وهو جنة ظاهرا وجهنم حقيقة . واذا وجدنا أن عيسى قتل الدجال فلنقتل نحن الدجالين فى أمم الاسلام قتلا أدبيا بأن نعمم التعليم فى ديار الاسلام فالعلم وحده يقضى على الخرافات ويحيى النفوس . فالمسيح رمز للعلم والدجال رمز لأولئك الذين أضلوا الأمم وهم جاهلون . لا دجل أكثر من الجهل . انظر الى الأمير عبد القادر الجزائرى . ذلك الرجل الحكيم كيف حارب الفرنسيين سنين وسنين . ولكن لما عم الجهل بلاده جاء عالم فرنسى وصار مطلعا على أسراره . ومن هنا غلب المسلمون على أمرهم لأنهم لم يقرؤا تواريخ الأمم فقل احتراسهم . ثم انظر الى محمد أحمد المهدى السودانى ظهر للناس بالكرامات ولكن لنقص العلم بأحوال هذه الدنيا لما أسلم رجل نمساوى كان فى الجيش الانجليزى (أئمنه) وبه وحده فتح السودان ولقد كان ينام على باب المهدى ويبيت به يقول « لاإله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدى ولى الله » وهكذا

فقال صاحبى : أنا الآن اكتفيت أن تلك الخوارق لاتقيم أمة وأن المدار على العقل . فهل لك أن تحدثنى عما رأيته أنت منها . فقلت انظر كتاب الأرواح تأليفى . فلقد مر فى هذا التفسير منه كثير وهو مملوء بعجائب الخوارق العجيبة على يد الأرواح المحضرة من احضار الفاكهة فى غير أوانها ومن الاخبار بالغيب الخ

وانى أحدثك حديثا حصل فى مصر . وذلك انى يوما كنت جالسا مع المرحوم صديق حسن باشا جلال فى منزله بالاسكندرية فحضر صدفة مستشار كبير فى محكمة الاستئناف وقال أنا أريد أن أحدثكما حديثا عجيبا . أنا كنت قاضيا فى قنا بصعيد مصر فحضرت عند عمدة البلدة وكان هناك رجل يسمى الشيخ سليم فقالوا له أظهر شيئ (للبك) أى القاضى فرفض وأبى فألحوا عليه ثم قالوا للبك اطلب شيأ فقال أطلب منك أن تحضر لى زجاجة (فيها روائح عطرية) قال وهذه لاتكون إلا بالاسكندرية . فقال له : هالا أعطنى (٢٥) قرشا فأعطيتها له فرماها فى الجو وصار يضرب على عجب ذنبه فى مؤخر ظهره ثلاث دقائق ، ثم قل ضع يدك فى جيبك قال فوضعت يدى فى جيبى فوجدت الزجاجة فدهشت وقرأتها وهى باللغة الفرنسية وعجبت أشد العجب فقال المرحوم حسن باشا جلال دينى يمنع ذلك وكنت لم أطلع على علم الأرواح الحديث اطلاعا تاما ولم أؤلف كتاب الأرواح . فقلت إن كتاب الاشارات لابن سينا فيه ان بعض النفوس الانسانية تقدر على أعمال عظيمة وعلى اخبار بالغيب ، وضرب مثلا لذلك بأن الترك يأتون برجل يعرفونه ويربطون حبلا فى رقبته ويذهبون به ويجيؤن فيغشى عليه فيخبر بالغيب . وهكذا يقول : ﴿إن قوما يضعون قطرة حبر فى زجاجة فيها ماء

و يأمرون شخصا مخصوصا فينظر الى تلك النقطة نظرا طويلا فيخبر بالغيب ﴾ وانتهى المجلس على ذلك . ثم إن الشيخ سليما المذكور سمعت بعد ذلك عنه من كثير من القضاة والمستشارين والمحامين والعلماء والمدرسين غرائب تفوق التصوّر ومع ذلك كان رجلا جاهلا . ثم انني لي أصحاب من شيوخ الطرق أخبرني غير واحد منهم انهم يتظاهرون بالاخبار بالغيب إيهاما للعامّة واستحوذا على عقولهم

فقال صاحبي : أنت الآن أعلمتني علما اقناعيا أن هذه الخوارق ليست مقصودة ولا نافعة بل قد تكون ضارّة فهل يوافقك علماء الاسلام على ذلك ؟ فقلت انهم يقولون ﴿ إن خوارق العادات كما تكون على أيدى الأنبياء تكون على أيدى العامّة وعلى أيدى الكاذبين والفاسقين وتسمى على يد الولى كرامة وعلى يد النبى معجزة وعلى يد الجاهل معونة وعلى يد الفاسق استدراجا ﴾ فقال والله هذا عجب فأرجو الآن أن تختم هذا القول بحادثة تكون مدوّنة فى الكتب موثوقا بها عند الأمم التى تعيش معنا حتى تكون مقوّية لما ذكرته أنت لأن ما ذكرته أنت يسمى خبر الانسان واحد ولكن ما نذكره عن أهل العصر يكون قد اطلعت عليه الأمم وأقرّته . فقلت : أحدّثك عما جاء فى « مجلة الجديد » تحت العنوان التالى وهذا نصه :

(أشعوذة أم علم ؟)

اعلم أن (هوديني) رجل ساحر أمريكى كان يعيش فى عصرنا هذا واشتهر بأفعاله الغريبة التى بزّ بها كل ساحر سبقه حتى اذا مات منذ سنوات دفن معه سر كثير من أعماله التى لم يجد لها الناس تعليلا ، فمن ذلك انه يأتى بكرة ضخمة يدخل فيها رجلا ثم يربط شرائط الكرة الى بعضها و يطلب من الرجل أن يخرج من الكرة دون أن يمزّقها ودون أن يفك الشرائط ، وهذا العمل مستحيل كما هو ظاهر ، ولكن هوديني استطاع أن يفعله بكل بساطة وسهولة ، ويحبس (هوديني) نفسه فى تابوت من الرصاص أحكم إغلاقه ثم يدفن على عمق ستة أقدام من سطح الأرض فاذا بك تراه أمامك بعد لحظة ، وقد يدخل أيضا الى الخزائن الحديدية الهائلة التى تستعملها البنوك الكبيرة وتوصد الأبواب الضخمة عليه ولكنه لا يلبث أن يبدو لك كأنما هبط من السماء ، وهزأ (هوديني) بجميع سجون أمريكا وأوروبا كما ان الأغلال لا تستمر فى يديه إلا ريثما يمضى ثوان معدودة فاذا يداه طليقتان واذا هو حرّ يمرح ، والآن بعد أن مات يتساءل الناس : كيف تسنى له أن يمارس كل هذه العجائب ؟ و يقول (السر ارثر كونان دويل) « انه يعلل هذه الظواهر الغريبة بأن لهوديني القدرة على التحلل من الحالة المادّية » ولكن هوديني نفسه سخر من هذا الرأى الذى يريد أن يقرّره (السر ارثر كونان دويل) فقد كتب هوديني يقول :

« لست أتحلل أو أتجسد ، وكل ما فى الأمر انى أحكم فى ارادتى وأسيطر على الأشياء المادّية على طريقة أفهمها وحدى ولا يستطيع أن يفهمها سواى ممن قد أبوح لهم بأسرارى ، على انى أرجو أن أدفن بأسرارى معى لأنها لا تفيد الانسانية ، واذا عرفها بعض عديمى الذمة تسنى لهم بواسطتها أن يسيؤا إخوانهم »

ولقد بلغ من ركون (هوديني) الى كفايته وقدرته الشاذة انه سجن نفسه فى سجن (سيبيريا) الشهير الذى يفخر البوليس الروسى باستحالة الهرب منه على أى سجين ولكن (هوديني) استطاع أن يرى الضوء بلا مشقة ، ولقد قيد (هوديني) بالسلاسل الضخمة وربط الى فوهة مدفع تنطلق منه قنبلة بعد ربع ساعة ولكن هوديني تخلص من قيوده فى ست دقائق

وجملة القول ان (هوديني) أتى بعجائب يحار فيها العقل ومازلنا حتى الساعة نجهل شأنها . انتهى ما جاء فى المجلة المذكورة والله أعلم

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وضح الأمر وعرفنا لماذا ذم الله التقليد ، والله لقد كنت فى حيرة وشك

وشك في أسر أمة الاسلام ، فبينما أنا أقرأ تاريخ النبيّ ﷺ وأصحابه فأجدهم قد تفانوا في خدمة النوع الانسانى وهدايته فمات عمر مقتولا وعثمان كذلك وعلى كل هؤلاء كانوا صادقين صالحين لم يحبوا الدنيا ومع ذلك لم تنقل عنهم هذه الحوادث المدهشة . أقول فبينما هؤلاء كذلك إذ أنا أجد جميع مشايخ الطرق إلا قليلا وكذلك المهديين كابن تومرت وغيره ، كل هؤلاء تنقل عنهم أحوال لم ترد عن الصحابة والتابعين فيحار الانسان . أيرجع الى الصدر الأوّل والى فعل رسول الله ﷺ فيكون بلا كرامة ولا يقبل عليه الناس اقبالا روحيا ، أم يترك الدنيا ويزهدها عسى أن يتبعه الناس ويقبلوا عليه ويكونوا له أعوانا وأصحابا فان لم يصل لهذا فقد أراح نفسه من الناس واستراح في منزله وتعبد لربه وصار وليا وانتهى الأمر . قال : فأقول الآن إن هذا كله أصبح في نظرى جهالة وأنا أقول أنا الآن مطمئن لقولك وسأرفع صوتى بين المسلمين قائلا لهم بالبرهان لا بالتقليد

« أيها المسلمون جميعا : نحن اليوم مغرورون فكونوا جميعا عاملين علماء مفكرين وإياكم أن يخدعكم قوم عن طريق النبيّ ﷺ وأصحابه وصلوا بالليل لتقربوا من ربكم ولا تشغلوا أنفسكم بما لا يفيد دنيا ولا أخرى . فقلت له : لقد فتح الله عليك وأرشدك يقينا بأن هذه الطرق القديمة ضارّة بالمسلمين قاتلة لهم وانها طرق دجل وخداع وان كان بعض أصحابها مخلصين على مقتضى تعليم شيوخهم كحسن بن الصباح وأمثاله أذكرك بأمبراطور اليابان وهو جدّ الأمبراطور الحالى فانه كان من أسرار ديانتهم أن جدته التى مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت امرأة نازلة من السماء فكان يعتبره اليابانيون نصف إله باعتبار أمه وهى إلهة وعلى ذلك كان لا يراه أحد لأن من رآه احترق بالنار . فماذا فعل ؟ نظر الرجل فوجد أن أوروبا أكلت الشرق أكلا لما . فماذا يصنع ؟ نزل الى الشعب وسار فى الشوارع وقال للناس أنا الأمبراطور انظرونى لا تخافوا فأزال هذه الخرافة . ثم انه أمر بالتعليم العام وقرأ الشعب علوم أوروبا كلها وحاربوا الروس فانتصروا فعظموا هم وعظم الشرق فى أعين أهل أوروبا . فهل يليق لعظماء الاسلام وشيوخ الطرق أن يبقوا على هذه التقاليد العتيقة التى أهلكت المسلمين والتى هى فعل المسيح الدجّال . فليعلموا أن من الجهالة أن ينتظر المسلمون ذلك الدجال والمسيح الذى يقتله وان كان هذا لا مانع منه ولكن المهمّ لنا الآن أن نقتل الدجل والكذب بالعلم كما فعل الصحابة والتابعون أولئك الذين رأوا الفرس والروم حولهم وهم أولوا حول وطول فناموا فاضاعوا الدولتين ليرجعوا العالم الى الصلاح

فليعلم المسلمون قاطبة الآن أن الدجل والكذب الحالين فى بلاد الاسلام يجب محوهما وذلك بالروح العلمية العامّة وبغير ذلك لا سبيل لاسعادهم . لهذا جاء ذكر الدجال ولهذا جاء ذكر عيسى قاتله بل لهذا جاء رسول الله ﷺ ولهذا ألف هذا التفسير فى الزمان الملائم ـ ولله الأمر من قبل ومن بعد ـ

(تذكرة)

(المهديون وبعض شيوخ الطرق . وماذا يفعل المسلمون بعدنا اذا لقوهم ؟)

لقد ذكرت فيما تقدم فى هذا التفسير فى ﴿سورة مريم﴾ ماسطره صديقنا (اللورد هيدلى) الانجليزى الذى يقول فى كتابه ﴿ايقاظ الغرب للاسلام﴾ مايأتى :

« إن جماعة من الألمانيين عثروا على كتابة فى بلاد آشور تاريخها قبل المسيح بنحو (٩) قرون مسطورة فى الألواح ملخصها أن ابن الله البكر قد صلب ، وهذا الصلب يشبه صلب المسيح من كل وجه . فقال لأهل الغرب : بأى أبناء الله أقتدى ؟ أبابن الله الذى كتب تاريخ صلبه قبل المسيح بتسعة قرون منقولا عما كتب عنه قبل ذلك بأكثر من ألفى سنة ، أم بابن الله الذى حدث بعد ذلك ؟ وهو المسيح ابن مريم ،

فأنا لا أتبع هذا ولاذاك بل أقول ان عيسى نبيّ الله وروحه وأتبع دين الاسلام لاغير . هذا هو أوّل الأمر وآخره » اهـ

هذا فحوى ماتقدّم فى ﴿سورة مريم﴾ وأقول الآن : يظهر لى أن العالم الانسانى عالم كله مقلد جاهل إلا قليلا ـ وقليل من عبادى الشكور ـ وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظنّ وان هم إلا يخرصون ـ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنيّ له مافى السموات ومافى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون ـ . تبين لى من أحوال هذا الانسان انه يشبه

كرة طرحت بصوالجة ✩ فتلقفها رجل رجل

فانه قبل الاسلام أدخلت عليه الغفلة فى جميع أنحاء الكرة الأرضية فقال له الأحبار والرهبان وأمثالهم « إن لله ابنا فاتبعه » وكلما تقادم العهد جدّدوا له ابنا آخر . وفى الاسلام حوّروها وقالوا هذا هو المهدى فمن السفاح وهو أوّل خليفة عباسي أزال الدولة الأموية وأخذ بثأر الحسين رضى الله عنه واستمرّ ملكهم عدّة قرون الى المهدى الفاطمى الذى ظهر فى بلاد الغرب وجاء مصر . والمهدى بن تومرت . والمهدى السودانى . والمهدى الفارسي وهو بهاء الله . والمهدى الهندى وهو غلام أحمد وغير هؤلاء كثير

ويقول الاستاذ (هنرى دى كاسترى) الفرنسى قريبا فى هذا الكتاب : « انه لمثل هذه الأفهام وجد فى الاسلام (مذهب الواصلين) والذين بيدهم توزيع كثير من الميراث فى اعتقاد العامّة واليهم صار يرحل الجمع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل الخ » انظره فى ﴿سورة الأحزاب﴾ عند الكلام على انه ﷺ خاتم النبيين وانه سراج منير

أقول : فاذا رأينا هؤلاء الاورو بيين يفرّ علماؤهم ويهرب حكماؤهم من دين اخترعته عقول للأمم إذ كانوا أطفالا . فهكذا سيقول المسلمون بعد قراءة هذا التفسير « بأيّ المهديين نقتدى ؟ أبالمهدى السودانى أم بالمهدى الفاطمى ؟ أم بالمهدى (محمد بن تومرت) ؟ أم المهدى العيسوى البهائى ؟ أم المهدى الذى انتهى أمره من ولد العباس أم المهدى الهندى ؟ لاهؤلاء ولاهؤلاء بل أقرأ القرآن وأتخلق بأخلاقه وأهتدى بهديه

هذه هى الأمّة الاسلامية المستقبلة . أما تلك الفرق المتشاكسة والأقوال المتضاربة فانما هى من اتباع أمة الاسلام الأمم كما فى الحديث ﴿لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه﴾ ومما يحزننى وآسف له انك اذا قرأت القصيدة المتقدّمة التى قرئت على قبر (محمد بن تومرت) وانه هو المهدى المنتظر وأن أتباعه يبقون الى زمان عيسى ابن مريم وأن الحديث الوارد فى المهدى انه يبقى سبعا أوتسعا وانه هو بقى تسعا محمول عليه

أقول : اذا قرأت ذلك فانك تجد هذا بعينه هو الذى يكرّره الامام (محيي الدين بن عربى) فى الفتوحات بعد موت (محمد بن تومرت) بعشرات السنين . ولا يعتبر رحمه الله بما تم له وأن ملكه زال وأتباعه انفضوا من حوله و بشر هو بمهدى آخر وعين زمانه وظهر اليوم عدم صحته ـ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يعقلون ـ

واعلم أيها الذكى انى أكتب هذا وأنا أعلم أن كثيرا تحدّثهم أنفسهم بأنهم المهدى المنتظر ومنهم واحد كان صديقى فى مدرسة (دارالعلوم) ولكنه عاقل فانه بعد أن أراد اظهار انه المهدى ترك ذلك

إن هذه الأمة الاسلامية بعد اليوم ستقرأ التاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية وسياسة الأمم وأحوالها . وهناك سيظهر فيهم مصلحون مجدّدون حقا . وهؤلاء هم الذين سيزيلون الخرافات والدعاوى من بلاد الاسلام وسيكون ظهورهم عقب تمام نشر هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يظهر الاسلام ظهورا أتم على أيديهم فيهش لهم من لايعرف دين الاسلام ويبش لهم من يتبعه ولكنه متحير فى أمره فيجد البلاد قد ملأها الشيوخ

وكل

☆ وكل له غرض يسعى ليدركه ☆

هـذا آخر ماخطر لي في تفسير آية – ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم – الخ حوالي ظهر يوم الأربعاء (٢٣) ابريل سنة ١٩٣٠ م والحمد لله رب العالمين

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد اتضحت آية – ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا – الخ . هذا هو أهمّ سرها ومقصودها في زماننا وكل من قرأ هذا من المسلمين يصبح وقد صار موقنا بهذه الفكرة عاشقا للعلم مكبا على العمل والله هوالوليّ الحميد . فقلت الحمد لله رب العالمين

فقال هذا قد أفهمني أمر خوارق العادات وأن التقليد ليس مفيدا ، فهل تذكر لي شيأ من التقليد في أمور أخرى كالطب ولوحادثة واحدة . فقلت له : أذكرك بما مضى في ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند قوله تعالى – وإذا مرضت فهو يشفين – . انظره هناك فانك تجدني نقلت من كتاب فيه تراجم الأطباء لابن أبي أصيبعة أن الهرّة كانت تقاتل أفعى وكلما لدغتها رجعت الى نبات فتمرّغت فيه فيزول ألمها فترجع كرة أخرى وتقاتل . قال في الكتاب المذكور (وهوالذي نقلته هناك) إن ذلك الذي رأى هذا قلع هذه الشجرة ، فلما رجعت الهرّة لم تجد تلك الشجرة فماتت . أقول لك : لما ظهرذلك (في الجزء الثالث عشرمن هذا التفسير) كتب كاتب في « جريدة الاهرام » يقص هذا القصص بنفسه ويدّعي انه رأى ذلك رأي العين وهو كاذب لأنه قرأه في هذا الكتاب وطلب من الأطباء بحث هذا الموضوع فبحثوا وردّوا عليه وقالوا إن هذا النبات هو المسمى في مصر « رعراع أيوب » وليس فيه هذه الخاصية مع انه هو يقصّ نفس ماكتبته في هذا الكتاب بطريق النقل ، فهذا القول عن الأقدمين غيرصحيح وليس هناك بحسب ماعرف الناس نباتا على هذه الشاكلة فهنا كذبان بحسب ماظهر ، كذب القدماء في ذكر هذه الحكاية ، وكذب هذا الشاب الذي ادّعى انه رأى وهوما رأى إلا ماكتبناه هنا . و بعد أن كتبت هذا عثرت على نفس المقالة المكتوبة في الاهرام فهاك نصها :

﴿ حول ترياق سم الأفعى ﴾

(ولعاب القط)

سيدي الفاضل رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء

تتبعت بامعان وشغف ماكتبتموه تحت هذا العنوان سواء ما كان منه بقلم تحريركم أو بما وصل اليكم من حضرات قرائكم الأفاضل وأنا لايسعني إزاء سعةصدركم في متابعة هذه الحركة العلمية ومناهضتها على صفحة جريدة كبيرة كجريدة الاهرام الواسعة الانتشار أقول لايسعني الا ابداء شكري لكم بالاصالة عن نفسي و بالنيابة عن كثيرين غيري ممن يهمهم أمر هـذا البحث المفيد . ويهمني بصفة خاصة ككيماوي خبير في هذا النوع من الابحاث أن ألفت النظر باقي قت بالتجربة التي نوهتم بها في هذا الصدد للتثبت من لعاب القط وهل في الخلايا اللسانية أو اللعاب الذي يفرزه عند المقاومة مايصح أن يكون ترياقا لسم الأفعى يتقي به غائلته . الواقع ينكر ذلك بتاتا والتجربة تنفيه اذ المفروض في اللدغة أن يتسرب السم الى الدم و يسير معه في دورته المعتادة فلا مقاومة والحالة هذه الا من دفاع الكريات البيضاء وعلى قدر هـذه الكريات البيضاء ونشاطها يكون التأخر أو التقدم في التسمم فاذا كان للعاب القط والحالة هذه من فائدة (وهو مالم يؤيده البحث بعد) فهمته في هذه الحالة أن يكون وسيطا ليس الا ليثير في الكريات البيضاء حركة النشاط المطلوبة للمقاومة . هـذا تعليل . وثم تعليل آخر أن لعق القط لمكان اللدغ ماهي الا حركة فسيولوجية بحتة يقصد بها امتصاص الدم الذي عساه أن يكون قد تلوث بالسم قبل سريانه وهذه هي نفس الاسعافات الأولى التي يتبعها العامة عادة من عمل تشريط

لاستنزاف السم الملوث أو المص فى مكان اللدغ على شرط خلو الفم من أى جرح يتسرب اليه السم وهذا التعليل الأخير هو الذى أراه أقرب الى الصواب فى مسألة لعاب القط . ثم مسألة التمرغ فى نبات الغبيرة أو الرعراع (رعراع أيوب كما يسميه العامة) للتمسح به كواق من تسرب السم فهذا مدفوع من جملة وجوه فليس لنبات الغبيرة أى ذكر فى المادة الطبية ولا فى النباتات الاقربازينية ولم نسمع باستعماله فى عقاقيرما كعلاج لاى داء وما هو الا نبات طفيلى كالحشائش التى تنبت فى وسط البقول عادة دون الثمار واوأنه تدور حوله أساطير خرافية غريبة والمادة الفعالة فيه لزجة حريفة قلوية ذات رائحة خصوصية وقد أجرينا على هذا الرعراع المذكور الصفة التحليلية فوجدناه خاليا من الجواهر السامة والمخدرة و بالبحث فى تأثيره كعلاج لما ذكر له كأن يفيد فى حالات التسمم وذلك باحداث اللدغ فى خنازير غينا (كوباى) ومعالجتها بالمادة المستخلصة منه فكانت النتيجة سلبية بحتة . فالقول بان نبات الغبيرة أو الرعراع له أى فائدة كترياق فى سم الأفعى والعقرب قول مردود لا أساس له من الصحة واذا كان حقا ماروله شاهد عيان على صفحات «الاهرام» من أنه رأى القط يلعق مكان اللدغ و يتمرغ فى نبات الغبيرة فهو كما ذكرت آنفا حركة فسيولوجية بحتة يقصد بها امتصاص الدم الفاسد وما تمرغه فى نبات الغبيرة . على فرض صحة وجوده مصادفة وقت اللدغ الامن قبيل تخفيف الألم كما لو كنا نفرك محل الألم عند مايشكنا دبوس أو نرتطم بشئ صلب . هذا ماعنّ لى أن أسطره بخصوص ترياق الأفعى والعقرب ولعلى قمت ببعض الواجب المفروض على نحو قراء «الاهرام» القراء ممن يهمهم أمر هذا البحث انتهى ماجاء فى الجريدة المذكورة

هذا ماجاء فى «الاهرام» أفلا نحمد الله إذ جعل فى أمة الاسلام فى مصر من نراه يبحث هذا البحث ولا يتكل على آراء القدماء ، واذا رأينا علماءنا يقولون لكل من قلد فى التوحيد ايمانه لم يخل من ترديد فهكذا نقول فيمن قلد فى الطب أو فى السياسة أو غيره بل يجب البحث حتى تستبين الحقيقة . فبحث الفتى الكيماوى المصرى (أمين براده) فى هذه المسألة قد أظهر لنا الحقيقة فيما قرأناه فى كتاب (ابن أبى أصيبعة) فهكذا نفعل فى كل علم . انتهى والحمد لله رب العالمين

فقال صاحبى : وهل تذكر لى مسألة واحدة أيضا فى نظام الأمم قلد الناس فيها وهم مخطؤن كالمسألة الطبية فقلت : قلد أمان الله خان مصطفى كمال باشا منذ سنة واحدة فى انه قتل علماء الدين الذين عارضوا فى الاصلاح فقام الشعب عليه فنزل عن الملك إذ اغتصبه رجل كان ابن سقا بحجة المحافظة على الدين ثم قام عليه الشعب فأنزلوه عنه وقتلوه ، وتولى الأمارة (نادرخان) الذى كان قائد الجيش أيام أمان الله خان ، فأمان الله قلد مصطفى كمال فى ادخال الاصلاح بدون تدريج ولكن التقليد خطأ لأنه هناك فرقا بين الأمتين ونفس مصطفى كمال انتقده المنتقدون فى تسرعه وتغييره نظام تركيا سريعا ، فانه بينما هو يترك الحروف العربية و يكتب الشعب كله باللاتينية نرى أوروبا تتبرم من الحروف اللاتينية وهذا عجب أن يقلد الناس بلا برهان . وهاك ماجاء فى إحدى المجلات العلمية وهى «مجلة الجديد» فقد جاء فيها مانصه :

﴿ الحياة الاجتماعية ﴾

(تبرم أوروبا من حروفها الكتابية)

ظهرت فى الشرق من هذا العهد نزعة الى مجاراة الغربيين فى حروفهم الكتابية و يعرف القراء أن تركيا بأجمعها قد دخلت المدرسة من جديد لتتعلم الحروف الأوروبية كما أمر الغازى مصطفى كمال ولافرق بين العجوز والفتاة والهرم والغلام . فان العقوبة الزاجرة تترقب من يتوانى فى تنفيذ هذا الأمر المشدّد و يذكرون أيضا ماتعتزمه فارس من تركها للحروف العربية واعتناق الحروف الأوروبية وما كان ينويه جلالة الملك المخلوع أمان الله خان

فى

في بلاد الأفغان ولو نظر مقتبسو الاصلاحات الأوروبية الى الجوهر دون المظهر لرأوا أن نقل المظاهر الشكلية لا يفيد شيأ في تقدم الأمم ورقي وسعهم أن يحتذوا مثال اليابان التي أبقت تراثها القديم وأدخلت في بلادها الاصلاحات الجوهرية كالتعليم والصناعات والفنون والزراعة والتجارة واعداد الجيوش البرية والبحرية . ولقد كان من رأينا من زمن أن الحروف العربية تفضل الحروف الأوروبية من عدة وجوه لأنها في الحقيقة نوع من الخط المختزل الذي يدل على الكلمات بأقل رسم وأوجز حروف . وقد كان الاوروبيون ينشدون مثل هذا الخط لكتابة كلماتهم فأوجدوا الخط المختزل ولكن طريقة ابتكاره لم تكن ناضجة ولم يتيسر استعماله للدلالة على الكلمات بالضبط ولذلك قل من يكتب به على كثرة مايعانيه متعلمه من آلام دراستها ومشاقها . ولذلك لايزال الأوروبيون ينشدون نوعا مختصرا من الخط لأنهم يرون أن استمرارهم على الكتابة بحروفهم القديمة ضياع للوقت الثمين وعبء ثقيل ينآى دونه كاهل المتعلمين . ونسوق اقراء فقرة مما كتبه رئيس تحرير مجلة «النيشن» الانكليزية في هذا الصدد :

«واني أتساءل لماذا يستمر أبناء هذا العصر في حمل هذا العبء الثقيل وهو الكتابة بالحروف المطوّلة ؟ يقال ان الكتابة من أعظم الاختراعات التي توفق اليها الانسان . ولكن هل يلزم من هذا أن نلبث الى الأبد عاكفين على ما اخترعه الانسان الأوّل في عصور التأخر ثم نزعم أننا شعوب الثقافة في المدنية ؟ ألا يعد ذلك من أكبر وأشنع سقطات مدنيتنا الحاضرة التي لايقوم مظهر حضارتها وجوهرها الا بالكلمات المكتوبة فهناك جيوش لايمكن أن تحصى من الرجال أو النساء لاتكتسب أقواتها الا بالأعمال الكتابية ولايمكن أن تجد أحدا في دوائر الأعمال تخلو يده من قلم الحبر أو الرصاص ليدوّن ماهو منوط به من الأشغال . وربما كانت مدة الكتابة تستغرق على الأقل نصف الوقت . ويرى المستر اسبندر أن مايكتبه الصحفي في اليوم لايقل عن ٣٠٠٠ كلمة

هذا مايقوله الناس اليوم في التقليد في أمور النظام العام . ولو شئنا لشرحنا التقليد في العلوم كدوران الشمس حول الأرض الذي كان يقوله الناس قديما وكيف دحضه العلماء بعد ذلك وكمسألة الكواكب السيارة وانها سبعة فظهر بعد ذلك أورانوس ونبتون ولم يكن يعرف الناس إلا شمسا واحدة حتى عبدوها فعرف الناس اليوم آلاف آلاف الشموس وشمسنا بالنسبة لها كأنها برتقالة أو أصغر فان كوكب الجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة . إذن التقليد جريمة ولهذا نزلت هذه الآيات ـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ـ الخ انتهى الكلام على الفصل الثاني

(الفصل الثالث)

(في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا)

أذكر في هذا الفصل ﴿ حادثتين ☆ الحادثة الأولى ﴾ الحرية السياسية . فانظر ماجاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الاثنين (١٨) فبراير سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

﴿ رجل انجليزي يفعل في السياسة مافعله مؤمن آل فرعون في سورة غافر ﴾

(مظاهرة ضد الكولونل لورنس في انجلترا)

« نظم المستر (سكلاتفالا) العضو الشيوعي في مجلس العموم البريطاني مظاهرة كبيرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) المعروف على أثر الاشاعات التي راجت بأنه أضرم نار الثورة في قبائل الأفغان ضد الملك (أمان الله) فسارت المظاهرة مسافة طويلة تحمل صورة (لورنس) وأخيرا أضرموا النار فيها على صوت الخطباء الذين وصفوه بأقبح الأوصاف » انتهت الحادثة الأولى

﴿ الحادثة الثانية نبذ التقليد فى الزراعة ﴾

(البحث عن السعادة الزراعية بطريق خارج عن التقليد الذى ذمّه الله فى القرآن)

اعلم أيها الذكى ان هذا قد أشرنااليه سابقا فى هذا التفسير ، ونزيد عليه الآن ماجاء فى جريدة الاهرام يوم الخميس (١٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(الزراعات فى الماء)

(طريقة جديدة لانمائها)

ظهر فى الولايات المتحدة اقتراح عظيم الشأن ينتظر أن يخلص الفلاحين وزراعى الفاكهة والازهار من متاعب الزراعة وخدمة الارض ومن قيود المواسم والاحوال الجوية وأجور الأطيان ، ويحدث انقلابا عظيما فى فن الزراعة . فقد أعلن قسم فسيولوجيه النبات فى جامعة كلفورنيا انهم توصلوا الى انتاج غلال وخضروات من مزروعات زرعوها فى حياض رقراقة الماء ، وتعهدوها بأقراص كيمائية أسموها «أقراص النبات» فى جو جاف خال من الرطوبة أشبه بجو الصحراء وتسنى لهم انتاج الفاكهة والخضراوات الشبيهة بالفاكهة قبل أوانها المعتاد . كذلك زرع أنواع مختلفة من الازهار التى لاتينع الا فى أواسط الصيف فازدهرت وقطفت أزهارها فى غرة فصل الشتاء . وتبين أن القمح والشعير والأرز اذا زرعت على هذا النمط يزيد محصولها من ٢٥ فى المئة الى ٥٠ فى المئة . أما البنجر والجزر والكرنب وغيرها من الخضروات التى من فصائلها فقد نمت نموا أسرع من نموّها المعتاد بمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يوما . وقد زاد متوسط حجمها العادى ٩٠ فى المئة بغير أن تفقد شيئا من رسمها ونضارتها . وزرعت «الطماطم» بهذه الطريقة الجديدة فزاد محصولها ٤٠ فى المئة وتسنى زرع الورد فى جوّ المنازل فى فصل الشتاء القارس فنما وازدهر فى مدة لاتزيد على الستين يوما . وزرعت «البازلة» فى فصل الشتاء داخل المنزل ودرجة الحرارة فى الخارج دون الصفر فنمت و بلغ طول أصولها خمسة أقدام وازدهرت وأتت ثمارها فى مدة تتراوح بين الستين والسبعين يوما . وقد بلغ عدد التجارب التى أجريت نحو خمسة آلاف تجربة فى خلال خمسة أعوام أسفرت عن هذا الاكتشاف العجيب الذى وصفه الدكتور جاريك رئيس قسم تشريح النبات فى جامعة كلفورنيا بانه أعظم منحة وأفضل هبة لفن الزراعة منذ بدء تطبيق علم تسميد المزروعات حتى الآن ، وتؤيده فى هذا الرأى كلية الزراعة فى تلك الجامعة وعدد كبير من الخبراء فى الزراعة وخريجى كلية الزراعة وتجار الازهار الذين ساعدوه فى تجاربه . وخلاصة السر فى هذا الاكتشاف المؤدى الى سرعة الانماء وزيادة المحصول هى اعطاء النبات مقادير مركبة تحوى العناصر السبعة التى يتألف منها غذاء النبات واعطاء كل نوع مايلزمه من الغذاء بالدقة والضبط ، وهذه العناصر مركبة فى أقراص اسطوانية الشكل تذاب فى الماء أوفى التربة التى ينمو فيها النبات ، وهى تجمع معا فى أنبوبة قصيرة أواسطوانة بمادة كاسية تشبه الجوصين وتحتوى هذه الاقراص على أجزاء معلومة من النتروجين والفوسفور والمغنزيا والحديد والبوتاس والكبريت والكلس (الجير) . وقد وجد فى أثناء اجراء هذه التجارب والاختبارات أن كل نوع من الشجر والحبوب والخضراوات والأزهار يتطلب تركيبا مخالفا من حيث الكمية من العناصر السبعة كلها أو بعضها فالتركيب الذى يغذى «البازلة» ويعجل نموّها ويزيد انتاجها مثلا لايفيد الورد وفصيلة البنفسج . وقد دلت التجارب على أن عدد التراكيب اللازمة يمكن حصره فى عشرين نوعا . ومع أن أقراص النبات استعملت بنجاح للمزروعات فى التربة ، فقد اسفرت التجارب أن خير وسيلة للانماء هى الماء بمقدار لتر لكل نباتة . فقد جىء بشتلة ورد زرعت حديثا فى الأرض ولم تكد جذورها تمتد ، ووضعت فى الكمية اللازمة من الماء بعد أن أذيب فيه المقدار اللازم من أقراص النبات المختصة بفصيلة الورد ، فنمت وترعرعت وتفتحت

ا كمامها

أ كاملها عن ورد نضير كبير الحجم فى خلال ثمانين يوما . وأجريت مئات من التجارب من هذا القبيل فى الحبوب والخضراوات وشجيرات الفاكهة وأشجارها فكان النجاح فى زراعة الحبوب والخضراوات عظيما جدا ، فتبين أن حجم الهليون (أسبارجوس) قد تضاعف تقريبا من غير أن يطرأ أى تغيير فى غضاضته أو عدد فروخه ، وكذلك البطاطس زاد حجم محصولها خمسين فى المئة بغير أن يزيد نمو شجيراتها . وتبين أيضا أنه اذا زرعت النباتات الغذائية فى الماء بدلا من زرعها فى التراب يزداد معدل نموها نحو مئة فى المئة ويزداد حجمها ويتسنى زرع عدد كبير منها فى مساحة واحدة . وأسفرت التجارب فى زرع القمح وافية . وختم الدكتور جاريك حديثه قائلا ان أهم ما فى اكتشافه هذا أنه يمكن ملايين من الناس أن يعيشوا على محاصيل تنتجها المياه فى أراض كانت لا تنتج سوى الشوك . والقطن والتبغ لهما نتائج باهرة . فقد نما القطن من البذور حتى طرح اللوز فى مدة تسعين يوما . وظهر أن القمح اذا زرع فى الماء المذابة فيه أقراص النبات يزيد نموه خمسين فى المئة أكثر منه اذا زرع فى التراب المغذى بأقراص النبات . وحملت نتائج هذه التجارب الدكتور جاريك ومساعديه على الشروع فى اجراء تجارب زراعة النباتات الغذائية فى الماء لمعرفة نفقاتها اذا زرعت على قياس تجارى فوجد أن الحياض التى عمقها من ست الى ثمان بوصات هى أصلح ما يكون لزراعة الحبوب والخضراوات وقد استعملت حياض طول كل منها عشرون قدما وعرضها خمسة أقدام مصنوعة من الخشب ومبطنة بورق مدهون بالقار وترك الورق زائدا من كل جهة ليصلح غطاء للحوض وجعل فى هذا الغطاء ثقوب صغيرة قريبة بعضها من بعض وأدخل فى كل ثقب منها شتلة من النباتات بحيث تصل جذورها الى الماء الذى وضع فيه عدد من أقراص النبات وقد تبين أنه يتسنى بهذه الطريقة زرع ضعفى أو ثلاثة أضعاف ما يزرع فى المساحة ذاتها من الارض مع سرعة النمو وزيادة المحصول كما ذكرنا آنفا . وقد أدت مواصلة هذه التجارب الاقتصادية الى أن هذه الحياض الخشبية المسقوفة بالورق المدهون بالقار أو بالاسلاك الوثيقة هى خير الوسائل وأقلها نفقة لزراعة الحبوب والخضراوات فى الماء وقد رأى الدكتور جاريك ومساعدوه أن نفقة حياض من هذا النوع تغطى مساحة فدان مع ترك طرق بينها تبلغ على الأكثر ٢٥٠ ريالا فى أية ناحية من أنحاء الولايات المتحدة حيث المواد غالية الثمن وأجرة العمل باهظة . أما فى الانحاء الأخرى من العالم فالمعتقد أن النفقة لا تزيد على ١٥٠ ريالا واذا زادت المساحة الى خمسة أفدنة أو أكثر فان نفقة الحياض اللازمة لتغطيتها لا يمكن أن تزيد على مئتى ريال فى الولايات المتحدة ، وهكذا تبلغ نفقة حياض خمسة أفدنة ألف ريال أو ثلاثة أضعاف ما يلزم لتصليح الأرض للزراعة كل عام . ولكن متى أنشئت هذه الحياض فانها تعمر على الاقل خمسين عاما ولا تحتاج الى حراثة أو ريّ ولا عزق أو تنظيف من العشب وكل ما هنالك أن الحياض تملأ ماء وتوضع الأقراص الكيماوية فيها مع سرعة النمو وزيادة المحصول ، والتخلص من آفات الزراعة التى تنشأ من الأرض

وعلى هذا المنوال يتسنى للزارع أن يربح نفقة صنع الحياض فى عامين . ثم ان مسألة المناخ ورطوبة الهواء أو جفافه وخصب الأرض أو عدم خصبها كل هذه العوامل الهامة فى زراعة الأرض يظهر ان لا تأثير لها فى التجارب التى قام بها الدكتور (جاريك) ومع ان طريقة الزراعة فى الماء لا يمكن بها زرع نباتات فى غير اقليمها فانها تعجل نمو النباتات وتزيد محصولها فى منطقتها الخاصة بها . فقد قام الدكتور (جاريك) ومساعدوه بتجارب اكتشافه فى جوّ درجة حرارته ورطوبته مضارعة لدرجة حرارة ورطوبة جو صحراء الاريزونا والمكسيك الجديدة والجنوب الشرقى من كلفورنيا فزرعوا الفجل واللفت والبنجر والخس والسبانخ والطماطم والباذنجان وغيرها من النباتات الغذائية فتبين انه فى الامكان زرع ٢٠٠٠٠ شجرة من شجيرات الطماطم فى حياض مساحتها تعادل فدانا بمحصول يزيد على محصول عدد مثلها فى الارض من خمسة وعشرين فى المئة الى ستين فى المئة . ويرى الدكتور (جاريك) ان أهمية اكتشافه الحقيقية هى استخدام طريقة

زراعة الحياض فى المناطق القاحلة القفرة فى جميع أنحاء العالم إذ يمكن أن يزرع فيها الشئ الكثير من النباتات الغذائية . و يقول الدكتور (جاريك) انه يعلم ان رمال الصحراء يمكن جعلها صالحة للزراعة اذا تسنى ريها بالماء العذب رياوافيا ، ولكن يوجد ملايين وألوف الملايين من الأفدنة التى لا يمكن أن تصل اليها المياه العذبة لريها وزرعها . على أن كمية ضئيلة من الماء تكفى لاستعمال طريقته وزرع النباتات الغذائية فى صميم أجدب الصحارى وأقفرها . فأى نبع صغير أو بئر ارتوازية أوصهريج يجمع فيه ماء المطر و يكفى لتغطية قاع حوض طوله عشرون قدما وعرضه عشرة أقدام يكفى مئة قدم مكعبة من الماء وهذا الحوض يمكن أن يزرع ١٧٠ شجيرة من الطماطم واذا فرضنا ان نصف هذه الكمية تلزم لتعويض ماتمتصه الشجيرات فى أثناء النمو وما يتبخر منه و يتسرب من منافذ الحوض كان مجموع كمية الماء اللازم لهذا الحوض طول موسم الزراعة ٢٠٠ جالون أوثلثمائة صفيحة من حجم صفائح البترول مع أن هذه الكمية من الماء لا تكاد تكفى لرىّ نصف هذه المساحة من الأرض موسما واحدا مع العلم ان مساحة من الارض معادلة لهذه المساحة اذا عهدت بالرىّ الوافى لاتتسع لزرع أكثر من خمس مايزرع فى الحوض وكل نباتة تزرع فى الأرض لاتنتج من المحصول الاستين فى المئة مما تنتجه النباتة التى تزرع فى الحوض و ينظر الدكتور (جاريك) الى مستقبل اكتشافه لهذا فيرى ان كل نبع ضئيل أو بئر أوصهريج فى الصحراء والاراضى القفرة القاحلة سيكون محوطا بحياض فيها ماء رقراق يغطى قيعانها الى ارتفاع ثلاث بوصات أوأربع وكل منها مزروع نباتا ذا محصول غذائى وماتنتجه زراعة هذه الحياض كاف لمعيشة عدد كبير من السكان . و يرى سطوح المنازل المرتفعة بدلا من أن تترك بلانفع ولافائدة حدائق غناء بالرياحين والأزهار أو بساتين تزرع فيها الفاكهة والخضراوات ، و يرى كل صاحب منزل فى المدينة يستعمل جزءا من فناء داره أوحديقته لانتاج مايلزمه من الخضراوات والأزهار بربح وافر وانه يصبح فى وسع أى انسان مقيم فى أقصى بقعة من بقاع الارض القاحلة أن يزرع كل مايلزمه ومن معه من الخضراوات والنباتات والاشجار المثمرة التى يلائمها الاقليم . والعمل الذى يتطلبه الزرع على هذه الطريقة الجديدة لا يبلغ عشر معشار ماتتطلبه خدمة الارض اهـ

* * *

﴿ تذكرتان ﴾

(الأولى) تذكرة فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى ــ والصائمين والصائمات ــ (والثانية) تذكرة فى سورة سبأ فى قوله تعالى ــ يعلم مايلج فى الأرض ــ الخ وسر من أسرار الفحم المستخرج من الأرض

﴿ التذكرة الأولى ﴾ فى قوله تعالى ــ والصائمين والصائمات ــ وهى سرّ من أسرار الطب فى الصيام المذكور فى الآية فوق ماتقدم فى (سورة البقرة) من المسائل الطبية والصحية فى آية ــ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ــ وفى سورة الأعراف عند آية ــ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ــ وفى سورة الحجر عند التلميح الى قصة آدم ، وفى سورة طه عند قصة آدم أيضا ، وفى سورة الشعراء عند آية ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ . ففهم هذه المواضيع من التفسير أهمّ مافى علم حفظ الصحة من التجافى عن الأدوية المشهورة والاكتفاء بالمداواة الطبيعية ، وكذلك مرّ فى سورة القصص عند قوله تعالى ــ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ــ الخ بيان كيف يكون الهواء الطلق وضوء الشمس حبورا وسعادة وصحة ، وهكذا فى أوّل ﴿ سورة العنكبوت ﴾ عند ذكر الجهاد كيف كان الصوم أصبح نافعا فى العلاج بايضاح تام ، أما هنا فانى أقول : جاء فى سورة الأحزاب فى هذا المجلد انه ﷺ سراج منير بنص الآية وأن ضوء الشمس هو الذى يفتك بالحيوانات الذرّية المهلكة الحادثة من العفونات المسلطات على أهل الأرض ، فهكذا آى القرآن التى هى أشعة من نور الله أشرقت على أهل الأرض يجب أن يرجع اليها المسلمون اليوم مع أمثال هذا التفسير لتزول من بلاد الاسلام

تلك

تلك الغفلة التي استحكمت بالآراء المنحرفة عن ادراك جمال هذا الوجود الذى حرمه المسلمون أجيالا وأجيالا ولاجرم أن ماذكرته هناك فى القرآن على هذا النحو يمثل له فى الحياة المادية الدنيوية بما يفعله أهل أمريكا اليوم من التعرّض للشمس والصوم أى ترك الطعام مع شرب الماء أمد أربعين يوما فيزول من أبدانهم فقر الدم ، فاذا كان الصيام الطبي (الذى له شبه مّا بالصيام الشرعى وليس من كل الوجوه) قد اتحد مع ضوء الشمس والهواء النقى على اعادة الصحة وازالة فقر الدم والمرض الناشئ عن المداواة بأكل اللحم فى ذلك المرض هكذا أمم الاسلام باعراضها عن الخرافات والبدع وتمسكها بنفس كتاب الله الذى يحرّضهم على معرفة مافى هذه الدنيا من الجمال والابداع يرجع لها مجدها وشرفها القديم العظيم ، فهاك ماجاء فى إحدى المجلات العلمية وهى « المصوّر » بتاريخ (٢٨) مارس سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ فقر الدم ومعالجته بالصوم ﴾

جاء فى بعض الصحف الأمريكية انه طرأ تحوّل فى الطب عند كثيرين من الأطباء فانهم بعد ما كانوا يصفون اللحم الدامى للصابين بفقر الدم أصبحوا يصفون لهم الصوم الآن ، وفى الولايات المتحدة مستوصفات ومستشفيات يعالج فيها من يصف لهم الأطباء الصوم ، ومن أوصافها وقوعها فى مكان طلق الهواء نقيه ، تعرض غرفها وسطوحها للشمس واحاطتها بحدائق تعطر الهواء بأريجها الطيب ، ولايتغذى المستشفى إلا بالماء ومع ذلك لا يكون مايطلب منه فى مقابل اقامته فى المستشفى مبلغا يستهان به وتتفاوت مدة المعالجة بين (٤٠) يوما و ٥٠ يوما يكون المستشفى فى خلالها تحت مراقبة الطبيب ، أما نتيجة هذا الصوم فتكون جلاء بصر من يشكو ضعف البصر وزوال مايسببه من فقر الدم ، وشفاؤه من مرض البول السكرى واندمال قروح معدته وعودة القوّة الى الذين هجرتهم من جراء الافراط فى العمل ، ويكفى الانسان مدة ثلاثة أيام ليتعوّد الصوم ويتخلص الجسم من السموم العالقة به بعد ستة أسابيع أوسبعة ، ويقول العارفون « انه اذا لاحظ الانسان الحيوانات وجد انها حين تكون مريضة تمتنع عن تناول الطعام ، وعند الانسان نفسه يكون فقدان الشهية للطعام دليلا على اضطراب صحته » وعلى كل حال ينبغى للمرء ألا يعمد الى الصوم بدون أن يستشير الطبيب اه

هذا ماجاء فى مجلة « المصوّر » وبه تمّ الكلام على التذكرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ التذكرة الثانية ﴾

(خواطر فى صلاة العصر فى قوله تعالى ـ يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها ـ)

(كتب يوم ٩ رمضان سنة ١٣٤٨ ه)

لقد علمت فيما ذكرناه مشروحا ومرسوما موضحا أن أكثر الألوان التى تصبغ ثياب الناس فى الشرق والغرب اليوم انما تكون من القطران ، وذلك القطران من الفحم والفحم مما يخرج من الأرض ، ومن عجب أن هذا الفحم مكث مئات الآلاف من السنين وهو يتلظى ويتقلب ويحترق فى النار الحامية فى جوف الأرض ، فهناك حرارة عظيمة جعلت الخشب فحما ، فلما أن أخرجه الناس اليوم كشفوا أمره فوجدوا فيه مئات الألوان فصبغوا بها الثياب فأكبّ عليها الناس فى الشرق والغرب وكان هذا التهالك سببا فى هلاكهم فى الدنيا وعذابهم ـ ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ـ

ولذلك تجد جميع الأمم التى استعمرها الفرنجة مكبين على الزخارف والزينة التى تبهرهم ببريقها ولمعانها فتزول ثروتهم وتضيع بلادهم . مثال ذلك بلادنا المصرية أيام المغفور له اسماعيل باشا فانه استدان واستدانت البلاد فكثر دين الأمة وكثر دين الحكومة ، فقد ضلت الأمة ودخل الانجليز البلاد بحجة المحافظة على الدين وهل هذا كله إلا بتلك الثياب التى صبغت بالقطران المستخرج فى تلك الدول العظيمة من الفحم الحجرى

أوليس هذا هو ما أشير له قصة المسيخ الدجال إذ يأتي بجنة ونار وقد أمرنا أن نترك جنته وندخل ناره فتكون جنته نارا وناره جنة ، فهذه الأمم المتأخرة الاسلامية لما بهرها بهرج الفرنجة استحلته نوقعت فى الذل وساءت الحال ، ومتى ذات الأمة ذهبت منها الأمانة والشرف والشجاعة والعفة فصاروا عبيد الفاتحين وصعيدا جرزا تذروه الرياح فاذا ماتوا كانت أرواحهم ناقصة ، وهل للناقص إلا جهنم لأن جهنم للناقصين ، والمسلم الناقص يكون فى جهنم يتم مدة عذابه ، أليس هـذا هو سر قوله تعالى — سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار — . أوليس هذا هو سر القرآن ظهر الآن ، وان كنت فى شك مما قررته لك الآن وقلت هذا القول غامض بعيد عن الصدق . أقول : أفلا أذكرك بما نقلته لك فى آخر ﴿سورة آل عمران﴾ عن الزعيم الهندى (غاندى) عن مجلة الجامعة الهندية إذ يقول فيها فى الفقرة الخامسة مانصه : « إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وماهو أقبح من هذا ألا وهو العار على كثير من العائلات » اهـ

فهاهوذا (الزعيم غاندى) من المعاصرين لنا يقول : إن المنسوجات الأجنبية تجلب العبودية وماتبعها ، ﴿وبعبارة أخرى﴾ انها تكون مثارا لأنواع الذل والشقاء ويتبع ذلك الخسة وهذه تجمع أنواع المعاصى أفليس هـذا من أسرار القرآن إذ ذكر أن سرابيل أهـل النار من قطران ، وهاهى ذه السرابيل ملونات بألوان من القطران الفحمى فتهافت الناس عليها كما يتهافتون على جنة المسيخ الدجال وهذا التهافت أورث ضياع البلاد والاسراف والله لايحب المسرفين فتهلك الأمم وتضيع البلاد ، فهذه النفوس الناقصة تعذب ﴿عذابين﴾ عذابا فى الدنيا وعذابا فى الآخرة لأن ذلك هو استعدادها ، وذلك كله سر آية — سرابيلهم من قطران — وهو مستخرج من الفحم الحجرى وهذا الفحم مما يخرج من الأرض فى قوله تعالى هنا — يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها — الخ . تم الكلام على التذكرة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿خاتمة السورة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أيها المسلمون : انظروا معى نظرة عامة الى هـذه السورة ، هى مبتدأة بنعم الله الجزيلة وبأنه مستحق للحمد عليها وبأنها من السماء ومن الأرض والجة خارجة نازلة صاعدة وهى مع ذلك لاتعزب عن علمه ، وأن هذه الحياة لاتقف عند حد الموت فهى ممتدة لتكون أواخرها نتائج أوائلها ونهاياتها مبنية على بداياتها وأن علم العلماء فى جميع القرون وكشف الكاشفين للمعلومات فى الأرض يبين لهم أن هذا القرآن حق وهاد الى صراط العزيز الحميد

هـذا مبدأ السورة ، ثم انه أخـذ يبين لنا حال أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب ، فهما أمتان متجاورتان ، فأما أمة اليهود فانها ازدهرت بالعلوم والعرفان والعمران أيام داود وسليمان عليهما السلام وكان ذلك الازدهار والعز موجبين لشكر الله على من أعطوا هذه النعم ، فأما أمة العرب وسبأ فانهم بطروا النعمة وكفروها فلم يشكروها فحاق بهم العذاب وساعدوا ابليس على تلبيسه عليهم واضلاله فكفروا فحق عليهم الوعيـد ، لذلك أرسل الله النبى ﷺ لجميع الناس من عرب ويهود وعجم فانتشر دينه فى أقطار المعمورة وازدهر العمران

ثم أخذ يقص علينا نبأ النوع الانسانى من حيث التقليد واستقلال الرأى وأن المقلدين الخامدين لاينفعهم عند الله الاحتجاج بأنهم غرهم الرؤساء ، فكل عن عمله مسؤل وأن الرؤساء الضالين أشبه بالذباب يطوف على الوجوه والعيون فيبيض فى القذرة منها فيخرج فيها بيضه دودا فيحصل الرمد للعين . فالعيب على من أصابه الرمد لأنه مستعد لوقوع الذباب على عينه وهـذا هو قوله تعالى — ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى

العذاب

العذاب مشتركون ـ وقوله هنا ـ وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددنا كم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ـ رداً على قولهم ـ لولا أنتم لكنا مؤمنين ـ كما تقول العين الرمداء للذبابة لولا أنت لكنت سليمة من المرض ، فتقول الذبابة : إن استعدادك لوقوعى عليك أغرانى بذلك فأصبت بالرمد بسبب بيضى الذى وضعته فيك ، فأنا وقعت عليك لأضع البيض فيك وهذا طبعى الموافق لطبعك ، فنحن معا نشترك فى خلق واحد ، بيننا جامعة تجمعنا ، فأنت مرتعى الخصيب ، وأنا الراتعة فيه ، فأىّ فرق أيتها العين بيننا و بين الأنعام ، ترعى فى الرياض النضرة والحقول الخضرة ذات الأزهار البهجة ، ألست أنت روضتى وجنتى ونعيمى لأن القذارة محبوبة لى وأنا بها قريرة العين سعيدة

فهذه المحاورات بين الذبابة وعين الأرمد أشبه بالمحاورة بين الرؤساء والمرؤسين إذ يقلد الآخرون الأولين كما اتفق فى أمم الاسلام المتأخرة إذ استسلم المجموع الاسلامى لبعض من قلّ علمهم وضعف يقينهم فاستنزلوهم بعد عزّ من مراتبهم حتى عموا عن آيات القرآن كالذى جاء فى هذه السورة وغاية أحدهم انه ربما يقرأ فى أمثال هذا التفسير فيفرح بمعجزاته ﷺ التى ظهرت فى هذا الزمان كآثار سدّ العرم المرسومة فيما تقدم وأن ذلك يوجب تصديق أهل العلم ، فان من يقرأ هذا ويعلم أن المؤرخين كانوا يشكون فيه فظهر لهم الحق بكشف أولى العلم فانه لامحالة يصدق بالقرآن وبمن أنزل عليه ولكن أيها المسلمون ليس التصديق بأن القرآن حق هو كل مايطلب منا ، فهذه مرتبة الرجل المبخوس المنزلة الضئيل المعرفة ، فبلاغة القرآن ومعجزات العلم كل منهما يرشد قوما الى صدق القرآن ، ولكن التصديق بالقرآن بعد هذا الجد يشاركنا فيه العامى والصبى فهما مؤمنان والايمان شئ والتشمير لمقتضى الايمان شئ آخر* يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى : « إن من لم يكن له حظ من القرآن إلا لفظه وتفسيره واعتقاده بالقلب فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان ادراك اللفظ بسلامة حاسة السمع وفهم المعنى يكون بمعرفة اللغة العربية التى يشارك العارف بها الأديب اللغوى بل الغبى البدوى ، وأما التصديق بأن كلام الله حق فهذه مرتبة يشاركنا فيها العامى الجاهل بل الصبى . قال : وهذه درجات كثير من العلماء فضلا عن غيرهم » اه

إذن فلتعرنى أذنك أيها الذكىّ ولتجلس معى دقائق أحدّثك فيها حديثى عن أمم الاسلام التى أعيش معها مدّة مّا ثم أترك الأرض ومن عليها وأتوجه الى لقاء ربى . فأقول :

« يارب أنت أرسلت نبيك محمدا ﷺ للناس كافة وقلت لنا ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ وأسكنتنا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لنا فى آثارهم كيف فعلت بهم وضربت لنا الأمثال ، ومن الأمم المذكورة أهل سبأ وقد ملكتنا أرضهم . فماذا فعل المسلمون لما ملكوا ؟ هاهم أولاء تركوا مواهبهم العقلية والجسمية وتركوا نعمك التى أنعمت بها عليهم ولم يبالوا بنعم المطر النازلة عليهم من السماء . فماؤه يجرى بلاسدّ يصدّه ولاعرم يحفظه فعطلوا نعمك . نعم ان جمهورهم اليوم لايعلمون إلا ماورثوه عن آبائهم من العلم وهذا تقليد والتقليد مذموم . وهاهم أولاء يا ألله يقرؤن فى سورة سبأ التى أنزلتها باسم بلادهم التى أهمها (مدينة مأرب) التى تقدم رسمها والتى تسمى باسم سبأ أيضا . وقد قلت فيها لا فى صنعاء كما يقول الجمهور من المفسرين ـ بلدة طيبة ورب غفور ـ وقرؤا أن هؤلاء الوثنيين لما أعرضوا عن حفظ السد وترميمه أنزلت عليهم عقابك فى الدنيا ففرقتهم فهم لم يشكروا النعمة ولم يحفظوها كما حفظها داود وسليمان عليهما السلام . فهم قوم غير شاكرين . والذى لايشكر النعمة بحفظها تزول عنه . ثم أقول يا ألله : قرأ المسلمون هذا فى القرآن ولكنهم وقفوا على القشور وجمدوا على الألفاظ ولم يفطن أكثرهم لما نزل من هذه الحكم وهى أن يعمروا أرضك ليكونوا ـ خير أمة أخرجت للناس ـ كما كان سلفهم الصالح أيام الصحابة والتابعين لا أن يعكفوا على جمع المال وادّخاره وعلى الملك والاكتفاء بالمجد الكاذب الذى هو كسراب بقيعة

يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الأمم المحيطة بنا تتغلب على أطراف البلدان الاسلامية لجهل أهلها وقلة تبصرهم وعدم تعقلهم أمثال هذه الحكم فى القصص القرآنية حتى انك أهمت محمد بن تومرت فى بلاد المغرب، فظهرهم بهيئة المهدى الذى يتبعون قوله أمدا مّا ثم دالت دولتهم بعد مائة سنة وكانت هذه سنة تلك الأمم إذ اقتعدوا غارب التقليد الأعمى بمن سيطروا عليهم من الرؤساء الذين سخرهم الله لهم لما عميت البصائر عن القرآن الهادى الى طرق الحقائق وأخذوا يتخبطون فى ديجور الظلام الحالك حتى جاء زماننا فوجدنا بلادك التى سلمتها لنا خاوية على عروشها ، فهاهى ذه بلاد شمال افريقيا فى القرون المتأخرة نضب معين الحضارة منها فأرسلت لها أمم أوروبا أمة بعد أمة ، وهاهى ذه بلاد العرب التى كانت منبع حضارة الأمم شرقا وغربا قد حلّ بها البوار ولحقها النكال وهاهى ذه بلاد اليمن وحضرموت وما والاها من البلدان لم نجد فيها ملكا اليوم يعادل ولايقارب ملك السبئيين الوثنيين الذين عيرتهم بأنهم أعرضوا عن نعمك وضربت لهم مثلا باهمال سدّ العرم الذى هو واحد من مئات الأسداد فى تلك البلاد فلم يفطن عالم من علمائهم الى هذه العبر وقد أحاطت بهم النذر من كل جانب ، وهاهى ذه أوروبا واقفة لهم بالمرصاد ، أنت يا ألله خاطبت المسلمين بكلامك القديم اليوم منذرا ومحذرا ، فكلامك القديم لايتسنى لنا أن نعرفه إلا بأحد طريقين إما بألفاظ ترد على لسان نبيّ كالذى جاء فى هذه السورة واما بفعلك أنت لأن المعانى تظاهر بالقول تارة وبالفعل أخرى فأما القول ففى القرآن وأما الفعل فهو ماظهر اليوم فى العالم قاطبة . فكم يا ألله من نعم ببلاد العراق ونجد والحجاز واليمن وحضرموت مخبوءة فيها . وكم من سحائب ماطرات مطرا يحيى الأرض بعد موتها ثم ترك ذلك كله وشأنه فلم يحفظ فى زمن الاسلام بالاستخراج وبالأسداد كما حفظ أيام الجاهلية فانتفع الناس به »

« هذه حال المسلمين اليوم يا ألله ، وهاهو ذا التفسير قد كتبته وهم يقرؤنه وهو آخر انذار للمسلمين فان فكروا فهموا وانتفعوا وان أغمضوا أعينهم عن الحق أهلكتهم الأمم »

أيها المسلمون : هاأنا ذا أنذرتكم وحذرتكم ، ويا أبناء العرب اخوانى وأصدقائى فكروا فى قصص هذه السورة ، فكروا فى قول ربكم ـ فأعرضوا ـ ولما أعرضوا أرسل عليهم سدّ العرم . أليس هذا اصلاحا دنيويا . ألم يكن خراب سبأ أو (مدينة مأرب) من نتائج الجهل الذى وقعنا فيه الآن . أنتم يا أبناء العرب اخوانى قد أزيل الغطاء عن أعينكم فأخذتم تفكرون وهذا كتابى بين يديكم وأنا أعلم انكم تقرؤنه ومستحيل أن يمرّ هذا القول بلا نتائج بل أقول فوق ذلك انكم سترجعون المجد القديم الذى يجعلكم ـ خير أمة أخرجت للناس ـ كما كان آباؤكم الأولون ، وانما خصصت الخطاب لكم الآن لأن مدينة مأرب وهى سبأ لاتزال فى حوزتكم . فالفرصة سانحة لكم جميعا فى العراق والحجاز ونجد وغيرها من البلدان . أنا أذكركم بقول الله تعالى فى ﴿ سورة الأعراف ﴾ ـ لتنذر به وذكرى للمؤمنين ـ فالقرآن انذار لقوم وتذكير لآخرين ، وجاء فى نفس السورة ـ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ـ الى قوله ـ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون ـ

فما من أمة من أمم الاسلام إلا حلت محل أمم بائدة ، وأهل اليمن حلوا محل أهل سبأ وأولئك أهملوا الماء فلم يحفظوا السدود وكفروا ، وهؤلاء المسلمون أذنبوا وأعرضوا عن حفظ هذه النعم . أفلايحق لى وأنا أكتب هذا أن أخاف عليهم . فأنا أنذرهم وأقول لهم ان الذنوب على ﴿ قسمين ﴾ ذنوب ترجع الى اهمال النظام فى الدولة وهذه جزاؤها الهلاك فى الدنيا أو الذل ، وذنوب جزاؤها فى الآخرة غالبا وهى الامور الاعتقادية ﴿ وبيانه ﴾ أن أكثر الأمم التى هلكت قراهم فى القرآن كانوا غير منتظمين فى أمور الحياة . ونسمع الله يقول ـ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ فاذا أصلحوا نظام بلادهم وهم كافرون فلاهلاك يلحقهم فالكافرون

المعمرون

المعمرون لبلاد الله العادلون يكون عذابهم في الآخرة غالبا . انظر الى أمة الصين وأمة اليابان . فهؤلاء ذاقوا عذاب الخزى فى الحياة الدنيا لما كانوا غير مفكرين فى أمر نظام مدنهم العام ، فلما أن عرفوا ذلك ونظموا البلاد خرجت أوروبا من بلادهم هاربة

فيا أبناء العرب ، ويا أهل اليمن ، هذا كتاب الله وهذا فعله . يعذب الأمم فى الدنيا بجهلها وإهمالها كما جهلت وأهملت سبأ وأنتم ورثتم الأرض من بعدهم . فوعيد الله لكم ظاهر واضح . ولا سبيل لكم من النجاة إلا بصرف آخر درهم من أموالكم فى تعليم الشبان تعليما عاليا وهم هم الذين يقومون بنظام البلاد . والله لقد أنذرت وحذرت وأنت يا ألله تشهد — وكفى بالله شهيدا — . فهل لكم أن تسمعوا ما جاء فى كتاب « التجارة الاقتصادية والجغرافيا البشرية » فقد جاء فيه ما يأتى :

(الانسان ونهضة الاستعمار)

(هذه نقط الموضوع)

(١) معنى الاستعمار (٢) أقسام العالم الطبيعية طبقا لنظرية هربرتسن ممثلة بخريطة (٣) الهجرة (٤) موقف المستعمرين . الأمم المستعمرة وميزانها (٥) أنواع المستعمرات (٦) ما يجب على المستعمر معرفته (٧) أوروبا بعد الحرب الكبرى

يدل معنى لفظ الاستعمار على عمران الأقطار وسكنى البوادى بعد اصلاحها واستيطان القفار بعد استنباتها واستثمارها فيتبدل وحشها أنسا ويستحيل جدبها خصبا فينعم أهلها ببسطة فى الرزق ووافر من الخيرات والثمرات ثم يرقى المجموع الانسانى تباعا باستكماله أسباب الراحة المعيشية وهى كل مراميه فى حياته الدنيوية

قام الانسان فى عصور الكشف الجغرافى بنهضة جلى كان غرضه منها تعرف جهات العالم جميعها فزج نفسه فى المحيطات واخترق ظلمات القارات واستهدف للخطر وركب الغرر فهلك من هلك ولكن نال بغيته وأصبحت الأرض جميعا قبضته فانقسمت الى أقسام سياسية ترجع الى مختلف المجهودات وما احتدم من قتال وما شجر من خلاف ، ثم تريث وأمعن فانكشف العالم أمامه أقساما طبيعية لا تحول ولا تحور

عمد الى كل جهة جديدة وأقبل عليها بخيله ورجله يحدث فيها من الحرف والأعمال بما دلته عليه تجاربه فى الجهات القديمة المماثلة لها والتى أقام عمرانها من قبل ، فأنبت القمح فى أمريكا فى الجهات الصالحة لزرعه وفى الأرجنتينه واستراليا وزيلنده وأوجد القطن بالنيجر والسكر بالبرازيل وناتال واستراليا والبن والكاكاو والتبغ والفاكهة أشكالا وألوانا . غرس كلا فى المنبت الملائم له . ثم استثمر الغابات والأحراج الجديدة على نمط القديمة وسبر غور الأراضى وانتزع من معادنها وغاص أعماق البحار وانتفع من لآلئها فعمت هذه الخيرات العالم وأثرى المستعمر وأترف فنزعت النفوس الى العوالم الجديدة الفائضة لبنا وعسلا وخفت اليها الرحال واتجهت اليها الآمال فأنعم بالاستعمار ! هاجر الناس من مواطنهم على حبها وشدة تعلقهم بها فانتجعوا هذه الأقاصى طمعا فى المال أوفرارا من شدة التزاحم ووطيس النضال وأقبلوا يزفون على مزارع عذراء ومناجم لم تطمث وأرض لم توطأ فصالوا وجالوا وطبق صيتهم الخافقين وأصبحوا قدوة لبنى جلدتهم فأهتروا جميعا بحب الهجرة وأشربوها فى نفوسهم وجرت منهم مجرى الدم حتى ليهذى بها الصغير فى غضاضة الاهاب ويصبو اليها الفضل القوى فى زمن الشباب ويحن اليها شيخهم اذا هرم وشاب

الى أن قال : فاذا لم يكن فى الاستعمار غير تثمير أجزاء الأرض قاصيها ودانيها والأخذ بيد الشعوب المتأخرة للنهوض بها الى مستوى الحضارة لكفى لأن كثيرا من المستعمرات قد بلغ من الثروة الطبيعية أقصاها ولكن أهله الوطنيين للأسف غير قادرين عليه وعلى الانتفاع به لتأخر حالهم العلمية والكثير منهم همج وحشيون

يعيشون على الفطرة . فوقف المستعمرين فى ذلك حرج . فلاهم منصفين اذا تركوا هذه الكنوز الثمينة طلاسم فى يد من لا يعرف أن يرعاها ولاهم منصفين اذا تدخلوا فلا يسلمون من الثلب والقدح ورميهم بالطمع والجشع والتصدّى لغير شأنهم والتدخل فيما لا يعنيهم . واذن فليتدخل المستعمرون لا للامتلاك بل لغرض الاصلاح وارشاد الوطنيين حتى يبلغوا بهم من المستوى العلمى والأدبى ما يؤهلهم الى الانتفاع بما لهم و بلادهم فاذا تمّ ذلك كان الاستعمار نعمة ، والمستعمرون ملائكة الرحمة ، ولكن الانسان وما فطر عليه من حب الذات والسعى لها كثيرا ما يحيد عن المبادئ القومية العالية و يغفو عن واجبات الانسانية السامية فتشوّهت صبغة الاستعمار وخرج عن معناه الى معنى الاستعباد والاذلال

امتازت الأمم المستعمرة : ﴿أوّلا﴾ بشدّة البأس والسطوة والجبروت . فهى تعدّ الجيوش وتبنى الأساطيل لتحمى ذمارها وتحفظ حقوقها ولتضرب بها العصاة الوطنيين اذا جنحوا الى العداء ورفضوا منهج الاستعمار الذى وضعته . وامتازت ﴿ثانيا﴾ بكثرة المال تنفقه فيما تشاء وعلى من تشاء فتفتح به المناجم والمصانع و يزهو به الزرع ، وتشق القنوات . وتذلل الطرق . بل تذلل كل صعب . وامتازت ﴿ثالثا﴾ بأنها الأمم العالمة المخترعة المتفننة فى أساليب الرقىّ والحضارة . فنها المهندسون والزراع والصناع والكيمائيون والأطباء ولفيف العالم الراقى جميعا . فأىّ قطر يحتله هذا النوع من الانسان وما وهب من المزايا ثم لا يرقى الى معارج الفلاح والنجاح أو لا يفيض على المستعمر والمستعمرة أرضه بالخيرات والبركات

والمستعمرات ﴿قسمان﴾ نزلية واستغلالية . فأما الأولى فينزل فيها الأجنبى لغرض الاستيطان اذا كان جوّها مما يلائم مزاجه وطبيعته لوجه الشبه بينه و بين بلاده الأصلية فيتسنى له اذا استوطنها أن يقوم بالعمل الجسمانى فيها و يرتزق من هذا الطريق ان شاء . و يقع عادة مثل هذه المستعمرات فى الأصقاع المعتدلة . فنها كندا واستراليا وزيلانده وأمثالها . وأما الثانية فهى التى يفد عليها الاورو بيون لا للاستيطان بل لغرض الاستغلال والاستفادة من طيب أرضها وصيب خيرها حتى اذا جمع ما يكفيه قفل الى وطنه الأوّل وعاش فيه بقية حياته منعما بما كسبت يداه فهو لا يستطيع القيام بالعمل الجسمانى فى ذلك الوطن الثانى لعدم صلاح جوّه له ولذا يضطر الى استخدام أهله الوطنيين فى ضروب الاستغلال والاستثمار على أجر معلوم بينما تكون له الزعامة العليا بفضل ما امتاز به من العدّة والمال والعلم . انتهى ما أردته من كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » والحمد لله رب العالمين

أيها المسلمون : أليس هذا فعل ربكم سبحانه وتعالى . جاء نبينا ﷺ فقام معه العرب ونشروا العلم والامن فى الأرض ثم خمد المسلمون إلا قليلا وناموا فلم يتركهم بلا منذرين . فهاهو ذا القرآن يدرسونه . ولما غفلوا وقلدوا أثار الله أهل أوروبا وحركهم لاستخراج ثمرات أرضه التى جهلها المسلمون فأحاطوا بكم من كل جانب . انهم من مخلوقات الله تعالى وهو الذى أوعز اليهم أن يجعلوا المستعمرات ﴿قسمين﴾ نزلية واستغلالية ولاجرم أن بلادكم أيها المسلمون بلاد استغلالية . فهم ينزلونها للاستغلال لا للاستيطان . فدونكم كلام الله ودونكم فعله . فان لم تفهموا القول أفلا تعقلون الفعل ! فاياكم أيها المسلمون أن تذروا النعم فى بلادكم لئلا يستعمرها قوم غيركم . واياكم يا أهل اليمن أن تتركوا الغابات والأشجار كأشجار الخروع الكثيرة فى بلادكم فلا تنتفعوا بها . وكذلك الكنوز والآثار المطمورة فقد حذرت وأنذرت و بينت — ولله عاقبة الامور —

كتب فى صباح يوم الاثنين الموافق (٢١) ابريل سنة ١٩٣٠ م و بهذا تمّ الكلام على (سورة سبأ) والحمد لله ربّ العالمين ؟

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس عشر من كتاب «الجواهر» فى تفسير القرآن الكريم
و يليه الجزء السابع عشر ، وأوّله تفسير سورة فاطر)

(الخطا

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه . وهذا جـدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	٤	فى الأرض فى	فى الأرض وفى	١١٣	١٨	بالغيبة	بالغيب
٤	٧	السور	السورة	١١٥	٢٥	وبدل الجنتان بما	وبدلوا بالجنتـين
٦	١	إذ	ان			لاينفع	مالاينفع
٨	٧	جال	وجال	١١٥	٢٥	من التمر	مرّ التمر
٨	٨	تكررت	فتكررت	١١٥	٢٨	وتبامن	وتيامن
٩	١٧	الامام	الغزالى	١١٥	٢٨	الاشيريون	الاشعريون
٩	٢٧	فانه	فاننا	١١٩	٢٣	هل	هى
١٢	٤	فى ورقة	فى شجرة	١٢٠	٣	المصريات	المصريين
١٤	١٧	منابرا	منابر	١٢٠	٢٢	هاهما	هاهماتان
٣١	٣٤	السفلية	النقية	١٢٣	١٠	نحن بنى	نحن بنى آدم
٣٥	٢٣	شكر	شكرا	١٢٤	٢٦	زمان	زمانه
٣٧	١٤	القوية	القولية	١٢٥	١١	المجرات	المجرّة
٥٢	٨	الصاميم	الصماصيم	١٢٦	٢٢	جعلهما	جعلتهما
٥٥	٣٤	لم يعدّوا	لم يمتدّ	١٢٧	٢٦	عبادته	غباوته
٦١	٨	والعضب	والغصب	١٢٩	١٤	اثنى	اثنى
٦١	٢٩	ليفهما	ليفهمها	١٣٦	١٠	لا المسلمين	إلا المسلمين
٧٠	٣٤	ألفت	لفت	١٤٢	٢٨	هتك	عنك
٧٠	٣٥	لسكاموهم	لسكلمتهم	١٤٦	٢١	أوهى	إذ هى
٧٢	١٤	وضعتيه	وضعته	١٤٧	٣٣	شفران	مشفران
٧٥	٣٢	بعد	فبعد	١٤٨	٧	تتصوّره	نتصوّره
٧٧	١٣	السكرّات	السكرات	١٥١	٣٠	لشقوق	الشقوق
٧٧	٣٤	متجاورتين	متجاورات	١٥٣	٧	التخاريب	النخاريب
٨٢	٦	ميل	ميلا	١٥٣	٨	»	»
٨٢	٢٥	المشبه به	المشبه	١٥٣	٢٢	»	»
٨٨	٥	توجه	توجهوا	١٥٤	٢٢	أو بالاخرى	أو بالأحرى
٨٩	٩	وأيقن	أيقن	١٥٨	٢٤	فى شفته	فى شقته
٩١	١	يأتوك	يأتون	١٦٠	١٨	ان الأسئلة	الأسئلة
٩٥	٢١	أعزاب	أعزابا	١٦٢	١٧	وأيام	وأياما
٩٧	١٩	إذ ذاك	على ذاك	١٦٦	١٦	(سنة ٨٥)	(سنة ٨٥٠)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦٨	١٢	يشعمر	يشعمر
١٧٣	٦	كأراضى الدلتا	
١٧٤	٢١	نحو سنة ١٩٢٨	سنة ١٩٢٩
١٧٧	١٩	تجارية	بخارية
١٧٨	١١	عمرا	غمرا
١٨١	٣١	فى القرون الثلاثة الأولى	فى القرنين الأولين
١٨٤	٥	المكان	والمكان
١٨٤	١٥	ويعرون	ويغزون
١٨٤	١٦	بد	يد
١٨٤	٢٤	مادر	ماذر
١٨٥	٢٤	أبلوا	أبليا
١٨٥	٢٦	ابن	ابنه
١٨٦	٢٢	الدهش واذ	الدهش إذ
١٩٠	١٠	الاربين	الآربين
١٩٠	١٠	بالباربين	بالبارسيين
٢٠١	٣٥	فبها	فيها
٢٠٢	٣٢	أنى	أتى

﴿ تمت ﴾

(تذكرتان)

(الأولى) جاء فى صحيفة (١٩١) أن مايصرف على بقرالهند (١١) مليونا و(٧٦٠) ألف جنيه وأن هذا أربعة أضعاف غلة الأرض، وهذه العبارة نقلتها من الأصل وهذا الأصل خطأ لأن غلة الأرض أضعاف هذا بعكس ماجاء فى هذه العبارة اه

(التذكرة الثانية) إن سنة وفاة (محمد بن تومرت) وهى سنة (٥٣٤) لاتوافق ما جاء فى القصيدة التى أنشدت على قبره انه عاش (٩) سنين مع انه أظهر المهدوية (سنة ٥١٥) ومن عجب أن المؤلف أهدى اليه كتاب فيه تاريخ (ابن تومرت) وأن وفاته كانت سنة (٥٢٢) وهذه أقرب الى الصواب فلعله مات سنة (٥٢٣) انتهى والله أعلم

فهرست

(الجزء السادس عشر)

(من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم)

صحيفة

صحیفة

بدعته واما رافضی یضع الحدیث لماشاء واما مستحل وضع الاحادیث للترغیب والترهیب . ومن الوضاعین غلام خلیل ترك الشهوات واستحل الکذب علی رسول الله ﷺ وقد أغلقت أسواق بغداد یوم موته الخ

۴۹ وقوم من الوضاعین کانو یتقربون للملوك بوضع الأحادیث . أقسام الوضاعین ثمانیة : الزنادقة والذین ینصرون مذهبهم حقا أو باطلا والذین یضعون الحدیث للترغیب والترهیب والذین یجیئون وضع الاسناد لکل کلام حسن . والذین یضعون الاحادیث لمجرد الغرابة . وآخرون یشحذون بالاحادیث ومنهم وهب ومحمد بن السائب ومحمد بن سعید وأبوداود النخعی الخ . ومنهم من اعترف بذنبه . کل هؤلاء ذکروا للاستطراد علی ذکر حدیث طبقات ابن سعد المکذوب علیه ﷺ من حیث نسبة حبه للشهوات النسائیة

۵۱ الکلام علی تعدد الزوجات فی الاسلام . و بیان أن أهل أوروبا وان برعوا فی العلوم الصناعیة لم یزالوا مقلدین فی أمور کثیرة ومنها هذه المسئلة وهو تعدد الزوجات عند المسلمین . و بیان أن کتاب « ابن الانسان » الذی ألفته لنظام الأمم العام قد أبنت فیه أن تعداد الذکور والاناث فی الامم کلها متقارب وانا لم نسمع أن أمة قل نساؤها فأخذت تطلب نساء من غیرها و بالعکس . اذ هناك نظام لا یتغیر ولا یتحول وأن فی الرجال من هم ضعاف أو فقراء فلا زواج لهم کما أن منهم من هم أقوی وأقدر جسما ومالا وشهوة فهؤلاء یعدون فی مقابلة الضعاف وهؤلاء فی الاسلام بحسب أقوال الخبیرین اما ثلاث فی المائة واما خمس فی المائة وهذا العدد الضئیل لو أنه کان مفسدا لما أضر هذا المجموع شیئا اذ فی کل ألف (۳۰) انسانا فاسدی الأخلاق . فهل هؤلاء یضرون الألف . کلا . ثم کلا . هذا اذا کانوا مفسدین فکیف اذا ثبت أنهم مصلحون لأنهم حفظوا العدد الزائد من النساء فأولدوهن البنین والبنات وأطعموهن وحفظوهن من الزنا والخنا . اذن هذا الانسان لا یزال طفلا یقلب الفضیلة رذیلة والحق باطلا والاحتجاج بان الاخوة من الأب یتعادون مردود بأن الاخوة الاشقاء ایضا یتعادون . و بأن الناس جمیعا یتحاسدون و یتعادون ولم یوجب ذلك ازالتهم من الارض . ولعمر الله لم یعب الاوروبیون ذلك الا لأنهم حسدوا الشرقیین علی نعمة تکاثر النسل وهم حرموا منه فیریدون إملاله کما فعل بعضهم فی جنوب افریقیا اذ یتزوج الرجل نساء کثیرة کأنه (دیك) معه دجاجاته ففرضوا ضریبة علی أمثال هذا الزوج حسدا و بغیا لأولئك الوثنیین علی کثرة ذریتهم

۵۴ بیان ماجاء فی (مجلة المرشد) من أن عدد النساء فی ایطالیا یزید علی عدد الرجال ملیونین . وفی جریدة الماتان الفرنسیة أن عضو مجلس البرلمان الفرنسی قال « ان فی فرنسا ملیونا ونصف ملیون فتاة غیر متزوجات . وقال ان الفتاة لا صحة لها بغیر الزواج . وأثبت أن هذا مغایر لقانون الطبیعة » ویقول (شو بنهور) الفیلسوف الألمانی « ان قوانین أوروبا فی الاقتصار علی امرأة واحدة أوقعت الفقیرات منهن فی الشقاء والغنیات فی التحسر أمد الحیاة حزنا علی عدم الاقتران برجل . وطلب أن یکون تعدد الزوجات أمرا واجبا »

۵۵ وقد ألف عالم فرنسی کتابا فی العشیقة الشرعیة فطبع منه نصف ملیون نسخة

۵۶ ﴿اللطیفة الثانیة﴾ فی معنی قوله تعالی وخاتم النبیین وذکر جواب عبدالله کویلیام الانکلیزی المسلم وابتدائه جوابه بنظرة عامة فی السموات والأرض وما بینهما من السحب والنبات والحیوان ثم زوال ذلك وحیاة غیره وهکذا

۵۷ بیان أن هذه العجائب توجد فی القلب اذعانا لخالق هذا العالم وإیمانا به وامتثالا لأمره . و بعد معرفة

الله

صحیفة

الله نجد أنفسنا متشوّقين لمعرفة الكرة الأرضية فنرى العلم يقول لنا انها كانت كرة حارة بردت بالتدريج وخلق عليها المواليد الثلاثة بالتدريج ومنها ماانقرض ومنها ماحدث وآخرها هذا الانسان وهو عالم كبير فى أول أمره كان كالحيوان ولم يكن من الكواكب ولاغيرها إلاماتدركه البهائم واهتم أوّلا لما كله ومسكنه فى الاشجار والمغارات هائما فى الفلوات يقتل غيره لشهوة نفسه فكان لابدله من قانون . فهيأ الله له أناسا مصطفين كل واحد أتى بشرع أرقى مما قبله بحسب القابلية . فمنهم من علم الناس الملابس وستر العورة ولو بالورق . ومنهم من علم بعض الاخلاق الجميلة وهكذا حتى جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . واذا لم يحرم عيسى الخمر وحرمه محمد ﷺ فليس معناه نقص عيسى . كلا . وانما النقص فى استعداد المرسل اليهم لاغير

٦٠ والقصد من الرقى انما هو فى العموم والا ففى كل عصر أناس متوحشون حتى فى عصرنا هذا . ولما جاء محمد ﷺ أصبح الانسان أرقى من الانسان الذى كان قبل مبعثه بمراحل وهو فى تعليمه يدعو للترغيب والترهيب . وهنا ذكر جميع محاسن الاسلام كالعدل والتواضع الخ تقرب من الثمانين عدّا فى عشرة أسطر

٦١ ثم ذكر المنهيات وعدّ ما يقرب من الاربعين . ثم بيّن هنا أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بسياسة الملك والميراث والصحة والاعجاز فى البلاغة . قال : وكل هذه المباحث لم توجد فى الكتب السماوية . وهناك أمور ستعلم فى المستقبل وهذا الدين لم يكن هكذا طفرة فهو آخر الأديان وهو ناسخ لما قبله من الشرائع لأنه أكملها ولاينسخه غيره

٦٢ نبذة من ترجمة المؤلف عبد الله كويليام المذكور وأنه كان واعظا عالما بالعلوم الرياضية وأصيب بمرض استوجب تبديل الهواء فى جبل طارق وطنجة فأعجبه دين الاسلام وصلاة المسلمين فقرأ القرآن بالانكليزية ووازنه بالديانات الأخرى فأسلم وأسلم معه أصدقاء له

٦٣ ثم بعد ذلك اتخذوا لهم مسجدا يقيمون فيه الصلاة وقابل السلطان عبد الحميد ثم رجع الى مدينة ليفربول بلدته وله كتاب يسمى (دين الاسلام) . هذا ومن آثار نبوته ﷺ أن أتباعه لايهتمون باختلاف اللون . أما أمريكا وانجلترا فانهم يطردون ذا اللون الاسود من مطاعمهم وهذه صفة أقل من صفة الانعام التى لاتبالى باختلاف اللون . ومن تلك الآثار الاسلامية أن اليهود دخل فى دينهم بعض الاصلاح فى التوحيد على يد موسى بن ميمون الذى ولد سنة ١١٣٥ م وأدخل فى كتب اليهود خلاصات من علوم كتاب الملل والنحل واخوان الصفاء وتحقيقات الغزالى وغيره من علماء الاسلام

٦٦ ومن الدلائل الساطعة على أنه ﷺ سراج منير ماشهد به الجاسوس الفرنسى الذى أرسلته فرنسا لعبد القادر الجزائرى وقد صار من خواصه وقرأ الاسلام فأفاد أن دين الاسلام حق ولكن العلماء لايصلحون لبثه بين الناس . ومنهم من اشترى الفتوى منه بالثمن اذ شهدوا أن فرنسا خير أمة اخرجت للناس وهكذا ولو كان علماء الاسلام أرقى من هؤلاء لكان المسلمون مثل تلك الأمم . من تلك الشهادات الفرنجية ماجاء فى كتاب (خواطر وسوانح) للعلامة هنرى . وهاك ملخصها

٦٧ انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية . ابتدأ بابطال مايقوله الأوربيون فى أسباب انتشار الاسلام وأخذ يبين الحقائق قائلا : لو كان الاسلام ينتشر بالسيف لوقف انتشاره بانقضاء الفتوحات الاسلامية أو بزوال التمدين العربى فاذا كان هذا صحيحا فلماذا يتقدم الاسلام الآن فى بلاد الصين التى ينتظر أن يسيطر الاسلام فيها على دين (ساكيامونى) وهودين بوذا . وقال مونطيط : الاسلام ظافر لامحالة فى بلاد الصين وهو وان قل فى أوربا كثير فى افريقيا

صحيفة

٦٨ يمتد من سبار اليون إلى موزنبيق و يمر فى مراكش و يصل إلى السويس و يمتد من البحر الاحمر إلى المحيط الاتلانطيقى ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالى و يصل إلى الدرجة العاشرة من العرض الجنوبى . وهو كثير الانتشار فى وسط افريقيا وفى تنبكتو وسقطلو وكانو وكوكا ووداى وشاد واشارى ولوغوتى ولوغراتى

٦٩ وهل الاسلام دين عمومى : أجاب بنعم من حيث أصله وأما لطوارىء عليه فقد كثرت الاتباع ولكنها جعلت أتباعه مخالفين لاسلامهم إذ جعلوا للتوسطاء بينهم و بينه والقرآن ينهى عن ذلك . ومن عجائب الاسلام انه دين رحيم فهو يعد بالجنة أصحاب الاعمال الصالحة المختلفى الاشكال والألوان لا فرق بين عابد وعالم وتال للقرآن الخ . وقد حرم المسكرات لحفظ المسلمين من غوائلها التى منها طوائف الفوضوية وأعلى شأن النفس الانسانية بالصلوات الخمس . وهو دين ذو بساطة يلائم كل نفس حتى أبسطها وهم الزنوج بل الشهادة يعتاض عنها المسلم برفع السبابة الى السماء عند الاحتضار . لذلك يفضله الناس عن الدين المسيحى كما قال (القس ماراشى) « لقد جرد الاسلام تعاليمه من الأحاجى التى فى الدين المسيحى . لذلك ينتشر الاسلام . وليس لذلك الاسلام مبشرون كالدين المسيحى الذى يعرض على السود فينبذونه و يقبلون الاسلام بلا عرض . وعند خط الاستواء ممالك اسلاميه زنجية مثل : شارى ولوغونه وغيرهما . ولهم نظام سياسى يحمون به من جاورهم و يتداخلون بين القبائل و يدخل الناس فى دينهم أفواجا بالحسنى لا بالحرب . ومن الوسائط لذلك أن يتزوج المسلم من القبائل الوثنية فيكون ذلك السبب فى جذب الجيران الى اعتناق الاسلام . ولقد كان النبى ﷺ غير مغرم بالشهوات وكثرة نسائه كانت لتحبيب تلك القبائل فى الاسلام . هكذا يفعل أولئك الزنوج بالزواج من نساء جيرانهم . وهناك مزية سماوية وهى مافى التوراة : من أن الله يبارك فى ابن الخادمة وهو اسماعيل فتخرج من صلبه أمة كبرى

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ـ الخ . وفيها أربعة فصول ✲ الفصل الأوّل فى الذكر و بيان أن فضائل الذكر عرفها الهنود قبل آلاف السنين وهذا من المعجزات . والقرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم

٧٢ فهؤلاء الهنود يقولون ان فى البدن فقرات ظهرية داخلها حبل شوكى موصل كل مانعلم الى الدماغ فنعلم الاشياء . ولكن هناك عجب الذنب وهو مركز علوم الدنيا والدين وكان هذا المثلث المصمت الذى فى آخر الفقرات قد كتب فيه « ان الانسان يحيط بالكائنات علما بقدر طاقته و يظل هذا العلم محجوبا عن العقل حتى يفتح بكثرة الذكر والفكر والعمل » و يصل للدماغ بواسطة الفراغ الذى يمتد فى الفقرات لا بواسطة الأعصاب المبلغات العلوم القليلة الدنيوية وتكرار ذكر الله مما يستعين على ذلك . ولكن ضبط التنفس فى نظرهم (حبس الهواء داخلا فى الرئة أو خارجا مدة مّا وتزيد بالتدريج يعطى النفس قوّة عظيمة تجعله مسيطرا على قواه العقليه فهنالك يصل لله تعالى وصولا حقيقيا لانه إذ ذاك يزهد فى الدنيا . هذه آراؤهم على علاتها . والمقصود منها أن تكرار الذكر ذكره قبلنا قوم وهكذا عجب الذنب الذى ورد فى شريعتنا الغراء . وهو عجب وألف عجب . اذن هنا معجزتان الذكر وعجب الذنب . هؤلاء هم الذاكرون أما المسبحون فهم يكررون كلمات التسبيح كانها بلسم يداوى جراحات القلوب والعلل من الشكوك التى تعترض النفس كأن يقال : اذا كان الله رحيما فلم هذه الأمراض والموت والحروب وهكذا . فتكرار هذه التسبيحات أشبه بالمنومات تنويما مغناطيسيا عن الشكوك . ولكن العارفون

يقرؤن

صحيفة

يقرؤن جميع العلوم فيها فيعرفون كون الله تعالى منزها عن المادة بالجمال والجلال والحكمة وكلمات التسبيح كأنها أجسام والعلوم كأنها أرواح لها وأجسام الانسان والحيوان يعيش بها الحي وان كان لا يعقلها هكذا التسبيح فهو نافع للمسبح بدون معنى كما ينفع جسم الحيوان له بدون فهم العجائب

٧٧ ومن عجائب الجسم الانساني الدالات عند الحكماء على تنزيه الله تعالى ماستراه في سورة فاطر ﴿ عند آية ـ والله خلقكم من تراب ـ من الدورة الدموية والدورة الليمفاوية وأن الثانية تعطي الاولى قوة كأنها قلاع لجنود مخلوقة من المواد الدهنية حيوانية أونباتية وبها يتم خلق الكرات البيضاء الفاتكات بالذرات المهلكات . وهي المكروبات فالذين يعصرون السمسم مثلا يحضرون جنود الأجسام الحيوان وأجسامنا وان كانوا لا يعلمون . هذا هو التسبيح العملي

٧٨ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى ـ هو الذي يصلي عليكم ـ الخ . ولا جرم أن الصلاة من الله الرحمة فلولا الرحمة ما كان نظام تلك الدورات بأنواعها وهكذا

﴿ الفصل الرابع ﴾ في التحية والسلام . وهذا هو نهاية السعادة الانسانية فان نهاية العلوم لهذا النظام العجيب الامان من القطيعة والجهالة إذ يرى الدورة الغذائية مثلا قد أعدّ لها نحو (٤٢) آلة لسير الطعام مثل : الأسنان وأنواع اللعاب الست في الفم والبنكرياس والغدة الصفراوية والاحماض في المعدة والامعاء وكلها مرتبات منتظمات . هنالك يدهش العاقل ويعلم علما ليس بالشك أن الرحمة لاحدّ لها وأن هذا الرحيم يهنئنا بالسلامة من القطيعة بناء على اعلامنا من رحمته العجيبة . ثم بيان أن هذا التفسير كاف لذلك المقام وسيتخرج به طائفة كبيرة من عقلاء النوع الانساني ويحشرون إلى ربهم وهم عارفون به أجلّ معرفة وهم آمنون

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى ـ يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ـ الى قوله ـ وسراجا منيرا ـ وبيان أن تشبيه النبي ﷺ بالشمس ليس كتشبيه النابغة النعمان بالشمس . لا آثار للنعمان . أما النبي ﷺ فاننا اذا رأينا للشمس حرارة استخرجت بخارا طار في الجو فصار سحابا يرتفع عن الارض عند خط الاستواء ثم يقع عليها عند المدارين ثم يرتفع كرة أخرى عند المدارين ثم يرجع منه قسم الى خط الاستواء وقسم آخر منه يذهب الى الدائرتين القطبيتين ثم يرتفع ويحل محله هواء آت من القطبين وهكذا . فهكذا النبي ﷺ أشرق علمه في القلوب لما أرسله الله تعالى فامتدّ شرقا وغربا . فالجيوش كالرياح والقرآن كالسحاب . وهذا السحاب نزل في الاندلس مطرا علميا ومن هناك انتشر العلم في أوروبا ورجع قوم منه الى الشرق يحاربونه أيام الحروب الصليبية وقسم توجه الى أمريكا فانتشر العلم بينهم في مقابلة الرياح التي انقسمت عند المدارين شطر ين شطر رجع وشطر استمر صاعدا

وهنا في صحيفة (٨٠) ضرب مثل للرياح وتقلبها باللاعب الذي قسم الملعب (١٨٠) قسما الخ وهذا المثل موضح بالرسم شكل (١) في صحيفة (٨١) وكل هذا مقدمة لقياس انتشار الاسلام على انتشار الرياح حذو القذة بالقذة . فاذا كانت الشمس حركت الرياح والمطر في الكرة الأرضية كلها فهكذا شمس الاسلام حركت الأمم كلها للعلم شرقا وغربا ووصلت الحركة لليابان والصين . كل هذا باشراق شمس الاسلام في بلاد العرب »

٨٦ النبي ﷺ مشبه بالشمس والشمس بها حياة كل شئ ولكن في المخلوقات ما حجبت عنه الشمس فخلقت فيه حيوانات ضارة ولا يقتلها إلا التعرض للشمس كما هو الطب الحديث . هكذا المسلمون اليوم دخلت عقولهم كثير من الآراء الضاره . فليرجعوا إلى نفس القرآن ثم نفس علوم الكائنات . هنالك تطهر عقولهم من الجهالات كما تطهر الارض من الحيوانات الذريات بتعرضها للشمس . هذا ولقد جلست في

صحيفة

الخلاء نحو ساعتين معرضا الجسم للشمس فألفيت العوالم كلها فى عرس ، طيور ، مفردات وأضواء ساطعات ، رعوده كالمدافع واطلاق البنادق فى أعراسها والسحائب كجماعات مدعوين فى ولائمنا ومحافلنا فهذا عرس دائم كلى ، أما ولائمنا ومظاهر أفراحنا فانها وقتية وهى تشير لنا أن السعادة انما تكون بملاحظة الموجود الدائمة مظاهر أفراحه ومسرات أعماله ، ثم ان كل فرد لو فكر لوجد ان هذه الشمس وماتحتها مسخرات له وحده كما ان غيره يرى هذا الرأى بالنسبة لنفسه لأن كل امرئ تخدمه أمته كلها والأمم الأخرى تبع لها ، وهكذا السموات والأرضون ولا جرم أن الابداع فى هذا النظام جعل كل واحد يتسنى له أن يقول هذا النظام لى

٨٩ آثار النبوّة وانتشارها فى أوروبا ورسالة السيد ناصر الدين « دينيه » المسلم الفرنسى والمصوّر الشهير الذى مات وهو يبلغ من العمر ٧٠ سنة وقد أحب الاسلام حبا جما وحج وأوصى أن يدفن فى بلاد الجزائر . قد أعظم أمره المسلمون والحكومة الفرنسية جميعها . وقد ألف تاريخا لحياة نبينا ﷺ ولام أوروبا على اضمارها الشر للشرقيين . ويقول « ان المسيحية لم يرقها الأناس ليسوا منها كاليهود والذين خرجوا على الكنيسة والفضل للعرب فى نهضة أوروبا ، وقد تباعد الأوروبيون اليوم عن المسيحية تباعدا تاما

٩٢ الاسلام لا يبالى إلا بالعقل وينبذ خوارق العادات فهو بهذا خالف جميع الأديان . المسلمون أشدّ الناس تسامحا والمسيحيون اليوم يتعلمون التسامح من المسلمين ان المسلم يعظم عيسى والمسيحى يذم محمدا . ان أصل حريتنا العامية فضلها للنبى العربى ، ومن فضائل الاسلام منع الخمر وانه لا واسطة بين الله وعباده ولا يسأل الانسان الاعن نفسه . والله له عند المسيحيين شكل رجل هرم لحيته بيضاء وعند المسلمين هو مقدس — وليس لله عند المسيحيين الا أقل الصلاة أما أكثرها فانما هى للابن والام والروح القدس وزوج الأم وقلب يسوع المقدس : وفى الاسلام علو الهمة ، أما المسيحية فمن ضرب فيها على خده الأيمن وجب عليه أن يدير خده الأيسر وفى الاسلام المساواة ومسايرة الطبيعة ، وتعدد الازواج تدعو اليه طبيعة الوجود وقصر الزواج على واحدة أحدث فى المسيحية الدعارة وكثرة العوانس والابناء غير الشرعيين ومن عاش مع المسيحيين من المسلمين تعلم منهم الفسوق والفجور ، والصلاة فى الاسلام ذات بساطة لا تكلف فيها وعند المسيحيين فيها تكلف كثير ، والاذان أمره عجيب فهو أدعى الى الاصغاء له من الناقوس

٩٧ المؤتمر الدينى الدولى لخدمة السلام العام ، رجال الأديان فى أمريكا عقدوا اجتماعا للسلم العالمى وكل ممثل لدين يدين لتعاليم دينه فى السلام العام ، وقد حضر الاجتماع (٦٠) عضوا الخ

٩٨ الكلام على حالة العميان فى مصر وسؤال تلاميذ الجمعية للحكومة المصرية فى أمر العميان وهل لهم اعانة وكم عددهم ؟ وبكم ساعدتهم الحكومة ؟ وما أنواع مصنوعاتهم ، وما الرائج فى السوق منها ؟ وهكذا . وهذا كله من السلام العام الذى كان المسلمون أحقّ به لأنهم أوّل من نشروا التعليم العام وبسببهم انتشر فى الأرض

١٠٠ تفسير قوله تعالى — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا — الخ ، معنى — وحملها الانسان — من القاموس ، لطيفة عامّة للسورة كلها

١٠١ تفسير سورة سبأ ، تفسير البسملة وبيان أن رحمة الله فى هذه السورة موجهة الى المسلمين من حيث انه يذكرهم بأمم خلت فى بلاد اليمن كانوا ذوى علم وجدّ وتشمير ، فمن العار أن يكون المسلمون أدنى

منهم

صحيفة

١٢٤ كل من حذق فى صناعة وشاهد شيأ منها أدرك سرّها وعرف فاعلها لأن صنعته متشابهة كما اتفق للعالم الانجليزى المستشرق الذى أدرك طبقات الكتاب السودانيين المتنولين بسبب معرفته بطبقات الكتابة والشعر والنثر فى أدوار اللغة العربية ، هكذا يفعل العارف بعجائب هذه الدنيا اذا اطلع على بدائع الجسم والكواكب والحيوان فانه يقول فاعلها واحد لسريان النظام المتحد فى الجميع . هذا هو سرّ قوله ـ له مافى السموات ـ الخ على سبيل الحصر ، فالحصر هنا كحصر الحاذق فى الصناعة إذ يرى صنعة رجل فينسبها له لعلمه بأساويه فى العمل ، ومثل المجموعة الشمسية المجرّة والمجرات الأخرى والسدم فكلها من هذا القبيل نظام محكم متشابه . هذا معنى ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ الشمس كالدجاجة وكالأوزة ترجع لها صغارها ولم يحجب الله عن نظام نحله بنظام سير شمسه إذ يحسبه بالثانية ونصف الثانية ولايشغله حساب الخسوف والكسوف بالدقيقة والثانية (والمواعيد المحددة لكل ٧٠ خسوفا وكسوفا (١٨) سنة و (١١) يوما) عن عيون النحلة التى تكون (٤٠٠) وعيون الذبابة (٤٠٠٠) كل عين منها مستقلة

١٢٨ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ ـ يعلم مايلج فى الأرض ـ الخ ولنبدأ بالبحث فى الأرض ونبين الصور التى رسمها بعض العلماء فى أدوار فهمها المختلفات مثل انها كبساط (شكل ٦) أوكشجرة (شكل ٧) أومحمولة على اثنى عشر عمودا (شكل ٨) أوكالاسطوانة (شكل ٩) أومكعبة (شكل ١٠) أوكروية تحيط بها جبال (شكل ١١) أوان الجبال ترتفع فى القطب الشمالى فتصل السماء (شكل ١٢) أوهى محارة كبيرة مستديرة على أربعة أفيال (شكل ١٣) أو بيضاوية (شكل ١٤) أوكرة مفرطحة (شكل ١٥) كحبة القوطة (الطماطم) أوتشبه القلب (شكل ١٦) أوكثل الكمثرى (شكل ١٧) أوهى من عدّة كرات متداخلة بينها فواصل وهى خمس مملوءة بالهواء والسكان وكل سطحين للكرة مسكونان ولها فتحتان عند القطبين وقطر الفتحة فى القطب الشمالى أربعة آلاف ميل وفى القطب الجنوبى ستة آلاف ميل (شكل ١٨) و (١٩) والمارشال (جاردنر) سنة ١٩١٣ يقول « إن الأرض مجوّفة وسمك طبقتها التى نعيش عليها (٨٠٠) ميل وهى مفتوحة عند القطبين وفى داخلها شمس (شكل ٢٠) والفتحة (١٤٠٠) ميل أوهى على شكل هرم (شكل ٢١)

﴿ المقام الثانى ﴾ فيما يقوله علماء الاقتصاد فى مباحث المعادن والفحم

١٣٣ التربة إما سوداء جلبها الغرين (الطمى) واما نباتية واما بركانية ، فالسوداء كأرض بلاد النيل جلبها الطمى لاتحتاج الى سق كثير بخلاف الرملية وضدها البركانية فى الولايات المتحدة

الهزّات الخفيفة والزلازل التى تبلغ (٣٠) ألف فى السنة لايشعر الناس بها تحدث ارتفاعا وانخفاضا نشأة البركان الذى هو جبل مخروطى تخرج منه مواد مصهورة وحمم بركانية . وقد يثور البركان فتكون سحب من بخار ومن تراب بركانى يظلم الجوّ ، مثل بركان كركتوا سنة ١٨٨٣ نخسف بذلك ثلثا الجزيرة فخرّ بحر عظيم محل الجبال العالية بعمق ألف قدم وهلك (٣٦) ألف نسمة و (٣٠٠) قرية وارتفع التراب (٢٠) ميلا

١٣٥ أما الفحم فهو مخزون قديم فى الأرض ومنه يكون انثراسيت والفحم البخارى وفحم الكوك وهكذا وهاك صوره فى الأرض (انظر شكل ٢٢) و (شكل ٢٣)

زيت البترول فى بلاد القوقاز والولايات المتحدة وغيرها (شكل ٢٤) فيه صورة الأعشاب فى مدة الفحم الحجرى

صحيفة

تحت الأرض أو بيوت ظاهرة تعلوعليها (٤) أمتار وتكون كالقالب السكرقاعدته (٣٠) قدما

١٤٩ (شكل ٢٦) قرية الأرض وتكون تلك المساكن فى افريقية الوسطى وفى كونغو والبلجيك فيعلو المنزل الى (٨) أمتار ولا يقطعها الناس إلا بالديناميت وهى تجعل الخشب قوتا لها مهضوما وفضلاتها تصلح لها طعاما

١٥٠ والأرضة تطرد الانسان وتبنى مساكن فى أرضه كما بنت فى استراليا (١٦) قرية فى مساحة (١٣٥) مترا ولها مهندسون وجنود يصنعون لها كل ماتريده (انظرشكل ٢٧) وهورسم الأرضة العاملة (شكل ٢٨) الجنود وعدوّ الأرضة هى النملة ، وللجنود الأرضية ثكنات تعود اليها بعد هزم عدوّها ولكل قرية عدد من الجنود لايزيد ومازاد يقتل بطريق سياسى خاص ، ولهذه الحشرات طرق بها يفهم بعضها بعضا ، ألاترى انها المملكة تكون فى أشجاركثيرة وهى تابعة لعرش مملكة واحد ولها أصوات موسيقية خاصة تشترك فيها المملكة كلها وهنّ جميعا يتمايلن الى الامام والخلف ويدوم عدّة ساعات مع فترات قليلة . والملك والملكة فى حجرة خاصة وهى أعظم جثة منه

١٥٣ متى آن فصل الشتاء تفتح المنافذ المحرّم فتحها طول السنة فى ساعة خاصة . وتخرج حشرات من هذه المملكة ذات أجنحة تعدّ بالملايين وتنشئ فى الجوّ مايشبه السحاب بمنظرجيل قصير المدى وكل ذكر يبحث عن أنثاه فهو مشهد جميل ولكنه سريع العطب إذ يهبط هذا الجيش كله الى الأرض حالا وما أسرع ماتنقضّ عليه العصافير والحيات والهرر والكلاب والنمل وتأخذ فى أكل تلك الغنائم التى خرجت لأعراسها فصارت هى نفس المآدب لغيرها

(شكل ٢٩) وهو رسم أرضة بالغة بسطت جناحيها

١٥٤ تخريب حشرة الأرض للأرض إذ هى تتناسل بسرعة مدهشة ولولا البرودة لغطت الأرض كلها وهى تفتك بما عند الانسان من ملبس ومسكن وغيرها . فدينة جامستون دخلها نوع من هذه الحشرة ففعل فيها ماتفعله الزلازل وجزائر الانتيل الفرنسية منعتها هذه الحشرة عن مغالبة الانجليز لأنها خربت المنازل . النحل فى جنة والأرضة فى جهنم لأنها محبوسة عمياء تحت الأرض . ان لها شريعة قاسية لاغفران فيها فالعامل الذى لايعمل يقتل وهكذا

١٥٥ حشرة الأرض تقدّمتنا بملايين السنين وقد كان فى أوروبا قديما فاختفى فى الأرض فهى على مايظهر ولعلنا نحن ننتظرمستقبلا مثل هذا متى بردت هذه الدنيا . إن هذه الحشرة تعرف كيف تنظم الذكور والجند من حيث إيجادها بقوّة إلهية . أما نحن فلا . ولوتسنى للانسان ذلك لكان ذلك سببا فى انه يكون فيه الأذكياء النادرون الذين يعلموننا من العلوم مانجهله الآن

خطاب للمسلمين وكيف درس القوم حشرة الأرضة وأنتم لم تدرسوها وهى فى القرآن

(المقام الثانى) ـ فلما خرّ تبينت الجنّ ـ الخ وبيان أن العزائم والدعوات الكفرية وغيرهما تذكر فيها أسماء الشياطين فيها نوع من العبادة . وبيان أن الأرواح الصغيرة تكذب وأن الروحانية لايصح أن تكون بابا للرزق ولاعلم للأرواح بالمستقبل فى الكشف الحديث

١٥٨ ﴿تذكرة﴾ الكلام على آية ـ فلما خرّ تبينت الجنّ ـ الخ وتبيان ما قاله الرجل الهندى بمصر وأن البرلمان بعمرسنة . وأن المعاهدة مع الانجليز تتم وأن هذا القول يقتضى علم الأرواح لا وثوق به

١٥٩ وأن المخبر بهذا أرواح صغيرة . وانه هوكان أحبّ فتاة فلما بعدت عنه تفكر فيها فظهرت أمامه بقوّة الروحانية فلما ماتت وهى صغيرة جلس مع النساك يقرؤن آيات من القرآن فى الخلوات (٤٠) يوما بلا أكل

فتسخر

صحيفة

في مصر سنة ١٩٢٩ م وما حصل في أمريكا سنة ١٩٢٧ م و بأن منه فرض كفاية وأن ذلك الفرض عند بعض العلماء أفضل من فرض العين لاتساع فوائده ، و بيان أن نهر المسيسبي أغار على الجسور فقطعها وأن هذا النهر سنة ١٩١٣ م فاض على مقاطعة (الاهيو) فخسرت البلاد (٢٤) مليونا من الجنيهات ، فأما في سنة ١٩٢٧ م فقد خرج البحر عن مجراه وأغرق سبع ولايات وارتفع على الأرض (٨) أمتار

١٧٦ (شكل ٢٣) مياه المسيسبي ترتفع على الجانبين وشكل (٢٤) نسف أحد جوانب المسيسبي

١٧٧ بيان اشتراك الشعب كله في درء الخطر ، وأن مئات ألوف من الناس باتوا بلامأوى ، وأن الحكومة أغاثتهم بفيلقين من الجيش و بلغت الخسائر مائتي مليون ، ثم جاء الخوف على مدينة (نيوأورليانس) العظيمة فنسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكانا وضحت الحكومة في سبيلها خمسمائة ألف انسان بلاقوت لهم و (٧٥) ألف كيلو متر، وكان هذا الهدم بعد محاربة الأهالي للحكومة بأنواع السلاح ومنها المتروليوز والقنابل ، ثم تتمة الكلام على أسداد اليمن وإيضاح من بنواسد العرم

١٧٩ الأسداد وانها تبلغ في العدد مئات والذى بنى سد العرم أوّلا سمعهلى ثم ابنه يثعمر ثم ابنه كرب ايل ثم ذمى على ذرح ملك سبأ ثم يدع ايل دتار ، وقد تهدّم مرارا وأصلح ، ولما ملك الأحباش اليمن ظهرت لهم كتابة عليه سنة ٥٣٩ م وسنة ٥٦٥ م ونص إحدى الكتابتين التي كتبها أمير الحبش « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه الخ » وفيه تاريخ تغلب ذلك الملك على الخارجين عليه

١٨٠ ﴿ تذكرة ﴾ فيها ايقاظ المسلمين الى هذه النعم المخبوءة في أرضهم ، وكيف عرف قيمتها الوثنيون ولم يعبأ بها المسلمون ، وهذا في الحقيقة انتكاس ، فأين شكر النعم إذن وقد أهملناها !

١٨١ ﴿ جوهرة ﴾ في آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - وأن أمم الاسلام اليوم استيقظوا وأحسّ العرب والعجم بما يصيبهم من الخطر ، وأن المسلمين كانوا في القرنين الأوّلين يرضعون من أفاويق النبوّة ثم في القرون التي بعدها صاروا أيتاما وأوصياؤهم أمراء وشيوخ إن صلحوا صلحت الأمة والعكس بالعكس ، مثال ذلك محمد بن تومرت وهو الذى اعتبروه مهديا وكان رجلا حسن النية قضى على دولة المرابطين وأنشأ دولة الموحدين في القرن السادس الهجرى ، وكسر عبد المؤمن نائبه جيوش (على بن تاشفين) الذى اشتغل بالعبادة قياما وصياما وترك الرعية تحت رحمة النساء اللاتي كنّ يحمين اللصوص وقطاع الطرق ، وعبد المؤمن هذا رأى رؤيا تدل على انه يتغلب على الملك مع انه كان معلم صبية ، ومحمد بن تومرت قابل الامام الغزالي أوّلا ولما توجه الى (السوس) أخذ يعظ الناس ويذكرهم وجعل له شيعة أوّلهم عشرة هم المهاجرون الأوّلون و بعدهم جماعة اسمهم الخمسون وهؤلاء أشبه بمجالس الشورى والنوّاب ، وأخذ يظهر الكرامات حتى اعتقدوه كما فعل ابن الصباح وأوهمهم بأن ملكهم باق الى آخر الزمان وانهم يفتحون فارس والروم و يقتلون الدجال ، وأكثر هذا في قصيدة رجل من أهل الجزائر أوّلها

١٨٤ سلام على قبر الامام الممجد ☆ سلالة خير العالمين محمد

وهى مذكورة هنا (٢٤) بيتا

١٨٥ الكلام على أبي يعقوب يوسف وعلى ابنه يعقوب الذى أهان ابن رشد وعلى ابنه محمد وابنه يوسف والمأمون من هؤلاء وهو الذى نسخ سياسة المهدى وقتل أرباب المشورة وأذل رجال الدولة واستعان عليهم بالنصارى فلم تقم لهم بعدها قائمة وأذل المأمون المذكور محمد بن هود

صحيفة

١٨٦ هنالك تفرّقت الدولة شذرمذر . و بيان أن ابن تومرت استعمل رجلا من أصحابه فى طريقة الجذب واظهار الكرامات وادّعاء أن النبي ﷺ علمه العلوم وأطلق لسانه ، فقسم الأمّة الى قسمين : أصحاب الجنة وأصحاب النار بمقتضى قاعة سرّية يعرف بها المصدّقون بالمهدى المعصوم والمكذبون ثم أمر أصحاب الجنة بقتل أصحاب النار وأخذ نسائهم وأموالهم و بعد ذلك شغلهم المهدى بالحروب حتى لايحقدوا عليه بقتل رجالهم

١٨٧ ذكر امتحان هذه السير والأحوال ، وأن الكلام على المهدوية تقدّم فى أوّل سورة الحج وأن أكثر أمم الاسلام تركوا مواهبهم واتكلوا على شيوخ جهلاء كما اتكلت الهنزعلى اطعامنا أياها فكان نقصها عظيما بالنسبة لنظيرتها الغزالة فى البادية ، فحمد بن تومرت وكثير من مشايخ الصوفية نفعهم مؤقت وضرّهم أكثر، إذن لتتعلم الأمة كلها رجالا ونساء ، والقرآن أبان هذا بعجل السامرى الذى غلب ذهبه وخواره على انقلاب العصا حية ، فالقرآن فى ناحية وجمهور المسلمين فى ناحية ، ومامثل الشيوخ الجاهلين والبقر المعبود عند البراهمة وشيوخ البراهمة إلا كمثل الدود الذى يأكل لحم الميتة إذ لامعطل فى الوجود ، والمسلمون الذين فى الهند لم يقدروا على إزالة خرافات أهل البلاد فجاء احتلال البلاد ليزيل بعضا آخر ، وعلى المسلمين فى المستقبل أن يزيلوا مابقى

١٨٨ جمال العلم و بهجة الحكمة فى ذم التقاليد ، وفيه ذكر انه لايليق بالمسلمين (الذين لايفرقون بين الأمم كما تفعل أوروبا وأمريكا اليوم) أن يفعلوا فعل البراهمة ، والمسلمون السابقون هوّش على عقولهم أناس ادّعوا الاخبار بالغيب ولكن الأمة اليوم قد فتح لها باب العلم

١٨٩ ﴿ حديث الهند ﴾ و بيان انها أمة بلغ الرقى فيها أعلاه فى بعض الأفراد وفى مؤخرتها أناس لايزالون فى أخريات الأمم كعهد الفطرة الأولى والانجليز يحكمون (٢٤٧) مليونا وجميع السكان (٣١٩) مليونا والباقون (١٢) ولاية ، والأهالى عشرون عنصرا لغاتهم (٢٢٢) وكتاباتهم (٥٠) نوعا ولكل كتابة من (٢٠٠) حرف الى (٢٥٠) حرفا والبلاد إما حارّة جدا واما باردة بردا شديدا وقد توالت عليها الفتوحات ، فمن (سيزوستريس) المصرى الى الفرنسيين فالانكليز الذين لهم هناك (٦٠) ألف جندى وثلاثة آلاف موظف ورجال الشرطة أربعة آلاف والاوروبيون (٢٠٠) ألف وهم براهمة ومجاهدون وفلاحون والسودرا المحقرون والطبقة الأولى عالة على الجميع بالاتاوات للمولود والميت وغيرهما والبقر المقدّس مليون ونيف والشحاذون والأولياء وغيرهم نحو ستة ملايين ، كل هؤلاء عالة على الأمة ، وهناك البغاء المقدّس وعدد الأرامل فى الهند ثلاثون مليونا والبنات يموت منهنّ فى سنّ الطفولة بسبب زواجهنّ ثلاثة ملايين ونيف . وقد سنّ تشريع جديد للزواج يخفف ماتقدّم و بيان أن طبقة السودرا لامقام لها فى الهند ولكن التشريع الجديد رفعها نوعا مّا . وأعمال البراهمة يشبهها أعمال ابن الصباح وكثير من رجال الصوفية الجهلاء . ونظير ذلك مايكون فى بعض طيور بمصر لها (٤) رؤساء متى أهلكن أصبح الطير كله فى قبضة القانصين

١٩٣ ﴿ نور على نور ﴾ الكلام على البراهمة فى آية ـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون ـ الخ وأن الله الذى نظم عيون النمل والذباب لم يغفل عن أهل الهند إذ جعل لهم بقرا و براهمة يطوفون عليهم كأنهم أصنام متحركة ولم يعطهم إلا على مقدار عقولهم حتى يستعدّوا للاسلام فيما بعد متى حان الوقت وهذا البقر المقدّس له نظير عند جهلة المسلمين إذ يطلقون عجولا باسم الأولياء بمصر قبل تنوّر المسلمين . و يفعل مثل ذلك أيضا (أغا ممنون) بأتباعه

صحيفة

١٩٦ ﴿الفصل الأول﴾ فى بيان المضار الحاصلة فى بلاد الهند بسبب سوء التقليد وشرح أمر الزواج وتخفيف ضرره . و بيان نسبة الأرامل الى غيرهنّ ونبذ العادات القديمة من قتل من مات زوجها واذا عاشت فلابد من زواجها اليوم بالقانون الجديد وأن هناك ألف أرملة لايزيد سنهنّ عن سنة واحدة و(١٦) ألف أرملة لايزيد سنهنّ عن خمس سنوات وهنّ محرومات من الزواج بالقانون القديم

١٩٨ ﴿الفصل الثانى﴾ فى نماذج من الكتب الاسلامية التى تغرى الملوك بالخداع وحبائل النصب ليهيمنوا على الشعب وهوكتاب ﴿سرّ العالمين﴾ المنسوب للغزالى كذبا وأن هذا الكتاب يأمر باظهار الزهد والكرامات . ثم يظهر الداعى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وضرب مثلا بابن الصباح و بالمأمون أخى الأمين بن هارون الرشيد . و بيان أن الولىّ هو الذى لاتهمه الحياة الدنيا ويحب لقاء الله . أما الكرامات وخوارق العادات فما هى إلا امتحانات للناس . وتبيان حديث المسيخ الدّجال . وأن خوارق العادات على يديه امتحان للناس

٢٠١ إن العلم والعمل صعبان على الناس وما أسهل الراحة والنوم والكسل والجهل والاكتفاء بالكرامات وتقبيل الأيدى وما أشبه ذلك . أولايذكرالناس أن المسيخ الدجال رمزلهذه الطائفة التى اغترت بهذه الامور . وخوارق العادات قد تصدرعلى أيدى الجهلاء وهم غافلون كالشيخ سليم بالصعيد وله حادثة جرت مع أحد مستشارى محكمة الاستئناف وقد سألنى وسأل صديقى حسن باشا جلال فأخبرت بأن مارآه من احضار زجاجة الرائحة من الاسكندرية أمر جائز عقلا وذكره ابن سينا اجمالا وذلك قبل الاطلاع على علم الأرواح الحديث

٢٠٢ ﴿أشعوذة أم علم ؟﴾ (هودينى) رجل أوروبى فى زماننا يدفن نفسه فى الأرض على عمق بعيد ثم يخرج وفعل ذلك فى كل دولة وأخذ يهزأ بالسجون جميعها وخزائن الحديد التى تقفل عليه فيخرج حالا بحضور وزراء الأمم وعظمائها وهوالقائل : « هذا سرّ لوعرفه غيرى لأضرّ بالناس اذا لم يكن أمينا » وهذا يؤيد قول علماء الاسلام « إن خوارق العادات لاتختص بالأولياء بل هى عامّة »

٢٠٣ فعلى المسلمين أن يذروا تلك الطريقة العتيقة وليفكروا فى أمبراطورالیابان الذى ورث صناعة الاختفاء عن الشعب وايهامه . فلما علم أن ذلك يضرّ بالأمة رجع عنه وعلم الأمة كلها

﴿المهديون و بعض شيوخ الطرق والمسلمون﴾ ليفعل المسلمون بعد ظهورهذا التفسير مافعله صديقنا (اللورد هيدلى) الانجليزى (الذى لما اطلع على أن الألمان كشفوا فى بلاد الآشوريين أن ابن الله البكر صلب كما صلب المسيح . وتلك الكتابة وجدت قبل المسيح بآلاف السنين) إذ قال « أىّ الابنين أتبع : الابن القديم . أم الابن الجديد ؟ لأتركهما معا وأتبع الاسلام » هكذا ليقل المسلم بأىّ المهديين أقتدى . أبالمهدى السودانى . أم ابن تومرت الخ . كلا . بل أتبع نفس القرآن وأنا أبشر المسلمين بأن هذه الطبقة ستظهر بعد ظهورهذا الكتاب

٢٠٥ ذكرحادثة دالة على ذم التقليد فى الطب وهى المذكورة فى سورة الشعراء وأن رجلا رأى هرّة لدغتها أفعى فتمرغت فى نبات « رعراع أيوب » وانها كلما لدغت تمرّغت فيه . ولكن لما قطعها ماتت . وأيضا يقول : « ان لعاب القط يمنع من السم » فكذّب هذا كماوىّ فى مصرنا فى عصرنا وأثبت أن هذا النبات وهذا الريق لايدفعان السم ولايشفيان منه . فكتاب ابن أبى أصيبعة والمصرى الذى ادّعى هذا كلاهما مخطئ

٢٠٦ ﴿الحياة الاجتماعية وتبرّم أوروبا من حروفها الكتابية﴾ وقول القوم إن حروفهم كثيرة تضيع نصف الوقت

صحيفة

الوقت فى الكتابة والكتابة المختزلة فائدتها ضئيلة . أما الحروف العربية فهى أقرب الى المختزلة ولا تضيع الوقت . إذن أوروبا تحب ترك حروفها ومصطفى كمال يقترب منها وأيضا قلد أمان الله خان مصطفى كمال فى قتل علماء الدين المعارضين فزال ملكه فهو تقليد محزن ، ومن الأحرار الذين تركوا التقاليد المستر (سكلانفالا) العضو الشيوعى أقام مظاهرة فى لندن ضد (الكولونل لورنس) الذى أشعل الفتنة فى أفغانستان ضد (أمان الله) فهذا الانجليزى حر ولكن أمثاله قليل فى حب العدل

٢٠٨ ومن نبذ التقليد فى الزراعة أن الأشجار والزرع تمو فى نفس الماء فى حياض وتوضع فى الماء أقراص محتوية على العناصر السبعة التى يتغذى منها النبات ، وبهذه الوسيلة يمكن أن يظهر القمح والورد وأمثالها فى أزمان قليلة و بنقود قليلة ، وبهذه الوسيلة أيضا يمكن الزرع فى الصحارى والقفار وسطوح المنازل ويزيد المحصول نصف قيمته ويخلص من الآفات العارضة للزرع فى نفس الأرض . أزهر الورد بهذه الطريقة فى (٨٠) يوما . وزاد محصول البطاطس (٥٠) فى المائة والنباتات الغذائية زاد محصولها مائة فى المائة ، وبهذا يمكن أن يعيش ملايين من الناس على محاصيل فى أرض لا تنبت الآن سوى الشوك الخ

٢١٠ وأىّ نبع أو بئر فى أرض قفراء يكفى ماؤه لغذاء أناس فى أرض قفراء اليوم ، وسطوح المنازل تغطى بالزرع فى الحيضان ، وبالجملة فهذا انقلاب عظيم فى حياة أهل الأرض

٢١١ ﴿تذكرة﴾ فى أن الصيام للمريض مع الجلوس فى الشمس بطرق خاصة يمنع فقر الدم ، وهذا لمناسبة انه ﷺ سراج منير والقرآن يجب أن يكون نبراسا للمسلمين يزيل خرافاتهم ويجعلهم مغرمين بالعلوم العقلية كما ان ضوء الشمس يشفى الأبدان مع الصوم ﴿والتذكرة الثانية﴾ أن قوله تعالى ـ يعلم مايلج فى الأرض ـ الخ يدخل فيه القطران الذى يستخرج منه مئات الألوان الزاهية التى بها اغترّ بعض الأمم الاسلامية فحقّ عليهم آثار قوله تعالى ـ سرابيلهم من قطران ـ وهذه أشبه بجنة المسيخ الدجال التى تكون لنا جهنم وهذا عجيب فى القرآن ، والاستدلال على ذلك بقول بعض العقلاء ان التهافت على الملابس الأجنبية يورث العبودية فى هذه الدنيا

٢١٢ ﴿خاتمة السورة﴾ وانها مبتدأة بالنعم الجزيلة وأن هنا أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب . أما أمة اليهود أيام سليمان وداود عليهما السلام فقد شكرت النعمة ، وأما أمة سبأ فانها أعرضت فهلكت وأعقب ذلك بتعيير المقلدين وانهم لا ينفعهم الاحتجاج بالتقليد . وقد أرسل الله سيدنا محمدا ﷺ وسكن أتباعه أرض الله ومنها سبأ ، والحجة اليوم قائمة على أهل هذا الزمان وانهم لم يقوموا بالمحافظة على النعم فى ديارهم فلم يجعلوا للماء سدودا ويستخرجوا مافى أرضهم من العجائب فان أعرضوا فان الله لا يرضى بذلك والأرض له هو سبحانه فهو يعطيها لمن يستخرجون كنوزها أيا كانوا والله لا يهلك الأمم فى الدنيا اذا كانوا مصلحين لأرضه ، ألم تر أن اليابان والصين لما كانتا جاهلتين أذلهما أهل أوروبا ، فلما أخذتا فى اصلاح بلادهما فرّت أوروبا من ديارهم ـ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ

٢١٥ الانسان ونهضة الاستعمار وأن الأمة العالمة تبحث عن الأرض التى نام أهلها عن اتقان العمل فيها فتسخر أهلها لمصلحتها وتارة يستوطنونها . فعلى أهل اليمن وسائر بلاد العرب أن يأخذوا حذرهم ويستخرجوا كنوز أرضهم التى كنزها الله لهم . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين.

(تمت)

بشرى

نزفها الى السادة الشافعية

بعون الله تعالى تمّ إعادة طبع كتاب طالما اشتاق الطلاب لرؤياه بعد احتجابه عدّة سنين . وكاد لايوجد إلا فى خزائن الخاصة مثل الكنز الثمين مع تعطش القلوب لرياه والأبصار لمرآه ألا وهو

بشرى الكريم

بشرح

مسائل التعليم

تأليف

العلامة الكامل والهمام الفاضل الشيخ سعيد بن محمد باعشن عَلَى مقدمة الامام الولى الزاهد الشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن بافضل الحضرمى فى فقه مذهب الامام الشافعي رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين

ولتمام النفع وضعنا بهامشه المقدّمة الحضرمية المذكورة . وهو واقع فى جزأين مطبوعا طبعا متقنا ومصححا بغاية الاعتناء ؟